من سير أبطال فلسطين (3)

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع

درب الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الثاني

إياد جرادات • محمد جرادات • أحمد دهيدي • عرفات الزير • يوسف حمدان • حسام عابد
سامي جرادات • سامح الشويكي • إسماعيل أبوشادوف • مهند أبوعيشة • أمين شقيرات • مهنا زيود
جمال جعار • إياد أبوالرب • أحمد مرشود • محمد عامودي • وجيه أبوخليل • أيهم كممجي
عمر أبوالرب • أدهم يونس • لؤي أبو نجمة • محمد أبو اسنينة • ماهر الهشلمون • محمد أبو حنك

إعداد وتوثيق
الأسير المجاهد
محمد صبحي أبو طبيخ

درر الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الثاني

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

1440هـ - 2018م

رام الله – فلسطين

تمت الفهرسة في مكتبة وزارة الثقافة الفلسطينية

رقم الإيداع 1069 / 2018

الرقم المعياري الدولي 3-0-8523-9950-978

لا يجوز نسخ أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة إنتاجه بأي شكل أو وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، بدون أخذ ترخيص موثق من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع)

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع

Email: dar.nomaan@gmail.com

من سير أبطال فلسطين (3)

درب الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الثاني

إعداد وتوثيق
الأسير المجاهد
محمد صبحي ابو طبيخ

دار الشهيد
نعمان طحاينة
للنشر والتوزيع
Email: dar.nomaan@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[التوبة: 20]

إهـداء

- إلى أراوح شهدائنا الأبرار.

- إلى كل مخيـمات اللجوء في فلسـطين والشـتات وبالأخـص أيقونة المقاومـة والصمود مخيـم جنين.

- إلى رفـاق الـدرب، إخـوة المسـيرة والقيـد والزنزانـة الذيـن قاومـوا العـدو الصهيـوني بـكل شـجاعة وشرف، فكانـوا أهـلًا للواجـب والعطـاء والتضحيـة.

- إلى ورثـة الفعـل المقـاوم المتواصـل، الذيـن يضعـون بوصلتهـم دومـاً باتجاه فلسـطين، والتـي سـتحررنا مـن الأسر بمشـيئة الله _تعالى_.

- إلى أبي وأمي وأخواتي وأخي، أطال الله في أعمارهم.

شكر وتقدير

■ إلى الإخوة المجاهدين: أيمن اطبيش (أبو علي)، أنور عليان (أبو عمر)، إبراهيم الأشقر، مؤمن النجار الذين كان لهم مساهمة جيدة في المساعدة بإخراج هذه العمل.

■ إلى الإخوة الأعزاء: الأستاذ/ محمد فارس جرادات، البروفيسور/ عبد الستار قاسم، الأستاذ/ طارق قعدان، الدكتور/ عبد المجيد العيلة الذين تفضلوا بكتابة تقديم للكتاب.

■ إلى الإخوة في دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع الذين لم يدخروا جهداً لإخراج هذا الكتاب إلى حيز النور، ووفروا الدعم والمساندة.

■ إلى الإخوة في مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى والجرحى الذين وضعوا الأرشيف المعلوماتي للمؤسسة تحت التصرف خلال مرحلة الكتابة.

تقديم

سلامٌ لكم جميعاً،
يا من حملتكم السجون وهناً على وهن

بقلم الأستاذ: طارق حسين قعدان
القيادي في حركة الجهاد الإسلامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا رسول الله، وعلى أهل بيته وصحبه ومن والاه إلى يوم نلقاه.

إن كوكبة من أقمارنا المتلألئة، ومصابيح الدجى الدرية قد انطوت قلوبهم على السر الإلهي المتوقد في إنسان عيونهم التي ترنو إلى مجد أمتهم، وصيانة ثوابتهم، وحماية مقدساتهم، واسترجاع كرامة شعبهم، واسترداد مواردهم وحقوقهم المسلوبة، واستنقاذ أقصاهم إلى ربقة الإسلام والعروبة، ونفض غبار الأسر، والأسرلة عن حياضه، هو ما دفعهم إلى سرج أعمارهم المتفضة، وامتشاق الواجب المقدس ثورة وغضباً وجهادًا وبطولة، وعطاءً لا ينضب، وسيولاً جارفة من تضحية، وجحافل من سرايا متقدمة، وقوافل من انبثاق وانعتاق من أسر الإمكان، وضرورة التحرك رغم إحباطات أوسلو النكدة، وإرهاقات الاعتقالات المتعاقبة، وبرغم ضغط الواقع المأزوم والمثقل بتعقيدات المرحلة التسووية الملعونة والمأفونة تحرك أبطال السرايا الميامين، وأبطال الفعل المعجز، والكدح المتواصل غير آبهين بكل اسقاطات الهرولة باتجاه التطبيع وثمار السلام المزعوم، وغير هيابين بتفوق العدو النوعي على كل الصعد، وفي كل مناحي المواجهة المرتقبة والمزمع ولوجها بكل ثقة ويقين وقوة واقتدار، فكان عطاؤهم حادًا وجاداً وساداً لكل منافذ التطويع والتدجين التي يحلم بها رهابنة السياسة ورواد التطبيع، ومطبلو انتهاء المعركة، ودعاة التسوية المزعومة، سحيجة الأبواق الأمريكية، المترفون في دوائر الوظيفة في سلم الترقيات للخدمة المجانية للاحتلال عبر ما يُسمى بالتنسيق الأمني.

تقدم أولئك النفر من القادة الاستثنائيين، وسادة الفعل وحماة الوصية، ودعاة الثورة مبشرين بمرحلة جهادية ستأتي حتماً برغم المعيقات، وإن أوسلو الخبيثة ليست قدراً محتوماً، ولا خيارًا للشعب الفلسطيني، استطاع أولئك النفر من أبناء السرايا المظفرة، ومع كل الأحرار في الفصائل الفلسطينية الحية إشعال وقود الانتفاضة وتخطي كل حقول الألغام، فاستطاعوا بعطائهم أن يسقطوا كل الخيارات المشبوهة، وأسسوا الحاضنة الثورية التي ستحمل الانتفاضة من جديد، وصوبوا البوصلة الحقيقية التي تنسجم مع طموحات شعبنا الفلسطيني في الخلاص والانعتاق من نير الاحتلال البغيض والثقيل على صدور شعبنا المستضعف، الذي يتوق للتحرر والاستقلال الناجز.

سرى أولئك المجاهدون الأبطال في غسق ليل بهيم مظلم إلى محراب زهدهم، ومعراج خلودهم، واقتحموا مواطن الخطر ومظان الشهادة، مسددين الرحلة السرمدية باتجاه مواقع العدو الصهيوني، فاستشهد من استشهد من قادة أبطال في جولات متعاقبة، وهجومات موفقة وفاتكة بهذا العدو الرعديد الجبان، فقام أولئك الشهداء صعوداً إلى ملكوت السموات ارتفاعاً ورفعة وخلوداً يليق باتخاذ الله تعالى لهم أحبة وشهداء.

وشاءت الأقدار أن يعتقل أبطال آخرون، ويدخلوا في عرينهم مؤبدين، ويزج بهم إلى بطن الحوت في سبيل يونس عليه السلام، شهوداً على المراحل كلها وشاهرين صبرهم في وجه التنين الاستكباري اللعين الذي أراد أن يحولهم لوحة من احباط وهم ثقيل، وأن يجعلهم ركاماً من أنين وشكوى، وأن يصهرهم مما أسماه كي الوعي، فإذا بهم جدار سميك من إرادة وصمود ورموز من عنفوان ومدرسة من إباء، وأيقونة من صبر وتحدٍ، فرغم رقدتهم المؤقتة في السجون الصهيونية البغيضة والمتعددة والمنتشرة في طول وعرض أرضنا المحتلة إلا أن إرادة الحياة وشهية البقاء، ونشوة الانتصار وعميق الانتماء، وعقائدية الانحياز لخياراتهم الواثقة، جعلتهم كالطود الشامخ والسد المنيع، والرديف الحصين والحصن الممتنع على كل محاولات التشذيب والتذويب والترهيب والتركيع والتطويع، فسلام ألف سلام لتلك الأجساد السجينة والأرواح الطليقة، وسلام ألف سلام لتلك الأجسام الموجوعة، والأمنيات المقطوعة، والأحلام الممنوعة، ولكنها بصبرها وثباتها على عهدها تحمل في حنايا وثنايا وزوايا قلوبها كل الأمل والعهد للسرايا، والوعد من السرايا، على الثبات حتى لحظة الفرج والفرح والحقيقية والأمل المنشود والموعود بالحرية والتحرر والانعتاق.

سلام ألف سلام لكل أبطالنا وأسودنا الرابضة في عرينها، وتعلم أن انتظار الفرج والفرح بصبر وثبات من أعظم العبادات وأجل القربات وأكبر المثوبات عند الله تعالى، ومن أعظم الفرحات التي ينتظرها شعبنا المرابط على أحر من الجمر وبفارغ الصبر، سلام لكل الأسرى الميامين، وسلام لأولئك الأباة الـ 42 مجاهداً مؤبداً الذين أُسند لي شرف التقديم لسيرتهم الخالدة، والحديث عن بطولاتهم النادرة التي شرفني الأخ الحبيب محمد صبحي أبو طبيخ بالتقديم لقصصهما العابقة بالبطولة والعطاء والتضحية والجهاد الميمون، والدرب المصون بالحنين والذكرى والفداء والإباء.

سلامٌ لكم جميعاً، يا من حملتكم السجون وهناً على وهن، ومن مواجهة إلى مواجهة ومن تحدٍ إلى تحدٍ، وكأن قلوبكم قدت من صوان، ومن لهيب وعشق وحنان، سلام لعوائلكم الصابرة التي ما برحت مواقعها في الدفاع عن حنينكم في الرجوع إليها سالمين غانمين، مأجورين غير خزايا ولا مفتونين.

تجربة رائدة وتوثيق مُميز

بقلم الدكتور: عبد المجيد لطفي العيلة
المركز الفلسطيني للدراسات والتواصل الحضاري

أكتب هذا التقديم خجلاً، ولولا أنه طلب مني ما كتبت. فأنت تكتب بمداد عن أناس من فرسان وماجدات كتبوا تاريخ الجهاد بدمهم وعرقهم، كتبوا تاريخاً لفلسطين، تاريخ عز وفخار، فأنت إذ تمسك بالقلم لتكتب به فيما هم حفروا بأظفارهم في الصخر ليبقوا جذوة الجهاد مشتعلة كما علمهم الأمين العام المؤسس شهيد الأمة الدكتور فتحي الشقاقي، وجسدوا مقولته: "لقد نهضنا لقتال العدو، وما دون ذلك هوامش"، و"واجب المجاهدين أن يبقوا جذوة الجهاد مشتعلة". أولئك الذين أفنوا زهرات شبابهم بعيداً عن مُتع الدنيا الزائلة، وامتشقوا سلاحهم دفاعاً عن ثرى فلسطين المبارك، ومسجدها المقدس، فمنهم من لقى ربه شهيداً فارتقى إلى العلا، ومنهم من ينتظر قابعاً بين جدران زنازين الاحتلال ومعتقلاته يحدوه الأمل بالحرية لمواصلة طريق الجهاد والاستشهاد.

صفحات عز ومجد سطرها الكاتب الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ ليوثق تجارب جهادية رائدة لفرسان الجهاد الإسلامي الذين كتبوا له تاريخاً ولفلسطين مجداً وفخاراً شاهدين على المرحلة بأن أبناء الإسلام وفلسطين لم يركنوا إلى الظالمين، وبقوا مدافعين عن حق الأمة ودينها وحضارتها، واقفين في وجه الظلم والاستعمار الساعي لطمس هوية فلسطين وإلحاقها بالأندلس.

هذه العمليات الفدائية النوعية، والعمليات الاستشهادية للرجال الأفذاذ؛ تعني أن أبناء الجهاد وفلسطين لا يعدمون الوسيلة من أجل استرداد حق الأمة والدفاع عن تاريخها ومقدساتها رافضين كل مقولات المثبطين واللاهثين وراء السراب المسمى بالسلام.

حاول الكاتب الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ أن يوثق لهذه العمليات ذاكراً التفاصيل وتفاصيل التفاصيل، ولا غرو في ذلك لبيان كم هو الجهد والعرق وكم هي المعاناة في الإعداد والتجهيز، وأن الأمر ليس كما قد يظن البعض بأن العمليات يمكن أن تتم بضغطة زر وفي كل وقت وحين.

وقد وفق الكاتب في وصف هذه الأحداث، وكان منصفاً لزملائه المجاهدين في رواية تلك الأحداث فهو لم يروِ النجاحات فقط التي تمت بفضل الله وتوفيقه، بل روى أيضاً الإخفاقات والتجارب التي لم يوفقوا فيها ذاكراً أوجه التقصير أو أسباب تعثر المسيرة الجهادية.

جانب آخر في غاية الأهمية لم يغفله الكاتب والمجاهدون معه، هو وجود ظاهرة العمالة في المجتمع المحتل، والذي هو بحكم الواقع يكون ضعيفاً ولديه

شعور بالهزيمة والإحباط، ومن هنا يمكن اختراقه من قبل العدو، لكن واجب المجاهدين طليعة الأمة أن يأخذوا بيد هذا الشعب نحو الأمل والتفاؤل بالانتصار على العدو، بل وتفهم ظروف من وقع في وحل التعاون مع المحتل ومحاولة تبييض صفحته تخليصاً له من الإثم والخطيئة، وفي الوقت نفسه مراعاة سمعة أهله وذويه.

واستفادة من التجارب الثورية كالثورة الجزائرية كان لأبناء الجهاد الفضل في معالجة عدد من تلك الظواهر المؤلمة في تاريخ شعبنا، وهنا يُحسب لتنظيم الجهاد الإسلامي بأنه لم يُفْرِطْ في تنفيذ عمليات الإعدام بحق المتعاونين، وقد كانت توجيهات الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي الأمين العام المؤسس ومن بعده الدكتور/ رمضان شلح عدم إصدار أوامر أو تعليمات بإعدام المتعاونين.

كما وفق الكاتب الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ في تسجيل وتوثيق تفاصيل للعمليات التي حاول البعض نسبتها لنفسه كعملية زقاق الموت، وفي ذلك رد ودحض لتلك الادعاءات ومحاولات البعض سرقة نضالات الآخرين مستغلين الغموض الذي يكتنف مثل تلك العمليات بسبب الظروف والاحتياطات الأمنية والتي قد تمنع أحياناً الإفصاح السريع عن العملية، أو قد تؤخر الإعلان عنها.

وقد استطاع الكاتب الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ بلغته الأدبية الرقيقة أن يصف الأحداث كما هي دون رتوش أو إضافات قد تغير وجه الحقيقة أو توحي بما لم يكن أو تعظيم ما ليس بعظيم. فكان في وصفه للمجاهدين وللأحداث متواضعاً فلم يضفِ عليهم صفة القداسة، ولم يصف الأحداث بالمعجزات الخارقة. وهذا يعني أن القدرات البشرية الطبيعية والإمكانيات المتواضعة من الممكن أن تحقق المعجزات وتنتصر على إرادة الجلاد.

هذا الكتاب يعطيك صورة واضحة جلية عن بطولات أبناء الجهاد فرسان سرايا القدس، ويصف تضحياتهم ويبين معاناتهم وما يلاقونه من صعاب أثناء التجهيز والإعداد للعمليات الجهادية التي تتكلل بالنجاح بتوفيق الله وفضله.

وبهذا يُعتبر الكتاب سجلاً توثيقياً لعمليات سرايا القدس في ضفتنا الصامدة في وجه المحتل الغازي، وإضافة للمكتبة الفلسطينية التي تفتقر إلى مثل هذه الكتب، خاصة توثيق سير المجاهدين من أبناء حركة الجهاد الإسلامي، ولقد استمتعت وتأثرت بقراءة سير العديد من المجاهدين الذين تحدث عنهم الكاتب أثناء مراجعتي وتدقيقي لمسودة هذا الكتاب، وهو من النوع الذي يشدك لقراءته بحيث لا تستطيع تركه حتى تكمل موضوعه. وكلي أمل أن نسعد بقراءته بعد طباعته، وسيبقى فخراً وسجلاً مجيداً لفرسان الكتاب من المجاهدين الميامين، الشهداء منهم والأحياء، ومن يأملون بالحرية ولا يزالون خلف القضبان. فالمجد للشهداء والحرية للأسرى وألف تحية لمُعد الكتاب.

درب الصادقين،
صفحات مشرقة من بطولات المجاهدين

بقلم الأسير: محمد صبحي أبو طبيخ
سجن "ريمون" الصحراوي

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بذكره يستفتح كل كتاب وباسمه يبدأ كل خطاب، الحمد لله الذي فتح لنا باب الجهاد واصطفى منا رجالاً أخيارًا ليكونوا عند الله إما شهداء وإما أسرى وإما مطاردين، والحمد لله الذي أعزَّ المؤمنين وأذل الكفرة المجرمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له القائل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي حرَّضنا على الجهاد في سبيل الله كما أمره ربه القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: 65]، وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: 84]، فقام نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ مجاهداً مقاتلاً حتى لقي الله تعالى فقال: "والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ"، فكانت هذه هي أمنية محمد _صلى الله عليه وسلم_ سيد الخلق والمرسلين، فما بالنا والقعود؟ ولماذا يترك شعبنا الفلسطيني الجهاد في سبيل الله وقد أُمر به؟

فيا أمة المليار مسلم في العالم! يا شعب فلسطين المجروح والمظلوم والمحتل! يا ضفة الشهداء والأسرى! إن قلب الأمة وقلبكم ما يزال مأسورًا، وقدسكم قد غاب عنها الفرح والسرور، فلم تعد قدسنا طهورًا، والأقصى في خطر، وقضيتكم المركزية على مرمى حجر، وقلب الأمة مجروح، فكان لزاماً أن تتغير الأحوال وإن تأخر من تأخر في هذا الزمان فلن تترك حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الساحة، وستبقى سرايا القدس تحمل الراية في ميادين القتال مهما كانت الظروف التي تحيط بها، وسيبقون في الليل من الرهبان وعند قتالهم لعدوهم سيكونون من أشجع الفرسان، وهذا ما تحقق وتجسد على أرض فلسطين المحتلة عبر بطولات المجاهدين من أبطال حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري سرايا القدس عندما تفجرت انتفاضة الأقصى المباركة في 28/ 09/ 2000م، والتي جاءت كرد طبيعي ومتوقع بعد انتهاء جولة المفاوضات الأخيرة في قمة "كامب ديفيد" الثانية، والتي حققت فشلاً كبيراً في الوصول إلى حلول في قضايا الحل النهائي، والتي في مركزها قضية اللاجئين والقدس والأماكن المقدسة؛ ليأتي قرار الحكومة الصهيونية بالسماح للمجرم الصهيوني أرئيل شارون بزيارة الحرم القدسي، كخطوة استفزازية سياسية هدفها إبراز القوة وإعلان السيطرة على أحد مراكز الصراع.

لقد قدمت سرايا القدس عبر قادتها وكوادرها وأبطالها أروع وأعظم وأبهى صور الجهاد في سبيل الله عبر عملياتها العسكرية والاستشهادية، فكان لا يخلو يوم أو شهر إلا وقد نفذت سرايا القدس عمليات استشهادية في المدن الفلسطينية المحتلة، سواء في القدس أو العفولة أو الخضيرة أو "نتانيا" أو بيسان أو وادي عارة أو "تل أبيب" أو غيرها، وأوقعت مئات القتلى والجرحى في صفوف العدو، هذا العدو الذي استجمع قوته وشدد قبضته على أبناء الشعب الفلسطيني وعلى فصائل المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة فارتكب المجازر وقتل الأطفال والنساء، وكان لا يكاد يمر يوم إلا ويقوم الجيش الصهيوني ويعتقل المئات ويقتل العشرات ويهدم البيوت ويقتلع الأشجار ويضع الحواجز ويغلق المدن الفلسطينية، وضباط "الشاباك" الصهيوني لم يتوقفوا يوما عن تعذيب المجاهدين منذ زمن طويل، فلم يتركوا طفلاً ولا امرأة ولا شاباً ولا شيخاً ولا حتى رضيعاً إلا ونال قسطاً من العذاب، واتسع هذا العذاب ليصل إلى كل بيت فلسطيني، لذلك نريد ونتمنى أن تكون قضية فلسطين هي قضية كل الدول وكل الشعوب وكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويجب العمل على أن تكون إسلامية لا شرقية ولا غربية، وعليه نحن بحاجة ماسة إلى الرجال الرجال في هذا الجيل الجديد، جيل انتفاضة الأقصى الذي يكون الرجل فيهم كما قال الشاعر:

ترى الجموع ولكن لا ترى أحداً   وقد ترى همة الآلاف في رجل

من أجل ذلك يأتي هذا الكتاب للحديث عن تاريخ أبطال عظماء، باعوا أنفسهم لله، فكانوا ممن قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: 207]، رجال أبطال حملوا هم الأمة وهم القضية الفلسطينية وحملوا أرواحهم على أكفهم، لا يخافون في الله لومة لائم، يجاهدون أعداء الله، ويرسمون الوطن وشماً على لحومهم، وينثرون لحمهم في الخضيرة نشيداً لحسن أبو زيد، وعرساً للؤي السعدي، ووفاء لفتحي الشقاقي، يرسمون لوحة جهادية رائعة عبر العمليات الاستشهادية، ويرسمون للأمة طريق العزة والكرامة والسؤدد، فكانوا بمثابة الثلة المؤمنة الصابرة والمحتسبة من الذين تشبثوا بخيار الجهاد والاستشهاد؛ ليجمعوا شتات أرواحهم وشتات الأمة على الإسلام وفلسطين والجهاد، ولهذا كان وسيبقى خيار الجهاد الإسلامي وسرايا القدس هو الجهاد والبندقية التي لا يمكن مقايضتها سوى بمقعد في جنة الرحمن، أو تحت مظلة على شاطئ يافا، أو في ظل زيتونة في الجليل، فكان

هـؤلاء المجاهـدون الأبطـال في سرايـا القـدس المأسـورون في سـجون العـدو مشـاعل نـور وهدايـة، اصطفاهـم الله _عـز وجـل_ ليكونـوا أسرى ومعتقلـين، ولكنهـم مـا وهنـوا ومـا اسـتكانوا ومـا بدَّلـوا ومـا حوَّلـوا، فغرسـوا سـنوات أعمارهـم في سـجون الاحتـلال، فنبتـت أشـجاراً شـامخة سـامقة، تحمـل بـين أوراقهـا وأغصانهـا وثمارهـا أمل الطفـل الفلسـطيني الجريـح وعـزم الرجـال الصادقـين.

فيـا أيهـا الجيـل الجديـد، جيـل انتفاضـة الأقـصى المباركـة، أيهـا الأبطـال أيهـا الشـامخون في زمـن الـردة والانكسـار، عندمـا تقفـون عـلى هـذا الكتـاب وتقـرؤون في صفحاتـه المشرقـة الجميلـة سـيرة هـؤلاء الأبطـال الرجـال الرجـال مـن قـادة وكـوادر سرايـا القـدس في سـجون الظـلام، سـتجدون أنفسـكم أمـام هامـات وقامـات وقصـص وحكايـات، بـل نـماذج فريـدة مـن نوعهـا في البـذل والعطـاء والإقـدام والتضحيـة والإيثـار، فـكان ذلـك تاريخهـم العظيـم، وقـد قـرأ المفكـرون والقـادة والساسـة والنخـب وعامـة النـاس قصـص وحكايـا عظيمـة مـن حيـاة الأنبيـاء _عليهـم السـلام_ ومـن حيـاة صحابـة الرسـول _صـلى الله عليـه وسـلم_ ورضـوان الله عليهـم أجمعـين، ولكننـا اليـوم نقـف بـكل فخـر واعتـزاز للحديـث عـن قصـص مـن سـاروا عـلى دربهـم، عـن ثلـة مؤمنـة مـن أبطـال سرايـا القـدس في الضفـة الغربيـة هـم منَّـا ونحـن منهـم، ويعيشـون في عصرنـا ونعرفهـم ونسـمع عنهـم، وهـم ممـن ينطبـق عليهـم قولـه _صـلى الله عليـه وسـلم_: "لا تَـزَالُ طَائِفَـةٌ مِـنْ أُمَّتِـي عَـلَى الْحَـقِّ ظَاهِرِيـنَ لَعَدُوِّهِـمْ قَاهِرِيـنَ لَا يَضُرُّهُـمْ مَـنْ خَالَفَهُـمْ"، وهـم عـلى ذلـك فاحتضنتهـم دعـوة الإسـلام العظيـم وربتهـم عـلى حـب الجهـاد والاستشـهاد، فكانـوا رهبانـاً في الليـل فرسـانًا في النهـار، تسـابقوا إلى ميادیـن الجهـاد والاستشـهاد، فمنهـم مـن قـضى نحبـه ومنهـم مـن ينتظـر، فـكان حريًـا بنـا أن نقتحـم هـذا المجـال، ونكتـب بـكل إخـلاص وشـجاعة وشرف، وأن نـؤرخ لهـؤلاء الأبطـال المغيبـين في سـجون الظـلام.

تحدثنـا في هـذا الكتـاب عنهـم مـن تاريـخ ميلادهـم مـروراً بطفولتهـم وصـولاً إلى انتمائهـم لحركـة الجهـاد الإسـلامي وتتويجـاً بأعمالهـم الجهاديـة والعسـكرية في صفـوف سرايـا القـدس في الضفـة الغربيـة، مـع التطـرق والحديـث عـن حياتهـم في داخـل سـجون الاحتـلال، فحفظـاً لهـؤلاء الأبطـال وتخليـداً لبطولاتهـم قمنـا بتوثيـق أعمالهـم دون محابـاة أو مجاملـة، ودون مبالغـة، فلـم يكـن أمامنـا لتحريـض وحـث هـذا الجيـل الواعـد الناشـئ الجديـد ليكـون لهـم الدافـع والحافـز في حمـل الرايـة والسـير عـلى خطـا هـؤلاء الأبطـال، ولـكل مجاهـد ولـكل بطـل ولـكل أسـير قصـة وحكايـة عزيـزة

على قلوبنا، ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن جميع أبطال سرايا القدس في الضفة الغربية لضيق الزمان والمكان في سجون الاحتلال، فاكتفينا بالحديث عن بعض قصص هؤلاء الأبطال مراعين الجغرافية الفلسطينية في الضفة الغربية ما أمكن ذلك، فتشكلت لدينا لوحة جهادية من شمال الضفة حتى جنوبها، ونحن على أمل إن شاء الله في مواصلة الكتابة عن قصص باقي المجاهدين الأبطال في سرايا القدس، ومن كافة الفصائل الفلسطينية كلما أمكن ذلك.

وفي الختام نسأل الله _عز وجل_ أن نكون قد وفقنا في بذل الجهد المطلوب في جمع هذه المعلومات المهمة وتبويبها وتوثيقها وصياغتها بالأسلوب الذي يدخل إلى القلوب مباشرة دون استئذان، ونسأله تعالى أن يغفر لنا إن أخطأنا، وأن يأخذ بأيدينا إن سددنا وأصبنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسماء الأسرى المجاهدين

مرتبة هجائياً حسب تاريخ الأسر لدى العدو الصهيوني

الأسير المجاهد

إياد إبراهيم حسن جرادات

سليل أسرة شهداء ومجاهدين

تاريخ الميلاد: 1984/05/28م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة سيلة الحارثية – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2003/05/11م

الحكم: مؤبد و50 عاماً

نقف اليوم للحديث عن صفحة مشرقة جميلة من صفحات العزة والبطولة والكرامة لنكتب عن مجاهد لا يزال عاشقًا ومحبًا ومخلصًا للقضية الفلسطينية، نكتب عن مجاهد شق طريقه منذ الطفولة نحو طريق المقاومة والجهاد، فهذا المجاهد لم يجد فرصة لادخار شيء ما أو الحصول على شيء، وهو لا يملك من دنياه شيئًا سوى التضحيات التي بذلها في سبيل الله، لقد كان هذا المجاهد البطل واعيًا لا واهمًا، يدرك أن حل القضية الفلسطينية وإعادة الحقوق المغتصبة بحاجة إلى التضحية وبذل الدماء والأرواح في سبيلها، فكان كالشجرة، شجرة الحرية والأمل للمستقبل؛ إنه المجاهد إياد جرادات.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد إياد جرادات في بلدة سيلة الحارثية بمدينة جنين القسام؛ لأسرة فلسطينية مؤمنة مجاهدة صابرة محتسبة، عانت ولا تزال حتى اللحظة من كثرة الابتلاءات والمحن، وبالرغم من ذلك فقد عاش المجاهد حياته بشكل عادي وطبيعي لاسيما أنه نشأ في جو دافئ، وفي جو من الحنان والعلاقات الأسرية المتماسكة والقوية والممتدة، فلم يشك من أية مشاكل عائلية، ولكن لم تخل حياته أحيانًا من الأجواء المشحونة، فنشأ بين والدين محبين ومكافحين لإنهاء

الشهر بالراتب المحدود وبكرامة؛ كون والده يعمل معلمًا في إحدى مدارس سيلة الحارثية، ووالدته كانت عاطفية جدًا تنهمر دموعها لأبسط الأسباب، أمضت سنوات عمرها تحاول تربية أبنائها وبناتها تربية إسلامية ووطنية، ورغم حنان والديه إلا أن قلبه تعلق منذ طفولته بحب جدته لأبيه التي ترعرع في كنفها وفي بيتها، والتي كان لها الأثر الكبير في حياة وشخصية المجاهد إياد.

أحب الأسير المجاهد إياد الحياة، وأحب العلم وبرع في هواياته المتعددة، وأبدع في لعب كرة القدم، وتم اختياره ضمن أفضل اللاعبين على يد أستاذ الرياضة في مدرسة سيلة الحارثية (أبو مجدي)، وليس هذا فحسب، بل برع في رياضة السباحة، والأهم أنه برع في حب الشعر ونظمه، كيف لا وقد نشأ في أسرة تحب الشعر الذي كان إفطارهم وغداءهم وعشاءهم، فوالده يعتبر من أهم الشعراء في مدينة جنين، وجل هذا الشعر كان في حب الوطن والشهادة والجهاد والمقاومة والحرية والاستقلال والانتفاضة ورفض الظلم والطغيان، مما جعل المجاهد إياد يكبر على هذه المفردات والمعاني ليعي حقيقة الصراع الدائر بين الشعب الفلسطيني وبين العدو الصهيوني.

وبرع في دفع والده ليكتب له بعض الشعارات الوطنية ليلقيها ويهتف بها في المسيرات والمظاهرات، فتعلق قلبه بحب الوطن، والتزم بالمسجد وحافظ على الصلاة والصيام، وكان دائم السماع للأناشيد الإسلامية بصوت المنشد أبو راتب بالإضافة إلى الاستماع إلى سيرة الشهداء كعماد عقل

كوكبة من شهداء حركة الجهاد الإسلامي
على مدخل بلدة سيلة الحارثية بمحافظة جنين

ويحيى عياش والدكتور الشهيد فتحي الشقاقي. كان نشيطًا في حياته دائم الحركة وحب المعرفة والحرص على العمل، فاحترف العمل في البلاط، وأضاف له مهنة أخرى، وهي حلاقة الشعر التي استمر بها طيلة شبابه. كان يقسم وقته بين المسجد والعمل في الحلاقة إلى الاهتمام بعلاقاته الاجتماعية مع أبناء جيله في بلدة سيلة الحارثية ممن كانوا ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي، هذا الاسم الذي عشقه المجاهد إياد لدرجة أنه كان يرسم حرف " J " باللغة الإنجليزية على يده، وعندما سئل عن ذلك أجابهم إنه اختصار لحركة الجهاد الإسلامي وأن دمه "جيم" أي جهاد إسلامي، فقد تأثر بالشهداء من أبناء الجناح العسكري للجهاد الإسلامي (قسم)، وهما الشهيدان صالح وسليمان طحاينة، وخاصة بالشهيد صالح حيث كان المجاهد إياد يحاول كثيرًا تقليد الشهيد صالح بكل شيء في مدينة جنين، ورغم صغر سنه إلا أنه كان يخرج إلى جانب المتظاهرين والمجاهدين للمشاركة في رمي الحجارة والزجاجات الفارغة على قوات العدو الصهيوني في سيلة الحارثية.

مشاركته في الانتفاضة الثانية

وما أن أصبح عمره ستة عشر عامًا حتى اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة في سبتمبر (أيلول) عام 2000م فكان من أوائل الأبطال الذين شاركوا في التظاهرات أمام حاجز الجلمة في مدينة جنين، وقبل أن يبدأ بإلقاء الحجارة على الصهاينة، كان يحرص على أن يصلي ركعتين لتكون هذه الصلاة آخر عهد له في هذه الدنيا.

واتسعت رقعة الانتفاضة لتصل إلى كل أنحاء فلسطين المحتلة، وبدأت حركة الجهاد الإسلامي تنفذ العمليات الاستشهادية في قلب الكيان الصهيوني، وقام المجاهد عبد الكريم طحاينة من بلدة سيلة الحارثية في مدينة جنين بتاريخ 05/ 03/ 2002م، بتنفيذ عملية استشهادية في قلب مدينة العفولة المحتلة، وكان هذا الاستشهادي البطل هو الصديق العزيز للمجاهد إياد جرادات حيث كان يسهر معه ليلة تنفيذه للعملية لمدة ساعات طويلة تناولا فيها الطعام وشربا الشاي وسمعا فيها أناشيد الثورة الفلسطينية بصوت أبو عرب، فكان استشهاد البطل عبد الكريم قد قلب كيان المجاهد إياد، الذي كان يريد أن يلحق به إلى الجنة ولم يكن يعرف الطريق بعد.

التحاقه بحركة الجهاد الإسلامي

ذات يوم وهو جالس في صالون الحلاقة الخاص به يمارس عمله اليومي، فإذا بالمجاهدين قاسم عياد والاستشهادي راغب جرادات بطل عملية "الياجور" في حيفا بتاريخ 10/ 04/ 2002م والتي أدت لمقتل عشرة جنود صهاينة؛ يدخلان إلى صالون الحلاقة ليدور حديث مطول بينهم حول الإسلام والجهاد والمقاومة والشهادة والجهاد الإسلامي وغيرها من الأفكار والعناوين، ولكن كان الموضوع الأهم الذي جاءا من أجله هو تجنيده للعمل في صفوف حركه الجهاد الإسلامي بشكل رسمي، فبدأ مشواره الفعلي بتوزيع المناشير والمجلات والصحف وصور الشهداء والاستشهاديين، وكان هذا الأمر بشكل سري وبعد صلاة الفجر أحيانًا.

الاستشهادي/ راغب جرادات استشهد بتاريخ 10/ 04/ 2002م

وفي أحد الأيام، وأثناء القيام بنشاطاته الدعوية والفكرية، وبعد رجوعه من توزيع كتيبات وصور الاستشهادي راغب جرادات بطل عملية حيفا النوعية بتاريخ 10/ 04/ 2002م التي جاءت للرد على مجزرة مخيم جنين التي ارتكبها العدو الصهيوني، والتي أدت لاستشهاد العشرات وإصابة العديد من المجاهدين؛ مما جعل المجاهد إياد يهب مسرعًا إلى مشفى جنين للتبرع بالدم لمعالجة الجرحى هناك، حيث تم إغلاق جميع مداخل مدينة جنين من قبل العدو الصهيوني وأثناء محاولة المجاهد إياد سلوك طريق فرعي في سهل مرج بن عامر إذا بقوة صهيونية مدججة بالسلاح تخرج من بين المزروعات، وتحيط بالسيارة التي يتواجد بها، فطلب ممن معه في السيارة أنه في حال سؤالهم عن بعضهم البعض، عليهم أن يجيبوا بأنهم لا يعرفون بعضهم البعض، وبدأ الجنود

الصهاينة يمارسون عليهم أساليب بالتهديد والوعيد عبر استفزازهم ومضايقتهم إلى أن تم إنزالهم من السيارة، وقاموا بوضع العصبات على أعينهم، وبدأت الدبابات تتحرك بالقرب منهم، لتحدث أصواتًا مرعبةً وغبارًا كثيفًا باتجاههم، وعندما رأى الجنود الصهاينة عدم تجاوب المجاهدين معهم تم اقتيادهم إلى معسكر سالم الصهيوني ليبدأ التحقيق مع المجاهد إياد جرادات بظروف صعبة وقاسية ومذلة، واستمر لمدة 18 يومًا، وعندما تأكد الشاباك الصهيوني أن ملف المجاهد إياد لا يوجد به ما يستدعي تقديمه للمحكمة تم الإفراج عنه.

وكان قد تم حوار بين ضابط التحقيق وبين المجاهد إياد حول معرفته بنشاطات المجاهد إياد وبحبه للشهيد صالح طحاينة وكأنه كان يعلم أحلام المجاهد إياد منذ صغره، ونتيجة لإنكار المجاهد إياد للتهم المنسوبة إليه تم حينها الإفراج عنه، وفي هذه اللحظة قرر الانتماء إلى صفوف سرايا القدس وتوجه إلى أحد قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وهو المجاهد سعيد طوباسي، وجلس معه مرات عديدة وأحيانًا كان يجتمع مع المجاهد عبد الله الوحش القائد الميداني لسرايا القدس في مخيم جنين، وتم تكليف المجاهد إياد جرادات من قبل المجاهد سعيد طوباسي بالعمل الدؤوب من أجل الحصول على مواد تستخدم في صناعة المتفجرات كمادة حمض "النيتريك"، وتبعًا لخبرة المجاهد إياد في المدن والقرى في الكيان الصهيوني؛ استطاع إحضار الكمية المطلوبة وبظروف صعبة وعصيبة، مما أفرح المجاهدين في سرايا القدس لافتقادهم لمثل هذه المواد.

نشأت حالة من الثقة المطلقة بين المجاهد سعيد طوباسي وبين المجاهد إياد الذي استطاع بعدها تجنيد الاستشهادي محمد طحاينة من بلدة سيلة الحارثية بمحافظة جنين، وإرساله للمجاهد سعيد طوباسي،

الأسير القائد/ سعيد طوباسي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 01/ 11/ 2002م

ونتيجة لنشاط المجاهد البطل إياد جرادات في صفوف سرايا القدس تعرض منزله للمداهمة من قبل العدو الصهيوني بحثًا عنه، وفي إحدى الليالي الرمضانية تم محاصرة منزله في بلدة سيلة الحارثية من قبل القوات الخاصة الصهيونية، فكانوا على علم بموعد عودة المجاهد إياد لمنزله وكان هذا الموعد بعد صلاة الفجر، وعندما خرج والده من المنزل من أجل إيقاظ الجيران لتناول طعام السحور ظن العدو الصهيوني أن والد المجاهد إياد هو الهدف الذي يبحثون عنه، فانقضوا عليه بطريقة همجية، وأدخلوه إلى داخل المنزل وبدأوا بالاعتداء عليه، وعلى أفراد أسرته، وجنّ جنونهم عندما

علموا أن المجاهد إياد لم يكن متواجدًا في المنزل، حيث كان في تلك الليلة في بلدة الزبابدة بمحافظة جنين في مهرجان تأبيني للشيخ المجاهد محمود طوالبة، أحد أهم وأبرز قادة سرايا القدس في الضفة الغربية، وكان المجاهدون قد استعانوا بالمجاهد إياد لمساعدتهم في الإعداد والتجهيز للمهرجان، وزودهم برايات وبيارق حركة الجهاد الإسلامي وصور الشهيد محمود طوالبة وكان مهرجانًا مميزًا أشرفت عليه الجماعة الإسلامية الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في الجامعة العربية الأمريكية، الذين ما أن انتهوا من المهرجان حتى أصرّوا على بقاء المجاهد إياد عندهم في بلدة الزبابدة لتناول طعام الافطار بعد اليوم الرمضاني الطويل والشاق.

شعر المجاهد إياد عندما قرر المبيت في بلدة الزبابدة كم أن العمل بروح الفريق الواحد له طعم خاص، ولاسيما أن قلب المجاهد قريب من قلوب إخوانه، وتذكر حينها ماذا يعني قوله صلى الله عليه وسلم: "وَكونوا عِبَادَ الله إِخوَانَا"، وقوله أيضًا: "نُصرت بالشباب".

فالشباب هو القوة، فالشمس لا تملأ النهار في آخره، كما تملؤه في أوله، وفي الشباب نوع من الحياة تظهر كلمة الموت عندها كأنها أخت كلمة النوم، وللشباب طبيعة أول إدراكها الثقة بالبقاء، وأول صفاتها الإصرار على العزم، وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة ثمارها، وبعد ذلك لا تضع الأشجار إلا خشبًا.

وما أن جاء اليوم التالي حتى خرج المجاهد إياد من بلدة الزبابدة إلى بلدة سيلة الحارثية، ليجد أن عائلته قد أصابها التعب والمشقة والإذلال من قبل العدو الصهيوني، وأن خرابًا كبيرًا حل في البيت، فقرر القيام بعملية استشهادية في قلب الكيان الصهيوني إلا أن قادة سرايا القدس رفضوا هذه الفكرة لحاجتهم الشديدة لشباب كالمجاهد إياد جرادات من ذوي الهمم العالية حيث إن هذه الانتفاضة الفلسطينية لا يصبر في سبيلها سوى رجال صادقين، وطنوا أنفسهم ولم يكترثوا بما قد يصيبهم من تعب جسدي؛ فيقينهم أن التعب إلى زوال وأن البقاء للإنجازات الجهادية.

كان المجاهد إياد في مطلع العام 2003م يتواجد في مدينة جنين بصحبة المجاهد أحمد الشيباني الملقب بـ"العندليب" أحد أبرز قادة سرايا القدس، وإذا بالمجاهد أحمد دهيدي يحضر إليهم وهناك تعرف بالمجاهد إياد جرادات، وطلب الأخير منه أن ينضم إلى مجموعته العسكرية، وتبعًا لقدرة المجاهد إياد جرادات في التنقل والعبور بين الضفة الغربية والأراضي المحتلة عام 1948م، وقع عليه الاختيار في توصيل الاستشهاديين ربيع زكارنة وهاني زكارنة من سكان بلدة قباطية في مدينة جنين.

استطاع المجاهد أحمد دهيدي بمعرفته إحضار الاستشهاديين، وطلب من أحد المجاهدين إيصالهما إلى المجاهد إياد جرادات لتجهيزهما للعملية الاستشهادية حيث كان قد زودهما المجاهد أحمد بقطعتي سلاح إحداها من نوع (M16)، والأخرى من نوع كلاشينكوف، بينما قام المجاهد إياد بتصوير

الأسير المجاهد/ أحمد دهيدي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 15/ 06/ 2003م

الاستشهاديين صورًا فوتوغرافية وأبقاهما في البيت الذي يتواجد فيه في مدينة جنين ليسهر معهما في تلك الليلة، وكأنها ليلة الوداع ليدور الحديث بينهم حول الاسلام والجهاد وفلسطين ومنزلة الشهداء، في جنات الرحمن وأهمية جهاد وقتال المحتل الصهيوني، وأن أثمن تضحية هي التي يضحي بها الإنسان بنفسه، وما أن جاء موعد صلاة العشاء حتى توضأ المجاهدون وصلوا جماعة، ثم بدأ المجاهد إياد يحضر لهم طعام العشاء وبناءً على ما طلبوا منه كان الطعام المفضل لهم البيض المقلي بزيت الزيتون.

بعد ليلة إيمانية جهادية ملؤها الصبر والعبادة والانتظار والشوق واللهفة لموعد العملية، كان لابد لهم من النوم ليتمكنوا في اليوم التالي من تنفيذها كما هو مطلوب منهما. وحينها رأى المجاهد إياد أن الملابس التي يرتديها الاستشهادي هاني ولاسيما البنطال لا تمكنه من التحرك براحته أثناء العملية لذلك قام المجاهد إياد بخلع بنطاله الخاص، وطلب من المجاهد هاني زكارنة تبديل بنطاله.

ما أن جاء اليوم التالي حتى خرج المجاهدون إياد وربيع وهاني من المنزل بسيارتهم ليتوجهوا إلى سيلة الحارثية، وصلوا العصر ووضع المجاهد إياد خطة عمل تقتضي بأن يبقى المجاهدان الاستشهاديان ربيع وهاني في منطقة قريبة من سيلة الحارثية وبعيدًا عن الناس، بينما يقوم المجاهد إياد عبر سيارته بنقل سلاح المجاهدين وذخيرتهما بالإضافة إلى كمية من الماء والطعام إلى مكان قريب من موقع العملية في مدينة العفولة المحتلة، ثم بعد أن أمن السلاح والطعام والماء عاد إلى سيلة الحارثية، واجتمع بالمجاهدين ربيع وهاني، وأخبرهما بما حدث وتفاصيل الخطة الجديدة بأن يسيرا مشيًا على الأقدام من سيلة الحارثية إلى موقع العملية في مستوطنة "قاديش" في العفولة، وكان حينها الليل قد أقبل، حيث كانت ليلة مظلمة شديدة البرودة بتاريخ 12/ 01/ 2003م، ذلك اليوم الشاق والصعب جدًا على أولئك الأبطال، ومع ذلك بدأ المجاهدون إياد وربيع وهاني بالتقدم نحو المستوطنة، ولسان حالهم يقول هذه الأرض لنا وهذا النهر (أي نهر المقطَّع) لنا، ولنا المسجد ولنا البرتقال والزيتون والعنب، ولن تخمدوا صوتنا مهما كان غازكم مسموم، وفولاذكم وحديدكم فنحن لكم بالمرصاد.

وفي تلك اللحظات المحفوفة بالخطر الشديد، علم المجاهد إياد أن المجاهدين الاستشهاديين هاني

الاستشهاديان/ هاني زكارنة (يمين) وربيع زكارنة
استشهدا معاً بتاريخ 12/ 01/ 2003م

وربيع يملكان إيمانًا قويًا وشجاعة عالية، والأهم أن لديهما إرادة وعزيمة وقوة قل مثيلها بين الشباب، وعلم حينها مدى صدق هذين البطلين المجاهدين ربيع وهاني، وأن الله سبحانه وتعالى قد أسبغ على عباده الذين يحبهم حالة من المهابة والوقار، وليس هذا فقط بل يضيف المجاهد إياد جرادات قائلًا بأن: "هذين الاستشهاديين مجرد أن تراهما لأول مرة تشعر بأن حالة من الأمن والأمان والطمأنينة قد اجتاحتك رغم صغر سنهما حيث لم يتجاوزا الثمانية عشرة عامًا؛ لذلك تشعر بأنك ملزم باحترامهما وتوقيرهما وتصديقهما على الرغم من أنك لم تجربهما أو تعش معهما قبل رؤيتهما".

ما أن أوصل المجاهد إياد جرادات الاستشهاديين إلى نقطة العبور داخل مستوطنة "قاديش"، وأخرج السلاح لهما الذي كان قد خبأه هناك، بالإضافة إلى الطعام والشراب والماء من أجل الوضوء؛ حتى حان موعد الوداع، فقام بتوديع المجاهدين ربيع وهاني وهو يبكي بكاء الأطفال وكأنه يعرفهما منذ سنين فقالا له: "يا حبيبنا إياد نحن نشكرك على مساعدتنا في الوصول إلى هذه اللحظة، ونتمنى عليك ألا تبكي علينا، بل ابك على من خلفنا، فنحن كما ترى الآن الدنيا من ورائنا طلقناها ثلاثًا والعدو من أمامنا، وقد أعددنا له الموت الزؤام، ولا تنسَ يا إياد بأن الله معنا".

وهنا فهم المجاهد إياد أن هذه الوقفة كان قد وقفها من قبل موسى ـ عليه السلام ـ وهو في طريقه لتخليص بني "إسرائيل" من تعذيب فرعون وجنوده عند شاطئ البحر، فنادى بعض القوم أن فرعون من ورائنا والبحر من أمامنا، فأين الخلاص يا نبي الله؟ فردّ بثقة كاملة بوعد الله ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62]، فكان بعدها النصر والتمكين، وهنا علم المجاهد أن الاستشهاديين سينتصران في المعركة، وأن العملية ستنجح بإذنه تعالى، وعاد من حيث أتى ليجد أن العدو الصهيوني قد أحكم طوقًا شديدًا على مدينة جنين، لعلمهم بنبأ العملية ولا سيما أن المجاهدين ربيع وهاني غائبان عن عائلاتهما منذ يومين، مما أثار الشكوك حولهما، وبدأوا عملية بحث عنهما لعلم الجيش الصهيوني بهذا الأمر، وقرر العدو اجتياح مدينة جنين وبلدة قباطية لإحباط هذه العملية، وتقدم الجيش الصهيوني باتجاه بلدة سيلة الحارثية بحثًا عن المجاهد إياد جرادات، الذي تمكن من الاختباء في أحد المنازل في بلدة اليامون، والمطل على مستوطنة "قاديش"، وما هي إلا دقائق حتى بدأ الاشتباك بين المجاهدين ربيع وهاني وبين العدو الصهيوني.

في بداية الاشتباك فتح المجاهدان نيران أسلحتهما تجاه حافلة صهيونية ظنًا أنها مليئة بالجنود الصهاينة، حيث لم يستطيعا الرؤية بشكل واضح لظلمة تلك الليلة وبرودتها ومطرها الشديد، ثم جاءت تعزيزات من الشرطة الصهيونية وقطعان المستوطنين إلى موقع العملية، فقام المجاهدان ربيع وهاني بإمطارهم بزخات كثيفة من الرصاص، ودار اشتباك عنيف

انتهى باستشهاد المجاهدين ربيع وهاني، ومقتل على الأقل جندي صهيوني وإصابة أربعة آخرين بجروح خطيرة، وأعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن العملية وأنها لم ولن تكون الأخيرة، حيث ما أن انتهى الاجتياح الصهيوني لمدينة جنين وفشل محاولتهم لاعتقال أو اغتيال المجاهدين إياد جردات وأحمد دهيدي المسؤلين عن العملية؛ كان لابد للمجاهد إياد أن يأخذ كافة أسباب الحيطة والحذر لاسيما أنه أصبح مطلوبًا للاحتلال الصهيوني، فما كان منه إلا أن يكون إلى جانب ابن عمه حيث أوكله المجاهد أنس جرادات بعملية توصيل استشهاديين مزودين بعدة وعتاد متطور أكثر، ومنها منظار ليلي وملابس شبيهة بما يرتديه جنود الاحتلال الصهيوني، بالإضافة إلى قطعتي كلاشنكوف ومخازن ذخيرة وأربع قنابل يدوية، والهدف هذه المرة هو مفرق مجدو، لتكون ردًا على اغتيال خمسة مجاهدين وهم (إبراهيم منيزل، واثق إغبارية، أسامة أبو خليل، ربيع الفار، ويوسف مشارقة) من أبناء الجهاد الإسلامي وحركه فتح في مخيم جنين بتاريخ 14/ 03/ 2003م.

اعتقاله والحكم عليه

وبذل المجاهد إياد جرادات جهدًا كبيرًا في عملية إيصالهم إلى الهدف المطلوب، ونتيجة لغزارة الأمطار وصعوبة السير في الوحل والطين، قرر أحد الاستشهاديين العودة من منتصف الطريق، وعليه أخذ المجاهدان أنس وإياد جرادات قرارهما بإلغاء العملية، والتي لو قدر الله لها أن تحدث لكان لها وقعها وصداها الكبير، ولكن قدّر الله وما شاء فعل، ليستمر عمل المجاهد إياد جرادات إلى جانب المجاهدين أنس جرادات ومحمد حسين جرادات في توسيع نشاط سرايا القدس في مدينة جنين، وفي أحد الأيام وتحديدًا بتاريخ 11/ 05/ 2003م، كان قد تواجد المجاهدون أنس جرادات وإياد جرادات ومحمد حسين جرادات في أحد المنازل في مدينة جنين في جبل أبو ظهير، من أجل أخذ قسط من الراحة بعد ساعات من التعب والمشقة في أعمالهم العسكرية في سرايا القدس، وما هي إلا ساعات من دخولهم إلى المنزل إذا بالجيش الصهيوني يحاصره من كل الاتجاهات، معززين بآلياتهم العسكرية المختلفة، ليتم اعتقال هذه المجموعة التي استطاعت تركيع وإذلال العدو الصهيوني في الكثير من أعمالهم الجهادية.

الأسير المجاهد/ إياد جرادات
برفقة والده الصابر خلال زيارته له في السجن

وجد المجاهد إياد نفسه في داخل سجون العدو الصهيوني، وصدر بحقه حكم بالسجن المؤبد بالإضافة إلى 50 عامًا، وبالرغم من هذا الحكم الظالم الجائر فإن المجاهد إياد جرادات مازال على العهد والوعد بأن يبقى محافظًا على فكر الجهاد الإسلامي والتمسك بنهج الشهداء الأبطال، ورغم أن العدو الصهيوني أقدم على هدم منزل عائلته في بلدة سيلة الحارثية بعد عملية الاستشهادية المجاهدة هنادي جرادات إلا أن ذلك لم ينل من عزيمة هذا المجاهد وهو لا يزال على قناعة تامة بأن هناك أيادي متوضئة تعمل ليل نهار من أجل حرية الأسرى والمعتقلين وعسى أن تكون قريبًا.

الأسير المجاهد

محمد حسين فايز جرادات

مجاهد من أسرة مجاهدين زادته الشدة صلابة وعزمًا

تاريخ الميلاد: 1982/08/17م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة سيلة الحارثية – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 9

تاريخ الاعتقال: 2003/05/11م

الحكم: مؤبد

تمر أحداث الحياة ضمن سلسلة متتابعة في شريط يتحرك ما دامت الحياة قائمة، وكلما انتهت مشاهد وصفحات وذكريات فإنها تسجل في سجلات التاريخ وتودع في أرشيف لا تضيع ولا تتغير ولا يطرأ عليها أي تبديل، رغم تقلب الأوضاع وتشابكها ولاسيما عندما نتحدث عن أحد المجاهدين من أبناء سرايا القدس، عن مجاهد عشق السمو والرفعة والعلا، فنال ما أراد من العزة والكرامة والمجد والبطولة والشموخ، إنه المجاهد البطل محمد حسين فايز جرادات. وُلد هذا المجاهد في بلدة سيلة الحارثية بمحافظة جنين، هذه القرية الجميلة بمناظرها الخلابة والتي تجلس جلوس الملوك على سلسلة جبال متواضعة تتماوج في الأفق بألوان يختلط فيها البني والأخضر والرمادي اختلاطًا يمنحه سعادة محددة لا يمكنه تخطيها إلى أكبر منها حيث احتوت على مكان مرموق لها من قبائل بني حارثة التي سكنت هذه الديار العزيزة، وكأنها استحوذت على كل جمال في أرض كنعان أرض فلسطين، فعيون الماء فيها تسيل بلونها الفضي، وعلى مَدّ العين سهل كبير اسمه سهل مرج بن عامر، سهل كبير ممتلئ بالحشيش والأزهار البرية الملونة، تمتد وتمتد بألوانها الخلابة، صفرة الأقحوان وحمرة شقائق

النعمان وزرقة الخشخاش، وقرب نتوءات الأرض الغنية بالرطوبة وخيوط الشمس الذهبية تنبت زنبقة ساحرة كأنها تقول وتدل على نشوة الفرح الممتد إلى الأفق البعيد إلى هناك، إلى حيفا إحدى عرائس البحر، إلى تلك المدينة الجميلة ببحرها وشواطئها وبياراتها وبرتقالها وليمونها ومدارسها ومساجدها الشامخة التي ما أن ينظر إليها الإنسان حتى يشعر أنه ينظر إلى قطعة من الجنة؛ فهذه المدينة الساحرة هي المدينة التي كان يسكنها الحاج حسين فايز جرادات (أبو حسني وزوجته الحاجة لطيفة أبو الحسن) رغم أنهما من سكان ومواليد مدينة جنين القسام، ليعيشا بها أجمل أيام حياتهما إلى أن جاءت الذئاب والوحوش المجرمة وعاثت في ربوع الوطن الجميل فسادًا ودمارًا وخرابًا، فتم تهجير ساكنيها بقوة السلاح من قبل العصابات الإجرامية الصهيونية ليعيش الحاج أبو حسني وزوجه الحاجة لطيفة مرارة الألم والضياع، مرارة النكبة الفلسطينية في العام 1948م ليعودا مرة أخرى إلى جنين القسام إلى بلدة سيلة الحارثية، ولكن هذه المرة وهذه العودة ليست عودة اختيارية، بل هي عودة إجبارية وبدون رجعة إلى حيفا، ليحصلا على ما يسمى كرت التموين، وهو عبارة عن شهادة بأن حامله هو أحد اللاجئين الفلسطينيين، ولذلك يحق له أن يحصل على المواد الغذائية الأساسية بالإضافة إلى الرعاية الطبية بالمجان، فما كان من الحاجة لطيفة والتي رزقها الله بثلاث بنات إلا أن تطلب من زوجها أن يتزوج عليها ليرزقه الله ما كان دومًا يتمنى من الأولاد ليكونوا إلى جانبه وجانب العائلة، ولاسيما أنه عاجز عن أداء العمل لفقدان بصره، وبعد ضغط شديد من الحاجة لطيفة وافق الحاج حسين جرادات على الزواج من الحاجة أم حسني من قرية رمانة بمحافظة جنين لتعيش إلى جانبهم في منزل بسيط متواضع لا يكاد يتسع لهم جميعًا ولاسيما أنه عبارة عن غرفة للنوم ومطبخ وحمام، وما هي إلا سنوات حتى رزق الله هذه العائلة الفقيرة والمكافحة البنين وهم حسني وفايز ومحمد والتوأم محمود وأحمد ليبقى محمود ويتوفى أحمد بعد ثلاثة شهور من ميلاده، فما أن وُلد المجاهد محمد بتاريخ 17/ 08/ 1982م حتى علمت العائلة أن المجاهد محمد جرادات ستكون حياته ليست عادية؛

والدة الأسير المجاهد/ محمد حسين جرادات
على موعد مع الحرية لابنها الأسير

حيث وُلد في العام الذي اجتاح فيه شارون المجرم وجيشه الإرهابي الأراضي اللبنانية بهدف القضاء على القواعد الفدائية الفلسطينية وإخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان. فهكذا كان كبار السن يربطون الأحداث وكأنهم يعرفون مستقبل كل مولود من الظروف التي ولد فيها، ففي تلك الظروف وُلد المجاهد محمد حسين جرادات، وفي ظل هذه العائلة نشأ وترعرع على حب والديه والوطن، وأن حب الأوطان من الدين، فلزم المجاهد محمد ومنذ

الطفولة أباه، فما من مسألة يريدها الأب الضرير إلا وترى المجاهد محمد يسبق إخوانه في خدمته، فكان يسير إلى جانبه وهو في طريقه إلى المسجد وإلى زيارة الأرحام من أقاربه ليتعلم من أبيه أن زيارة الرحم واجبة ومقدسة، ورغم ذلك عاش طفولته المعذبة والمقهورة والفقيرة لدرجة أن المجاهد محمد لا يتذكر يومًا من أيام طفولته استطاع الحصول على مصروف المدرسة كبقية الأطفال إلا أنه استطاع في طفولته أن يعي الصراع الفلسطيني الصهيوني نتيجة لسماع والده وهو يحدثه ويحدث إخوانه عن فلسطين وعن الوطن السليب منذ حرب العام 1948م وعن مدينة حيفا التي استطاع أن يصفها لولده محمد كأنه فنان يرسم لوحة تمثل مدينة حيفا بريشته وألوانه، وكأن الله قد عوض هذا الأب الفاقد للبصر أن يرى ببصيرته بدلًا من بصره.

بداية المشوار الجهادي

لذلك كلما سمع المجاهد من أبيه كلمات الحقد والكراهية للعدو الصهيوني زاد من مشاركته في أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى رغم صغر سنه، وكان دومًا إلى جانب طلاب المدرسة في التصدي لقوات الجيش الصهيوني ولاسيما أن هذه المدرسة تقع على الطريق الرئيسي لبلدة سيلة الحارثية، ويسير في هذا الطريق مركبات ودوريات العدو الصهيوني مما سهل هذا الأمر على طلبة المدارس في رمي الحجارة وإشعال إطارات السيارات ووضع الحواجز لينتهي ذلك اليوم بشم الغاز المسيل للدموع وإصابة العشرات من الطلاب وأبناء بلدة سيلة الحارثية، واستمر هذا الحال على ما هو عليه إلى فترة مطلع التسعينات، وعندها استطاع المجاهد محمد بعد أن كبر قليلًا أن يعي حقيقة النكبة الفلسطينية ومعنى اللجوء ومعنى كرت المؤن، ومعنى الشئون الاجتماعية التي كانت مصدر الرزق الأساسي لهذه العائلة البسيطة والمتواضعة والفقيرة، ليبدأ مسلسل الأحزان يتوالى على العائلة بدءًا من إقدام العدو الصهيوني على اعتقال المجاهد حسني جرادات الأخ الأكبر لمحمد والذي كان ينتمي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، هذه الحركة الممتدة والمنتشرة في بلدة سيلة الحارثية، فكبر المجاهد محمد على سيرة هذه الحركة ولاسيما أن معظم قادتها من هذه العائلة كالشيخ خالد جرادات وسامي جرادات وغيرهم من القادة والكوادر، وليس هذا فحسب بل إن الحاجة لطيفة زوجة أبيه كانت على الرغم من كبر سنها محل ثقة مجاهدي الجهاد الإسلامي الذين كانوا دومًا يلجأون إليها في الشدائد ويختبئون عندها وتخبئ لهم سلاحهم وعتادهم، لتأتي الصدمة الكبرى لهذه العائلة وهي وفاة والدهم في العام 1996م لتفقد هذه العائلة رجل البيت وسنده وظله وروحه رغم أنه كان طيلة حياته عاجزًا عن العمل لفقدان بصره إلا أن وجوده إلى جانب أولاده كان أنسًا وركنًا وأمنًا وأمانًا، فكان طيفه في كل مكان من زوايا البيت ليصبح الابن الأكبر المجاهد حسني هو العمود الفقري لهذه العائلة في إعالة عائلته بكل ما يستطيع إلا أن يد الغدر والخيانة لهذه العائلة من عملاء العدو الصهيوني قدموا معلوماتهم الأمنية والسرية للشاباك الصهيوني عن نشاطات المجاهد حسني ليجد نفسه في العام 1997م أسيرًا لدى العدو الصهيوني ليحكم عليه لمدة عامين ونصف، وخرج من سجون العدو الصهيوني في الفترة التي

أنهى فيها المجاهد محمد التوجيهي ليتعاون الإخوة فيما بينهم لنقل الحالة المأساوية التي تعيشها العائلة من أوضاع إنسانية واقتصادية صعبة وعبر أعمالهم المختلفة إلى حالة أفضل بكثير مما كانت عليه في السابق، ونتيجة انهيار العملية السلمية في قمة كامب ديفيد اندلعت انتفاضة الأقصى في 28/ 09/ 2000م؛ مما جعل الشعب الفلسطيني ينتفض قبل انتفاضة الحركات والفصائل الفلسطينية.

التهيئة للعمل الجهادي

ولما اشتد عود الانتفاضة الفلسطينية بات الأمر ملحًا على المجاهد محمد أن ينتفض على طريقته الخاصة فأدرك أن ما يحدث ليس انتفاضة، بل حربًا تخوضها الحكومة الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، ولذلك قرر المجاهد محمد التوجه إلى أسلوب آخر غير الأسلوب الجماهيري وهو العسكري فكان يؤمن أن الحديد لا يفل إلا بالحديد ونتيجة لحاجته للسلاح بادر بالالتحاق في بداية العام 2001م إلى جهاز الاستخبارات العسكرية الفلسطينية،

الأسير المجاهد/ محمد حسين جرادات
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وحصل على دورة عسكرية مكثفة تعلم خلالها الفنون العسكرية والأمنية والاستخباراتية وآلية إطلاق النار من كافة أنواع الأسلحة ليصبح بعدها أحد أبطال جهاز الاستخبارات العسكرية في مدينة جنين، وكان حينها معظم القصف الصهيوني عبر طائرات الأباتشي يستهدف مقرات السلطة الفلسطينية ومقرات أجهزتها الأمنية، فخاض العديد من رجال الأمن الفلسطيني ومن جهاز الاستخبارات العسكرية وفي مقدمتهم المجاهد محمد العديد من الاشتباكات المسلحة مع قوات الجيش الصهيوني دون أن يعلم أحد من هذه الأجهزة بما يخطط له المجاهد محمد من وراء تدربه على السلاح والحصول على الخبرة العسكرية والأمنية لاسيما أنه تهيأ في بيت يعشق حركة الجهاد الإسلامي وأفكارها وقادتها وكوادرها.

الالتحاق بصفوف سرايا القدس

ولما انتهى الاجتياح الصهيوني لمدينة ومخيم جنين في العام 2002م والذي خلف وراءه المجازر والدمار الهائل؛ قرر المجاهد محمد جرادات أن يثأر لتلك الدماء من أبناء فلسطين فانتمى إلى صفوف سرايا القدس في مدينة جنين ليكون إلى جانب المجاهد أنس جرادات أحد أبرز قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وأولى الخطوات العسكرية لهذا المجاهد هي الاتفاق مع قادة وكوادر سرايا القدس وخاصة المجاهد أنس بأن يكون العمل سريًا جدًا بحيث عند القيام بأي مهمة جهادية من الضروري عدم معرفة أية مجاهد آخر بها حتى وإن كان مشاركًا بها، بمعنى أن يقوم المجاهد بالعمل دون أن يعلم إلى

حد ما بأنه ينفذ مهمة عسكرية، وأن يكون دور كل مجاهد محدودًا جدًا دون معرفة أحد به سوى المسئول العام عن العملية.

عملية كركور

لذلك تم تثبيت هذه النظرية الأمنية في عملية توصيل الاستشهاديين محمد حسنين وأشرف الأسمر إلى موقع العملية حيث طلب المجاهد أنس جرادات أحد المشرفين والمسئولين عن عملية كركور إلى جانب المجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي أن يقوم المجاهد محمد بتنفيذ مهمة المساعدة بتوصيل الاستشهاديين إلى موقع العملية، ولكن دون أن يعلم أنهم استشهاديون، وذكر المجاهد أنس للمجاهد محمد أن هناك شابين قد هربا من داخل سجون الاحتلال، وأنهما بحاجة إلى من يساعدهما في الخروج من مدينة جنين إلى قرية برطعة قرب الداخل المحتل بالعام 1948م وبالفعل قام المجاهد محمد بسيارته بنقل المجاهدين محمد وأشرف من مدينة جنين إلى قرية برطعة، وكان يساعدهم المجاهد مهند جرادات في فتح الطريق لهم حتى لا يتفاجئوا بالاصطدام بحاجز أو دورية

مشهد من نقل القتلى والمصابين الصهاينة
في عملية كركور الاستشهادية بتاريخ 21/ 10/ 2002م

عسكرية ليتم بعد وصولهم إلى قرية برطعة العبور إلى داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، فتمكن المجاهدان الاستشهاديان محمد وأشرف من تفجير نفسيهما في مفرق كركور، وعلم المجاهد محمد بعد هذه العملية أن من قام بتوصيلهما على اعتبار أنهما أسيران هاربان من سجون العدو كانا الاستشهاديين في عملية كركور.

عملية جديدة

وهذا جعله يقبل بإصرار أكبر على المضي قدمًا في العمل العسكري في صفوف سرايا القدس ليأتي إليه المجاهد أمير جرادات عارضًا عليه أن يساعده في تنفيذ عملية استشهادية فوافق المجاهد محمد وأوصله إلى المجاهد أنس ليتم الاتفاق مع الاستشهادي على عملية استشهادية بواسطة إطلاق النار. واجتمع المجاهدان أنس جرادات ومحمد جرادات ليخططا لهذه العملية بشكل دقيق، وقررا أن يكون العمل وفق مسارين، الأول: أن يتم إبلاغ المجاهد أمير جرادات بأنه سينفذ العملية عبر إطلاق النار وليس عبر المتفجرات، والهدف أنه في حال تم اعتقال المجاهد أمير أن يعترف على السلاح وليس على السيارة المفخخة التي لن تخرج القوات الصهيونية من مدينة جنين إلا بعد الحصول على هذه السيارة المفخخة، ولذلك بدأ المجاهد محمد جرادات بتدريب المجاهد أمير جرادات على إطلاق النار. أما المسار الثاني فهو قيام المجاهدين أنس ومحمد بالإعداد والتجهيز لسيارة مفخخة تزن عشرات الكيلو غرامات من المتفجرات، وما أن تم إنهاء كافة الاستعدادات حتى قام المجاهد أنس

بتصوير الاستشهادي أمير، وأصبحت العملية شبه كاملة، وتم تعيين موعد لهذه العملية، وتم إبلاغ المجاهد أمير بهذا الموعد، وستكون هذه العملية ردًا على اغتيال قائد سرايا القدس في مدينة جنين المجاهد إياد صوالحة، فقام في اللحظات الأخيرة المجاهد محمد جرادات باستدعاء مجاهدين آخرين من سرايا القدس لمساعدتهم في عملية توصيل الاستشهادي أمير جرادات بواسطة السيارة المفخخة، والأهم أن يكون لهم دور بارز في مراقبة الطريق المؤدي إلى مكان العملية، ونقاط العبور إلى داخل الأراضي المحتلة عام 1948م فتم استدعاء المجاهدين مهند جرادات وليث جرادات وخالد جرادات ومحمد جرادات وكل مجاهد لا يعلم عن الآخر شيئًا، بحيث يقوم كل مجاهد منهم بدوره المطلوب بكل دقة دون علم الآخرين، ودون أن يعلم لماذا يقوم بهذا الدور، وذلك بهدف ضمان الأمن والأمان والسرية التامة وفقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان".

الأسير المجاهد/ أمير جرادات
محكوم 26 عامًا، واعتقل بتاريخ 11/ 03/ 2003م

لذلك بدأ المجاهدان محمد حسين جرادات وأمير جرادات بالتحرك من مدينة جنين، والذي سيقود السيارة المفخخة هو المجاهد محمد حسين جرادات وإلى جانبه في المقعد الأمامي يجلس المجاهد أمير جرادات، وانطلقا من مدينة جنين باتجاه منطقة الطيبة وبمساعدة المجاهدين الأربعة مهند وليث وخالد ومحمد، وتمكن حينها المجاهد محمد جرادات رغم العقبات والصعوبات الكبيرة التي واجهتهم أثناء الطريق من عبور منطقة الحدود والدخول إلى مدينة أم الفحم في الأراضي المحتلة عام 1948م.

مطاردة ساخنة

ومن هناك كان سيقوم المجاهد أمير بقيادة السيارة لوحده والسير بها نحو الهدف المرصود للعملية وهو في شارع وادي عارة، فتفاجأ المجاهد محمد حسين جرادات والمجاهد أمير جرادات بوجود دورية صهيونية وراءهما وحاولت الاصطدام بهما من الخلف اعتقادًا منها أن هذه السيارة مسروقة، فبدأ الجيش بملاحقة المجاهدين محمد وأمير على اعتبار أنهم من سارقي السيارات الصهيونية، وبدأوا بإطلاق النار عليهما، ولما تم استدعاء تعزيزات صهيونية إلى المنطقة كان المجاهدان محمد وأمير استطاعا الوصول إلى منطقة مأهولة بالسكان والبنيان وتركا السيارة المفخخة هناك، وعادا إلى بلدة سيلة الحارثية ليقوم المجاهد محمد وأمير في الصباح الباكر بمغادرة بلدة سيلة الحارثية إلى مدينة جنين ولاسيما أن العدو الصهيوني قام بمداهمة بلدة سيلة الحارثية ومنازل المجاهدين، فأصبح المجاهدان مطلوبين للعدو الصهيوني، واستطاعا بصعوبة كبيرة

الوصول إلى إحدى الشقق السكنية في جبل أبو ظهير، ومكثا بها أسبوعين وبعيدًا عن أنظار العدو الصهيوني وعملائه.

مداهمة منازل المجاهدين

استمر العدو الصهيوني بملاحقة المجاهد محمد جرادات حتى إن عائلته لم تسلم من اعتداءات الصهاينة، ففي أحد الأيام تم اقتحام منزل المجاهد محمد حسين جرادات في بلدة سيلة الحارثية، وعاثوا بالمنزل خرابًا ودمارًا على عادتهم، وليس هنا فحسب، بل قاموا بالاعتداء على أخيه المجاهد حسني ووضعوا السلاح من نوع (M16) في رأسه من أجل تخويفه وتخييره ما بين أن يرشدهم إلى مكان أخيه محمد أو إطلاق الرصاص على رأسه، وتناسوا حينها أنهم يواجهون المجاهد حسني جرادات الأخ الأكبر لمحمد والسجين السابق لعدة سنوات في سجون الاحتلال، والذي لديه خبرة كبيرة في التعامل مع هذا المحتل الصهيوني، وما أن فشلوا في هذا الموضوع حتى قاموا بالاعتداء على شقيق محمد الأصغر محمود، وكان حينها لم يتجاوز ثلاثة عشر عامًا. وقاموا بوضع سكين على رقبته ظانين أن صغر سنه سيجعله يخافهم ويعترف عن مكان أخيه محمد، فوجدوا أن هذا الطفل الصغير أكثر عنادًا من أخيه الكبير، فما كان منهم إلا أن دمروا كل شيء في المنزل، وهددوا العائلة بأنه إن لم يتم تسليم محمد في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لاقتحام المنزل فإن الطيران الصهيوني سوف يقوم بالعثور عليه ويقصفه بالصواريخ، وما كادوا يخرجون من المنزل حتى قاموا بإطلاق النار وسط البيت في شكل عشوائي تعبيرًا عن غضبهم وفشلهم في عملية الاقتحام.

كمين وإحباط متكرر

كان لابد للمجاهد محمد جرادات ذي الخبرة العسكرية والأمنية أن يتعامل مع هذا العدو بنفس الطريقة، وبنفس الأسلوب، وهو أسلوب الكمين أو الاقتحام لمواقع العدو الصهيوني، فقرر إلى جانب المجاهد أنس أن يقوما بنصب كمين محكم لجنود الجيش الصهيوني الذين كانوا في العادة يترددون على أحد الأماكن في منطقة جبل أبو ظهير في مدينة جنين، متسلحًا بقطعتي سلاح من نوع (M16) بالإضافة إلى عدد من القنابل اليدوية وانتظرا مجيء الجنود الصهاينة فترة من الزمن، وتفاجأ المجاهدان عندما غير الجنود مسارهم المعتاد، فلم يكتب لهما النجاح في هذا الكمين ليتبعاه بكمين آخر في بلدة سيلة الحارثية إلا أنهما مرة أخرى لم يتمكنا من ذلك، فعلما حينها أن العدو الصهيوني يغير دائمًا من خطة سيره في الحارات والأزقة والشوارع ليتدارك وقوعه في كمائن المجاهدين، رغم أنهما كانا قد استعدا جيدًا لعملية الكمين ولاسيما أنهما يتفقان مع مبدأ (كلاوزفيتز) الذي يتحدث عن إحداث الصدمة في العدو وضربه في مكان غير متوقع كما هي نظرية (ليدل هارت)، وهارت هذا يقول هاجم العدو بحيث لا يكون مستعدًا للهجوم واضربه حيث لا ينتظر منك الهجوم. لذلك أدرك المجاهد محمد جرادات أنه لا ينبغي اليأس من عدم نجاح الكمين، وأنه لابد من الاستمرار في العمل العسكري ووفقًا

لقوانين (ليدل هارت) و(كلاوزفيتز)، ولهذا لا ينبغي للمجاهدين اليأس والتردد حول لماذا نجحنا ولماذا فشلنا، وإن كان ذلك مشروعًا.

الروح الجهادية تتجدد

والأهم أن المجاهد دومًا يتفجر وما زال يتفجر كالبركان في كل لحظة بحيث يثير الكون كل الكون لينتصب ظاهرة إنسانية ووطنية وقومية وجهادية فذة فريدة في كل هذه الأحداث في الانتفاضة الفلسطينية ومطلًا من الجرح العميق في خاصرة الوطن، فقرر المجاهد محمد حسين جرادات إلى جانب أخيه المجاهد أنس جرادات بأن يكون العام 2003م عامًا مميزًا بعمليات سرايا القدس سواء الاستشهادية أو العسكرية، حيث تمكن المجاهدان أنس جرادات ومحمد جرادات من تجنيد الاستشهاديين بهاء ذياب وأيسر الأطرش وبناءً على طلبهما أنهما يريدان القيام بعملية استشهادية مزدوجة، فقام المجاهدان أنس ومحمد بتزويدهما بالسلاح من نوع كلاشينكوف إضافة إلى ذخيرة وقنابل يدوية، وتم تصويرهما قبل العملية وأصبح الاستشهاديان جاهزين للعملية، ولم يتبق شيء سوى عملية التوصيل.

عملية لم تتم

وقع الاختيار على المجاهد محمد جرادات لإيصال الاستشهاديين أيسر وبهاء، فخرج المجاهد محمد جرادات ومعه الاستشهاديان أيسر وبهاء من مدرسة جنين باتجاه قرية برقين، وفي هذه الأثناء دخل الجيش الصهيوني عبر شارع جنين حيفا وسط إطلاق نار كثيف، وتبين أن هذا الاجتياح لم يكن له علاقة بالعملية، ولما وصل المجاهد محمد جرادات بسيارته وبها الاستشهاديان منطقة برقين إذا بالسيارة تتوقف عن السير حيث أصابها عطل غير معروف، فاضطر المجاهدون لإحضار سيارة أخرى لنقلهم إلى إحدى محطات البنزين القريبة لتعبئة البنزين وإصلاح الخلل الموجود بالسيارة، وسارت الأمور كما أراد المجاهدون، فواصلوا سيرهم من بلدة برقين إلى بلدة اليامون، وأثناء مرورهم على الشارع الالتفافي في بلدة اليامون أصاب السيارة مرة أخرى العطل، ولم يستطيعوا إصلاحها لأن الظلام حينها قد خيم عليهم فاضطر المجاهدون محمد وبهاء وأيسر للسير مشيًا على الأقدام من بين أشجار الزيتون وفي ليلة مظلمة حالكة إلى أن وصلوا إلى النقطة التي يتواجد بها المجاهد إياد جرادات ليقوم بدوره بتوصيل الاستشهاديين بهاء وأيسر إلى داخل الأراضي المحتلة عام 1948م وحين هموا بالدخول إلى نقطة العبور تفاجأ حينها المجاهدون بوجود عدد كبير من الدوريات الصهيونية التي تحرس الحدود الصهيونية، فكانت عملية دخولهم أشبه بالانتحار، فطلب الاستشهاديان من المجاهد إياد جرادات إعادتهما إلى مدينة جنين، مما جعل المجاهد إياد يطلب من المجاهد محمد جرادات إحضار سيارة لملاقاتهم في بلدة سيلة الحارثية لنقل المجاهدين إلى مدينة جنين، وعلى أثر ذلك تم تأجيل العملية لموعد آخر.

الاستشهاديون الأشبال

كانت بداية العام 2003م صعبة جدًا على سرايا القدس ولاسيما عندما جاء المجاهدان أيهم كمانجي وسالم كساب من قرية كفر دان في جنين

إلى الأبطال أنس جرادات ومحمد حسين جرادات من أجل مساعدتهما في تنفيذ عملية استشهادية، وتم الاتفاق معهما على كافة التفاصيل للعملية، ليتفاجأ المجاهدان أنس ومحمد بوجود أسباب تمنع حدوث هذه العملية، ومنها أن الاستشهاديين أيهم وسالم صغيران في السن، ولم يتجاوزا ستة عشر عامًا، وسبب آخر وهو قلة المواد المتفجرة الجاهزة للاستخدام في العملية الاستشهادية، مما جعل محمد وأنس يلغيان هذه العملية التي لو قُدِّر لها أن تحدث لكانت على غرار عملية كركور البطولية السابقة إلا أن الرياح لا تأتي كما يشتهي قادة سرايا القدس.

مطاردة فاشلة

لم ييأس المجاهد محمد جرادات من ذلك، بل واصل بكل جد ونشاط وصعوبة ليصل إلى أكبر شريحة ممكنة من أبناء مدينة جنين وقراها ومخيمها، ونتيجة لنشاطه اللامحدود وعطائه وتضحياته وبطولاته قام جهاز الشاباك الصهيوني بتكثيف ملاحقاته الأمنية لأبطال سرايا القدس في مدينة جنين، وفي أحد الأيام وتحديدًا في يوم 11/ 05/ 2003م بينما كان المجاهد محمد جرادات بصحبة المجاهد أمجد عبيدي أحد أبرز قادة سرايا القدس في جنين في مهمة جهادية خارج المدينة وأثناء الطريق تفاجأ المجاهدان بوجود حاجز صهيوني وهو عبارة عن جيب عسكري يقف في الطريق فما كان من المجاهد محمد إلا أن يتصرف بشجاعة منقطعة النظير وبرباطة جأش وبكل هدوء وببرودة أعصاب وبنفس الوقت كان سلاحهما على جانبهما في حال حدوث مكروه، وتقدم بالسيارة نحو الحاجز وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]. واستطاعا حينها المرور عبر هذا الحاجز بكل سهولة دون أن يتعرض أحد لمكروه، ولكن ما أن ابتعدا عن الحاجز قليلًا حتى قام الجيب العسكري الصهيوني بملاحقة المجاهدين حيث شكوا في أمرهما وأمر السيارة التي يستقلانها، فتم مطاردتهم مما جعل المجاهد محمد جرادات يتوجه بالسيارة إلى قرية كفر دان وإخفائها عن أنظار الصهاينة بوضعها بين أشجار الزيتون، فلم يتمكن العدو من العثور عليها أو تحديد مكان المجاهدين أمجد ومحمد مما جعله يغادر قرية كفر دان وينسحب من مدينة جنين، وعندها قام المجاهدان بالركوب في هذه السيارة والعودة بها إلى مدينة جنين، وتم إيصال المجاهد أمجد عبيدي إلى مكان آمن بينما توجه المجاهد محمد حسين جرادات إلى أحد المنازل في جبل أبو ظهير في مدينة جنين، وكان به المجاهدان أنس جرادات وإياد جرادات، وما هي إلا ساعة أو ساعتان على الأغلب من وصول المجاهد محمد إلى هذا المنزل، وبينما كان المجاهد أنس قد شغل جهاز المسجل من أجل سماع أحد الأشرطة التي تضم الأناشيد الثورية والجهادية، وكان الصوت عاليًا حينها؛ إذا بقوات كبيرة جدًا من الجنود الصهاينة المعززين بآلياتهم العسكرية يحيطون بالمنزل المكون من ثلاث طبقات من كل جانب، وكان المجاهدان بالطابق الأول، وتفاجأ أنس وإياد اللذان كانا يقفان أمام مدخل المنزل بالجنود الصهاينة الذين وضعوا أسلحتهم في رؤوس المجاهدين، وتم سحبهما بكل

هدوء إلى خارج المنزل، فانتبه المجاهد محمد لهذا الأمر، فأسرع إلى داخل إحدى الغرف في ذلك البيت ليبحث عن قطعة سلاح ليشتبك مع هذا العدو الصهيوني، فلم يجد أي سلاح قريب منه مما جعل الجنود الصهاينة يطلقون النار باتجاه البيت بشكل مكثف بالإضافة إلى رميهم للقنابل اليدوية في قلب المنزل الذي يتواجد به مما جعله يختبئ تحت أحد الشبابيك لئلا يصيبه العدو الصهيوني برصاصهم أو بقنابلهم، فأدرك المجاهد محمد حينها أنه لا جدوى من الاستمرار في الاختباء ولاسيما أن العدو الصهيوني هدد بهدم المنزل الذي يتكون من ثلاثة طوابق، وبدأ الجنود الصهاينة ينادون على المجاهد محمد عبر مكبرات الصوت إما أن يخرج إليهم وإما يتم هدم المنزل عليه وعلى من به في الطابق الثاني والثالث، ولما خرج المجاهد محمد من البيت إذا به يرى أن المكان قد تحول إلى ثكنة عسكرية وأن طائرات الأباتشي تحلق فوق المنزل، وأنهم كانوا يستعدون لهدم المنزل، وأصبح حينها المجاهد محمد أسيرًا إلى جانب أخويه المجاهدين أنس وإياد، فحاول الجنود الصهاينة الاعتداء على المجاهد محمد مما جعله بكل قوة وعزيمة يدفع هؤلاء الجنود مما أسقطهم أرضًا، فتجمعوا من حوله يريدون ضربه بكل قوة فمنعهم أحد الضباط من ذلك؛ لأنه يريد محمد جرادات حيًا وليس ميتًا، فقاموا بتكبيل يديه وقدميه ووضع العصبة على عينيه. وبدأ الجنود الصهاينة بطرح الأسئلة عليه حول إذا كان قد قام المجاهد محمد بتفخيخ المنزل أم لا؟ وما نوع السلاح الموجود بالداخل وغيرها من الأسئلة، وما هي إلا فترة بسيطة وإذا بالمجاهدين الثلاثة يتم إدخالهم إلى تحقيق الجلمة المركزي وهو أشبه بالمسلخ لشدة إجراءات التعذيب الوحشية فيه التي يمارسها الشاباك الصهيوني بحق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين.

صمود أسطوري

منذ اللحظة الأولى التي تم اعتقال المجاهد محمد بها بدأ الشاباك الصهيوني يحقق معه بشكل مباشر، والهدف هو الحصول منه على معلومة تفيد إن كان هناك عملية استشهادية قادمة ومن يقف وراءها وأين ستكون هذه العملية؛ وذلك من أجل إحباط هذه العملية في حال كانت بالفعل موجودة. فما كان من المجاهد محمد إلا الصبر والصمود وعدم التعاطي مع المحققين الصهاينة،

الأسير المجاهد/ محمد حسين جرادات
في سجن "ريمون" الصهيوني (2015م)

وبدأوا يمارسون أساليب التحقيق الخبيئة مع المجاهد ليضعوه بين خيارين إما الاعتراف وإما أن يخرجوه من التحقيق ويضعوه أمام تحقيق الجلمة ويطلقوا عليه النار بذريعة محاولته الهرب من مركز التحقيق إلا أن مثل هذه الحيّل والغباء لا يمكن أن تنطلي على المجاهد محمد ولاسيما لكونه محنكًا أمنيًا واستخباراتيًا لذلك استخدموا أسلوبًا آخر، وهو جعل المجاهد محمد جرادات يجتمع مع المجاهد أنس جرادات في غرفة التحقيق ليقولوا لكل واحد منهما بأن الآخر قد اعترف عليك ولا حاجة للإنكار، وأيضًا هذا الأسلوب كان مكشوفًا للمجاهدين، فاجتمع بعدها من حول المجاهد محمد جرادات عدد كبير من المحققين بقيادة مسئول طاقم التحقيق في الجلمة، وبدأوا يحققون معه بشكل جماعي ما بين الترغيب وما بين الترهيب والشتم والضرب والإهانة، واستمر معه التحقيق في ذلك اليوم حتى ساعات الفجر الأولى من اليوم التالي وتم بعدها إعادته إلى الزنازين المعتمة وذات الروائح الكريهة جدًا، فلم يكن ليعلم حينها وقت الصباح من المساء لشدة الظلام الدامس بها، فتفاجأ بوجود شخص غريب الأطوار بدأ يحدث المجاهد محمد عن السجن وحياة الأسير في السجون وما إلى ذلك من حديث، فعلم حينها المجاهد محمد بأن هذا الشخص هو (عصفور) بمعنى أنه (عميل) جاء لمهمة من الشاباك وما أن أنهي محمد ستين يومًا في تحقيق الجلمة حتى جاءه القرار بنقله إلى سجن مجدو ليتم إدخاله إلى أحد الأقسام في السجن الذي يحتوي على عدد من الخيم والأسرى، ومنذ اللحظة الأولى التي دخل بها المجاهد محمد لهذا القسم علم من خلال الأسئلة التي يطرحها عليه الأسرى بأنهم (عصافير) بمعنى أنهم (عملاء) يمثلون أمام الأسرى بأنهم أسرى شرفاء وأمنيون، ولكنهم بحقيقة الأمر يحاولون إيقاع الأسرى الذين لم يستطع الشاباك الصهيوني الحصول منهم على اعتراف، فبأساليبهم الماكرة يتم الإيقاع بهؤلاء المجاهدين، فما كان من الشاباك الصهيوني إلا إعادة المجاهد محمد جرادات إلى تحقيق الجلمة مرة أخرى بعد فشل العملاء في الحصول منه على أي معلومة تفيدهم، وكان هذه المرة التحقيق عنيفًا جدًا ومأساويًا وغير إنساني، فما أن أنهى المجاهد محمد أيام التحقيق والتي بلغت مجموعها 97 يومًا حتى أخذ القرار بنقله إلى داخل السجون الصهيونية في سجن الرملة.

المحطة الجهادية الجديدة

بدأت محطة جهادية جديدة في حياة المجاهد الأسير محمد جرادات والذي حكم عليه بالحكم المؤبد، لتبدأ معاناة والدته وإخوته وزوجة أبيه الحاجة لطيفة حيث استمر مسلسل الإجرام الصهيوني بحق هذه العائلة المجاهدة والصابرة والمحتسبة والتي كانت وستبقى دومًا تحلم بتحقيق العودة الجماعية إلى المدن والقرى الفلسطينية التي هُجِّرت بقوة السلاح الصهيوني حيث تم اعتقال المجاهد حسني جرادات الأخ الأكبر لمحمد وهو سند العائلة في ظل وفاة الأب ليحكم عليه بعشر سنوات تمكن خلالها من الالتقاء والاجتماع بأخيه محمد في سجن جلبوع، ولكن لم يطل الأمر لينتقل المجاهد حسني إلى سجن النقب ليزيد ذلك في معاناة والدة المجاهد محمد (أم حسني) وهي تسير في رحلة

شاقة عابرة المدن والقرى والحواجز العسكرية للوصول إلى السجن الذي يتواجد به أبناؤها سواء في النقب أو في سجن جلبوع، وفي أغلب الأوقات كان معظم أبناء هذه العائلة ممنوعين أمنيًا من زيارة محمد وحسني في سجون الاحتلال مما شكل عبئًا ثقيلًا لا يمكن تحمله من قبل والدتهم الحزينة على غياب أولادها من حولها، لتأتي الصدمة الجديدة للحاجة أم حسني عبر اعتقال ولدها المجاهد فايز في العام 2006م وقد حُكم عليه لمدة عام لم يتمكن من رؤية أخيه المجاهد محمد سوى ساعات في زنازين سجن جلبوع، وما أن جاء العام 2007م حتى تم اعتقال الأخ الأصغر للمجاهد محمد وهو المجاهد محمود، وأيضًا حُكم عليه لمدة عام لتكون خنساء بلدة سيلة الحارثية أم الأسرى والمعتقلين الحاجة أم حسني تحت ضغط شديد وحزن لا ينقطع، فكانت يوميًا تبكي أولادها وتبحث عنهم في زوايا البيت فلا تجدهم فتناديهم بأسمائهم فلا يسمعونها وما كان منها سوى أن تنظر إلى ألبوم الصور لتعيد ذكرياتها مع أولادها الأربعة، وما هي إلا فترة حتى أصيبت الحاجة أم حسني بجلطة شديدة نتيجة كثرة البكاء والألم والمعاناة والهم والغم ولاسيما بعد تعثر الحصول على التصاريح الأمنية عبر الصليب الأحمر لرؤية أبنائها الأربعة، فكان المجاهد محمد جرادات في سجنه يشعر وكأن الدنيا قد أطبقت عليه وأنه يقف وحيدًا في مواجهة الإعصار الهادر من المصائب والآلام والأحزان ولاسيما عندما جاءه خبر وفاة أخته الكبرى أم عادل في الأردن في العام 2006م فصبر واحتسب ووكل أمره إلى الله ـ عز وجل ـ.

فاجعة وفاة الأم لطيفة

ولكنه لم يكن ليصبر على وفاة الحاجة لطيفة زوجة أبيه في العام 2007م والتي كانت بمثابة والدة المجاهد محمد، وكان لها من اسمها نصيب، فكانت حنونًا وعطوفًا وكريمة وسخية عليهم، مستعدة أن تجوع ليأكلوا وتعمل في كل جانب لمساعدتهم في توفير احتياجاتهم اليومية والأساسية، وليس هذا فحسب بل كانت تذهب لزيارة المجاهد حسني في سجون العدو الصهيوني في مطلع التسعينات دون أن تكترث لتصريح للزيارة لتتفاجأ إدارة السجن بوصولها إلى سجن مجدو بدون الحصول على التصريح المطلوب للزيارة، فكانت تصر وتقاتل بكل شجاعة وتشتم الحراس وتدفعهم من أجل السماح لها بالزيارة ودومًا تنجح في ذلك، فبكاها المجاهد محمد جرادات وإخوته حسني وفايز ومحمود، وبكاها أبطال الجهاد الإسلامي الذين كانوا يعتبرونها ملجأ أحزانهم وأفراحهم وجهادهم وسلاحهم.

رجل تصنعه المصائب

إلا أن هذه المصائب المتعددة والمتكررة في حياة المجاهد محمد جعلت منه رجلًا حليمًا عنيدًا لا يعرف الخوف أو الجبن أو التراجع أو الانهزام لذلك تراه يقبل على المشاركة مع إخوانه الأسرى والمعتقلين في معظم الخطوات التصعيدية بدءًا من إضراب العام 2004م والذي أضرب فيه عن الطعام إلى جانب إخوانه في سجن شطة لمدة ثلاثة عشر يومًا، ثم اتبعه إضرابه عن الطعام في العام 2011م تضامنًا مع رفاق الجبهة

الشعبية لتحرير فلسطين في سجون الاحتلال الذين كانوا يطالبون بإخراج الأمين العام للجبهة الشعبية الرفيق أحمد سعدات من زنازين العزل الانفرادي،

STATE OF PALESTINE
MINISTRY OF EDUCATION AND HIGHER EDUCATION
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA

دولة فلسطين
وزارة التربية والتعليم العالي
جامعة الأقصى غزة

CERTIFICATE

شهادة

History

Faculty of Arts & Human Sciences

والإضراب الأصعب في حياة المجاهد محمد كان إضراب الكرامة في العام 2012م والذي استمر لمدة 28 يومًا وهذا الإضراب كشف وجه العدو الصهيوني على حقيقته الإجرامية حيث في اليوم الرابع عشر تم فيه نقل المجاهد محمد جرادات إلى عيادة سجن الرملة لإجراء فحوصات طبية للعملية الجراحية التي ومنذ سنوات طويلة ينتظر إجراءها، وهي عبارة عن عملية لاستئصال كيس دهني على شكل ورم كبير في أسفل الظهر حيث ما أن نزل من سيارة البوسطة والتي يسميها الأسرى بسيارة الموت والعذاب والإذلال والتي هي عبارة عن كتلة ضخمة من الحديد فمقاعدها حديد وشبابيكها حديد وسقفها حديد وأرضيتها حديد وأيدي وأرجل الأسرى تكون مكبلة بالحديد؛ حتى تعرض حينها المجاهد محمد إلى الإغماء فسقط على الأرض أمام إطار عجل البوسطة فبقي يتأوه ويتألم دون مساعدة إلى أن حضر أحد المسعفين من عيادة سجن الرملة، وكان قد مضى عليه أكثر من نصف ساعة مكبل اليدين والقدمين، وما أن أسعفوه وزودوه بالجلوكوز والأملاح حتى قاموا بإعادته إلى سجن جلبوع في ظل إصراره وعزيمته على مواصلة الإضراب المفتوح إلى جانب إخوانه في الحركة الأسيرة المضربة، وما أن رآه المجاهدون المضربون حتى أقبلوا عليه للاطمئنان على صحته وأحواله مطالبين إياه بوقف الإضراب والاهتمام بوضعه الصحي إلا أنه صبر وصمد وتحمل المشاق والصعاب؛ لأنه يعي تمامًا أن من يتخذ قراره بالإضراب ويشرع به لا يمكن له أن يتراجع مهما كانت الصعاب والمشقة، وأثناء وجوده مع إخوانه في الإضراب إذا به يذكر الماضي البعيد والقريب ليمر من أمامه شريط الأحداث والذكريات وكأن الزمن عبارة عن لحظات من الحزن والألم أو من الفرح والسرور، فتذكر أحزانه بدءًا من حالة عائلته المأساوية، ووفاة أبيه، ووفاة أخته الكبرى أم عادل، ووفاة زوجة أبيه الحاجة لطيفة، واعتقال إخوانه حسني وفايز ومحمود.

فرحة لم تكتمل

الحدث الأصعب وسط كل المعاناة كان بالنسبة للمجاهد محمد هو اليوم الذي رزق الله عز وجل أخت المجاهد محمد أم عبد الرحمن مولودة أسمتها والدتها أم العبد باسم سرايا بناءً على طلب المجاهد محمد تيمنًا باسم سرايا القدس، فملأت البيت فرحة وسرورًا وصل جزء منه إلى قلب المجاهد محمد في داخل السجن، فما أن بلغت الطفلة سرايا من عمرها سبع سنوات حتى أصيبت

بمـرض السرطـان الـذي أذاب طفولتهـا وحولـه إلى هيكل عظمي لا تقـوى حتى عـلى التعبير عـن حزنهـا وألمهـا فـما لبثت في مرضهـا عامًا ونصف حتى توفاها الله _عـز وجـل_ فـكان هـذا الحـدث حدثًـا مؤلمًـا وحزينًا وشـديدًا عـلى حيـاة المجاهـد محمـد الـذي تعلق قلبـه بهـا كثيرًا، ولاسيما أنـه هـو الـذي أسـماها بسرايـا، فدعـا الله أن يعـوض أختـه أم العبـد بمولـودة جديـدة، ليـأتي العـام تلـو العـام.

فرح يتجدد وأمل منتظر

في العـام 2018م جـاءه الخبر بأن أختـه أم العبد سـيرزقها الله بطفلـة جديـدة وسـوف تسـميها سرايـا، وإلى حـين ولادتهـا يبقـى السـؤال الأهـم مـن سيسـبق مـن؟ فهـل سـتخرج سرايـا رافـع جـرادات إلى الحريـة أولًا أم سـتخرج سرايـا القـدس الجنـاح العسـكري للجهـاد الإسـلامي في فلسـطين المجاهـد محمـد حسـين فايـز جـرادات إلى الحريـة أولًا؟

الأسير المجاهد

أحمد ذيب عبد الرحمن دهيدي

ابن الإسلام العظيم وابن فلسطين

تاريخ الميلاد: 1982/10/15م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة عرابة – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 10

تاريخ الاعتقال: 2003/06/15م

الحكم: مؤبدان

يكتب الأبطال تاريخهم بدمائهم الزكية التي لا يبتغون بها إلا وجه الله الكريم، وحق للتاريخ أن يُسجل أعمال هؤلاء الأبطال ليكتب في صفحاته الخالدة بطولات المجاهدين في انتفاضة الأقصى، وبطلنا هو المجاهد أحمد ذيب دهيدي الذي أصبح كالشعلة المتأججة التي لا تخمد نارها، ولا يهدأ أوارها؛ لأنه ابن الإسلام وابن الجهاد وابن فلسطين.

نشأة إسلامية قويمة

وُلد المجاهد البطل أحمد دهيدي في تاريخ 15/ 10/ 1982م، فوق ثرى فلسطين الحبيبة في بلدة عرابة بمحافظة جنين؛ لينشأ بين جبالها وسهولها ووديانها؛ ويترعرع في ظل أحضان أسرة فلسطينية ملتزمة بتعاليم الإسلام الرسالي العظيم عملًا وقولًا.

فقد نشأ هذا المجاهد منذ نعومة أظفاره على الصيام والصلاة وحب المساجد وعمل الصالحات كما علمه والداه هو وجميع إخوته، إضافة إلى اجتهاده المدرسي، وحين وصل إلى المرحلة الابتدائية في المدرسة انتظم مع أشبال المنطقة في المسجد الشمالي ببلدة عرابة بمحافظة جنين؛ ليتتلمذ على يد الشيخ الداعية هاني أبو سارة، ثم انضم إلى أحد قادة الجهاد الإسلامي في عرابة الشيخ سفيان عارضة،

وكانت طفولته صعبة حيث إن الوضع المادي لعائلته متوسط الحال، فقد كان والده يعمل في مجال البناء؛ ليكون إلى جانبه في أوقات العطل المدرسية.

كان المجاهد أحمد متقدمًا ومتفوقًا على أقرانه في الدراسة، وكم من مرة طلبوا منه المساعدة في حل الوظائف المدرسية وشرح الدروس ولم يبخل عليهم بذلك، وكان رياضيًا نشيطًا فهو من لاعبي ومحبي كرة القدم المتفوقين، وهو معطاء بلا حدود، تراه يفيض رقة وطمأنينة وسكينة، تعلو وجهه إشراقة تزينها ابتسامة جميلة تنبئك عن قلب امتلأ بحب إخوانه، وصمته وهدوئه وقلة كلامه ورزانته تخبرك عن شخصية رائعة جميلة متزنة وواعية، ونفسية لديها إصرار على الحق، وهي أقوى ما تكون دفاعًا عن أرضها ووطنها، فكل تلك الصفات مكنته من الانتقال إلى المرحلة الإعدادية في مدارس عرابة؛ ليبدأ عقله يكبر وينمو ويتسع علمًا وفكرًا وثقافةً، ويبدأ سلوكه يتزن أكثر فأكثر ونقاشه وحواره مع الآخرين يزداد قوةً وفهمًا وعلمًا، وأحيانًا كان يتغلب عليهم وليس هذا فحسب، بل أحيانًا كثيرة ما كان يبهر أساتذته في المدرسة بسبب قوة شخصيته وتأثيره على مجموع الطلبة من حوله، حيث ما أن يحيي طلبة المدارس ذكرى النكبة الفلسطينية حتى يبدأ كل طالب يتحدث عن أصله وبلده وقريته ومعاناة عائلته. وأحيانًا كان العدو الصهيوني وكعادته يعمد إلى حرمان الطلبة من العلم، ويعمل على محاصرة المدارس، ويعبث بمحتوياتها، ويعتقل أحيانًا من يريد بذريعة تعرض العدو لرمي الحجارة، متعمدًا دائمًا أن يُنهي نشاط الطلبة من قبل أن يبدأ.

تعلقه بمدينته حيفا

وذات مرة جاء مدير مدرسة أحمد ووقف أمام جموع الطلبة وأخبرهم أن الجيش الصهيوني يحاصر المدرسة من كل الجهات، وليس لديه إمكانية للدفاع عن المدرسين والطلاب، وما أن توقف المدير عن الكلام والخطاب حتى لزم الصمت وهو يلقي ببصره إلى الأرض، وكان المعلمون حوله تبدو عليهم أمارات حزن شديد، أما المجاهد أحمد فشعر بغصة في قلبه نتيجة عدم إخبار الطلبة بما كان قد أعده للحديث عن أصله وكونه لاجئًا من حيفا.

وسألته يومًا ونحن في السجن: ماذا كنت تود إسماعه للطلبة في المدرسة؟ فأجابني بعد أن شهق شهقة لا تخرج إلا من إنسان عاشق للوطن إلى حد الهيام، قائلًا: اسمع يا أخي محمد نحن نجلس معًا الآن في سجن "ريمون"، وفي إحدى الغرف وأمامنا شباك محصن بقضبان الحديد لدرجة أن الهواء يدخل من خلاله بصعوبة بالغة، ومع هذا الألم والمعاناة التي نعيشها في سجون الاحتلال إلا أنني ما أن سمعت كلمة حيفا حتى أصابتني قشعريرة، وشعرت أني أنظر إليها أمامي وأنا مشدود بكل شوق وحنين، وشعرت يا أخي وكأني حضنت حيفا بعيني رغم امتداد الأفق البعيد، ورأيت سفوح الكرمل القريبة، فها هي تعبق برائحة الماضي، فأنا الآن يا صديقي محمد أراها بأشجارها وحجارتها وشوارعها وبيوتها كما وصفها جدي لأبي ليصفها لي. وها قد عادت بي الذكريات والحنين إليها، كيف لا وأنا أستتنشق هواءها النقي الذي حرمنا منه الاحتلال الصهيوني، وأستمد منها

ذكرى جديدة اختزنها في ذاكرتي لأحملها معي في سفري وترحالي القسري من سجن لآخر.

وما أن رأيت شدة انفعال المجاهد أحمد حتى عدت لأطرح عليه بقية الأسئلة؛ لأجد من إجاباته أنه ما أن انتقل من المرحلة الإعدادية إلى المرحلة الثانوية حتى أصبح عقله ناضجًا واعيًا مدركًا لما يدور من حوله؛ قويًا عنيدًا غيورًا على الإسلام والنطق بالحق، وحريصًا على قراءة القرآن مع أصحابه محمد المرداوي ومحمد عارضة وعبد الله عارضة، وغيرهم من الأحبة ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13] حيث استطاعوا عبر مرشدهم ومعلمهم في المسجد التعرف على حقيقة أرض الإسراء والمعراج والجهاد في سبيل الله؛ فتعززت قناعات المجاهد أحمد بأنه لابد من المزيد من العمل كما كان في الانتفاضة الأولى والتي عاش أحداثها اليومية رغم صغر سنه إلا أن ذاكرته مليئة بشريط الأحداث من رؤية المظاهرات، إلى المشاركة في ضرب الحجارة، إلى الهتاف، إلى رفع الأعلام الفلسطينية، إلى رؤية الاشتباكات المسلحة التي كان يخوضها المناضلون الفلسطينيون، إلى رؤية مطاردة الاحتلال لشباب الانتفاضة، ولا يزال يذكر ذلك اليوم الذي تم فيه حصار قوات الاحتلال الصهيوني لمنزلهم في بلدة عرابة بحثًا عن أخواله المطاردين، ودخلوا إلى البيت بشكل همجي جدًا وعاثوا فيه خرابًا ودمارًا، وازدادت قناعة المجاهد أحمد حينها أنه لا يمكن الحياة في ظل المحتل، وأنه لابد من العمل ليل نهار لمواجهته وبكل الإمكانيات والوسائل.

انضمامه إلى سرايا القدس

وما أن بلغ المجاهد أحمد من عمره ثمانية عشر عامًا حتى اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية والتي سُميت بانتفاضة الأقصى؛ وبدأ العمل الجماهيري والشعبي يتسع ويدخل إلى كل بيت وشارع وقرية ومدينة؛ للدفاع عن القدس الشريف، ووجد المجاهد أحمد نفسه إلى جانب شيخه المجاهد سفيان عارضة يشاركه العمل في صفوف حركة الجهاد الإسلامي في فعاليات الانتفاضة اليومية؛ ليتمكن بعدها ومع المجاهد سفيان عارضة من القيام بزيارة المجاهد الكبير إياد حردان في مدينة جنين

مجموعة من قادة وكوادر حركتي الجهاد الإسلامي وحماس
في سجن جنيد بنابلس التابع للسلطة (1998م)

والذي كان مسجونًا لدى السلطة الفلسطينية، فتعرف عليه، وبدأ المجاهد إياد يحدث هذا الشاب الصغير أحمد حول الإسلام وفلسطين والجهاد،

وأهمية مقاومة هذا العدو الصهيوني، فأُعجب المجاهد أحمد بشخصية القائد المجاهد إياد، وطلب أن ينضم إلى صفوف سرايا القدس إلا أن قادة حركة الجهاد الإسلامي وسرايا القدس طلبوا منه التريث، ولاسيما أنه صغير السن وأنهم بحاجة إلى المجاهد أحمد في نشاطات الحركة في الجامعة، وما هي إلا فترة من الزمن حتى وجد المجاهد أحمد نفسه في جامعة الخليل في كلية المحاسبة التي لم يكن يومًا قد حلم بدراستها، ولكن هكذا هو حال الطلبة في فلسطين يأتي التخصص بغير ما يشتهي الطلبة حيث كان المجاهد أحمد يفضل دراسة الرياضة التي تعلق بها منذ الصغر، ولكنه دائمًا يردد قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216].

هيأ الله للمجاهد أحمد الظروف في جامعة الخليل بأن يتعرف على قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية وخاصة من أبناء خليل الرحمن، فتعرف إلى المجاهد الكبير في سرايا القدس في الخليل دياب الشويكي، وكذلك تعرف على المجاهد ابن جنين القسام يوسف بشارات، وبدأت علاقات المجاهد أحمد تتوسع أكثر فأكثر مع قادة سرايا القدس، وبدأ يُشكل منظومة علاقات متشابكة بين الخليل وجنين، فكان بمثابة حلقة الوصل بين سرايا القدس في الخليل وسرايا القدس في جنين، بالإضافة إلى أنه أصبح من المقربين جدًا من المجاهد دياب الشويكي، بل أصبح مرافقه الخاص ليتعلم على يديه وعلى يد المجاهد يوسف بشارات عملية إطلاق النار بشكل عملي ومحترف، رغم أنه كان في صغره يتقن استخدام المسدس وبندقية الصيد، وامتدت علاقاته الوطنية لتصل إلى نسج علاقة طيبة مع قيادة كتائب شهداء الأقصى بالخليل وفي مقدمتهم مروان زلوم (أبو سجا)،

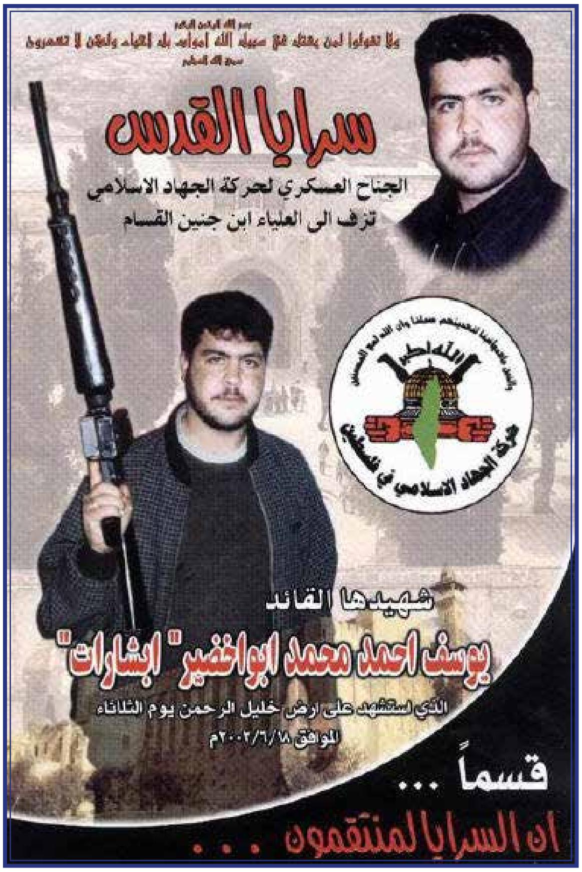

وبدأ نشاطه العسكري بصحبة المجاهدين دياب الشويكي ويوسف بشارات عبر محاولات عملية لإطلاق النار على آليات عسكرية بالقرب من مدينة الخليل، بالإضافة إلى مساندة شباب الخليل والمناضلين وجنود الأمن الوطني بتشكيل غرف مرابطة وحراسة على مداخل الخليل لمنع دخول الآليات الصهيونية، وكان رغم بعده عن أهله وغربته في مدينة الخليل من أجل الدراسة يقسم وقته، ليكون النهار للجامعة والليل للعمل

العسكري السري في مدينة الخليل، وما هي إلا فترة حتى بدأ الاحتلال الصهيوني باجتياح الضفة الغربية مرتكبًا المجازر بحق أبناء الشعب الفلسطيني في جنين ونابلس وبيت لحم، وتم اعتقال المجاهد أحمد إلى جانب مئات الشباب في مدينة الخليل، واستطاع التحايل على جهاز الشاباك عبر تغيير اسمه ليتم الإفراج عنه حيث كان التحقيق يتم في الميدان وكان يتم تجميع الأهل والشباب في المدارس وبعدها يتم فرزهم إما للسجن وإما للبيت.

أول عملية بطولية قام بها

قرر بعدها المجاهد أحمد العودة إلى بلدة عرابة بمحافظة جنين، واستطاع أن يتعرف على قادة وكوادر سرايا القدس بالإضافة إلى تعرفه على المجاهد أحمد الشيباني الملقب بالعندليب وأفراد مجموعته، وانتقل ليباشر العمل العسكري من بلدة عرابة إلى بلدة قباطية ليكون إلى جانب المجاهد الكبير حمزة أبو الرب، ولتحضنه عائلة المجاهد محمد نزال المعروف برياض حمور، وقدموا له كل المساعدات في بلدة قباطية، وقرر المجاهد أحمد القيام بعملية عسكرية في معسكر "مابو دوتان" في عرابة حيث انضم إليه المجاهد باسم عارضة، وكان المجاهد أحمد يحمل سلاحًا من نوع كلاشنكوف، وتم التخطيط لهذه العملية بدقة عالية، وتقدم الأبطال أحمد وباسم إلى مكان تنفيذ العملية وقبل وصولهما أرادا الوضوء والصلاة ركعتين لتكونا لهما آخر عمل في هذه الدنيا، وما أن وصلا إلى الموقع حتى رأيا حافلة صهيونية تمر بالقرب منهما فأمطراها برصاصهما مصحوبًا بصيحات حناجرهما الله أكبر، وأطلقا قذيفة أنيرجا باتجاه الباص، فكان اشتباك عنيف جدًا بشهادة العدو الصهيوني، واستطاعا الانسحاب من الموقع بحنكة عسكرية؛ ليكتب لهما الله -عز وجل- أن يكونا بأمن وأمان، وتمكنا من الوصول إلى مدينة جنين ليجتمعا مع قادة وكوادر سرايا القدس الذين هنئوهم بهذه العملية البطولية والجريئة جدًا.

انتشر خبر وصيت المجاهد أحمد، وما هي إلا أيام حتى تعرض منزل عائلته لمداهمة العدو الصهيوني بحثًا عنه، مما جعله يتوجه إلى بلدة قباطية مرة أخرى؛ ليكون إلى جانب أحبائه المجاهدين حمزة أبو الرب ومحمد نصري أبو الرب وجهاد السحو وحسن خمايسة ورياض نزال، وخاض المجاهد أحمد إلى جانب المجاهد ابن كتائب شهداء الأقصى ثائر السحو اشتباكات مسلحة مع الدوريات الصهيونية حيث كان يحمل سلاحًا (M16) والمجاهد ثائر يحمل سلاحًا من نوع 300، وفي أحد الاشتباكات طلب المجاهد أحمد مبادلة السلاح ليحمل هو السلاح من نوع 300 مما أثار دهشة المجاهدين من قادة وكوادر سرايا القدس، إذ كيف يُعقل لهذا الشاب النحيل والضعيف أن يحمل سلاحًا قويًا وثقيلًا من نوع 300 فما كان منه إلا أن يرد عليهم كما قال الشاعر:

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسدٌ هصورُ

العدو يضيق الخناق على المقاومة

وفي هذه الفترة كانت الأجهزة الأمنية

الصهيونية تشدد قبضتها على المجاهدين في انتفاضة الأقصى عبر عملية أمنية أطلق عليها الجيش الصهيوني "طريق الإصرار" في أواخر العام 2002م وبدايات العام 2003م، والإدعاء بتصفية "الإرهاب" الفلسطيني الذي أصبح يشكل خطرًا وجوديًا على الكيان الصهيوني، وأنهم يريدون القضاء على مطلقي صواريخ القسام من غزة باتجاه مستوطنات شمال وغرب النقب، وتم فرض طوق أمني على الضفة الغربية، وتم تقطيع طرق المواصلات والتواصل الجغرافي والسكاني بين المدن الفلسطينية عبر المزيد من وضع الحواجز الصهيونية، وقام الجيش الصهيوني بتنفيذ سلسلة من الاقتحامات على القرى والمدن الفلسطينية وخاصة في شمال الضفة الغربية، بذريعة المحاولة لإحباط العمليات الاستشهادية قبل خروجها من الضفة الغربية، وأدت عمليات الجيش الصهيوني إلى اغتيال العديد من المقاومين الفلسطينيين، وفي مقدمتهم قائد سرايا القدس في مدينة جنين وهو المجاهد الكبير الشهيد إياد صوالحة الملقب (أبو شقارة)، حيث ظن العدو الصهيوني أنه بتصفية القائد المجاهد إياد صوالحة قد أنهى العمل العسكري للجهاد الإسلامي في جنين، وافترض أنه لا وجود للجناح العسكري للجهاد الإسلامي بشكل فاعل في أماكن أخرى، فخاب أملهم ورجاؤهم، وكان مجاهدو سرايا القدس وتحديدًا في مطلع العام 2003م قد أعادوا تشكيل صفوفهم في مدينة جنين، حيث استلم الراية من بعد الشهيد القائد إياد صوالحة المجاهد أنس جرادات وبإشراف عام من قبل القائد العام نعمان طحاينة، وفي هذه الفترة تمكن المجاهد أحمد من الحصول على خط للتواصل مع القيادة العسكرية لسرايا القدس في الخارج، وكان في تلك الفترة العديد من خطوط التواصل مع القيادة العسكرية في خارج فلسطين كخط المجاهد صالح جرادات وإسماعيل أبو شادوف وغيرهما من المجاهدين.

اشتداد مقاومة السرايا للعدو

استطاع المجاهد أحمد تجنيد المجاهدين سائد فحماوي وجعفر أبو حنانة لتكون هذه المجموعة من أهم وأخطر المجموعات، وتشهد مدينة جنين وشوارعها وأزقتها صولاتهم وجولاتهم وأيام جهادهم للمحتل الصهيوني، فقد خاضوا العديد من الاشتباكات المسلحة مع دوريات الاحتلال الصهيوني، وقاموا بزرع العديد من العبوات الناسفة على الطرق الالتفافية وكذلك مداخل ومخارج مدينة جنين، وأذاقوا العدو الصهيوني جرعات من الألم والعذاب مما جعل الشاباك الصهيوني يكثف ملاحقاته لهذه المجموعة، وتعرض المجاهد أحمد دهيدي وجعفر أبو حنانة ومحمد نصري أبو الرب إلى المحاصرة من قبل الجيش الصهيوني في إحدى العمارات في مدينة جنين وهي عمارة اليامون، واشتبك الأبطال مع الجيش الصهيوني اشتباك الأسود مع فريستها، وتمكنوا بأعجوبة من الصعود إلى سطح العمارة ليتنقلوا من عمارة إلى أخرى، وليس هذا الكمين الوحيد الذي تعرض له المجاهد أحمد، بل في أحد الأيام من العام 2003م وعندما كان ينسق مع مجاهدين من منطقة طولكرم تعرف على عدة مجاهدين وهم عمار قزموز وأنور عليان، ولتعزيز التنسيق بينهم توجه وابنا مجموعته

سائد فحماوي وجعفر أبو حنانة إلى مدينة طولكرم، واجتمعوا مع المجاهدين أنور عليان وعمار قزموز في بلدة بلعا، وهناك تم محاصرتهم من جميع الجهات واستخدم الجيش الصهيوني طائراته في ملاحقة المجاهدين، ولكن بفضل الله وبفضل تعاون أهالي بلدة بلعا تمكنوا من الخروج من هذا الكمين المحكم، وتمكن المجاهد أحمد من العودة إلى مدينة جنين، وتوجه إلى مخيم جنين ليتذكر المجاهدين سعيد طوباسي وعبد الله الوحش اللذين أذاقا العدو الصهيوني الذل والهوان حيث تم اعتقالهما في شهر 11 من العام 2002م، وكانت تربطه معهما علاقة قوية فشاركهما الألم والأمل والمعاناة، ووجد المجاهد أحمد نفسه في قلب مخيم جنين بين الركام ويقف على الأطلال يتذكر مجزرة المخيم ويشم رائحة التراب الممزوج بدماء الشهداء، ووقف إلى جانب أهالي وعائلات ومجاهدي مخيم جنين ليشكل مع المجاهدين فيه قوة حقيقية في مواجهة العدو الصهيوني، وتشهد لهم الشوارع والأزقة في مخيم جنين الذي استمر في مواجهة العدو الصهيوني رغم المجزرة والهدم الذي لحق به في أثناء الاجتياح من العام 2002م، وكان عمل المجاهد أحمد متواصلًا وبهمة عالية لا يتخللها فتور وبأمل لا يرتقي إليه يأس، فكان جنديًا ساهرًا على الثغر لا يناله التعب، ورأى المجاهدون في شخصية المجاهد أحمد الكثير من الخير، ولاسيما أثناء النقاش والحوار الذي كان يدور بين الفصائل الفلسطينية الوطنية والإسلامية.

عمله على رفع معنويات الشعب

ونتيجة لهدم المخيم واغتيال المجاهدين واعتقال المئات وتشريد الأهالي وصعوبة الأوضاع الاقتصادية بدأت الحاضنة الجماهيرية تضعف معنوياتها شيئًا فشيئًا، فكان لابد من العمل على إعادة التعبئة والحشد والتذكير، فوقف المجاهد أحمد بين الناس وبدأ يحدثهم ويصبرهم قائلًا: "أيها الناس، أيها المجاهدون، نحن نعلم أن هناك عقبات في الطريق، وأن المسار للوصول إلى الهدف طويل وشاق، ولا يتحمل السير فيها إلا العظماء من الرجال، فإذا كنتم منهم فشمروا عن سواعد العزم، وتزودوا من وقود الهمة، فعندها أيها الأبطال ستصلون إلى ما ترجون من الله، لذلك اقتحموا جدران الصعاب لفتح الآفاق لكم، ولا تنسوا حمل مشاعل النور من الإيمان كي توقدوا لأنفسكم وللعالمين سراج الحق والنصر المبين". فارتفعت المعنويات في مخيم جنين، وبدأت المجموعات العسكرية بتكثيف ضرباتها العسكرية للعدو الصهيوني، وحاول المجاهد أحمد نقل الحدث إلى مدينة جنين في الحارة الشرقية منها؛ ليكون إلى جانب المجاهدين جعفر أبو حنانة وسائد فحماوي وثائر أبو الكامل، والعديد العديد من الأبطال الذين استطاعوا إرباك العدو الصهيوني ومباغتته في مرات عديدة، موقعين في صفوفه العديد من الإصابات، مما جعل الجيش الصهيوني يرصد تحركاتهم وأماكن جلوسهم، وفي أحد الأزقة في الحارة الشرقية، قام الجيش الصهيوني برمي قنبلة يدوية باتجاه المجاهدين، ولكن رعاية الله وحفظه لهم كانت هي السباقة.

وفي أحد الاشتباكات بين مجموعة المجاهد أحمد والعدو الصهيوني في منطقة البلدة القديمة

في جنين، استطاعوا أن يحاصروا عددًا من الجنود الصهاينة وأمطروهم بالرصاص الذي لم يكن ليتوقف، وسمعوا صوت بكائهم وصراخهم واستغاثتهم، مما رفع معنويات المجاهدين في مدينة جنين.

انتقاله إلى بلدة قباطية

وتبعًا لذلك حرص المجاهد أحمد أن يعزز التنسيق والتعاون بينه وبين القرى في مدينة جنين وخاصة مع بلدة برقين، عبر التنسيق مع قائد سرايا القدس في برقين المجاهد إسماعيل أبو شادوف، وكانا قد خططا معًا لعدة عمليات عسكرية.

وامتد العمل العسكري للمجاهد أحمد ليتعمق أكثر مع المجاهد إبراهيم عباهرة أحد القادة العسكريين في بلدة اليامون حيث استطاع المجاهد إبراهيم إمداد المجاهد أحمد بالعديد من العبوات الناسفة التي تم استخدامها في العديد من العمليات العسكرية في مدينة جنين، وقد آثر المجاهد أحمد التوجه إلى بلدة قباطية تلك البلدة المجاهدة التي قدمت الكثير الكثير في انتفاضة الأقصى حيث وجد أن أفضل مكان له من أجل الحصول على الأمن والأمان هي بلدة قباطية، إلا أن عيون العملاء كانت قريبة جدًا، فتم رصده في أحد المنازل في بلدة قباطية وبشكل محكم، فما كان منه إلا الاتصال على المجاهد ابن بلدة قباطية الصمود ثائر السحو ليرشده كيف يمكن له أن يخرج من هذا الحصار؛ واستطاع الصعود إلى سطح المنزل المجاور وقام المجاهدون في بلدة قباطية بتغطية تحركه عبر إطلاق النار باتجاه الجيش الصهيوني، فتمكن بصعوبة بالغة من الخروج من ذلك الكمين.

طلب المجاهدون في جنين القسام من المجاهد أحمد مغادرة بلدة قباطية للوقوف إلى جانب المجاهدين في جنين بصحبة أبناء مجموعته جعفر وسائد فحماوي، بالإضافة إلى المجاهد سرحان سرحان ابن مدينة طولكرم الذي تمت مطاردته بعد أن نفذ عملية في إحدى المستوطنات القريبة من طولكرم، وقتل خمسة صهاينة باسم كتائب شهداء الأقصى إلا أنه بعد هذه العملية انتمى لحركة الجهاد الإسلامي فقدم له المجاهد أحمد دهيدي كل ما يلزم من سلاح وذخيرة ومال ومأكل وملبس ومسكن.

انتقاله إلى العمليات الاستشهادية

كان المجاهد أحمد لا يعرف طعم الراحة أبدًا، وقرر الانتقال من طور الاشتباك إلى طور العمليات الاستشهادية، فمكنه الله _عز وجل_ من التعرف على المجاهد إياد جرادات من بلدة سيلة الحارثية في جنين، وشاركه في أول عملية استشهادية يُشرف عليها المجاهد أحمد الذي استطاع أن يتعرف على المجاهدين ربيع زكارنة وهاني زكارنة عبر المجاهدين يوسف نزال ومجدي سباعنة من بلدة قباطية، وكان لهؤلاء المجاهدين صولات وجولات في مواجهة العدو الصهيوني، ليكونا الاستشهاديين للعملية التي يخطط لها المجاهدان أحمد وإياد والتي ستكون بواسطة إطلاق نار، وعندما دار الحديث بينهما وبين المجاهد أحمد وجد فيهما نموذج الرجال الذين حافظوا على عزة المقاومة وكرامتها، وحافظوا على كرامة الإنسانية وصانوا عرضها في تلك

السوق السوداء التي تباع فيها النفوس والأرواح بيع السلع، وقد تباع أحيانًا بالمزاد العلني، ولكن يبقى شعار المجاهدين ربيع وهاني زكارنة "الموت في سبيل الله أسمى أمانينا".

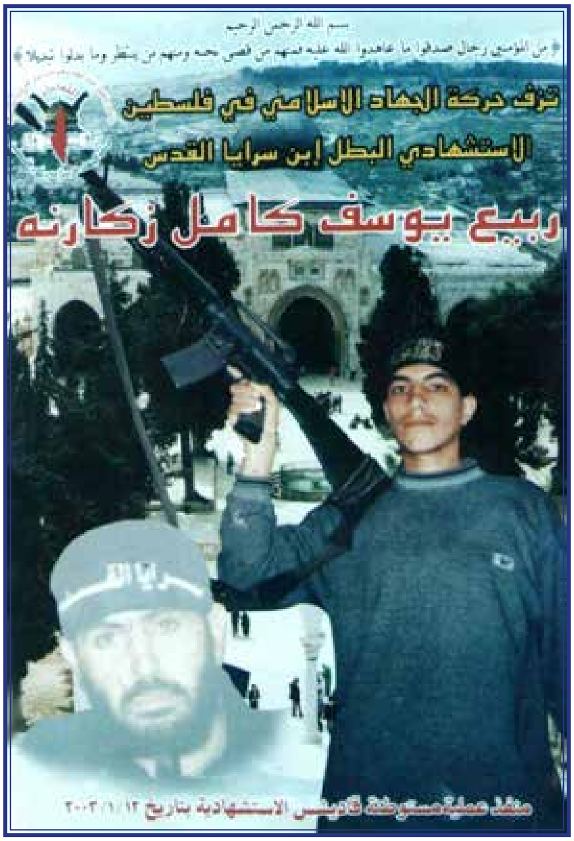

بدأ المجاهد أحمد الاستعداد والإعداد لهذه العملية فتم تزويد المجاهدين بالسلاح، أحدهم بقطعة سلاح من نوع (M16)، والآخر بكلاشينكوف، وقام المجاهد إياد جرادات بتصوير الاستشهاديين ربيع وهاني، وما أن جاءت اللحظات الأخيرة حتى اجتمع المجاهد أحمد بالمجاهد إياد من أجل مراجعة مخطط العملية، وللحظة شعر المجاهد أحمد أنه أخطأ عندما وافق على طلب المجاهد الكبير حمزة أبو الرب منه قبل ثلاثة أشهر أن يساعد الاستشهاديين هاني وربيع لتنفيذ عملية استشهادية حيث كان عمراهما لم يتجاوزا ثمانية عشر عامًا، وهنا ما كان من المجاهد أحمد إلا أن يتذكر قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا" [رواه البخاري].

وتذكر بعدها قول المجاهد حمزة أبو الرب ناصحًا له: "يا بني يا أحمد، اعلم علم اليقين أن الإسلام يريد منك جُلَّ وقتك وأكثر وأكثر، وزهرة شبابك، وأنه يريدك كلك ويريدك في وقت نشاطك لا في وقت خمولك، ويريدك في وقت شبابك وقوتك وصحتك وعنفوانك قبل هرمك، إنه يريد كل شيء منك أطيبه وأحسنه وأعظمه. وأيضًا يا أحمد إن الإسلام يريد المجاهد الذي يعطي لدينه كل شيء ويعطي حياته ووقته وماله وجهده وبيته وسيارته وعلمه، والأهم فالأهم يا أحمد، يريد الرجل الذي يبيع نفسه لله بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، واعلم في نهاية قولي لك بأنه جاء بالأثر أن عمير بن أبي وقاص شقيق سعد بن أبي وقاص الصغير الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره يوم بدر يذهب إلى المعركة، ويختبئ من الرسول صلى الله عليه وسلم خشية أن يرده، فلما علم -صلى الله عليه وسلم- رغبته وإصراره على القتال أجازه، فقاتل وقُتل في سبيل الله".

عملية مستوطنة "قاديش"

وما إن تذكر المجاهد قول الشهيد القائد حمزة أبو الرب حتى شرح الله صدره، واطمأن قلبه، فطلب من المجاهد إياد جرادات بأن يستعد لإيصال الاستشهاديين إلى مكان العملية في مستوطنة "قاديش" بالقرب من مدينة العفولة المحتلة،

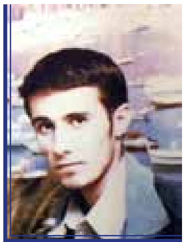

الاستشهادي/ هاني زكارنة استشهدا بتاريخ 12/ 01/ 2003م

وانطلق المجاهد إياد بصحبة الاستشهاديين ربيع وهاني حيث كانا قد استحما استعدادًا للشهادة، وصليا ركعتين كما صلاها خُبيب بن عدي ـرضي الله عنهـ قبل أن يُقتل، ثم تلوا آيات من كتاب الله ـتبارك وتعالىـ واندفعا سيرًا على الأقدام في ليلة باردة جدًا، ولكنها كانت ليلة أشبه بليلة القدر، وما أن أوصلهما المجاهد إياد جرادات إلى موقع العملية وانتظرا فترة من الزمن ليتمكن المجاهد إياد من الانسحاب من المكان حتى اندفعا اندفاع الأسود، يقطعان الأسلاك الشائكة من أمامهما، وباغتا العدو الصهيوني ليلًا بإطلاق نار عنيف لم يتوقعه، والتحما مع العدو الصهيوني في قتال شرس ومقاومة بطولية قل نظيرها، لا يغادرهما التكبير والتهليل والدعاء بأن يمن الله عليهما بإحدى الحسنيين، فاختارهما الله شهيدين؛ لتزفهم ملائكة الرحمن إلى الحور العين ليجتمعا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

وما كان من المجاهدين أحمد وإياد إلا التكبير والحمد والشكر لله عز وجل على هذا النصر المبين؛ ليكتب لسرايا القدس أن تكون هذه العملية من أول العمليات الاستشهادية في العام 2003م، وكانت بتاريخ 12/ 01/ 2003م ولاسيما أنها أوقعت قتيلًا صهيونيًا اسمه يعقوب، مسئول أمن المستوطنة، والذي كان قد أذل جموع الشباب الذين يتوجهون للعمل في تلك المنطقة، مما أفرح أهالي سيلة الحارثية، وجرح أربعة صهاينة بجراح خطيرة.

القتيل الصهيوني مسئول أمن مستوطنة "قاديش" قتل في الاشتباك المسلح بتاريخ 12/ 01/ 2003م

ونتيجة لهذه العملية الاستشهادية اشتد الحصار على مدينة جنين، وتعرضت لاجتياح كبير، مما جعل المجاهد أحمد يتوجه إلى مخيم جنين ليكون إلى جانب المجاهدين هناك، يلتمس الأمن والأمان، وبدأ مخيم جنين يتوافد عليه الكثير من المجاهدين من كل أنحاء الضفة الغربية، وخاصة من مدينة طولكرم؛ لسماعهم عن مدى قوة سرايا القدس في هذا المخيم العظيم، وهذا الأمر جعل الأجهزة الأمنية الصهيونية تكثف متابعتها لقادة وكوادر سرايا القدس من أجل اعتقالهم أو اغتيالهم، ورصد الجيش الصهيوني في يوم 14/ 03/ 2003م المجاهدين أحمد دهيدي وواثق اغبارية من مخيم جنين وربيع الفار من بلدة الزبابدة في جنين وأسامة أبو خليل من بلدة عتيل في طولكرم وإبراهيم منيزل أيضًا من عتيل دخولهم إلى أحد المنازل القريبة من منزل الشيخ القائد في حركة الجهاد الإسلامي بسام السعدي؛ من أجل الاستراحة قليلًا بعد تعب شديد نتيجة لخوضهم الاشتباكات المسلحة مع القوات الصهيونية، ونظرًا لعددهم الكبير شعر المجاهد أحمد أنه من الخطأ التواجد في هذا المنزل بهذا العدد، وطلب من المجاهدين الخروج من المنزل والبحث عن مكان آخر، ورغم حاجته الماسة للنوم والراحة والطعام إلا أن حسه الأمني كان هو الغالب، فلما أن خرج من المنزل المذكور وبعد ساعات قليلة حتى تمكن العدو الصهيوني من قتل هؤلاء المجاهدين في

ذلك المنزل؛ ليرتقوا إلى العلا شهداء، وتم الإعلان من العدو الصهيوني مباشرة أنهم قاموا بتصفية المجاهد أحمد دهيدي المسؤول عن عملية "قاديش"؛ ليتفاجأ العدو بعدها أن المجاهد أحمد على قيد الحياة، وأنه لم يكن في المنزل حين تم استهدافه بالصواريخ، وعلم حينها المجاهد أحمد أنه هو الذي كان مستهدفًا بالأساس في هذه العملية الإجرامية التي نفذها الجيش الصهيوني، وقرر المجاهد أحمد بعد هذا الحدث عدم البقاء في أي موقع أكثر من بضعة أيام، وأن عليه أن يعمل بصمت وحذر شديد وتوجيه ضربات موجعة للعدو الصهيوني بين الحين والآخر، ولاسيما ضد الحواجز الصهيونية المقامة على الطرق المختلفة في المناطق الفلسطينية، سواء على الطرق المؤدية إلى المدن أو البلدات أو الأرياف الفلسطينية، حيث أراد منها العدو الصهيوني أن تكون عنوان إذلال وإهانة للشعب الفلسطيني برمته، والحصار والتضييق وشد الخناق على الشعب الفلسطيني الأعزل من أجل إذلاله بكل فئاته وأفراده من رجال ونساء وكبار وصغار وطلبة مدارس وجامعات وعمال وموظفين ومرضى ومسافرين وصحافيين ومسعفين.

وحسب قناعاتنا فإن هذه الحواجز الصهيونية هي الوقود الهام للصراع والمواجهة مع العدو الصهيوني، وهي عامل تفجير للصراع الفلسطيني الصهيوني كلما خبت شعلته، وهذا ما فهمه وجسده المجاهد أحمد على أرض الواقع إلى جانب أخيه وصديقه ثائر أبو الكامل ابن كتائب شهداء الأقصى عبر تنفيذهما عملية إطلاق نار جريئة جدًا على حاجز الجلمة في مدينة جنين، فتم استخدام سلاح من نوع 250 بالإضافة إلى سلاح من نوع (M16) ودار اشتباك عنيف جدًا استمر لفترة ليست بالقصيرة مما شكل حالة من الرعب في قلوب الجنود الصهاينة الذين يعملون على ذلك الحاجز، وقد تمكن المجاهدان أحمد وثائر من تحقيق إنجاز مهم بعد هذه العملية حيث قام العدو الصهيوني بتحسين ظروف المارين من هذا الحاجز وطريقة تعامل الجنود الصهاينة مع الأهالي، وقد وصلتهم الرسالة بأن من يسيء التعامل على هذه الحواجز مع أبناء شعبنا فإن سرايا القدس ستكون له بالمرصاد عبر رصاصها وقنابلها واستشهادييها.

اعتقاله والحكم عليه بمؤبدين

وفي هذه الأثناء وتحديدًا في منتصف العام 2003م بدأت الأوضاع الفلسطينية تتغير شيئا فشيئًا، وبدأ المجتمع الدولي يضغط على السلطة الفلسطينية وعلى رئيس السلطة ياسر عرفات وعلى رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس من أجل الموافقة على هدنة بين الفصائل الفلسطينية المسلحة وبين العدو الصهيوني، ومن أجل الوصول إلى هذه الحالة كان لابد من قيام الأجهزة الأمنية الفلسطينية بمحاولة منع الفصائل الفلسطينية من تنفيذ العمليات الاستشهادية للتساوق مع الطرح الأمريكي-الصهيوني-الأوروبي، وكل ذلك من أجل إجهاض الانتفاضة الفلسطينية، وعندما شعر العدو الصهيوني ببطء أجهزة السلطة الفلسطينية في هذا الأمر أقدم على اعتقال المئات من أبناء الشعب الفلسطيني، بالإضافة إلى تكثيف عمليات اغتيال المجاهدين حيث تمكن من اعتقال أحد أبرز قادة

سرايا القدس في مدينة جنين وهو المجاهد أنس جرادات ومساعديه إياد ومحمد جرادات، بالإضافة إلى اغتيال المجاهد سائد فحماوي الصديق المخلص للمجاهد أحمد؛ ليكون يوم استشهاد المجاهد سائد بتاريخ 29/ 05/ 2003م يومًا حزينًا وأليمًا على المجاهد أحمد الذي شعر حينها بالوحدة والغربة، وقرر بعد أن شعر أن الدنيا قد ضاقت عليه بما رحبت أن يغادر مدينة جنين، ويعود إلى حضن بلدته عرابة ليكون إلى جانب عائلته التي اشتاق إليها كثيرًا، ومكث في أحد المنازل القريبة من منزل عائلته، وما هي إلا أيام حتى سمع خبر استشهاد القائد الكبير في سرايا القدس صالح جرادات، فأراد التأكد من هذا الخبر، فما كان أمامه سوى استخدام جهازه الخلوي الخاص به، ومن شدة الصدمة لسماع الخبر لم يكترث إن كان الجوال الذي يستخدمه مراقبًا أم لا؟ وبالفعل تم رصد هذه المكالمة للمجاهد أحمد ليتم محاصرته من قبل الدبابات والآليات العسكرية التي أحاطت بالمنزل الذي يتواجد فيه، وما هي إلا ساعات حتى تم اعتقال المجاهد أحمد دهيدي بتاريخ 15/ 06/ 2003م؛ ليصبح أسيرًا في قبضة العدو الصهيوني الذي حكم عليه بالسجن المؤبد، إلا أن هذا الحكم لم يكن ليكسر هذا البطل الذي واصل مسيرته الجهادية عبر تحدي السجن، فدرس في الجامعة العبرية المفتوحة تخصص العلوم السياسية، وما كاد أن ينتهي ويحصل على شهادة البكالوريوس حتى تم إصدار قرار جائر يمنع الأسرى من التعليم في الجامعات الصهيونية، لتتقدم جامعة الأقصى وتفتح فرعًا للتعليم الجامعي في سجون الاحتلال الصهيوني حيث حصل من خلالها على درجة البكالوريوس في علم التاريخ،

STATE OF PALESTINE
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA

CERTIFICATE

Bachelor of

History

Faculty of Arts & Human Sciences

شهادة

التاريخ

وقد كرس حياته ونشاطه في خدمة إخوانه وأحبته في حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال، هذا الاحتلال الذي لم يكتف باعتقال المجاهد أحمد بل قام بمطاردة شقيقه صالح الذي واصل السير على خطا أخيه أحمد في سرايا القدس، وفي أحد الأيام من العام 2007م وبينما كان المجاهد صالح دهيدي متوجهًا بصحبة صديق له بسيارته إلى بلدة قباطية إذا بدوريات للجيش الصهيوني تتواجد في المنطقة، مما جعل صديق المجاهد صالح يغير مسار سيارته، فأثار بذلك شكوك قوات الجيش الصهيوني المتواجدة في المكان، وبدأت الدوريات الصهيونية تلاحق هذه السيارة، واستطاع المجاهدان الفرار من المكان، وما أن توجها إلى منطقة قريبة من مثلث الشهداء في بلدة قباطية إذا بسيارتهم تصطدم بسيارة خزان ماء ما أدى إلى استشهاد المجاهد صالح دهيدي بتاريخ 19/ 04/ 2007م فكان هذا اليوم صعبًا ومؤلمًا في حياة المجاهد أحمد داخل السجون، وشعر حينها أن الظلم قد ازداد عليه، ولا طاقة له للتحمل، وإذا به يشعر أن روح أخيه صالح تخاطبه وتقول: "يا أخي يا ابن أمي

وأبي لا تحزن، ولا تخف ولا تجزع، فماذا يمكن أن يصيبك من عدوك في سجونهم؟ إن يسجنوك أشهرًا أو سنين أو العمر كله، فيكفيك شرفًا وعزة وكرامة وانتصارًا أنك قضيت عمرك في سبيل الله".

فردّ المجاهد أحمد على روح أخيه قائلًا: "وأنت يا أخي صالح، يكفيك شرفًا أن تكون مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين، وأن تكون نفسك راضية مرضية مطمئنة في جنات الخلد مع الحور العين". فما كان من روح الشهيد صالح إلا أن تقول: "يا أخي أحمد، لك الفخار أن تكون في درب المجاهدين، وعلى درب سيدنا يوسف عليه السلام، وقد مكث في السجن بضع سنين". ولا يزال المجاهد أحمد دهيدي على موعد مع الفجر المشرق الجميل ولو بعد حين.

مجموعة من قيادة حركة الجهاد الإسلامي
في زيارة اجتماعية لعائلة الأسير المجاهد/ أحمد دهيدي

الأسير المجاهد

عرفات محمد عبد الحميد الزير

سليل الجهاد والتضحية

تاريخ الميلاد: 1982/09/27م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: قرية رابود – محافظة الخليل

عدد أفراد العائلة: 19

تاريخ الاعتقال: 2003/06/28م

الحكم: 35 عاماً

يا سحابة كانون مجّي من ريقك على هذا القلم حتى ينسج وشيه وزخرفه، واجمعي يا شمس السماء في هذه الحكاية نور الابتسام وماء الدمع، ليخرج النبات مثمرًا زهرًا وتمرًا وورقًا أخضرا، أتعلمين لماذا أيتها الشمس؟ لأنني قررت أن أكتب حكاية مجاهد من مجاهدي وفرسان سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين؛ إنه المجاهد عرفات محمد الزير.

المولد والنشأة

وُلد هذا المجاهد الكبير في قرية رابود بمحافظة الخليل، تلك القرية الجبلية ذات المناظر الخلابة بجبالها وأشجارها ووديانها ومياهها، فهي قرية قديمة قِدَم التاريخ بشواهد آثارها وحجارتها التي تنطق اللغة العربية، وبترابها الممزوج بدماء الشهداء، وجبالها الشامخة شموخ الكبرياء، وقممها العالية والمهيبة، وزهورها العطرة، وأشجارها الباسقة، ففي هذه القرية الغالية وُلِدَّ ونشأ المجاهد عرفات لأسرة فلسطينية مؤمنة مناضلة في بيت متواضع وبسيط كبقية بيوت القرية، وللمجاهد تسعة إخوة وثماني أخوات، وكان والدهم يعمل ليل نهار في الزراعة وتربية الأغنام لا لشيء سوى لتحسين أوضاع وأحوال عائلته المادية؛ ليتمكن

أولاده وبناته من الحصول على فرصة التعليم الجامعي علهم في يوم من الأيام يصنعون للوطن وللخليل ولرابود ولعائلته عائلة الزير مجدًا سامقًا قل نظيره، والمجاهد عرفات منذ نعومة أظفاره قد استحوذ على حب والديه له، وكذلك حب إخوانه وأخواته. كانت طفولته رغم صعوبة العيش مليئة بالأمل والحب والأحلام الكبيرة؛ فقد تلقى دراسته الابتدائية في مدارس قرية رابود، وفي المرحلة الإعدادية في مدارس كُرزا، والمرحلة الثانوية والأهم في حياته كانت في مدرسة ماجد أبو شرار، وكان خلال جميع مراحل الدراسة الطالب الذكي والطموح والخلوق والمؤدب والواعي والذي ينظر إلى المستقبل بعين التفاؤل والأمل، واستطاع الحصول على شهادة التوجيهي بنجاح وتفوق ليلتحق بجامعة بوليتكنيك فلسطين في خليل الرحمن في العام 2000م، هذا العام الذي كان فيه الشعب الفلسطيني على موعد مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية والتي سميت بانتفاضة الأقصى وقد تزامن موعد بدء الدراسة الجامعية للمجاهد عرفات مع موعد انطلاق شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية، ليكون له إلى جانب تفوقه واجتهاده في دراسته الجامعية صولات وجولات في الحياة والمعترك الطلابي والنشاط السياسي حيث كانت الجامعة هي المحضن الذي بدأت فيه شخصية المجاهد عرفات بالنضوج والتفتح، فكان من أول يوم من أفراد الكتلة الإسلامية في الجامعة، فلم يكن يلهو كما يلهو شباب الجامعة التائهين والضائعين فصدق فيه قول الشاعر:

شباب خُنع لا خير فيهم
وبورك في الشباب الطامحينا

حبه للعمل الجهادي

فكان بحق من الشباب الطامحين فلم يره أحد في الجامعة إلا مستمعًا أو دارسًا أو متكلمًا، وأغلب أوقاته وكلماته كانت عن واقع المسلمين والطريق الأصوب والأمثل لتحرير فلسطين من براثن العدو الصهيوني، فكان يحب أن يقرأ في كتاب الله كثيرًا لاسيما سورة الإسراء حيث أعجبته الآيات الأولى منها، فكان يرددها أمام أهله وأحبته وأصدقائه، وكانت حياته مليئة بالعمل والعلم، دائم العطاء والإيثار والتضحية، ورغم نشاطاته اللامحدودة في صفوف الكتلة الإسلامية في الجامعة، إلا أن مظاهر انتفاضة الأقصى التي اتسعت رقعتها وغيرت أسلوبها من العمل الجماهيري الشعبي إلى عسكرة الانتفاضة والكفاح المسلح، فصار لزامًا على مجاهد كعرفات أن يقف مع نفسه ليجدها تلح عليه بالولوج في العمل العسكري، وما أن طلب من أحد المسئولين في الكتلة الإسلامية لحماس هذا الأمر حتى تأخر ذلك المجاهد بالرد عليه؛ ليبدأ بالبحث عن الخيار الآخر والبديل الذي من الممكن من خلاله تحقيق الهدف الجهادي والعسكري.

الانتماء لحركة الجهاد الإسلامي

وجد المجاهد عرفات نفسه يدرس إلى جانب المجاهد أحمد الفقيه صديق المجاهد عرفات منذ مرحلة الدراسة الثانوية، وكان المجاهد أحمد من مجاهدي الجماعة الإسلامية في الجامعة، وهي الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وتأثر المجاهد عرفات بأفكار حركة الجهاد الإسلامي

وبجناحها العسكري سرايا القدس بفعل تأثير المجاهد أحمد الفقيه عليه ليصدق فيهما قول الشاعر:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينِهِ
فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي

تغيرت حياة المجاهد عرفات في ظل الانتماء إلى سرايا القدس، وبدأ يدافع عن الإسلام الرسالي العظيم، وعن مفهوم الجهاد في سبيل الله، وخاصة في ظل النقاش والحوار بين الكتل الطلابية في الجامعة حول أهمية وشرعية العمليات الاستشهادية في فلسطين، فما كان من المجاهد عرفات إلا أن أصبح كادرًا فذًا في صفوف الجهاد الإسلامي، وشهدت خليل الرحمن له بذلك. كما شهدت مواقعه التنظيمية بالظروف الصعبة والمؤثرة، إضافة إلى نظافة اليد، فهو قليل الكلام وكثير الصمت، ولكنه بالرغم من ذلك كثير الفعل، له في قلوب أهل الخير وخاصة شباب بلدة دورا مودة خاصة جدًا ترتقي إلى أعلى درجات الاحترام الدائم لما يتمتع به من كفاءة وخبرة ساعدته على تسطير تاريخه المشرف بأحرف من نور، تاركًا للأجيال هذا التاريخ لتستنير به.

حديث عن العمليات الاستشهادية

وهذا كله مكنه من أن يقف أمام جموع الطلبة في جامعة بوليتكنيك فلسطين يحدثهم عن أهمية وشرعية العمليات الاستشهادية، مذكرًا وواعظًا إياهم بأن المجاهد في سبيل الله في كثير من الحالات يكون بصدد عمل جهادي مقاوم وهو على يقين أو على شبه يقين أنه سيلقى فيه وبسببه حتفه، ولكنه لا يفعل أبدًا شيئًا ضد نفسه وبدنه وحياته وإنما عمله وقصده هو مقاومة عدوه، وفي سبيل ذلك قد يأتي مقتله وموته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [التوبة: 111]. لذلك أيها الطلبة الأعزاء اعلموا أن قوله تعالى: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ مفادها أن مشروعية الجهاد والقتال دفاعًا عن الإنسان وعن الأديان وعن الأوطان ومقاومة البغي والظلم والعدوان والطغيان؛ مقررة في التوراة والإنجيل والقرآن، فكل الكتب السماوية تقرر أن الله ارتضى لعباده هذا الجهاد وهذا القتال، وأنه يجزي عباده الشهداء على ذلك ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾، فمقاومة اليهود المعتدين والمحتلين والمغتصبين للأرض

والإنسان هو ما أكد عليه القرآن والانجيل والتوراة، لذلك فإن هذه العمليات الاستشهادية حينما يتم اللجوء إليها فهي مقاومة مشروعة لرد العدوان، وحينما ينخرط فيها الفتيان والشباب والشابات فقد علموا أن الظلم قد انتشر، ولابد للمجاهدين أن يبذلوا قصارى جهدهم لوقفه، فما كان من جموع الطلبة إلا الاستسلام والاذعان لما تكلم به المجاهد عرفات الزير.

التجنيد في صفوف سرايا القدس

بدأ في محطته الجديدة إلى جانب المجاهد أحمد الفقيه، ثم تم التعارف بينه وبين قائد سرايا القدس في بلدة دورا المجاهد ماجد أبو دوش، وجرى اتفاق بين المجاهد عرفات وبين المجاهد ماجد (أحمد) أبو دوش

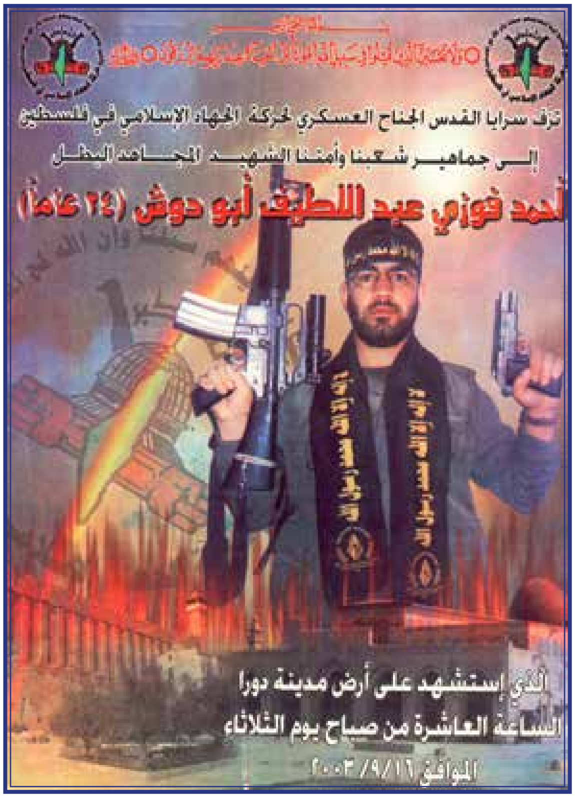

بأن يكون المجاهد أحمد الفقيه حلقة الوصل بين المجاهدين ويشرف على التنسيق في العمل بينهما، وحدد موعد الاجتماع بهدف إبقاء المجاهد عرفات الزير بأمن وأمان ويعمل في سرية تامة وبعيدًا عن متابعة وملاحقة العملاء الذين يترصدون للمجاهدين في كل مكان وكل زمان.

عملية لم تتم

وما أن جاء شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2002م حتى بدأ العمل العسكري الجدي للمجاهد عرفات الزير حين توجه المجاهد الاستشهادي دياب المحتسب إلى سرية المجاهد ماجد أبو دوش لمساعدته في تنفيذ عملية استشهادية في إحدى المستوطنات الصهيونية الموجودة حول بلدة دورا، ليقع اختيار المجاهد ماجد أبو دوش على مستوطنة "عتنائيل" ولكونها ملاصقة لقرية رابود بلدة المجاهد عرفات الزير، والذي قام بدوره بتصوير هذه المستوطنة بكل مداخلها ومخارجها ومناظرها ومنازلها وشوارعها وحتى الأماكن التي يجلسون بها، فعلم كل تفاصيل هذه المستوطنة وسلم المجاهد عرفات كل المعلومات والتفاصيل ليد المجاهد الكبير ماجد أبو دوش، والذي على أثر ذلك قرر في شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2002م إرسال الاستشهادي دياب المحتسب إلى موقع العملية؛ ليتفاجأ المجاهدون بأن الاستشهادي البطل دياب المحتسب مريض جدًا ولا يستطيع تنفيذ العملية مما أدى إلى تأجيلها، والتي لو قُدر لها أن تنفذ بواسطة إطلاق النار لكان لها وقع كبير على الصهاينة لكون الاستشهادي دياب المحتسب من أهم الأبطال في سرايا القدس الذين

يمتلكون الخبرة في استخدام السلاح وإطلاق النار، ومن القناصين في سرايا القدس.

مواصلة المشوار

ورغم ذلك فإن المجاهد عرفات استمر في نشاطه العسكري والجهادي محاولًا أن يوائم ما بين دراسته الجامعية وعمله في النشاطات الطلابية وبين نشاطه السري العسكري مع المجاهد ماجد أبو دوش وأبناء مجموعته لتتطور الأحداث وتتسارع في شهر 12 من العام 2002م ليقرر أبطال الجماعة الإسلامية أحمد الفقيه ومحمد شاهين من الذين كان لهم دور فاعل في حركة الجهاد الإسلامي ونشاطاتها المختلفة تنفيذ عملية استشهادية مشتركة في إحدى المستوطنات الصهيونية في بلدة دورا، حيث أراد المجاهد ماجد أبو دوش أن تكون العملية بواسطة إطلاق النار، وليس عبر المتفجرات كما كان يتمنى المجاهدان أحمد ومحمد حين كانت سرايا القدس في ذلك الوقت تمر بمرحلة صعبة في عملية تصنيع المتفجرات، لذلك تم تزويد المجاهدين محمد وأحمد بالسلاح والذخيرة والقنابل اليدوية ومقصات لقطع الأسلاك الشائكة، وتدريبهما على السلاح واستخدامه وكيفية إطلاق النار وكيفية ضرب القنابل اليدوية، وتعاون في ذلك المجاهدان ماجد أبو دوش والمجاهد منيف أبو عطوان ليأتي الدور الأبرز والأهم وهو دور المجاهد عرفات الزير الذي استطاع اصطحاب أخيه وصديقه ورفيق دربه المجاهد أحمد الفقيه إلى قرية رابود ليكونا قريبين من منطقة الحدود مع مستوطنة "عتنائيل" الصهيونية، وبدأ المجاهد عرفات باطلاع الاستشهادي البطل أحمد على كيفية الدخول إلى المستوطنة، وأين مداخلها ومخارجها؟ وأين المكان الذي يتجمع به قطعان المستوطنين؟ وما هي الأبراج الخاصة بالمراقبة؟ ومن أين يمكن أن تأتي التعزيزات الصهيونية؟ وما أن تم شرح كل صغيرة وكبيرة والإجابة على كافة أسئلة المجاهد أحمد الفقيه حتى أصبحت خطة العملية شبه جاهزة، وتم إبلاغ المجاهد ماجد أبو دوش بجهوزية الاستشهاديين، وكل تفاصيل الخطة أصبحت جاهزة، فقرر المجاهد ماجد أبو دوش أن يكون يوم 27/ 12/ 2002م هو يوم موعد تنفيذ العملية الاستشهادية لتكون ردًا مزلزلًا على اغتيال قائد سرايا القدس في بلدة قباطية المجاهد الشهيد القائد حمزة أبو الرب الذي تم اغتياله بتاريخ 26/ 12/ 2002، وحينها تم تجهيز كافة عناصر الخطة الجهادية لهذه العملية، وإبلاغ كافة المجاهدين بهذا الموعد وهم أحمد عايد الفقيه، ومحمد مصطفى الدرابيع (شاهين) وعرفات الزير ومنيف أبو عطوان، وبدأ التحرك لهذه العملية بعد صلاة الجمعة بساعتين في يوم 27/ 12/ 2002م فبدأ المجاهدان منيف أبو عطوان وماجد أبو دوش بإعداد مسار تنفيذ العملية، وانطلقا نحو الهدف باتجاه مستوطنة "عتنائيل" الصهيونية بواسطة سيارتين إحداهما يقودها المجاهد ماجد أبو دوش ومعه الاستشهاديان، وبعد جهد جهيد ومعيقات كبيرة صادفتهم أثناء الطريق تمكنوا بفضل الله من الوصول إلى النقطة المتفق عليها مع المجاهد عرفات الزير، والتي عبرها سيتم دخول الاستشهاديين أحمد ومحمد إلى داخل المستوطنة، وما أن خيم الظلام حتى بدأ المجاهدان الاستشهاديين أحمد ومحمد

يتوجهان إلى منطقة العبور إلى داخل المستوطنة، وأخذ يقومان بقطع الأسلاك الشائكة من حول المستوطنة لفتح ثغرة يتسللان من خلالها إلى داخل المستوطنة، وبدأ تقدمها نحو الهدف وقلباهما مليئان بالإيمان والشجاعة، لا يعرفان الجبن أو الخوف أو التراجع أو الانكسار، وشعارهما ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]؛ لأنهما شابان مجاهدان آمنا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا، فتقدما نحو المعركة وهما ينشدان:

كتبنا النصر من دمنا ... على أشلاء قتلانا

جعلنا من جماجمنا ... لشرع الله بنيانا

وبدأت المعركة بين المجاهدين أحمد ومحمد مع جموع الذئاب المتوحشة من الصهاينة الجبناء، واشتدت المعركة وحمي الوطيس، والتقيا وجهًا لوجه مع العدو الصهيوني، وأطلقا رصاصهم باتجاه الصهاينة المستوطنين فقتلا منهم وأصابوا الكثير، وتفرقا عن بعضهم بعضًا حيث توجه المجاهد محمد نحو المعهد الديني الذي تحصن فيه المستوطنون الهاربون من المعركة، وتوجه المجاهد أحمد نحو الجنود الصهاينة الذين سارعوا لإنقاذ المستوطنين، وبدأ رصاص المجاهدين يعلو صوته أكثر وأكثر، ومع كل زخة من الرصاص يُكبِّر المجاهد عرفات الزير، وهو يشاهد أحداث العملية من قرية رابود، ومع كل صوت قنبلة يدوية يسجد لله شكرًا، ولسان حال المجاهد عرفات يقول: "يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا".

ويستمر المجاهد عرفات بالتكبير والتهليل ويرفع يديه إلى السماء يناجي ربه: ربي خالقي ومولاي، إلهي إله المستضعفين أُنصر المجاهدين أحمد ومحمد، وسدد يا ربي رميهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، فيا رب ارمِ عنهما وخذ بأيديهما وانصرهما على هذا العدو المجرم. وبدأت أرواح المجاهدين بالتواصل فيما بينهما فروح المجاهد أحمد تخاطب روح أخيه المجاهد محمد وكلاهما يبعثان ببرقية عاجلة إلى روح المجاهد عرفات بأن يا عرفات أخبر من خلفنا بأننا ندافع عن الإسلام وعزة فلسطين، وأن الأرض كلها لنا، ولن يخمدوا صوت رصاصنا، فنحن قَدِمنا لمواجهتهم، لقد جئناهم لنقاتل.. كلنا نقاتل، رغم جرحنا، رغم القيود، سنقاتل، فها نحن أحمد ومحمد جئناكم يا

بني صهيوني بالسيف، بالقنابل، بالرصاص الحر بالشهيد، بالجهاد بالعنف بالمشاعل بالدم المسكوب للورود، وأطلق المجاهدان رصاصهما الأخير قبل أن يرتقيا شهيدين ليسيل دمهما في أنهار وينابيع فلسطين فيضانًا وطوفانًا من الأمل بالحرية والإنعتاق، وهما يختزنان في دمهما الطاهر ويطويان على القلب أحزان الأمة وفرحها وطموحها وحبها للموت والحياة، وكانت رسالتهما الأخيرة التي نقلتها روحاهما لروح صديقهما وحبيبهما المجاهد عرفات الزير أن يا عرفات عليك وعلى كافة المجاهدين في سرايا القدس أن يحملوا قرآنهم في قلوبهم، كما حمله شهداء الثورة الفلسطينية وحمله شهداء معركة مخيم جنين آية آية وسورة سورة، ولتمضوا في شوارع الوطن وقبضاتكم مشرعة وأيديكم على الزناد، فلا مجد ولا عزة إلا لمن يشحذون الآن أسلحتهم، فأي ملحمة هذه؟

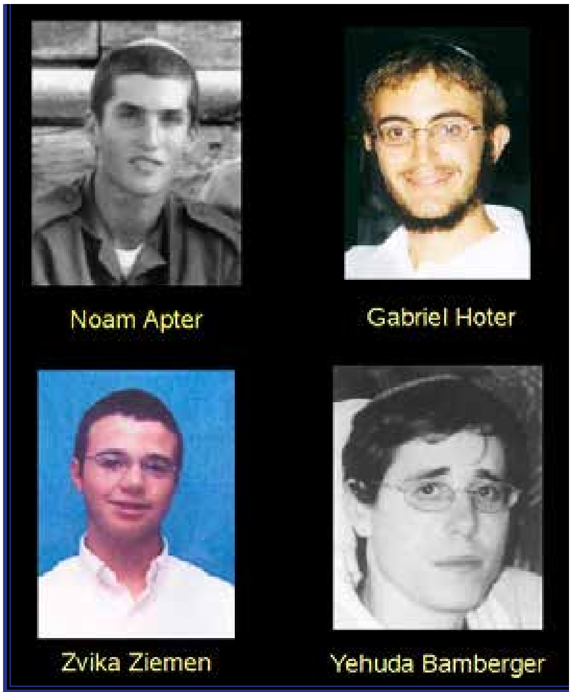

القتلى الصهاينة في عملية اقتحام مستوطنة "عتنائيل" بتاريخ 27/ 12/ 2002م

وأي بطولة هذه التي فارساها المجاهدان أحمد الفقيه ومحمد شاهين اللذان واجها العدو الصهيوني عدة ساعات محاصرين بجنود العدو الصهيوني؟ وحتى إن طائرات الأباتشي الصهيونية شاركت في ملاحقة المجاهدين، ولكن الجواب واضح فقد تحررت إرادة الأبطال أحمد ومحمد من الخوف والعجز والعبث وأوهام الواقعية فأذلا الصهاينة، فما كان حينها من المجاهد عرفات إلا أن يقول ما قاله الشاعر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

عملية لم تتم

أقبل المجاهد عرفات بعد هذه الملحمة الأسطورية على توسيع نشاطه الجهادي والعسكري إلى جانب المجاهدين في سرايا القدس وخاصة المجاهدين ماجد أبو دوش ومنيف أبو عطوان، وغيرهما من أبطال سرايا القدس من الذين قضوا نحبهم أو من الذين لا يزالون ينتظرون. واستطاع أن يستحوذ على ثقة ومحبة مجاهدي سرايا القدس وأبطال المقاومة في خليل الرحمن، وبدأ يُعد العدة لعملية جديدة لاستهداف إحدى الحافلات الصهيونية التي تقوم بنقل الجنود الصهاينة على خط 60 المار بين مستوطنة "عتنائيل" ومغتصبة "حاجاي" بالخليل، ولكن هذه العملية لم يُكتب لها النجاح لأسباب كثيرة، ومنها تغيير الحافلة لخط سيرها، بالإضافة إلى اختيار قادة سرايا القدس هدفًا آخر لتنفيذ العملية، وشعر حينها المجاهد عرفات بالحزن والألم لعدم إتمام العملية التي كان يود من

خلالها رؤية الجنود الصهاينة مجندلين ردًا على ما ارتكبوه من مجازر بحق الشعب الفلسطيني سواء في الضفة الغربية أو في قطاع غزة، فما كان من مجاهدي سرايا القدس إلا الثناء على المجاهد الكبير عرفات الزير وعلى أدائه وعمله في صفوف سرايا القدس، وطلب منه قادة وكوادر سرايا القدس حينها أخذ الحيطة والحذر ولاسيما تصاعد وتيرة الاعتقالات والاغتيالات في صفوف أبطال الانتفاضة الفلسطينية ومن كافة الفصائل، والتي كان آخرها اغتيال أحد أهم وأبرز قادة سرايا القدس في جنين الشهيد القائد صالح جرادات الذي تم اغتياله بتاريخ 12/ 06/ 2003م حيث كان ينظر قادة سرايا القدس إلى المجاهد عرفات الزير بأنه النموذج الجهادي للشباب المسلم، فكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم: "نُصرت بالشباب"، ولشدة حرصهم على أن يبقى المجاهد عرفات بأمن وأمان قاموا بتذكيره بالمجاهد الكبير عطا الزير والذي ولد في مدينة الخليل بالعام 1895م وكان شجاعًا وجريئًا ويتمتع بقوة جسمية كبيرة، حيث وقف هذا المجاهد الفذ في ليلة الإعدام وقبيل إعدامه بوقت قصير يستقبل الزائرين والمودعين ويشد من عزمهم ويرفع معنوياتهم وهو واقف يلبس بدلة الإعدام الحمراء، وقد قال لزائريه وأمَّن على قوله أخوه في البطولة والجهاد والشهادة محمد جمجوم: "نحمد الله على أننا نحن الذين لا أهمية لنا نذهب فداء الوطن"، لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم، فأيقن حينها المجاهد مغزى تمسك قادة سرايا القدس به وبأمثاله ومدى حرصهم على هؤلاء الأبطال.

اعتقاله والحكم عليه بـ 35 عامًا

الرياح تأتي بما لا يشتهي قادة سرايا القدس، وأن قدر الله إذا جاء لا يُرَد حيث استطاع جهاز الشاباك الصهيوني معرفة أن المجاهد عرفات الزير هو أحد كوادر وقادة سرايا القدس في بلدة دورا، وأن له علاقة بعملية "عتنائيل" فتم في يوم 28/ 06/ 2003م محاصرة منزله في قرية رابود؛ ليصبح هذا المجاهد أسيرًا لدى العدو الصهيوني الذي حكمت عليه المحكمة الصهيونية بحكمها الظالم 35 عامًا دون أن يهتز هذا المجاهد أو يكترث لهذا الحكم؛ لأنه على قناعة تامة بأن النصر وفجر الحرية آت لا محالة،

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة لعائلة الأسير المجاهد/ عرفات الزير

وأصبح حال المجاهد عرفات في داخل الأسر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "سجني خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة"، فأصر المجاهد عرفات على مواصلة درب الجهاد والمقاومة متحديًا ظلم السجن والسجان، ولكن هذه المرة بسلاح جديد هو أقوى من طائراتهم ودباباتهم وصواريخهم وحديدهم ورصاصهم،

إنـه سـلاح العلـم حيـث حصـل عـلى شـهادة دبلـوم في الخدمـة الاجتماعيـة، ثـم شـهادة بكالوريـوس في علـم التاريـخ مـن جامعـة الأقـصى، ولا يـزال عاكفًـا عـلى دراسـة بكالوريـوس آخـر في تخصـص التربيـة الإسـلامية في جامعـة القـدس المفتوحـة مما أفـاد بعلمـه وخبرتـه أبنـاء الجهـاد الإسـلامي في سـجون الاحتـلال الصهيـوني، لذلـك تـم تقديمـه وتكليفـه بالعمـل التنظيمـي ليرتقـي شـيئًا فشـيئًا إلى أن أصبـح عضـوًا في مجلـس الشـورى العـام للجهـاد الإسـلامي في سـجون الاحتـلال، وعـلى الرغـم مـن ذلـك لم يكـن ليتراجـع أو يتقاعـس عـن أي مهمـة تنظيميـة فشـارك في معظـم الإضرابـات عـن الطعـام، وخـاض إلى جانـب الأسرى والمعتقلـين المعركـة تلـو الأخـرى ضـد مصلحـة السـجون الصهيونيـة مـن أجـل رفعـة وعـزة وكرامـة الحركـة الأسـيرة ولا يـزال مجاهدنـا الكبـير يمسـك بخيـوط الشـمس علهـا تمـده بـدفء الوطـن الـذي ينتظـر حريـة أبنائـه مـن داخـل السـجون.

دولة فلسطين
وزارة التربية و التعليم العالي
جامعة الأقصى غزة

STATE OF PALESTINE
MINISTRY OF EDUCATION
AND HIGHER EDUCATION
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA

شهادة

CERTIFICATE

عرفات محمد عبدالحميد الزير

ARAFAT M. A. ELZEER

التاريخ

History

Faculty of Arts & Human Sciences

السلطة الوطنية الفلسطينية
وزارة شؤون الأسرى والمحررين
دائرة التعليم والتدريب

شهادة

تشهد وزارة شؤون الأسرى والمحررين
بأن الأسير /عرفات محمد عبدالحميد الزير
قد أنهى دورة تدريبية داخل (سجن رامون) بواقع (٣٠ ساعة) بعنوان
((اللغة العبرية "الكتاب الأول"))
في الفترة من ٢٠١٤/١٢/٩م حتى ٢٠١٥/٣/٩م بتقدير (جيد)

الأسير المجاهد

يوسف عطا ذياب حمدان

اختار طريق المقاومة، طريق العزة والكرامة

تاريخ الميلاد: 1971/09/13م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه 5 أبناء

مكان السكن: مدينة جنين – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2003/08/27م

الحكم: مؤبدان

لا توجد كلمات تعبر عن وجع رجل يشحن ذاكرته الزاخرة بكل معاني المعاناة، عاش تجارب السجون والانتفاضة الأولى، وكان له نصيب فيها وهو على مشارف العشرين من عمره، وعايش عمليات الإذلال والقهر اليومي بحق الشعب الفلسطيني وعمليات الولادة القسرية على الحواجز الصهيونية بعد منع سيارات الإسعاف من المرور، ومنع وصل الغذاء والدواء للناس المحاصرين، وعمليات الإعدام الميدانية، فولد لديه روحًا وطنية عالية.

الميلاد والنشأة

في جنين القسام أبصر المجاهد يوسف عطا ذياب حمدان النور في الثالث عشر من سبتمبر (أيلول) عام 1971م وهو نفس الشهر الذي اندلعت فيه شرارة انتفاضة الأقصى المباركة عام 2000م.

عاش مجاهدنا يوسف وسط عائلة تربت على حب الأرض والوطن، ونشأ وتعلم في جنين في المدرسة الابتدائية قرب التذكار الألماني، ثم في مدرسة حطين حتى الصف الخامس الابتدائي، واستمر في التعليم حتى بلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، وضحى بدراسته ومستقبله من أجل مساندة والده الذي عاش ظروفًا اقتصادية قاسية، علمًا أن

آخر ثلاث سنوات دراسة له كانت في السعودية في مدينة حائل أثناء وجوده مع والده هناك، لكنهم لم يتكيفوا مع الأوضاع، فقرروا العودة إلى وطنهم الأم فلسطين سنة 1986م، ثم عمل في مجال البناء مع والده داخل الأراضي المحتلة.

اندلعت الانتفاضة الأولى عام 1987م فقسم حياته بين العمل والنضال رغم عبء المسئوليات عليه تجاه عائلته. ولاقى معاناة شديدة من جراء ممارسات الاحتلال وخاصة في ظل فرض حظر التجول في ساعات الليل، وكان هذا وقت عودته من العمل فيضطر للمبيت في المخازن في شارع حيفا بمدينة جنين على أن يعرض حياته للخطر. وأحيانًا يصل البيت بعد الانتهاء من العمل في وقت متأخر من الليل بسبب عوائق وحواجز الاحتلال الصهيوني حتى وصل الأمر في محاولة التعرض له بأذى على أيدي عملاء الاحتلال أثناء مروره بمنطقتهم لولا لطف الله به، ولولا تدخل كبيرهم الذي أوعز إليهم بإخلاء سبيله لمعرفته التامة بأن المجاهد يوسف حسن السلوك مع جميع الناس على السواء، ولم يتعرض يومًا من الأيام لأحد، بل قام بالإيعاز لأخته لإيصاله إلى بيته، وكان والداه ينتظرانه خوفًا عليه من أن يناله أحد بسوء لا سمح الله. وفي إحدى الليالي تعرض للضرب المبرح والشبح على الجدران وتمزيق ملابسه أثناء الاستفراد به بعيدًا عن أعين الناس، وتوجيه الشتائم له وإجباره على تنظيف الشوارع من المتاريس وإزالة الشعارات الوطنية التي تزين الجدران، كل ذلك جرى تحت تهديد السلاح من قبل جنود الاحتلال الصهيوني.

اعتقاله الأول

تعرض المجاهد يوسف للاعتقال بتاريخ 01/ 01/ 1989م، أثناء عودته للبيت على يد جنود الاحتلال المتمركزين على سطح عمارة في جبل أبو ظهير لمراقبة نشطاء الانتفاضة من دون أن يقوم بأي عمل يضر بأمنهم، فقاموا بالاعتداء عليه مرة أخرى بالضرب المبرح بأعقاب البنادق واقتياده إلى مقر الإدارة المدنية الصهيونية في جنين في قسم الخيام. وعاش معاناة المعتقل في ظروف اعتقالية قاسية ابتداءً بالاعتداء على الأسرى بالضرب المبرح حتى تنزف الدماء من أجسادهم، ومنعهم من قضاء حاجتهم، وانتشار الفئران بينهم مما يتسبب بأذى نفسي وجسدي لهم، ومصدر قلق وإزعاج في نومهم وراحتهم، وكان جنود الاحتلال يتفننون في إيذائهم وإهانتهم والصراخ عليهم حتى أثناء العدد الذي يستمر فيه مسلسل الإذلال زهاء ثلاث ساعات.

تم اقتياد المجاهد يوسف إلى رحلة تحقيق قاسية وعذاب وضغط نفسي في مقاطعة جنين استمرت قرابة الشهر، ثم تنقل بين عدة سجون، منها سجن الفارعة سيء الصيت والسمعة نتيجة سوء معاملة الأسرى فيه، وعمل في مطبخ السجن مُسخرًا وقته في خدمة الأسرى، ثم نُقل إلى سجن النقب لتستمر معاناته في هذا السجن الصحراوي الذي يعاني فيه الأسرى من ظروف حياتية صعبة لا ترتقي للحد الأدنى من الحياة الإنسانية، وكثرة انتشار الحشرات الضارة فيه مما اضطره إلى خوض أول إضراب عن الطعام منذ اعتقاله مع إخوانه الأسرى ردًا على سياسة الاحتلال اللاإنسانية في

معاملة الأسرى الفلسطينيين، والمطالبة بتحسين ظروفهم الحياتية لترتقي إلى مستوى البشر، واستمر الإضراب سبعة عشر يومًا، والأنكى من ذلك تعرض الأسرى لكافة أشكال القمع والعقوبات المتمثلة بالاعتداء عليهم بالضرب المبرح بالهراوات والتركيز على المناطق العلوية من أجسادهم بهدف إلحاق إعاقات مستدامة لهم، ورشهم بالغاز المدمع وإطلاق الرصاص المطاطي عليهم، وإطلاق الكلاب البوليسية المسعورة لإرهابهم ونهش أجسادهم متفوقين بذلك على كل مدارس القمع والإرهاب عبر التاريخ.

استمرت حملة تنقلات المجاهد يوسف من سجن لآخر لإرهاقه، فكانت محطته الأخيرة في سجن مجدو، وحمل رقم الأسير (1714)، وتم تقديمه للمحاكمة في مقاطعة جنين، وأحضروا له جنودًا ليشهدوا ضده، والشهادة زائفة وظالمة بأنه اعتدى على أحدهم ضربًا، لكن تم تأجيل المحاكمة ومنع والديه من مشاهدته والتسليم عليه، بل اعتدوا عليه بالضرب أمامهما مما شكل لديه آلامًا كبيرة وجروحًا في نفسه لا تندمل. وحين رجع إلى السجن تفاجأ بإطلاق سراحه بعد قضائه أكثر من سبعة شهور، وكان ينتظر هذه اللحظة الجميلة التي زرعت في قلبه وأعماقه الأمل والنور والفرح إلا أن الفرح لن يطول في ظل الاحتلال، ففي منتصف ليلة رمضانية يخيم عليها جو بارد وماطر في شهر أبريل (نيسان) من عام 1991م، وما زال هذا اليوم محفورًا في ذاكرة المجاهد يوسف؛ انتزعته قوات الاحتلال من بين عائلته وهو نائم، فأيقظه الجنود المدججون بالسلاح واقتادوه مقيد اليدين ومعصوب العينين إلى زنازين التحقيق في مقاطعة جنين بعد أن أوسعوه ضربًا وتنكيلًا طوال الطريق وهو يسمع صرخات وبكاء إخوانه الصغار خوفًا عليه من بطش الاحتلال الذي عامله بوحشية تفوقت على كل الوحوش البشرية على مدار التاريخ.

اعتقاله الثاني

كانت التهمة التي وُجهت للمجاهد يوسف هي رجم بالحجارة وإلقاء الزجاجات الحارقة على جنود الاحتلال ووضع الحواجز والمتاريس أمام الدوريات الصهيونية، وتعرض لتحقيق عسكري قاس وعنيف، ومارسوا ضده كل أشكال التعذيب بعد تجريده من ملابسه الداخلية تمامًا، وأكثر من ذلك استخدام الصعقات الكهربائية في تعذيبه، واستمر على هذا الحال أسبوعًا من الزمن، وبعد مكوثه شهورًا في خيم مركز تحقيق جنين العسكري تم نقله إلى سجن الفارعة ومواصلة مسلسل العنف والإرهاب بحقه. ومن ثم الحكم عليه في مقاطعة جنين بالسجن عامًا واحدًا. وتم نقله مباشرة إلى سجن النقب الصحراوي في قسم يطلق عليه القفص المغلق. وعاصر العام 1992م الذي تساقطت فيه الثلوج بكثرة وكست الأرض بحلة بيضاء، وتم إضافة شهرين لحكمه لرفضه دفع الغرامة التي فرضت عليه، وأُفرج عنه بعد قضاء محكوميته البالغة أربعة عشر شهرًا في 01/ 06/ 1992م.

وما أن خرج من السجن حتى بدأ يبحث عن إكمال نصف دينه بالزواج، فتزوج

بتاريخ 17/01/1993م، ورُزق بطفلته الأولى في عام 1994م التي ملأت البيت فرحًا وسرورًا بعد سنوات عديدة من الألم والمعاناة من جراء الاحتلال، وفي تلك الفترة التي مضت على شعبنا مرحلة جديدة بعد الانتفاضة الأولى، وهي انخراط منظمة التحرير الفلسطينية بالمفاوضات مع الكيان الصهيوني، تُوجت باتفاق أوسلو المشئوم، وإنشاء السلطة الفلسطينية، فشعر المجاهد يوسف بنشوة عارمة تجتاح جسده حين علم بعودة رجال منظمة التحرير الفلسطينية إلى أرض الوطن، وبدأ يترقب عودتهم، وما أن وصلوا حتى هب مسرعًا لاستقبالهم والاحتفاء بهم معتقدًا بأنهم النواة الأولى لتأسيس الدولة الفلسطينية التي ناضل وضحى من أجلها إلى جانب أبناء شعبه، وكان ينتظر تحقيق هذا الحلم من أمد بعيد.

ابنة الأسير المجاهد/ يوسف حمدان
على موعد مع الحرية لوالدها

لكن النشوة التي انتابت المجاهد يوسف بدأت تبهت شيئًا فشيئًا، وتتغير نظرته لهم مع مرور الزمن حين رأى حالة الترف والبذخ والغنى الفاحش الذي طغى عليهم، وممارساتهم اللاإنسانية ضد رجال المقاومة الفلسطينية من اعتقالات واستجواب وتعذيب بسبب التنسيق الأمني مع الاحتلال، ومن هنا بدأت تظهر وتتكشف ملامح أوسلو وفحواه، وما كان يدور في دهاليز المفاوضات التي أساسها ملاحقة رجال المقاومة الفلسطينية ومنع عمليات المقاومة ضد الاحتلال، وتحقيق الأمن الكامل لهم دون أن يقابله تحقيق أمن المواطن الفلسطيني الذي يتعرض إلى حالة من التغول الاستيطاني وقضم الأرض الفلسطينية وإطلاق العنان لقطعان المستوطنين لممارسة أبشع الاعتداءات ضد المواطنين الفلسطينيين وأرضهم ومقدساتهم بحماية جنود الاحتلال دون أن ترف رمشة عين السلطة الفلسطينية لوقف العنجهية الصهيونية حتى شعر المجاهد يوسف بأن مقولة الشهيد القائد صلاح خلف (أبو إياد) تنطبق على أرض الواقع وهو يردد: "أخشى ما أخشاه أن تصبح الخيانة وجهة نظر"، حتى بات البعض يعتقد بأن ذلك مصلحة وطنية تخدم المواطن الفلسطيني، واستبدلت المفاهيم والمصطلحات بصور منمقة حتى غزت عقول كثير من الناس، فتحقق هدف الاحتلال بالغزو الفكري بعد الغزو العسكري، وبدأ أمثال هؤلاء يشعرون بدونية فلسطينيتهم ويمجدون اليهود وتنورهم.

انضمامه إلى حركة الجهاد الإسلامي

بدأت قناعات المجاهد يوسف تتغير، وأخذ يبحث عن تنظيم يلبي قناعاته وطموحاته،

ولما اندلعت شرارة انتفاضة الأقصى المباركة عام 2000م، وشاهد ارتكاب المجازر الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني لم يتوان لحظة واحدة في أداء واجبه الوطني فهب كالأسد الهصور يشارك في المظاهرات ضد الاحتلال، وبعد أن حمي وطيس الانتفاضة شعر بأنه لابد من ردع الاحتلال الذي يمارس كافة أشكال العنف والإرهاب المنظم بواسطة آلته التدميرية بحق شعبنا، ومحاصرته لكل مفاصل حياته حتى طال ذلك عائلته حين همت زوجته بوضع مولودته آية في 12/ 04/ 2002م، فلم يستطع الذهاب بها إلى المستشفى بسبب قصف الطائرات الصهيونية، ورصاص القناصة الذين يعتلون أسطح المنازل ويستهدفون كل كائن حي ومتحرك، فلم تنفع كل محاولاته لإنقاذ زوجته التي كانت تعاني من آلام المخاض. كما فشلت محاولة زوجة أخيه محمود لإحضار ممرضة تسكن قريبًا من البيت التي رفضت المخاطرة بحياتها، فانقطعت به السبل، وقام بإحضار العديد من نساء الجيران لتوليد زوجته، وكانت الساعة حينها الرابعة فجرًا لعل وعسى واحدة منهن تنجح في ذلك لكن دون جدوى، عندئذ قام بالطلب من والدته محاولة توليد زوجته وبذل كل الجهود لذلك في محاولة منه لإنقاذها من الوضع الخطير الذي آلت إليه بعد أن اشتدت عليها آلام المخاض، وضاقت عليها الأرض بما رحبت وانقطعت بها كافة السبل.

وما هي إلا نصف ساعة حتى وفقها الله ونجحت في إجراء عملية الولادة لزوجته، وخرجت ابنته آية إلى النور بهذه الظروف الصعبة والواقع المرير والمخاض العسير الذي شكل علامة بارزة على همجية الاحتلال والنيل منه والثأر لكرامته التي سلبها الاحتلال، وبات على قناعة تامة بأن طريق الجهاد هو فقط الذي يرد الكرامة والحقوق لأصحابها، وهو يوقف الصلف الصهيوني والزحف الاستيطاني القاتل، وهو ما يجعل الاحتلال يعيد حساباته كلها حين يفكر بارتكاب مجزرة أو إذلال فلسطيني أو تدنيس المقدسات.

انضم المجاهد يوسف إلى حركة الجهاد الإسلامي من خلال عمله كسائق أجرة، ومساعدته المطلوبين للاحتلال في تنقلاتهم، وبالتالي نسج علاقات اجتماعية وطيدة ومميزة معهم، ونال ثقتهم العالية؛ لأنه كان يتمتع بمصداقية قل نظيرها، فبدأ مشواره الجهادي حين تعرف على الشهيد القائد صالح جرادات من سيلة الحارثية بمحافظة جنين عن طريق صديق له.

الشهيد القائد/ صالح جرادات
استشهد بتاريخ 12/ 06/ 2003م

ومن ثم تعرف على المجاهدين نهار السعدي وأحمد الشيباني (العندليب) وأمجد عبيدي وغيرهم، وأصبح سائقًا لدى الشهيد القائد صالح جرادات يساعده في تنقلاته حيثما يشاء، ويرصد له ويتابع تحركات جيش الاحتلال ويبلغه عن ذلك لأخذ الاحتياطات اللازمة كونه مطلوبًا لهم وخشيته على حياته منهم من التعرض له بأي خطر لا قدر الله، كما قام بتقديم المساعدة للشهيد فادي جرادات وإبلاغ الشهيد القائد صالح بظروف محاصرة المجاهدين إياد جرادات ومحمد جرادات (الزطام) وأنس جرادات في جبل أبو ظهير واعتقالهم في عام 2003م، وذات يوم اصطحبه الشهيد القائد صالح جرادات للتصوير عند استوديو روزان، ثم عاد إلى بيت عمه أبو فادي، وبعدما استراح قليلًا طلب من المجاهد يوسف حمدان إيصاله إلى المجاهد أمجد العبيدي وبينما كان ينتظره بسيارته وقت غروب الشمس على مدخل مستشفى جنين إذا بخبر يتداوله الناس يسقط عليه كالصاعقة باغتيال الشهيدين صالح وفادي جرادات بتاريخ 12/ 06/ 2003م.

لم يصدق الخبر، فأراد ي التأكد منه فقاد سيارته بسرعة مذهلة حتى وصل إلى منزل والد الشهيد فادي جرادات، وهناك ثبت ما سمعه وشاهد دماء الشهيدين تغطي الأرض، ورأى الاستشهادية هنادي جرادات خطيبة الشهيد صالح جرادات تبكيه وهي تحدث المجاهد يوسف عن مجريات عملية الاغتيال التي وقعت أمام عينيها حين رأت الجنود الصهاينة يطلقون رصاصهم الغادر بشكل مباشر على رؤوس الشهيدين وأجسادهم حتى ارتقيا لاحقين بركب من سبقهم من النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا.

كانت الاستشهادية المحامية هنادي جرادات في حالة ذهول وصدمة من هول ما شاهدته وهي تعتصر ألمًا على فراقه، فلم يتمالك المجاهد يوسف نفسه من حبس دموعه حتى فاضت حزنًا على الشهيدين والاستشهادية هنادي،

ومنذ ذلك اليوم لم تنعم هنادي بالفرح حتى انتقمت لأخيها وخطيبها وللشهداء في عملية مكسيم الشهيرة بتاريخ 04/ 10/ 2003م، والتي صرعت فيها 23 صهيونيًا وأصيب عشرات الجرحى.

وفي اليوم التالي من يوم الجمعة شيعت جماهير غفيرة في محافظة جنين وقراها ومخيمها الشهيد صالح جرادات إلى مثواه الأخير في مقبرة بلدة سيلة الحارثية، والشهيد فادي جرادات في مقبرة الحارة الشرقية من جنين، وبعد ستة أيام من استشهاد صالح وفادي جرادات طلب المجاهد أمجد العبيدي من المجاهدين يوسف أبو العطا ونهار السعدي توصيل الاستشهادي أحمد عباهرة من بلدة اليامون إلى قرية جلبون، فوصلا الموقع بسلام، وكان بانتظارهما شابان في وقت الغروب لإيصال الاستشهادي إلى موقع العملية في بيسان. وحين اعتقل المجاهد يوسف تبين له بأن أحدهم هو المجاهد الأسير إياد أبو الرب.

وتجاذب المجاهد يوسف مع الاستشهادي أطراف الحديث سائلًا إياه إن كان خائفًا، فتفاجأ من إجابته التي أظهرت له قوة عزيمته وإرادته وإقدامه على الشهادة وطموحه بأن يقتل أكبر عدد ممكن من العدو الصهيوني الذي ما برح يقتل الأطفال والنساء والمقعدين والشيوخ من أبناء شعبنا، ويغتصب الأرض ويدنس المقدسات وينهب المياه ويعيث الفساد في الأرض، تلك هي قصة لا تزال عالقة في ذاكرته، وفي اليوم التالي تواردت وكالات الأنباء خبر العملية الاستشهادية التي قتل فيها صهيوني واحد، تبين أنه من القريبين للسفاح الهالك أرئيل شارون وكانت العملية بتاريخ 19/ 06/ 2003م.

وبعد شهرين طلب المجاهد أمجد العبيدي توصيل شابين على حاجز باقة، أحدهما من قرية صانور وينتمي لحركة الجهاد الإسلامي، والآخر من بلدة جبع بمحافظة جنين، وينتمي لحركة

الاستشهادي/ أحمد عباهرة
استشهد بتاريخ 19/ 06/ 2003م

حماس للقيام بعملية مشتركة، ولم يتردد المجاهد يوسف بالاستجابة له، وكان يرافقه سيارة أخرى يقودها السائق هاني أبو الشاكر برفقة مراد وإبراهيم حوشية، وبانتظارهم سيارة أخرى إلى داخل أراضينا المحتلة عام 1948م.

وأثناء عودة المجاهدين بعد القيام بمهمة توصيل الاستشهاديين بنجاح اعترضتهم قوات خاصة صهيونية، فتم اعتقال المجاهدين هاني أبو الشاكر ومراد حوشية وإبراهيم حوشية، أما المجاهد يوسف الذي كان يقود سيارة أخرى فتمكن من الإفلات منهم وكتب الله له النجاة. وشاهد أثناء سيره آثار الخراب الذي حل بالسيارتين اللتين اعتقل منهما المجاهدين. وفور عودته إلى جنين أبلغ المجاهد أمجد بتفاصيل ما جرى، وحينها طلب منه أمجد الانتباه من العدو وأخذ الحيطة والحذر؛ لأن أمره قد كشف، واستمر في تقديم العون والمساعدة

للمجاهدين وتوسيع دائرة علاقاته معهم، ومنهم الشهيد القائد الميداني في سرايا القدس عبد القادر الدعمة من طولكرم، وكان مطلوبًا لقوات الاحتلال الصهيوني مما جعله أكثر يقظة وانتباهًا من مراقبة ومتابعة الاحتلال وعملائه له.

اعتقاله والحكم عليه

لقد كان المجاهد يوسف يدرك بأن اختيار طريق المقاومة، طريق العزة والكرامة لابد له من ضريبة، فهذه الطريق مضرجة بالدماء ومحفوفة بالأشواك، وهو على استعداد لدفعها من أجل دينه وشعبه، ففي يوم الأربعاء بتاريخ 27/ 08/ 2003م، وبينما كان في البيت في الساعة الرابعة فجرًا إذا به يستيقظ على صوت طرقات على الباب، فحدثته نفسه بأنه المستهدف من ذلك، وفجأة اقتحم عشرات الجنود المدججين بالسلاح المنزل بوحشية وهم يصوبون بنادقهم على ذلك الأسد الذي شكل كابوسًا لهم في منامهم وصحوهم. وحاول الإفلات منهم إلا أنه وجد المنطقة مطوقة من جميع الجهات، فاستقر مكانه، وجمعوا عددًا كبيرًا من الجيران ووضعوهم كدروع بشرية في بيتهم، وتم انتزاعه من بين أهله، واقتياده مكبل اليدين ومعصوب العينين، واستولوا على سيارته وسيارة أخيه عمار، وأوصلوه إلى معسكر قرب حاجز الجلمة وربطوه في العامود قرابة ساعة من الزمن، ثم اقتياده إلى معسكر سالم، وبقي هناك قرابة أربع ساعات، وكان يتواجد في المعسكر عدد آخر من المعتقلين عُرف منهم الأسير المحرر مطيع أبو هزيم، ثم تم اقتياده إلى زنازين التحقيق في الجلمة، وعلى مدار أربعة شهور عاش رحلة تحقيق قاسية وعذاب وضغط نفسي، تم نقله خلالها إلى العصافير (العملاء) في سجن مجدو عشرين يومًا، وكان يتواجد معه في تحقيق الجلمة الشيخ بسام السعدي أحد أبرز قادة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية في زنزانة 18.

وبينما كان في زنزانة رقم 14 فإذا به يسمع خبرًا من خلال الأسرى الجدد بوقوع عملية استشهادية في مطعم "مكسيم" والمنفذة هنادي جرادات، فاستعاد شريط الأحداث بعد استشهاد خطيبها الشهيد القائد صالح جرادات، ومدى تأثرها بفراقه، وسمع صرخات الشيخ بسام السعدي وهو يئن من الألم نتيجة الضرب المبرح الذي تعرض له انتقامًا منه على العملية حسبما ذكروا له.

وفي هذه الفترة تم اعتقال المجاهدين المسئولين عن العملية، وهم سامي جرادات وأمجد العبيدي.

وبعد الانتهاء من فترة التحقيق تم تحويله إلى سجن جلبوع، ثم تنقل لعدة سجون، وحُكم عليه في السجن بمؤبدين وذلك في تاريخ 19/ 09/ 2005م. ليبدأ محطة جديدة من محطات حياته، ولم ينل ذلك من عزيمته ومعنوياته، بل تحدى الظروف القاسية بالعلم والرياضة، فبعدما قدم امتحان التوجيهي بنجاح، انتسب إلى جامعة الأقصى في غزة تخصص علم التاريخ للحصول على شهادة البكالوريوس، وهذه كانت إحدى أمنياته التي حققها الله له، ثم حصل على شهادة الماجستير المهني من جامعة القاهرة في العام 2018م.

وشاء القدر أن تتوفى والدته وهو في السجن في شهر مايو (أيار) من عام 2008م، وآلمه فراقها وتأثر بوفاتها، وما زالت ذكراها وكلماتها لا تغيب عنه لحظة، فهي من ربته وعلمته وصنعت منه رجلًا يذود عن المقدسات كلما نادى منادٍ للجهاد، وهي من زرعت في أعماقه الأمل والنور والفرح، ولكنها رحلت عنه وهو بعيد عنها، ورغم ألمه الذي لا يتوقف على فراقها إلا أن الله تعالى أكرمه بالصبر على ذلك المحتل الذي يحاول دومًا قهر الأسير الفلسطيني والنيل من معنوياته.

الأسير المجاهد

حسام عدنان توفيق عابد

في كل جزء من اسمه له نصيب

تاريخ الميلاد: 1980/03/01م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: قرية كفر دان – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2003/09/25م

الحكم: 3مؤبدات و50 عاماً

هناك أناس يكتبون التاريخ بما اشتمل عليه من أحوال الأمم والشعوب والأحداث وتقلبات الزمان، وبالمقابل هنالك أناس يصنعون التاريخ بما يُخلدون من أعمال جليلة وآثار عظيمة حميدة، فيدخلون التاريخ ويصبحون هم مادة لكتابة التاريخ، وحديثنا اليوم عن أحد هؤلاء الأبطال من مجاهدي سرايا القدس في الضفة الغربية ممن اكتست أعمارهم بسنين من الألم والقهر، ولكنه لم يفقد الأمل فكان ولا زال وسيبقي يحلم بأن يرى جيلًا يُخلد من أشعلوا الفتيل، جيلًا يعشق ويقدس الماضي الذي يعتبر الحاضر امتدادًا له، وعلى الرغم من عذابات السنين ولوعة الحرمان لا يزال مجاهدنا البطل ينتظر موعدًا يحلم به منذ سنين، ألا وهو موعد الحرية والانعتاق من سجون العدو الصهيوني، وهو على يقين بأن آخر هذا النفق بقعة ضوء باعثة للأمل. حديثنا اليوم عن المجاهد حسام عدنان توفيق عابد.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد حسام عابد فوق ثرى أرض جنين القسام في قرية كفر دان التي يعني اسمها قرية القاضي أو الحاكم، وتقع للغرب من مدينة جنين بانحراف إلى الشمال وعلى مسافة كيلومترين منها،

وعلى سفح أحد الجبال المطلة على الأراضي المحتلة عام 1948م، فحين تُلقي نظرة أمامك ترى سهل مرج بن عامر بزرعه الأخضر وبشجره المثمر، وحين تجلس مرة أخرى ترى في الأفق العفولة وصندلة ومسلية والعديد من مدننا وقرانا المحتلة. في هذه البلدة الزراعية ذات التربة الخصبة والمياه العذبة والآبار الارتوازية التي نسجت خيوطًا سحرية من داخل الأرض لتتواصل مع طبريا علها ترتوي من مياهها العذبة؛ في هذه البلد نشأ المجاهد حسام، وفي أرضها تجذر، ومن دمائها ارتوى ليحمل في صدره قلبًا هو أكثر عذوبة ورقة من جدول رقراق من جداول طبرية التي شهدت أحداثًا تاريخية جسيمة على مَرّ التاريخ. فعلى ضفاف طبريا وقف التاريخ يومًا ليحيي صلاح الدين الأيوبي، ووقف التاريخ مستهزئًا من كل الجبابرة والطغاة والظالمين والمغتصبين الذين مروا على هذه الأرض فلفظتهم، فكان مصيرهم إلى مزبلة التاريخ، وكذلك سيكون مصير الصهاينة بإذن الله عز وجل.

ذكريات الطفولة وصفائها

على هذه الأرض ولد المجاهد حسام وعليها نشأ وترعرع في أسرة فلسطينية مكافحة مناضلة وفي بيئة وطنية، فلم تكن طفولة المجاهد حسام طفولة عادية كما بقية أطفال العالم، كانت طفولة مظلومة مقهورة ومعذبة كيف لا وقد ولد هذا المجاهد في العام 1980م؟ هذا العام الذي أعلن فيه الكيان الصهيوني ضم مدينة القدس لتصبح العاصمة الأبدية للكيان الصهيوني، فكانت طفولته منذ البداية تعبر عن ميلاد مأساة شعب جديدة إضافة إلى مأساة ونكبة وهزيمة الأعوام 1948م، 1967م. ولذلك لم تكن هذه الطفولة إحدى محطات حياة المجاهد حسام، بل كانت وطنه، وفي وطن الطفولة كان يشعر بالحرمان والخوف من المستقبل، ولما بدأت استفسر من المجاهد حسام أكثر فأكثر عن طفولته، شعرنا أنا غمرناه بفيض من التأملات قد أعادته إلى صفو الطفولة الأولى وأخرجته من واقعه الحالي داخل سجون الاحتلال الصهيوني إلى واقع آخر عاشه في زمن مضى شعر فيه بألفة كاملة معه. وفي لحظة هدوء برز أمام عينيه شريط مليء بالأحداث بصور خاطفة كثيرة تتلاحق صورة تلو الأخرى، مزدحمة بالمشاعر تكاد تكون كلها لأمه وأبيه وإخوانه وأخواته، فاستسلم لحظتها لذكرى أيامهم بشوق هائج، فلم يتمالك نفسه من شدة التأثر، فإذا به يقول لنا وبصراحة: أنني أتمنى أن أعود إلى بيت عائلتي وأهلي وأعود إلى أيام طفولتي، فأنسى أنني أبلغ من العمر 38 عامًا، وأعيد تراكيب أمسي مترعًا بكل ما مضى، بفيض مشاهد كثيرة مؤثرة عشتها في صغري، واسترجعها مع تشكيلات صور أخرى كثيرة متشابكة لأسرتي الغالية، فما أجمل الإنسان وهو يتذكر طفولته رغم المعاناة والألم. تلك العائلة التي رافقت مجاهدنا الحبيب حسام عابد ليعيش حياته في تلك الظروف لينشأ ويترعرع في أحضانها ليمر العام تلو العام إلى أن أصبح عمره ثماني سنوات، فكانت الانتفاضة الفلسطينية الأولى والتي امتدت إلى كل بقاع الوطن الفلسطيني دفاعًا عن الحق التاريخي الفلسطيني، ووفاءً للمقدسات، ودفاعًا عن الأرض المغتصبة فقدمت التضحيات وارتقى مئات الشهداء وأصيب

الآلاف واعتقل عشرات الآلاف، ولم تسلم العائلات الفلسطينية والبيوت الفلسطينية من الاعتداءات الصهيونية حتى نالت عائلة المجاهد حسام عابد نصيبها من المضايقات الصهيونية حيث كانت منازل العائلة عرضة للمداهمات المتكررة بحثًا عن أعمام المجاهد حسام وخاصة عمه نعمان الذي كان ينتمي إلى مجموعات الفهد الأسود التابعة لحركة فتح إلى جانب إخوانه في المجموعة محمد السعدي (أبو السعيد) وباسم صبيحات وعوض البرقيني وقدري الياموني وغيرهم من أبطال المقاومة الفلسطينية، فكانت تلك الحوادث قد ترسخت في ذاكرة المجاهد حسام لتتبلور لديه مفاهيم جديدة حول الثورة الفلسطينية وشراسة العدو الصهيوني وضرورة حمل السلاح، هذا السلاح الذي بقي المجاهد حسام لفترة طويلة يرسم في ذاكرته منظرًا للفدائي الفلسطيني وهو يحمل الرشاش بيده لمقاتلة العدو الصهيوني، فكانت ولا تزال ذاكرته مليئة بالأحداث الجسام.

بطولة مؤثرة

لا يزال المجاهد حسام يذكر ذلك اليوم الذي استشهد فيه ابن بلدته (كفر دان) الشهيد نامق ملحم في العام 1988م حيث بكى أكثر من سبعة آلاف ساروا في مسيرة وداعه، وخاصة عندما وقفت زوجة الشهيد نامق في مقدمة المسيرة، وحملت علم فلسطين وأخذت تزغرد لزوجها الشهيد الأب لأربع بنات، هذا الشهيد الذي لبى نداء الواجب حين سمع بنبأ اقتحام الجيش الصهيوني لبلد كفر دان، فخرج مع جموع الناس ووقف وقفة الأبطال بإيمانه العميق، فأبى أن يرى أقدام المحتلين تدوس كرامة التراب الذي استشهد عليه عمه، وسقاه والده من جرحه في حرب عام 1948م، وكان المجاهد حسام إلى جانب تلك الجموع التي شاركت في تشييع جثمان الشهيد نامق كما بقية الأطفال في القرية، يهتف كما يهتفون: "بالروح بالدم نفديك يا شهيد، ولا إله إلا الله، والشهيد حبيب الله، ولا تهتموا أبو كرم ضحى بدمه".

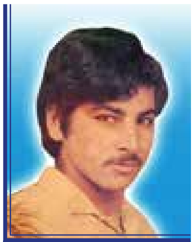
الشهيد البطل/ نامق ملحم
استشهد بتاريخ 20/ 03/ 1988م

فلم يكن المجاهد حسام لينسى تلك الأحداث التي من خلالها علم أن هذا العدو لا يفهم سوى لغة واحدة هي لغة القوة، لغة الدم، لغة المواجهة، ولغة التحدي والصمود. وهذا كله لم يكن ليتعلمه المجاهد حسام من المدرسة في كفر دان والتي في أغلب الأحيان ونتيجة لشراسة الاحتلال كانت عادة تتعرض إما للاقتحامات الصهيونية أو للإغلاق ولفترات طويلة. واستمرت الأوضاع على شاكلتها إلى أن أخذت منظمة التحرير الفلسطينية قرارها بالموافقة على الدخول في العملية السلمية مع العدو الصهيوني، وبرعاية الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى اتفاق أوسلو في العام 1993م والذي من خلاله يتم السماح بإقامة السلطة الفلسطينية على الأرض التي يتم انسحاب العدو الصهيوني منها ليكون العام 1996م بالنسبة للمجاهد حسام عابد مميزًا كونه العام الذي دخلت فيه السلطة الفلسطينية إلى مقر المقاطعة في مدينة جنين بعد انسحاب العدو الصهيوني منها، فكما

بقية شباب جنين وأهل جنين خرجوا بعشرات الآلاف لاستقبال السلطة الفلسطينية ظانين بها الخير الكثير في ذلك الوقت، وبدخول السلطة الفلسطينية إلى الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة جاءت مصحوبة بنشاط اقتصادي وحالة من الأمن والأمان والاستثمار والهدوء النسبي، ولذلك قرر المجاهد حسام عابد ترك الدراسة في فترة التوجيهي والاتجاه نحو العمل. فدار نقاش وحوار مع والده الذي يدفع باتجاه التعليم وبكل قوة، وبعد نقاش حاد خرج الحوار بنتيجة هامة مفادها أن والد حسام على استعداد تام أن يساعد ولده بإكمال تعليمه المدرسي والجامعي، ولكن لا يستطيع مساعدة المجاهد حسام في مطلبه وهو الزواج، وإن أراد ذلك فعليه أن يكون عصاميًا ويعتمد على ساعديه، فكان قرار المجاهد هو الخيار الثاني، فعكف على العمل ليلًا ونهارًا في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م وركز على العمل في المطاعم الصهيونية لخبرته الطويلة في هذا المجال، واستطاع إضافة إلى عمله في الداخل المحتل التعرف على مدن وقرى فلسطين المحتلة عام 1948م وأتقن اللغة العبرية بشكل جيد ليفهم كيف يفكر هذا العدو.

الانتفاضة تبعث من جديد

وما هي إلا سنتان أو ثلاث حتى اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة رفضًا لزيارة شارون إلى الحرم القدسي، ورفضًا للتخلي والتنازل عن مدينة القدس في "كامب ديفيد" الثانية كما أراد الأمريكان والصهاينة، وانتقلت الانتفاضة الفلسطينية من العمل الجماهيري السلمي إلى طور عسكرة الانتفاضة الفلسطينية لتواجه بكل قوة من قبل الجيش الصهيوني من أجل إخماد هذه الثورة الوليدة. فما كان من المجاهد حسام وتحت ضغط من عائلته إلا التوقف عن العمل في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م والبحث عن عمل جديد في مدينة جنين ليحظى بالفعل بوظيفة في أحد المطاعم في مدينة جنين في مطلع العام 2002 ليتمكن من خلال هذا المطعم من نسج علاقات اجتماعية ووطنية مع كافة القطاعات الشبابية والتنظيمية، فكان المطعم مقصدًا لشباب الانتفاضة الفلسطينية، وأصبح المجاهد حسام يراقب أحداث الانتفاضة الفلسطينية أولًا بأول في وسط سجالات ونقاشات حول جدوى هذه الانتفاضة، وفي ظل ادعاءات بأن هذه الانتفاضة ستنتهي خلال أشهر محدودة، وكل فصيل له رأيه وكل مفكر له رأيه وخاصة المفكر الفلسطيني عزمي بشارة الذي قال بأنه عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية كانت بعض الفصائل متشككة في البداية وفي مقدمتها حركة حماس، فكانت تعتقد أن هذه الانتفاضة لم تأت من أجل التحرير، بل جاءت لتحريك المفاوضات ومناورة من قبل ياسر عرفات لإجبار المفاوض الصهيوني والأمريكي على تقديم المزيد من التنازلات لصالح السلطة الفلسطينية، فهكذا كانت القناعات لدى العديد من أبناء الشعب الفلسطيني، ومنهم المجاهد حسام عابد لتتبدد تلك التكهنات والتخمينات، وتلك التصريحات عندما أقدم العدو الصهيوني على اجتياح الضفة الغربية عبر عملية أسماها بعملية "السور الواقي" والتي من خلالها ارتكب مجزرة بشعة في مخيم جنين راح

ضحيتها عشرات الشهداء وأُصيب المئات، واُعتقل معظم قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية، وما أن رفع الحصار عن مدينة جنين ووضعت الحرب أوزارها حتى هبت جماهير مدينة جنين وقراها وتوجهت إلى مخيم جنين ليرى المجاهد حسام عابد وبقية الناس هول الكارثة التي حلت بمخيم جنين وكأن زلزالًا مدمرًا قد أصابه، فلم يعد هناك بيت إلا وتم تدميره بالكامل أو بشكل جزئي، ورائحة الموت تنتشر في كل مكان، فبدأ المجاهد حسام عابد بالقيام بجولة في مخيم جنين لرؤية الموقع الذي دارت فيه المعارك وأين استشهد جنرال فلسطين محمود طوالبة،

الشهيد القائد/ رياض بدير
استشهد بتاريخ 11/ 04/ 2002م

وأين كان الكمين الذي من خلاله تم قتل ثلاثة عشر جنديًا صهيونيًا، وبينما هو ماضٍ في جولته إذ بخبر يقول بأن الطواقم الطبية تحاول انتشال إحدى الجثث من تحت الأنقاض، فتوجه المجاهد حسام إلى ذلك الموقع ليجد مشهدًا عظيمًا لا يزال محفورًا في ذاكرته، وهو إخراج إحدى الجثث من تحت الأنقاض، وكانت هذه جثة الشهيد رياض بدير شيخ المجاهدين وشيخ شهداء مخيم جنين الذي كان يمسك بيده سلاحه من نوع (M16) الذي اشتراه من ماله الخاص بعد أن باع سيارته وصيغة (ذهب) زوجته، وتوجه إلى مخيم جنين لنصرة المجاهدين في هذه المعركة، يحمل في يده الأخرى مصحفه الذي كان يرتل من خلاله آيات الرحمن: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: 23].وكان قد أصيب في رجليه إصابة مباشرة من طائرات العدو الصهيوني، فما كان من المجاهد حسام بعد رؤيته لهذا المشهد إلا أن يقول ما أجمل هذه الشهادة، وهنيئًا له الجنة، وصدق في هذا الشهيد قول الشاعر:

وإذا كانت النُّفوسُ كِبارًا
تَعِبَت في مُرادِها الأجسامُ

فأدرك هناك المعنى الحقيقي للجنة، ولماذا يتسابق إليها أبطال سرايا القدس، كيف لا يدرك ذلك وهي مطلب كل مؤمن ومسلم في هذا العالم، نعم إنها الجنة وهي أنشودة الصالحين على مَرّ الزمان وترنيمة المتقين يدندنونها عبر الأجيال، عطرها النفاذ له عبيره الخاص وعبقه الذي لا

يقاوم. استنشقه عمير بن الحمام رضي الله عنه فلم يُطق الانتظار، رأى قطار الشهادة مسرعًا نحوها، فخاف أن يفوته، فألقى كل التمرات من يده وركب في أول قاطرة، واستنشقه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يوم مؤتة فانطلق يغني لها: يا حبذا الجنة واقترابها، ثم جاد لها بدمه، واستنشقه سعد بن خيثمة رضي الله عنه في معركة بدر فما آثر به أباه الذي رباه؛لأن الجنة ليست مما يسري عليها قانون الإيثار قائلًا: والله لو كانت غير الجنة لأثرتك بها، الشوق غامر والحب جارف والصبر نفد، فمتى نلقى الأحبة محمدًا وصحبه؟ فقال الشاعر:

أَرى البَينَ يَشكوهُ المُحِبونَ كُلُّهُم
فَيا رَبُّ قَرِّب دارَ كُلِّ حَبيبِ

بداية المشوار الجهادي

وغادر المجاهد حسام عابد مخيم جنين كأنه نسي روحه هناك، فلم تكن صورة الأحداث تمر أمام عينيه دون أن يفكر بها ساعات وساعات. وفي ذات يوم وهو متواجد في داخل المطعم إذا بالأخبار تتناول ما مفاده وقوع عملية استشهادية في مفرق مجدو بتاريخ 05/ 06/ 2002م، وأن هناك عددًا كبيرًا من القتلى والجرحى ليبدأ المتواجدين في داخل المطعم يتحدثون عن هذه العملية وعن ضخامتها وقوة المتفجرات المستخدمة في العملية وكأنهم خبراء في التحليل العسكري والسياسي، فمنهم من رجح أن هذه العملية لحركة حماس لقوة الانفجار الذي حدث، ومنهم رجح أنها لحزب الله ردًا على اجتياح الضفة الغربية، وعدد منهم، ولكنه قليل رجح أن هذه العملية لحركة الجهاد الإسلامي.

وما هي إلا سويعات حتى أعلنت سرايا القدس بأن هذه العملية الاستشهادية في مفرق مجدو تأتي كرد أولي على جريمة العدو الصهيوني في مجزرة مخيم جنين وأنها لن تكون الأخيرة، وأن منفذ العملية هو المجاهد حمزة سمودي من مدينة جنين، فما كان من المجاهد حسام عابد إلا أن يعبر عن فرحه وسروره لهذه العملية ولاسيما أنها جاءت ردًا على مجزرة مخيم جنين التي لم يكن للمجاهد حسام أن ينسى ما رآه فيه من دمار وخراب لا يوصف. وهنا بدأ المجاهد حسام يعيد التفكير في مسألة مشاركته أو عدمها في انتفاضة الأقصى ولاسيما أنه أيقن أن هذه الانتفاضة الفلسطينية مستمرة وأن هذه التضحيات الجسام قد آتت أكلها. وبدأت أفكاره تتغير شيئًا فشيئًا حيث بدأ في محاولة حمل السلاح والتدرب عليه عبر أحد أصدقائه في مدينة جنين ممن كان قد نسج معهم علاقات اجتماعية ووطنية وطيدة، وما أن حمل السلاح وبدأ بالتدريب حتى عادت به الذاكرة إلى أيام خلت منذ سنوات عندما كان يرى مجموعات الفهد الأسود وهم يحملون السلاح، وكيف أنه حاول أن يأخذ سلاح عمه نعمان المطارد، ولكنه سرعان ما اكتشف أمره ولا يزال يتذكر يوم أن قرر صناعة المواسير وهي أشبه بعمل المسدس، وقد استطاع أن يصنع ثلاث مواسير جاهزة لإطلاق النار ولم يعرف أين يمكنه أن يخفيها بعيدًا عن والده، فنظر أمامه وإذا بعدد من شوالات الجفت أو ما يُسمى من بقايا الزيتون، فخبأ هذه المواسير في أحد الشوالات، وما هي إلا أيام حتى قام والد المجاهد حسام ببيع أحد الشوالات لإحدى جاراتهم، وكان الشوال الموجود به المواسير

هو الذي تم بيعه إلى هذه الجارة، فما كان منها بعد رؤيتها للمواسير إلا إغلاق الشوال والعودة به إلى والد حسام لتخبره ما رأته في الشوال، فعلم والد حسام أن هذه الفعلة لا يمكن أن يقوم بها أحد سوى ولده حسام الذي اعترف بفعلته ونال نصيبه من العقاب. فما كان من حسام بعد تذكره للماضي إلا أن يقول: ما أشبه اليوم بالأمس! وكانت أيامًا جميلة بالنسبة إليه إلا أنها أجمل وهو يحمل السلاح الذي يريد أن يستخدمه متى يريد ويطلق النار منه كيفما يريد، ولكنه لا يزال حاسمًا أمره بعدم استخدامه ضد العدو الصهيوني؛ لأن الفرصة لم تأت بعد، وما هي إلا أشهر حتى أعلنت سرايا القدس

الشهيد القائد/ إياد صوالحة
استشهد بتاريخ 09/ 11/ 2002م

مسؤوليتها عن العملية الاستشهادية التي وقعت في 21/ 10/ 2002م في مفرق كركور والتي أدت إلى مقتل أربعة عشر جنديًا صهيونيًا وإصابة العشرات، لتبدأ القوات الصهيونية باجتياح كبير لمدينة جنين مستخدمين هذه المرة آلية عسكرية محصنة بالإضافة إلى إحضار سيارة كبيرة متخصصة في رصد عمليات الاتصال، وتأكد هنا المجاهد حسام بأن الوضع أصبح خطيرًا للغاية وأنهم بإحضارهم لهذه السيارة فإنهم يتربصون لمن يقف وراء العملية الأخيرة من سرايا القدس، وما هي إلا أيام حتى قام العدو الصهيوني باغتيال القائد العام لسرايا القدس في مدينة جنين إياد صوالحة لتبكيه السماء والأرض والملائكة والرجال والنساء والأطفال والشيوخ؛ فقد كان لهم الأمل في رفع الظلم عنهم ومسح الدموع من عيونهم فكان أسطورة الجهاد والمقاومة التي أرعبت العدو الصهيوني وكبحت جماحه عبر عمليات مجدو وكركور.

القرار الحاسم

فما كان من المجاهد حسام إلا أن وقف مع نفسه وقفة حساب ومراجعة لشريط الأحداث السابقة ليحدث نفسه قائلًا: "اغتنم يا حسام نور الفجر المشرق الجميل؛ فإن ظلمة الليل ناشرة أجنحتها السوداء على المكان كله، واعلم يا حسام بأن ظلام الشر والظلم والقهر والألم والعذاب محيط بالشعب الفلسطيني ومتحكم فيه؛ لذلك عليك يا حسام أن تكون مجاهدًا في سبيل الله لتكون على خطا محمد صلى الله عليه وسلم، وعليك أن تجعل الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتك وزعيمك

وتكون أنتنفسك قدوة للآخرين فابدأ بنفسك وابن عقيدتك على أساس الكتاب والميزان والحديد، فقم يا حسام وقاتل العدو الصهيوني وانتصر لدماء الأبرياء وأصغ يا حسام إلى بكاء الناس وأنين المضطهدين وإلى صوت الذين يتعوذون من ظلم الصهاينة المجرمين!» فما كان من المجاهد حسام إلا الإذعان لحديث نفسه فأقبل على الله _عز وجل_ والتزم التزامًا حديديًا بالصلاة، فأقبل بقلب خاشع على الله، وتغيرت أفكاره وأحواله ليبدأ في مرحلة جديدة من مراحل حياته حيث في هذه الفترة وتبعًا لقوة سرايا القدس ونجاح عملياتها الأسطورية بدأت أفواج الشباب تنتظم في صفوف سرايا القدس من أجل العمل على مواجهة العدو الصهيوني. وتمكن قادة الجهاد الإسلامي من العمل الحثيث على هداية أكبر عدد ممكن من الشباب وتوجيه اهتماماته نحو المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني، فما كان من المجاهدين رامي سليط الملقب برامي الخبيزة والمجاهد نهار السعدي إلا أن يسمعا لقادة الجهاد الإسلامي ويعيشا واقعًا مفاهيم الهداية في سبيل الله _عز وجل_ انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

وبدأت تتعمق العلاقة بين المجاهدين رامي ونهار وبين قادة الجهاد الإسلامي في مدينة جنين، ولاسيما بعد أن هداهم الله لطريق الحق والرشاد، فما من يوم إلا ويسمعون فيه إلى مواعظ مشايخ سرايا القدس وهم يذكرونهم بقولهم لهم: أيها المجاهدون! هل تعلمون كم نحن نعصي الله _عز وجل_؟ أو كم نخطئ؟ وكم نذنب؟ ومن ثم فإنا نعيش في هم وقلق وضنك واضطراب واكتئاب، ولكن اعلموا أن رحمة الله _عز وجل_ تطلبكم وها هي توبة الله تناديكم وها هو طريق الخلاص من غواية الشيطان وقيوده يسره الله لكم، فقال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ
وَيُورِثُكَ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

فبدأ المجاهد رامي إلى جانب المجاهدين نهار السعدي والمجاهد حسام عابد يسيرون معًا في طريق الله، طريق ذات الشوكة، فاعتمرت قلوبهم بحب الله

الشهيد المجاهد/ رامي سليط
استشهد بتاريخ 21/ 07/ 2003م

وحب التضحية في سبيله ليبدأ نشاطهم الجهادي في ظل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وفي جناحها العسكري سرايا القدس، فاستغل المجاهد حسام عابد كونه يعمل في أحد المطاعم علاقاته الاجتماعية ومعارفه من أجل خدمة قادة وكوادر سرايا القدس، فلم يبخل على أحد في مساعدة واستفسار أو توفير حاجة له.

المجاهدة الربانية تبحث عن غريمها

كان المجاهد حسام يتمتع بسمعة حسنة وطيبة في أوساط الشباب في مدينة جنين لدرجة أن منظره الإيماني ولسانه العذب وتفانيه في خدمة الآخرين وحبه للسلاح الذي في أغلب الأوقات يضعه على جنبه؛ لفت نظر إحدى البنات المحجبات من اللواتي يترددن لتناول الطعام في المطعم لتبدأ قصة المجاهد حسام مع مجاهدة استشهادية، فكان المكان جنين والزمان في مطلع عام 2003م وبطولة المجاهدة هبة ضراغمة وإخراج المجاهد حسام حيث توجهت المجاهدة هبة ضراغمة من بلدة طوباس إلى المجاهد حسام عابد من أجل مساعدتها في حاجة لها تسعى من أجلها منذ زمن، وبعد حديث قصير دار بين المجاهدة هبة ضراغمة والمجاهد حسام عابد كحوار بسيط وعادي ومن خلاله شعرت المجاهدة هبة ضراغمة أنها تقف أمام مجاهد صادق ومخلص، والأهم أنها تستطيع الوثوق به، وكذلك كان الأمر بالنسبة للمجاهد حسام الذي وجد أمامه فتاة محجبة ومرتدية الخمار، ورغم أنه لم يتمكن من رؤية وجهها إلا أنه شعر بالأمن والأمان والطمأنينة تجاه هذه المجاهدة الربانية، لتعمق الثقة بينهما أكثر فأكثر لتصارح المجاهدة هبة المجاهد حسام حول نيتها متابعة وملاحقة أحد الأشخاص والذي يتواجد في مدينة جنين وتريد الانتقام منه، وتبين للمجاهد حسام أن القصة بدأت عندما كان أخو المجاهدة هبة واسمه بكر ضراغمة في إحدى السيارات إلى جانب صديقه كمال طوباسي حيث كانا قد توجها إلى بلدة طوباس، ولما وصلا إلى أحد الحواجز الفلسطينية أوقف بكر السيارة وتوجه إلى مكان قريب ليأخذ حاجة له، وإذا بالقوات الخاصة الصهيونية تحيط ببكر ضراغمة وتطلق عليه النار لتصيبه في قدمه ومن ثم تقوم باعتقاله، وما أن سمع صديقه كمال صوت الرصاص حتى لاذ بالفرار من المكان، فظنت المجاهدة هبة أن صديق أخيها ربما له علاقة بتسليم أخيها للعدو الصهيوني، ولذلك توجهت للمجاهد حسام لمساعدتها في الوصول إلى هذا الشخص، وبعد حوار ونقاش طويل بين المجاهد حسام والمجاهدة هبة من أجل تغيير رأيها وقناعاتها لاسيما أن كمال طوباسي يعتبر من أهم المطلوبين للعدو الصهيوني، ومن أهم نشطاء كتائب شهداء الأقصى في مدينة جنين لتقوم المجاهدة هبة بعد أقل من شهر بالحديث مع المجاهد حسام عبر جهاز التلفون، وخوفًا عليها من رصد المكالمة من قبل الأمن الفلسطيني أو الصهيوني طلب منها الحديث على رقم آخر غير معروف لأحد، وبعد تحديد موعد بينهما في المطعم، وما أن رآها المجاهد حتى قال لها بأنه لا يمكن أن يساعدها في الموضوع الذي تريده ويتمنى عليها أن تنسى هذا الأمر لعدم صحة ادعائها.

المجاهدة الربانية أول الاستشهاديات

تفاجأ المجاهد حسام أن قدوم المجاهدة هبة هذه المرة إلى جنين ليس من أجل الوصول إلى كمال بل من أجل مساعدتها في تنفيذ عملية استشهادية، وهنا كانت الصاعقة على المجاهد حسام ليسأل نفسه أسئلة كثيرة حول: لماذا توجهت إليه بالذات؟ وهل هي صادقة فيما تقول؟ وهل لم يعد هناك رجال في فلسطين حتى تقوم النساء بالعمليات الاستشهادية؟ وهل يمكن بالفعل مساعدتها في هذا الموضوع؟ فما كان من المجاهدة هبة إلا أن تقول للمجاهد حسام إنه في حال رفضت مساعدتي سأبحث عن شخص آخر لمساعدتي، وحرصًا على المجاهدة هبة طلب منها مهلة من أجل متابعة هذا الأمر مع المجاهدين، وتم عقد اجتماع بين المجاهدين حسام عابد ورامي خبيزة ونهار السعدي وأطلعهم على تفاصيل الكلام الذي دار بينه وبين المجاهدة هبة في ظل عدم توافق من قبل المجاهدين على هذا الموضوع، وبعد حوار ونقاش معمق تقرر أن يتم مشاورة قادة سرايا القدس بهذا الأمر، ولاسيما أنه متعلق بفتاة وليس برجل ونحن نعيش في ظل عادات وتقاليد وتربية أخلاقية إسلامية، فكان الموضوع معقدًا لدرجة كبيرة، وما هي إلا أيام حتى تم إبلاغ المجاهدين حسام ورامي ونهار بأن قادة سرايا القدس لا مانع لديهم من إرسال المجاهدة هبة ضراغمة لتنفيذ عملية استشهادية، وتم تكليف المجاهدين رامي سليط وحسام عابد ونهار السعدي بالاستعداد والتحضير لهذه العملية التي لم ولن تكون عملية كأي عملية سابقة، فهذه العملية ستنفذها فتاة وليس رجلًا، وسيكون لها ما قبلها وما بعدها لذلك حرص قادة سرايا القدس على توعية المجاهدين حسام ونهار ورامي بأهمية هذه العملية بالنسبة لسرايا القدس وللشعب الفلسطيني وللمقاومة الفلسطينية برمتها، فأراد قادة سرايا القدس من المجاهدين الأبطال حسام ورامي ونهار يومًا ينصرون به المقاومة الفلسطينية يكون كيوم أبي بكر في الردة، ويومًا كيوم خالد بن الوليد في اليرموك، ويومًا كيوم سعد في القادسية وصلاح الدين الأيوبي في حطين، وقطز في عين جالوت، ومحمد الفاتح في القسطنطينية، وسلمان الحلبي مع كليبر، والله إن شعب فلسطين يشتاق شوقًا عظيمًا ليوم ينصر الله فيه دينه ويعز أولياءه ويعز الشعب الفلسطيني أكثر من شوق الأسرى والمعتقلين للحرية، وينتظر عملية استشهادية كعملية بيت ليد وعملية مجدو وعملية كركور ووادي النصارى... إلخ، فهل أنتم أيها المجاهدون حسام ورامي ونهار تلبون هذا النداء وهذا الرجاء، ليصدق قول الشاعر حين قال:

وآلمني وآلَمَ كلَّ حرٍ
سؤالُ الدهرِ: أين المسلمونا؟

تُرى هل يرجعُ الماضي؟
فإني أذوبُ لذلكَ الماضي حنينا

دعوني من آمانٍ كاذباتٍ
فلم أجدِ المُنى إلا ظُنونا

وهاتوا لي منَ الإيمانِ نورًا
وقَوُّوا بينَ جنبيَّ اليَقينا

أمد يدَّي فأنتزعِ الرواسي
وأبنِ المجدَ مؤتلقًا مكينا

فما كان من المجاهدين الأبطال حسام ونهار ورامي إلا العمل وبجد ونشاط للتحضير والاستعداد لعملية المجاهدة هبة ضراغمة، وبقي السؤال الأهم: هل يتم إنزال الاستشهادية بواسطة حزام ناسف أم شنطة متفجرات أم سيارة مفخخة أم بواسطة السلاح...إلخ. إلى أن تم حسم الأمر لصالح من نادى أن تكون العملية بواسطة شنطة متفجرات،

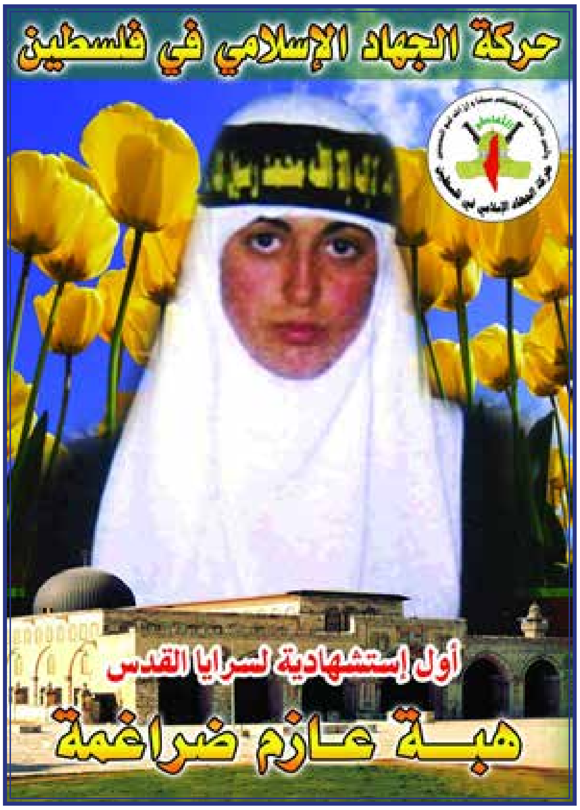

وبقي الأمر الآخر وهو تأكد مجاهدي سرايا القدس رامي ونهار وحسام من جهوزية المجاهدة هبة نفسيًا وإيمانيًا وروحيًا، فكان لابد من تحديد موعد مع المجاهدة هبة ضراغمة للحضور إلى مدينة جنين من أجل الاستماع لها وسؤالها عن بعض القضايا المطلوبة من أجل التأكد بالكامل من صدق نيتها وتوجهها لتنفيذ عملية استشهادية، وما أن تم هذا اللقاء حتى علم المجاهدون حسام ورامي ونهار أنهم يقفون أمام فتاة مؤمنة بالله ـ عز وجل ـ لها من الإرادة والعزيمة والإصرار ما يفوق الرجال، وتم تقسيم المهام بين قادة ومجاهدي سرايا القدس لإنجاح هذه العملية، فمنهم من قام بتصوير المجاهدة هبة ضراغمة برايات حركة الجهاد الإسلامي، ومنهم من قام بتصنيع المتفجرات، ومنهم من تكفل بعملية التوصيل إلى مكان التنفيذ؛ ليتم تحديد موعد العملية يوم الأحد بتاريخ 18/ 05/ 2003م لتبدأ المجموعة بوضع اللمسات الأخيرة فيها حيث قام المجاهد أحمد الشيباني الملقب بالعندليب والذي كان يعتبر من أهم قادة سرايا القدس في مدينة جنين بتسليم المجاهدين الأبطال نهار ورامي وحسام شنطة المتفجرات التي ستستخدمها المجاهدة هبة في العملية، وهنا وفي يوم الأحد كانت قد أعلمت أحد أقربائها حول نيتها تنفيذ عملية استشهادية ليصل الخبر إلى عائلتها لتمنعها من القيام بهذه العملية بالإضافة إلى منعها من الخروج من المنزل، فتم تأجيل العملية لليوم التالي، وتمكن المجاهد حسام من اصطحاب المجاهدة هبة ضراغمة من بلدة طوباس والتوجه إلى مدينة جنين، فطلبت من المجاهد حسام أن يضع لها شريطًا للأناشيد الإسلامية كان بحوزتها من أجل أن تسمعه قبل العملية، ولكن لم يتمكن من ذلك كون السيارة التي تقلهم مسروقة، ولا يوجد بها مسجل فدار بينهما حديث لا يزال المجاهد حسام

يذكره ويفكر فيه دومًا حيث كانت تتمنى بأن تقتل ثلاثين صهيونيًا في العملية، وأن تتناثر أشلاؤها إلى قطع صغيرة لا يمكن جمعها، فما أن سمع المجاهد حسام هذا الكلام حتى شعر أنه يستمع إلى صحابية في زمن النبوة، فلم يكن ليصدق ما يسمع وما أن وصلا مدينة جنين حتى كان باستقبالها المجاهدان رامي ونهار السعدي، وتم إحضار شنطة المتفجرات التي تم تخبئتها في أحد الجبال ليلة أمس نتيجة تأجيل العملية لليوم التالي، وهنا جاء دور المجاهد نهار السعدي في إيصال هبة ضراغمة إلى مدينة مقيبلة في الأراضي المحتلة عام 1948م لتنتظر سائق السيارة الصهيوني الذي سيقوم بنقلها من مدينة مقيبلة إلى مكان تنفيذ العملية في مدينة العفولة، حيث تم تجنيد هذا الصهيوني لتوصيل الاستشهادية هبة ضراغمة إلى موقع العملية بطريقة معقدة جدًا

الأسير المجاهد/ نهار السعدي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 15/ 09/ 2003م

وطلبوا منه توصيلها إلى أحد المجمعات التجارية في مدينة العفولة، وبالفعل توجه السائق الصهيوني بسيارته التي تقل المجاهدة الاستشهادية هبة ضراغمة وهي تحمل شنطة المتفجرات، وعَلم المجاهدون حسام ونهار ورامي أن الأمور تسير بشكل صحيح لتبدأ الأسئلة تثار في عقول المجاهدين حول إمكانية فتاة صغيرة في عمر المجاهدة هبة لمواجهة جحافل الصهاينة؟ وهل يمكن أن تكون أرجل من كثير من رجال فلسطينيين؟ وهل يكون يوم 19/ 05/ 2003م يومًا فارقًا في تاريخ الشعب الفلسطيني؟ ولكن ليعلم العالم كل العالم بأنه صحيح أنها فتاة وأنها ضعيفة إلا من إيمانها بالله عز وجل وأنها ربما لا تقوى على فعل شيء، ولكننا نقول بأنها فتاة صاغها الإيمان خلقًا آخر، فقلبت الموازين وأدارت دفة الأمور وغيرت مجرى الأحداث، فنزل الإيمان في قلبها فإذا بها تشعر أن في عضلاتها القوة التي تهز الأرض هزًا، وفي حنجرتها الصوت الذي يُسمع الأموات في قبورهم، وفي قلب هبة العزم والإصرار الذي لا يكل، والمدد الذي لا ينقطع، والبأس الذي يفل الحديد ويدك الحصون، فكان لسان حال المجاهدة هبة تقول لأخواتها المجاهدات المؤمنات: يا أخواتي! إننا لم نخلق رجالًا نحمل السلاح، ولكن نحن معشر النساء لم نعجز عن العمل، فهذه روحي أثمن ما أملك أقدمها رخيصة في سبيل الله، ثم في سبيل كرامة وعزة القدس الشريف، ونحن صنو الرجال لابد أن نعيد أمجاد نسيبة وسمية، ونشارك في الجهاد ضد عدو أمتنا المحتل لمقدساتنا.

رسالة الاستشهادية إلى الأمة

وكأن المجاهدة هبة دراغمة أرادت في هذه العملية أن ترسل رسالة إلى الأمة بكل طاقاتها وقادتها وكوادرها وشيوخها وشبابها وفتيانها مفادها: أيها البشر! أيها الناس! أيها المجاهدون! يا من أمرهم دينهم بالجهاد في سبيل الله فقعدوا حتى تمكن العدو الصهيوني من احتلال مدن وقرى فلسطين! ويا من باع أجدادهم نفوسهم إلى الله أن لهم الجنة، وباعوا هم الجنة بأطماع نفوس صغيرة ولذائذ حياة ذليلة وساروا وراء الفتات، فيا أيها الناس! يرحمكم الله ما لكم نسيتم دينكم وتركتم عزتكم وقعدتم عن نصر الله، فلم ينصركم وحسبتم أن العزة للمتخاذلين؟ فيا ويحكم! أما يعذبكم ويؤلمكم ويشحن نفوسكم مرأى عدو الله وعدوكم يخطو على أرضكم التي سقاها بالدماء أباؤكم؟! وهل نسيتم مجزرة الأقصى والحرم الإبراهيمي؟! وهل نسيتم صبرا وشاتيلا وقانا ومجزرة مخيم جنين، وهل نسيتم دماء إيمان حجو وريهام الورد وبشرى برغيش؟! أما يهز قلوبكم وينمي حماستكم أن إخوانًا لكم قد أحاط بهم العدو وسامهم ألوان الخسف فاغتال المجاهد إياد صوالحة وإياد حردان وأسعد دقة وأبو علي مصطفى وقيس عدوان واعتقل القادة الأبطال ثابت مرداوي والحاج علي الصفوري في معركة مخيم جنين؟!

الوصول إلى الهدف

فما كان من المجاهدة الاستشهادية هبة ضراغمة إلا أن تتقدم نحو الهدف وما أن وقفت السيارة أمام أحد المجمعات التجارية في مدينة العفولة وهمت بالدخول إلى المجمع لتحقق أمنيتها بأن تقتل أكبر عدد من الصهاينة وألا يبقى من جسدها قطعة واحدة إذا بالحراس يطلبون منها أن تفتح لهم الشنطة التي تحملها، فإذا بها تبتسم ولسان حالها يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]، وصاحت بصوتها: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. وفجرت نفسها أمام المجمع التجاري ليتفتت جسدها الطاهر إلى أشلاء متناثرة لتتسلمها ملائكة الرحمن فرحين مستبشرين على أجنحتهم، ويطوفون بها فوق ثرى فلسطين وفوق المسجد الأقصى لاصطحابها من معراج محمد صلى الله عليه وسلم إلى جنة الرحمن ليكون في استقبالها الأنبياء والصديقون والشهداء والحوريات لتكون أجملهم وملكتهم، فرحين مسرورين بها وحامدين وشاكرين الله -عز وجل- على هذه الضيفة الجديدة. وما أن سمع المجاهدون نهار ورامي وحسام عن نبأ وقوع الانفجار حتى سارعت سرايا القدس لتبني العملية موضحة في بيانها العسكري أن من يقف وراء هذه العملية هو سرايا القدس، وأن المنفذ هذه المرة هو استشهادية اسمها هبة ضراغمة ومن بلدة طوباس، وقد أوقعت العملية ثلاثة قتلى على الأقل ونحو 26 إصابة،

النصب التذكاري للقتلى الصهاينة
في عملية العفولة الاستشهادية بتاريخ 19/ 05/ 2003م

وبهذه العملية تكون العملية الأولى في تاريخ الجهاد الإسلامي التي يتم فيها إرسال استشهادية، كما أنها كانت رسالة قوية ومرعبة للعدو الصهيوني حيث أبكت المرأة الفلسطينية هذا العدو المجرم الذي أبكى نساء وحرائر فلسطين بقتل أبنائهن وأزواجهن وإخوانهن.

ما بعد العملية الاستشهادية

لم يستطع العدو الصهيوني أن يحدد مكان الضربة التالية وأوانها، وأصبح هذا المجرم يحسب ألف حساب للمرأة الفلسطينية قبل الرجال، فهنيئًا لك الشهادة والبطولة والفخار يا أخت المجاهدين وسيدة الحور العين هبة ضراغمة! فوالله حري أن يتعلم شباب فلسطين في هذه الأيام منك معنى التضحية والفداء والإقدام والاستشهاد، فسامحينا يا سيدتنا إن تراجعنا أو خارت عزائمنا، ولكن كلما ذكرناك صرخت حناجرنا باسمك وارتفعت معنوياتنا وعادت النخوة والشهامة إلى نفوسنا، وبوركت جهودكم أيها المجاهدون العندليب وحسام عابد ونهار السعدي ورامي خبيزة وقادة وكوادر سرايا القدس الذين خططوا وأعدوا واستعدوا لهذه العملية، فكنتم خير المجاهدين لخير شعب، وما أن هدأت الأوضاع في مدينة جنين حتى قامت سرايا القدس بالاهتمام والاعتناء بالمجاهدين رامي ونهار وحسام حيث تم تزويد المجاهد حسام بالسلاح من أجل حماية نفسه خوفًا من تعرضه للاغتيال أو الاعتقال، وليستمر عمل ونشاط المجاهد حسام إلى جانب أخويه المجاهدين رامي ونهار، وليبدؤوا بالتخطيط والإعداد والتجهيز لعمليات واشتباكات مع العدو الصهيوني، وما هي إلا أيام حتى تم اغتيال أحد أهم وأبرز قادة سرايا القدس في مدينة جنين صالح جرادات بتاريخ 12/ 06/ 2003م، لتثأر سرايا القدس عبر عملية في بيسان نفذها الاستشهادي أحمد عباهرة من بلدة اليامون في جنين بتاريخ 19/ 06/ 2003م، لتستمر الأجهزة الأمنية الصهيونية في ملاحقة مجاهدي سرايا القدس مما جعلهم يكثفون من زرع العبوات الناسفة في أزقة وشوارع مدينة جنين لمنع تقدم الآليات العسكرية الصهيونية، وخاضوا الاشتباكات العنيفة مع العدو الصهيوني، ليقبل العشرات بل المئات على سرايا القدس من أجل العمل الجهادي والوطني، فقدم المجاهدون رامي ونهار وحسام كل ما يلزم من أجل توسيع نشاط وعمل سرايا القدس في مدينة جنين، وتمكنت القوات الصهيونية من اعتقال المجاهد نهار السعدي واستشهد المجاهد رامي الخبيزة في أثناء محاولة إطلاق صاروخ لاو على أحد الجيبات العسكرية في مدينة جنين.

حسام وحده في الميدان

شعر المجاهد حسام أن حمله ثقيل وأنه بقي وحيدًا في الميدان في مواجهة العدو الصهيوني، فضاقت عليه الأرض بما رَحُبت، فقرر العودة إلى قرية كفر دان علّه يحظى بالأمن والأمان والاهتمام وكأنه كان يريد وداع أبيه وأمه وإخوته، وكان في ذلك الوقت قد قدم المساعدة المطلوبة لأخيه علام ومجموعته من أجل توجيه ضربة عسكرية عبر السلاح لقوة صهيونية بالقرب من بلدة اليامون في مدينة جنين، وفي تلك الليلة الظلماء اقتحمت

الأسير المجاهد/ حسام عابد
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

القوات الصهيونية قرية كفر دان فترة من الزمن، ثم غادرت فاعتقد المجاهد حسام أن الأمر أصبح آمنًا ولو أنهم أرادوه لما خرجوا من القرية، وبعد أن أخذ قسطًا من النوم إذا بالقوات الخاصة الصهيونية معززة بدباباتها وآلياتها وجنودها تحاصر منزل المجاهد حسام ومن كل مكان ليتم اعتقال الأخوين حسام وعلام عابد بتاريخ 25/ 09/ 2003م.

السجن مدرسة الرجال

بدأ مشوار المجاهد حسام الجديد في ظل سجون العدو الصهيوني وحُكم عليه بالمؤبد ثلاث مرات إضافة إلى 50 عامًا، وتبدأ معاناة عائلة المجاهد حسام عابد عبر تنقلها من سجن لآخر لزيارة ابنيها حسام وعلام،

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة لعائلة الأسير المجاهد/ حسام عابد

وما هي إلا أشهر حتى أقدم العدو الصهيوني على هدم منزل المجاهد حسام عابد بتاريخ 14/ 07/ 2004م ليكون مصير العائلة أن تفترش الأرض وتلتحف السماء ومن معاناة إلى معاناة، وعلى الرغم من الألم استطاع المجاهد حسام عابد أن يُحوِّل السجن إلى قلعة للعلم، فدرس في الجامعة العبرية وباللغة العبرية في تخصص العلوم السياسية ليتعرف على طبيعة هذا العدو الصهيوني أكثر فأكثر، وكيف يفكر؟ وكيف يصنع القرارات السياسية والعسكرية؟ وكيف يقيم تحالفاته الدولية؟ ومدى ترابط نسيجه المجتمعي؟ وما هي إلا فترة من الزمن

وتـمَّ إصـدار قـرار يُعـرف بقـرار أو قانـون شـاليط مـن خلالـه تـم حرمـان الأسرى المعتقلين مـن الدراسـة في الجامعـة العبريـة.

ولكـن هيـأ الله الظـروف للمجاهـد حسـام بالانتسـاب إلى جامعـة الأقـصى في قطـاع غـزة ليحصـل عـلى بكالوريـوس في علـم التاريـخ، ولا يـزال مفعـمًا بحـب العلـم لدرجـة أنـه يعكـف عـلى دراسـة بكالوريـوس آخـر في جامعـة القـدس المفتوحـة.

ولطبيعـة الحيـاة اليوميـة المؤلمـة والصعبـة التـي يحياهـا الأسرى والمعتقلـون مـن عـدم حصـول عائلاتهـم عـلى تصاريـح لزياراتهـم في السـجون، كان لابـد مـن البحـث عـن طـرق أخـرى للتواصـل مـع الأهـل ونتيجـة لذلـك تـم معاقبـة المجاهـد حسـام بزيـادة حكمـه بخمـس سـنوات ونصـف بتهمـة تهريب أجهـزة خلويـة لداخـل السـجون لاسـتخدامها في الاتصـال مـع الأهـل، فـأي تهمـة هـذه في هـذا العـصر الديمقراطـي وأي تعسـف هـذا وأيـن حقـوق الإنسـان المزعومـة؟ وأيـن المجتمـع الـدولي مما يعانيـه الأسـير الفلسـطيني؟ ورغـم ذلـك لا يـزال الأسـير المجاهـد حسـام صامـدًا في سـجون الاحتـلال الصهيـوني ولا تـزال عيونـه مفتوحـة صـوب القـدس الشريـف عـلى أمـل بالحريـة والخـلاص مـن الاحتـلال الصهيـوني الـذي طـال أمـده، ولكـن فجـر الحريـة قـد اقـترب، ويسـألونك متـى هـو قـل عسـى أن يكـون قريبًـا.

الأسير المجاهد
سامي سليمان إبراهيم جرادات

ابن أسرة شهداء وأبطال مجاهدين

تاريخ الميلاد: 1968/05/04م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه 7 أبناء

مكان السكن: بلدة سيلة الحارثية - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 16

تاريخ الاعتقال: 2003/10/22م

الحكم: 23مؤبد و50 عاماً

من الصعوبة البالغة أن يقف الإنسان للحديث عن أحد العمالقة من الرجال الأبطال الذين صنعوا التاريخ، وكتبوا بحروف العز والمجد على صفحاته؛ لأن الكلمات مهما بالغت في التعبير والبيان وصيغة فنون القول فلن تبلغ بأي حال تلك المعاني النبيلة التي سطرها هؤلاء الرجال بإيمانهم الراسخ وجهدهم وجهادهم وآثارهم في مرحلة هي من أهم مراحل الشعب الفلسطيني.

الميلاد والنشأة

ومن هؤلاء العمالقة الأبطال من الذين وصلت أعناقهم إلى أعالي السماء المجاهد الشيخ سامي جرادات (أبو عبد الله)، حيث وُلد هذا المجاهد في بلدة سيلة الحارثية في مدينة جنين القسام، تلك المدينة التي تشرف على سهل مرج ابن عامر، وتطل عليه إطلالة حزن وأمل وإشفاق على الأرض وعلى التراب الذي ضيعه العرب، فمن هنا مر القائد صلاح الدين الأيوبي، ومن هنا مر الشيخ الشهيد عز الدين القسام في طريق الذكريات، ونخيل جنين القسام لا زال شامخًا سامقًا فصوته صوت الحق، فعلى قمة جبل سيلة الحارثية المطل على سهل مرج ابن عامر الممتد إلى الأراضي المحتلة عام 1948م؛ يربض بيت بطل من

الأبطال، إنه بيت الأسير المجاهد سامي جرادات الذي ولد في 04/ 05/ 1968م، أي بعد عام من المصيبة، بل الطامة الكبرى التي صعقت البشرية في عالمنا الإسلامي والعربي والفلسطيني، فقد ولد هذا المجاهد بعد عام من نكسة العرب.

يرى المجاهد أبو عبد الله أن شعبنا يئس من كل شيء، ومع ذلك وبعد تلك النكبة الجديدة علم حينها الناس ألا ملجأ ولا خلاص لهم إلا بالعودة إلى الإسلام، ففي تلك الظروف ولد المجاهد سامي ليجد نفسه في ظل عائلة فلسطينية إسلامية بامتياز، وقد عاش في أسرة كثيرة الأولاد، ككل أسر الشعب الفلسطيني، ولأن معركتنا على هذه الأرض معركة وجود لا معركة حدود لتكون هذه الأسرة ممن يباهي بهم رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ حينما قال: "تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا أُبَاهِي بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". ولهذا حشدت الحركة الصهيونية بزعامة "ثيودور هيرتزل" منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في العام 1897م قوة كبيرة وغير متوقعة لإقناع اليهود في كل أنحاء العالم بالهجرة إلى فلسطين وليتناسلوا فيها، ولكن شعبنا الفلسطيني أدرك أنه أمام تحدٍ كبير جدًا، ولهذا أصبحت الأسر الفلسطينية متجذرة بالأرض الفلسطينية كالشجرة الثابتة، في أرض الوطن، وفروعها في سماء عالية تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فهكذا تربى المجاهد سامي في ظل أسرته المتدينة، العطشى للحرية والانعتاق من الاحتلال الصهيوني، وحرص والده أن يعلم أبناءه معاني العزة والكرامة وحب الوطن، بأساس قويم ومتين، مبني على العلم، فحرص على جعل أبنائه يكملون تعليمهم، ولهذا درس المجاهد سامي في مدارس بلدة سيلة الحارثية، في كافة مراحل الدراسة حتى التوجيهي، فكان محبوبًا عند والديه وإخوته لتميزه بطيبته وبساطته وبخدمته اللامحدودة للآخرين، فكان يفرض احترامه على الجميع بأخلاقه الحميدة السامية، وشابًا صلبًا ورعًا خلوقًا تقيًا أحب المسجد والصلاة فيه، ومن أحب مساجد الله فقد أحبه الله تعالى، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ".

التحاقه بحركة الجهاد الإسلامي

وما أن جاء العام 1987م حتى اندلعت انتفاضة فلسطين الأولى، وتم إدخال مصطلح الانتفاضة إلى كل قواميس الأرض ليشهد العالم كله على أن الشعب الفلسطيني هو شعب لا يمكن له أن يخضع أو يركع للعدو الصهيوني، وإن طال أمد الظالمين، ولهذا زجَّ المجاهد سامي إلى جانب أهله وشعبه بكل طاقاته ليشارك في فعاليات ونشاطات الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وفي تلك الفترة أصبحت حركة الجهاد الإسلامي في بلدة سيلة الحارثية من أهم الحركات الوطنية والإسلامية التي تواجه العدوان الصهيوني، ولاسيما أنها رفعت شعار تقديم الواجب على الإمكان، فانتمى المجاهد سامي حينها إلى صفوف هذه الحركة الجهادية، وعمل في صفوف رجالها وإلى جانبهم، فإذا به في العام 1988م وتحت جنح الظلام الدامس كانت تتسلل إلى سيلة الحارثية خفافيش بشرية لا تخرج إلا في عتمة الليل؛ لأن من طبيعتها الغدر واللؤم والخسة والجبن، فوجد نفسه معتقلًا في سجون العدو الصهيوني،

وحُكم عليه لمدة 6 شهور تنقل خلالها بين سجون الفارعة ومجدو وعتليت، وخرج من سجون العدو أكثر قوة وأكثر إصرارًا على مواجهة العدو الذي لا يعرف إلا المكر والخداع والقتل والدمار، ووقف إلى جانب إخوانه في حركة الجهاد الإسلامي في بلدة سيلة الحارثية كخالد جرادات وهاني جرادات ومحمد فارس ونعمان طحاينة وشريف طحاينة والعديد العديد من القادة والكوادر، ولم يمنعه زواجه من مواصلة العمل الجهادي والاجتماعي والسياسي بل بقي ناشطًا مميزًا في حركة الجهاد الإسلامي.

كانت تربط المجاهد سامي أخوة وصداقة وعلاقات تنظيمية مع المجاهد الشهيد صالح طحاينة الذي يكبره بعام واحد، فكان يساعد أخاه المجاهد صالح ذلك الأسطورة،

الشهيد القائد/ صالح طحاينة
استشهد اغتيالاً بتاريخ 04/ 07/ 1996م

بل أيقونة الجهاد الإسلامي الذي كان يتمتع بشخصية جدية ملتزمة، أشبه بشخصية عسكرية شجاعة، فلم تكن تتسلل إليه معاني الخوف والهوان والضعف والتراجع، وامتاز بصمته الشديد، فلا يتكلم إلا بما فيه صدق وفائدة ولهذا نشأت علاقة بين المجاهد سامي والمجاهد صالح طحاينة لدرجة أن المجاهد سامي كان على استعداد أن يضحي بنفسه مقابل الحفاظ على حياة القائد صالح طحاينة، ولاسيما أنه يعتبر من مؤسسي الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية (عشاق الشهادة) حيث كان يذهب إلى جانب إخوانه من سيلة الحارثية لتلقي التدريبات العسكرية في قرية عنزة بمحافظة جنين على يد القائد الشهيد عصام براهمة، ولم يكن لصالح أن يكتفي بالتأسيس، بل بادر إلى تجنيد مجاهدين للعمل العسكري، وقاد إحدى المجموعات المكونة من أحمد عارضة وطاهر زيود، لتنفيذ عملية عسكرية في مستوطنة "قاديش" بالقرب من مدينة العفولة المحتلة في العام 1990م، حيث استقلوا سيارة لنقل العمال الفلسطينيين، وما أن وصلوا إلى الموقع حتى بادر المجاهد صالح وأطلق النار على أحد المستوطنين، وكان يقود جرارًا زراعيًا ورغم إصابته من مسافة الصفر إلا أنه لم يمت، وإنما تعرض للشلل الدائم فأصبح هؤلاء الأبطال بحاجة إلى المساعدة والحذر الشديد.

كان على المجاهد سامي أن يحيط بالمجاهد صالح طحاينة وكأنه حارس أجله، وذلك خوفًا من تعرضه لغدر العملاء أو الاغتيال، ورغم هذا الحرص الشديد إلا أن الشاباك الصهيوني وعبر

خطة محكمة قاموا بتتبع تحركات المجاهد صالح طحاينة، فوصلوا إليه عبر أحد العملاء، وبدأت هذه القصة عندما جاء أحد الشباب وهو من بلدة "مصمص" في الداخل المحتل ويدعى محمود الكمال، وكان يعمل حينها ويساعد أبناء سيلة الحارثية وخاصة شباب الجهاد الإسلامي، وفي أحد الأيام أراد هذا الشاب الزواج من فتاة عربية من الداخل المحتل والدها يعمل في جهاز الشرطة الصهيونية، وكان شرطه للموافقة على هذا الزواج هو أن يقوم الشاب محمود الكمال بالتعاون مع جهاز الشاباك الصهيوني، فوافق على هذا الطرح، وطلب منه حينها الشاباك استدراج المجاهد صالح طحاينة إلى بلدة "مصمص" تحت ذرائع مختلفة منها توفير السلاح والمال والذخيرة، ولشدة حاجة المجاهد صالح إلى ذلك ذهب إلى تلك البلدة، وهناك وقع في كمين الشاباك الصهيوني، ولما حاول الهروب تم إطلاق النار عليه، وإصابته في القلب، وتم اعتقاله وكان ذلك في العام 1992م.

كان هذا الحدث صاعقًا ومؤلمًا للمجاهد سامي جرادات، وشعر حينها أنه قد فقد أحب الناس إليه ولاسيما أنه كان قد فقد أخاه الشهيد نعمان جرادات الذي استشهد بتاريخ 02/ 08/ 1990م بسبب الخلافات بين عائلة جرادات وبين عائلات أخرى أخذت طابعًا حزبيًا وفصائليًا في سيلة الحارثية، حين كانت الفصائل الفلسطينية في ذلك الوقت في حالة صراع شديد على قيادة فعاليات الانتفاضة، وعلى الأيدولوجيا مما أدى إلى العديد من المشاكل بين العائلات الفلسطينية،

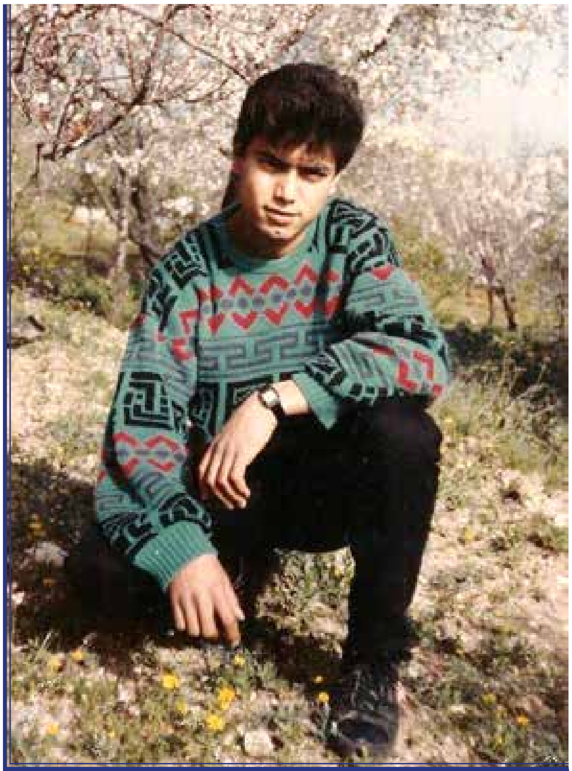

الشهيد البطل/ نعمان جرادات
استشهد بتاريخ 02/ 08/ 1990م

فكان هذا الحدث حدثًا مؤلمًا جدًا، ووقع حدث اعتقال المجاهد صالح طحاينة، فضاقت على المجاهد سامي جرادات حينها الأرض بما رحبت، وقرر حينها أن يحضر محاكمة صالح طحاينة في محكمة اللد الصهيونية، وحكم حينها عليه حينها ثلاثين عامًا، وقرر في العام 1993م أن يذهب مع شقيق المجاهد صالح وعبر تصريح مزور بالتوجه إلى سجن عسقلان لزيارة المجاهد صالح، وهناك تم كشف أمر التصريح المزور، فتم اعتقال المجاهد سامي جرادات وإرساله للتحقيق في سجن جنين المركزي، وكان يوجد عليه عدة اعترافات حول نشاطاته المختلفة في صفوف حركة الجهاد الإسلامي في بلدة سيلة الحارثية، وحكم عليه لمدة 33 شهرًا،

وكان هذا هو الاعتقال الثاني للمجاهد سامي جرادات، وشاء الله عز وجل أن يجمع بين الأحبة، بين المجاهد سامي وبين أخيه وصديقه ورفيق دربه المجاهد صالح طحاينة في سجن جنيد في مدينة نابلس، ليصدق فيهما قول الشاعر:

لا يعرف العشاق أين سيلتقون

في السجن

أم في الموت

أم في ظل وردة

ليتفيأ حينها أبناء الجهاد الإسلامي صالح طحاينة وسامي جرادات ونعمان طحاينة الذين اجتمعوا في سجن جنيد ظلال الصبر والثبات، فمضوا مؤمنين بالله -عز وجل-، وبنصره لعباده، وتحول سجن جنيد إلى حقل من حقول الدعوة وواحة من واحات المد الإسلامي، والتنظير السياسي، فامتلأت السجون والساحات والغرف بالنشيد الإيماني المجدد للقلوب، وفي تلك الفترة غصت السجون الصهيونية بكل أطياف اللون السياسي الفلسطيني، وكانت حلبة الصراع الفكرية بين أقبية السجون تحتاج إلى شخصية فكرية حكيمة، قادرة على الجمع والتأثير.

علم أبناء الجهاد الإسلامي أن فترة السجن إما أن تكون استهلاكًا للإنسان وقضاء على إنسانيته وفترة انتظار، أو تكون فترة بناء وإعادة البوصلة من جديد من أجل الدور القادم المنوط بالمجاهدين، وتجسد ذلك المفهوم بقيام أبناء الجهاد الإسلامي في سجن جنيد بالتخطيط لعملية هروب المجاهد صالح طحاينة من سجون الاحتلال حيث في العام 1995م قررت مصلحة السجون الصهيونية نقل الأسرى المحكومين أحكامًا خفيفة إلى سجن النقب الصحراوي، وشاء الله أن يكون من بين الأسماء المنقولة من سجن جنيد المجاهدين سامي جرادات ونعمان طحاينة، فبدأ حينها المجاهد صالح خطة محكمة بالتعاون مع المجاهدين سامي ونعمان، ووقع الاختيار على أن يكون المجاهد صالح بديلًا للمجاهد نعمان طحاينة، بحيث يتم خروج صالح من سجن جنيد إلى النقب ويبقى مكانه نعمان طحاينة على اعتبار أنه صالح، حيث إن مصلحة السجون الصهيونية في ذلك الوقت لم تكن قد ابتكرت أسلوب التشخيص عبر الصور، وأسلوب بصمة الإبهام، ولذلك كان من السهل جدًا أن يقوم المجاهدون بتسجيل أسمائهم والمبادلة فيما بينهم، فبدأ حينها المجاهد صالح بصناعة مفتاح لفك الكلبشات الحديدية، وبدأ الاستعداد لعملية الهروب، وشرع المجاهد نعمان يتقمص شخصية المجاهد صالح، وكانت شخصيتهما على نقيض، فالمجاهد صالح معتاد على النوم بعد صلاة العشاء، بينما المجاهد نعمان يسهر طول الليل يطالع في أمهات الكتب، ولذلك لم يكن سهلًا على المجاهد نعمان النوم باكرًا، فكان بالإضافة لذلك يعلم أنه سيتم معاقبته عبر عزله في الزنازين الانفرادية، وزيادة حكمه على الأقل بستة أشهر، ومع ذلك أصر المجاهد نعمان أن يكون الفدائي الأول مهما كلف الأمر من أجل حرية القائد والمجاهد صالح طحاينة، وهكذا هي أخلاق الرجال، وهكذا

هي أخلاق أبناء الجهاد الإسلامي، أبناء الطليعة الجهادية الذين تربوا على سيرة محمد _صلى الله عليه وسلم_ وسيرة الخلفاء الراشدين، وتعلموا من علي بن أبي طالب _كرم الله وجهه_ معنى الفداء ومعنى التضحية، فلا تزال حادثة فداء علي لرسول الله _صلى الله عليه وسلم_ عندما نام في فراشه مغروسة في عقول كل الفدائيين على مر السنين، ولهذا كله أصر المجاهد نعمان أن تتم هذه العملية حتى لو حكم عليه عشرات السنوات، وجاء موعد الانتقال من سجن جنيد إلى النقب، وخرج المجاهدان سامي وصالح إلى قاعة الانتظار مع العديد من الأسرى الآخرين.

شاء الله أن يبقى المجاهدان سامي وصالح بالقرب من بعضهما بعضًا، وتم كلبشتهم بكلبشة واحدة، يد المجاهد سامي مع يد المجاهد صالح، وتم وضعهما في سيارة البوسطة، وكانت محكمة حينها جدًا لا يمكن لأحد أن يخرج منها، ولذلك فإن مفتاح الكلبشات الذي عكف على تصنيعه المجاهد صالح لم يجدِ نفعًا، ولكن الله غالب على أمره، وما هي إلا ساعات حتى وصلت البوسطة إلى سجن النقب الصحراوي، وبدأ الأسرى يتحدثون عن وصول المجاهد نعمان طحاينة (أبو الحسين) إلى سجن النقب، فأدرك حينها المجاهد سامي خطورة الأمر، وأرسل رسالة عاجلة إلى الأسرى مع من سبقه إلى داخل السجن بأن الأسير الموجود في البوسطة والذي اسمه نعمان طحاينة ليس هو نفس المجاهد نعمان (أبو الحسين) الذي يعرفونه، وإنما هو اسم على اسم، ولذلك ولإبعاد الشبهات عن قصة هروب صالح، تمكن المجاهدان سامي وصالح من الدخول معًا إلى أحد الأقسام في سجن النقب، فدخلا الخيمة ولم يكن أحد حينها قد عرف صالح طحاينة الذي عرَّف عن نفسه أنه نعمان، وعلم حينها المجاهد صالح أن هنالك شابًا اسمه عامر من بلدة سيلة الحارثية موجود في سجن النقب، وبقي له نحو شهر للإفراج عنه، وأصر على نقله إلى قسمه وإلى نفس الخيمة ليكون بديله في عملية الهروب من سجن النقب، فبدأ حينها المجاهد سامي يبذل جهدًا كبيرًا في الحفاظ على أمن وسلامة خطة هروب المجاهد صالح وطلب من الإخوة العاملين في التنظيم وخاصة المجاهد خالد الشايب من قرية عنزة بجنين والمجاهد ثائر رمضان من قرية تل بمحافظة نابلس بالعمل على عدم إحضار أو نقل أي مجاهد من أبناء الجهاد الإسلامي من أقسام النقب إلى القسم الذي يتواجد به المجاهدان سامي وصالح حتى لا يتم كشف الموضوع.

وما أن تم إبلاغ المجاهد عامر بموعد الإفراج حتى تم نقله إلى القسم وإلى الخيمة التي يتواجد بها صالح طحاينة حتى يكون بديله الجديد، إلا أن هذا الأمر تأخر بعض الوقت إلى أن تم دفع الغرامة المالية، وخرج المجاهد صالح بدلًا من المجاهد عامر، مغادرًا سجن النقب ومتوجهًا إلى مدينة جنين، وعندها أبلغ المجاهد سامي جرادات الإخوة ثائر رمضان وخالد الشايب وبقية الإخوة عن حقيقة الأمر، وأكد لهم أنه لولا السرية التامة والحذر الشديد لما نجح هذا الأمر، وكان اتفاق بين المجاهد صالح وبين المجاهد سامي يقتضي

أنـه في حـال وصـول المجاهـد صالـح إلى بلـدة سـيلة الحارثية بأمـن وسـلام فعليـه التوجـه إلى والـد المجاهـد سـامي ويخبره الرسـالة التاليـة: بلـغ سـامي أن السـبع قـد وصـل وهـو بخير، كنايـة عـن وصولـه إلى سـيلة الحارثيـة، وفي نفـس الوقـت كان لزامًـا عـلى المجاهـد صالـح أن يذهـب إلى مدينـة رام الله، ويخـبر عائلـة الهـودلي أن يخبروا ابنهـم في سـجن جنيـد ليخبر نعـمان طحاينـة، أن صالـح تغيـب وعليـه أن يعـترف ويعـرف عـن هويتـه الحقيقيـة.

ومـع ذلـك تـم إضافـة حكـم عـلى حكـم المجاهـد الفدائـي نعـمان طحاينـة لمـدة عـام آخـر، ليتـم الإفـراج عنـه في العـام 1997م. ومـا أن خـرج المجاهـد صالـح طحاينـة مـن السـجن حتـى بـدأت الحكومـة الصهيونيـة وعـلى لسـان شـمعون بـيرس رئيـس الحكومـة الصهيونيـة بالوكالـة في عـام 1996م بمطالبة السـلطة الفلسـطينية باعتقـال المجاهـد صالـح طحاينـة أو تسـليمه للجانـب الصهيـوني، وإلا فـإن السـلطة سـوف تتعـرض لضغـوط سياسـية وأمنيـة خطـيرة، وكان توقعـات صهيونيـة أن الظـروف قـد تسـمح للمجاهـد صالـح للـرد عـلى عمليـة اغتيـال الأمـين العـام لحركـة الجهـاد الإسـلامي في فلسـطين الشـهيد الدكتـور فتحـي الشـقاقي؛ لهـذا أدرك المجاهـد صالـح خطـورة الأمـر، ومـع ذلـك بـدأ يـشرف عـلى تجنيـد المجاهديـن للعمـل العسـكري ضـد العـدو الصهيـوني، وكان إلى جانبـه المجاهـد محمـود عارضـة الـذي تـم اعتقالـه فيـما بعـد وحكـم عليـه بالمؤبـد نتيجـة لتنفيـذه عمليـة ضـد قطعـان المسـتوطنين عـلى الطـرق الالتفافيـة بالضفـة الغربيـة، وهـو يقبـع الآن في سـجون الاحتـلال الصهيـوني منـذ العـام 1996م.

كان العـام 1996م ليـس سـهلًا عـلى حركتـي حمـاس والجهـاد الإسـلامي، حـين تـم الـزج بالمئـات مـن المجاهديـن في سـجون السـلطة الفلسـطينية، وتـم تسـميتهم بالمعتقلـين السياسـيين، ومـا أن فشـلت السـلطة الفلسـطينية بالوصـول إلى المجاهـد صالـح حتـى قامـت بتشـكيل جهـاز أمنـي سري خـاص مهمتـه الوحيـدة هـو الوصـول إلى المجاهـد صالـح والعثـور عليـه حيًـا أو ميتًـا، فـكان معظـم عناصـره مـن الأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية بالإضافـة إلى مـن كان سـابقًا ينتمـي لحركـة الجهـاد الإسـلامي، وقـد أغرتـه الدنيـا بمفاتنهـا فانحرفـت بوصلتـه مـع السـلطة الفلسـطينية، وبـدأت عمليـة البحـث عنـه في كل مـكان، فـكان لابـد للمجاهـد صالـح مـن الخـروج مـن مدينـة جنـين إلى مدينـة أخـرى، لا يعرفـه بهـا أحـد، فقـرر حينهـا التوجـه إلى مدينـة رام الله، وهنـاك اجتمـع مـع أحـد أصدقائـه في أحـد المسـاجد وطلـب منـه تقديـم المسـاعدة، ومـا هـي إلا فـترة حتـى جـاءه صديـق آخـر وأصر عـلى أن يأخـذه إلى مـكان آمـن، فطلـب مـن الشـاب الأول المغـادرة، وكان الشـاب الثـاني قـد اسـتأجر لـه شـقة سـكنية في رام الله، وقـام هـذا الشـاب بإيصـال المجاهـد صالـح إلى تلـك الشـقة السـكنية، وكان حينهـا يبـدو عـلى صالـح علامـات التعـب والإرهـاق الشـديد، ومـا هـي إلا أيـام معـدودة حتـى وجـدوا المجاهـد صالـح طحاينـة مقتـولًا في تلـك الشـقة، بطريقـة وحشـية جـدًا.

مـا أن تأكـدت السـلطة الفلسـطينية مـن هـذا الحـدث حتـى تـم حـل الجهـاز الأمنـي السري، وتنفـس حينهـا الصهاينـة، واسـتقبل حينهـا المجاهـد

سامي نبأ استشهاد رفيق دربه المجاهد صالح وهو في سجن "عتليت" فكان ذلك اليوم يومًا حزينًا على المجاهدين سامي ونعمان وكافة أبناء الجهاد الإسلامي، فأدركوا حينها خطورة اتفاقية أوسلو وخطورة التنسيق الأمني الصهيوني وما هي الوظيفة الحقيقة التي جاءت بها السلطة الفلسطينية.

كان العام 1996م هو العام الذي خرج به المجاهد سامي للحرية، وهذا العام هو عام ملاحقة مجاهدي حركتي حماس والجهاد الإسلامي سواء في الضفة أو غزة، مما جعل الكثير من قادة وكوادر المقاومة يجمدون نشاطهم الدعوي والسياسي والعسكري لما تعرضوا له من ضغوط قوية من الأجهزة الأمنية الفلسطينية إلا أن ذلك لم يمنع المجاهد سامي من مواصلة مشواره الجهادي والكفاحي وأخذ على عاتقه رغم صعوبة المرحلة بالارتقاء بواقع حركة الجهاد الإسلامي في بلدة سيلة الحارثية، وبدأ بالزيارات الاجتماعية لكل مجاهدي حركة الجهاد الإسلامي في بلدة سيلة الحارثية، وبدأ يحرضهم على العودة والعمل في صفوف حركة الجهاد ونجح في تجميع نحو سبعة عشر مجاهدًا، وطلب منهم الالتزام الحديدي في أداء صلوات المغرب والعشاء جماعة في المسجد، وما هي إلا أشهر، وتحديدًا في العام 1997 حتى خرج المجاهد نعمان طحاينة من سجون الاحتلال الصهيوني، فوجد أن بلدة سيلة الحارثية لم تعد كما كانت وأن الأهالي والمجاهدين كانوا لا يحبذون التقرب من المجاهد نعمان، خوفًا من اعتقالات السلطة الفلسطينية، ولهذا قرر التوجه للدراسة في

الشهيد القائد/ نعمان طحاينة
استشهد اغتيالاً بتاريخ 13/ 07/ 2004م

جامعة النجاح الوطنية ليكون العام 1997م عامًا زاخرًا بالجماعة الإسلامية، أي الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في الجامعة حيث قام المجاهد نعمان بإحياء ذكرى استشهاد الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور فتحي الشقاقي، فكان احتفالًا ناجحًا جدًا، وتم دعوة كافة قادة وكوادر العمل الوطني والإسلامي في مدينة نابلس، فعلم المجاهد نعمان مدى أهمية العمل الطلابي والسياسي والإعداد والتجهيز للمرحلة القادمة، وكان على تنسيق دائم مع المجاهد سامي في سيلة الحارثية، والذي تحمل مشاق الارتقاء والنهضة بالحركة في بلدة سيلة الحارثية في الوقت الذي تراجع فيه العديد من الكوادر عن مثل هذه المهمات.

أصبحت حركة الجهاد الإسلامي في بلدة سيلة الحارثية كالشجرة الثابتة أصلها ثابت وفرعها في السماء، آتت أكلها في عملية 06/ 11/ 1998م حين قام المجاهدون سليمان طحاينة وهو أخو الشهيد صالح طحاينة ومع شقيق زوجته المجاهد يوسف الزغير من سكان القدس المحتلة بعملية استشهادية في سوق "محني يهودا" بالقدس المحتلة أدت إلى وقوع عشرات الإصابات، ورغم عدم نجاح هذه العملية كما كان متوقعًا منها إلا أنها كانت تجسيدًا عمليًا لمحاولة حركة الجهاد الإسلامي في شمال الضفة الغربية بإعادة إحياء الجناح العسكري للجهاد الإسلامي، واتهمت الأجهزة الأمنية الصهيونية والفلسطينية المجاهدين الشهيدين أنور حمران وإياد حردان بالمسئولية عن هذه العملية، وأعطت هذه العملية مصداقية للأفكار والجهود التي قام بها المجاهد سامي جرادات في بلدة سيلة الحارثية مما عزز من تجنيد المجاهدين وإعدادهم فكريًا وروحيًا وعسكريًا، وظهرت آثارها في انتفاضة الأقصى المباركة.

انتفاضة الأقصى

بعد تشكيل القاعدة الصلبة والمتينة في سيلة الحارثية كان لابد من توجيه الطاقات الشبابية والجهادية للمشاركة الفاعلة في أحداث الانتفاضة الفلسطينية سواء عبر المسيرات أو تشييع الشهداء أو إلقاء البيانات أو ضرب الحجارة على الحواجز العسكرية وما إلى ذلك، فكان الفضل الكبير للمجاهد سامي في تنظيم ابن أخته المجاهد أنس جرادات في العام 2002م وبناء على طلبه والذي أصبح من أهم قادة سرايا القدس ومسئولًا عن خاله المجاهد سامي، ومع ذلك كان يصر المجاهد سامي ومنذ بداية الانتفاضة أن يكون عمله عملًا لوجستيًا في حركة الجهاد الإسلامي، واستمر على هذا النحو فترة من الزمن، وما أن استشهد العديد من القادة حتى سارع ووقف إلى جانب أخيه المجاهد نعمان لمساعدته بكل ما يلزم الحركة وجناحها العسكري في جنين، فكان أكثر المجاهدين التصاقًا به، ويحرص في حينها المجاهد نعمان على العناية بأبناء الجهاد الإسلامي والعمل على توفير السكن والمبيت والطعام والشراب والمال والسلاح لهم عبر المجاهد سامي، فكان منزل المجاهد نعمان يعج بالمجاهدين القادمين من كل مكان، ودائمًا يطلب من زوجته أم الحسين وهي شقيقة الأسير المجاهد القائد ثابت مرداوي بمغادرة المنزل والتوجه إلى منزل عائلتها حتى يسهل عليه إيواء المجاهدين والمطاردين في جنين.

كان المجاهد نعمان طحاينة حينها يُمسك بخطوط التواصل مع الحركة في الخارج، ولهذا قدم العديد من المساعدات لعدد من المجاهدين كالمجاهد رياض خليفة في مدينة رام الله، والمجاهدين في مدينة الخليل. وما أن استشهد المجاهد إياد صوالحة حتى أصر المجاهد سامي وبالتنسيق مع المجاهد نعمان أن يكون القائد الجديد لسرايا القدس في مدينة جنين هو المجاهد أنس جرادات والذي جعل من خاله سامي ومن المجاهد نعمان مرشديه في كل خطوة لما لهما من خبرة طويلة في العمل التنظيمي والعسكري، وازداد قوة عندما تم تجنيد خاله صالح جرادات

والذي كان يعتبر من أهم قادة حركة فتح في جنين، وكذلك تم تجنيد المجاهد أمجد العبيدي، فأضاف ذلك إضافة نوعية لسرايا القدس، وكل ذلك كان يتم بتوجيهات من قبل المجاهد سامي جرادات،

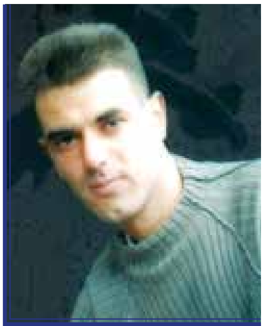

الشهيد القائد/ صالح جرادات
استشهد بتاريخ
12/ 06/ 2003م

وكان الجميع يثقون بقدرات المجاهد صالح جرادات الذي كان له الفضل في عملية الاستشهادية هبة دراغمة حيث عندما عرض عليه مجاهدو سرايا القدس هذا الأمر نقله إلى أخيه سامي، فرفض أن تتم هذه العملية قبل أن تتم عملية بيسان حيث كان هنالك تخطيط لإرسال سيارة مفخخة إلى مدينة بيسان، وكانت السيارة جاهزة للانطلاق، ومع ذلك أصر المجاهد صالح على إتمام عملية الاستشهادية هبة دراغمة دون علم المجاهد سامي جرادات، وتعاون المجاهد صالح جرادات مع عدد من أبناء سرايا القدس لإنجاح عملية الاستشهادية هبة، فقام المجاهد حسام عابد بتجنيد المجاهدة هبة، وقام المجاهدان نهار السعدي ورامي سليط (خبيزة) بإيصالها إلى منطقة "مقيبلة"، وصور المجاهد أحمد الشيباني الاستشهادية هبة، وأحضر المجاهد صالح شنطة من المتفجرات تزن 7 كيلو جرامات كانت معدة في الماضي لأحد الاستشهاديين الذي لم تتم عمليته لأسباب كثيرة، وحينها تم إعادة شنطة المتفجرات فوصلت ليد المجاهدين إبراهيم عباهرة ورواد عباهرة فاحتفظا بها ووصلت منها للمجاهد صالح جرادات، وطلب حينها من المجاهد أحمد الشيباني تسليمها للمجاهدين حسام ونهار ورامي، ونجحت المجاهدة هبة دراغمة في تنفيذ العملية في العفولة، وقُتل ثلاثة من الصهاينة، وعلى أثرها تم اغتيال المجاهد صالح جرادات في 12/ 06/ 2003م، عندما كان مع المجاهد فادي جرادات شقيق خطيبته هنادي جرادات أمام منزلهم في جنين، وأصر المجاهد سامي على جعل المجاهد أمجد عبيدي يتسلم قيادة سرايا القدس في مدينة جنين خلفًا لأخيه الشهيد صالح جرادات.

عملية هنادي جرادات

بعد استشهاد المجاهد صالح توجه أخوه سامي (أبو عبد الله) إلى مواساة وتعزية عائلة خطيبة صالح ولاسيما أن فادي قد استشهد أيضًا إلى جانب صالح، وهناك طلبت المجاهدة هنادي الحديث مع المجاهد سامي، ودار النقاش الطويل معها، وقال المجاهد أبو عبد الله ماذا تريدين يا هنادي؟ فقالت: يا أبا عبد الله يجب أن ننتقم من العملاء الذين يقفون وراء اغتيال صالح وأخي فادي، فقال أبو عبد الله: العمل يجب أن يتركز ويوجه فقط إلى صدر العدو الصهيوني، فقالت حينها: أريد أن أكون استشهادية، فقال لها أبو عبد الله: إنك يا هنادي محامية، وأمامك مستقبل، وصعب جدًا أن نحقق لك هذا الأمر، ولاسيما أنك امرأة وأنت تعلمين أن المجتمع الفلسطيني لا يتقبل حتى الآن فكرة مشاركة المرأة في الجهاد والمقاومة والعمليات الاستشهادية، والأهم أننا نخاف أن يتم اعتقالك وتصبحين أسيرة لدى العدو الصهيوني.

وما أن أنهى المجاهد سامي جرادات كلامه للمجاهدة هنادي حتى قامت بتقديم مرافعة شفهية بصفتها محامية درست القانون في جامعة جرش الأردنية في العام 1999م، وأسمعته مرافعتها أمام محكمة المجتمع الفلسطيني وأفكاره السائدة بحق المرأة الفلسطينية وتصورات الناس الخاطئة، فقالت: يا شيخ سامي، يا أبا عبد الله، هل تعلم أن العدو الصهيوني عندما قام باحتلال فلسطين في العام 1948م لم يفرق بين رجل وامرأة وأنه أبعد الكثير من النساء ومنهن المناضلة عطاف عبد الهادي رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية، والكثيرات من النساء اللواتي حرمن من أطفالهن وبيوتهن وتركن يعانين مرارة الغربة والتشتت بالإضافة إلى ممارسة الاحتلال سياسة الاعتقال ضد النساء، ولم يبدأ هذه السياسة حديثًا، بل بدأها مع انطلاقة الثورة الفلسطينية حيث سارعت نساء فلسطين للانخراط في صفوف الثورة الفلسطينية، فحملن السلاح وقاتلن العدو جنبًا إلى جنب مع الرجال، وخضن المعارك ونفذن عمليات نوعية كاختطاف الطائرات فوقع بعضهن أسيرات لدى العدو الصهيوني، ومنهن الأسيرات عتيقة بنورة، وليلي خالد، وتيريز هلسة، وفاطمة برناوي، وعائشة عودة، ورسمية عودة.

في انتفاضة العام 1987م وقعت الأسيرة المجاهدة عطاف عليان أسيرة لدى العدو الصهيوني عندما كانت تحاول تفجير الكنيست الصهيوني، وفي انتفاضة الأقصى وقع العديد من الماجدات الفلسطينيات أسيرات لدى العدو الصهيوني أثناء قيامهن بالواجب النضالي، ومنهن المجاهدة لينا الجربوني من عرابة البطوف بالداخل المحتل، ولم يتراجعن عند دورهن الريادي في المقاومة، بل صبرن صبر الرجال، بل أشد من ذلك، وليس هذا فحسب يا أبا عبد الله، بل اعلم -يرحمك الله- أن المرأة الفلسطينية منذ بداية الثورة الفلسطينية شاركت الرجال في حمل السلاح، وهي تعلم أن روحها قد تصبح ثمنًا لعملها ذاك، ولكنها لم تهتم ولم تتراجع وشاركت في كل أشكال النضال المسلح فالبطلة ليلي خالد كانت أول سيدة عربية شاركت في عملية فدائية لخطف طائرة أمريكية متوجهة إلى

سورية، وذلك للفت نظر العالم للقضية الفلسطينية، وليس هذا فحسب، بل إن الشهيدة شادية أبو غزالة استشهدت أثناء قيامها بصناعة قنبلة متفجرة، وكذلك الشهيدة البطلة دلال المغربي التي قادت في 11/ 03/ 1978م مجموعة من عشرة رجال في عملية استشهادية نوعية احتجزت فيها المجموعة حافلة ركاب وسارت بهم نحو "تل أبيب" بهدف مبادلة ركابها بأسرى فلسطينيين وانتهت هذه العملية باستشهاد المقاومين، ومن بينهم دلال التي لن ينسى أحرار وشرفاء العالم منظر المجرم الصهيوني إيهود باراك وهو يجرها من شعرها وهي جثة هامدة ليقوم بعد ذلك بإطلاق النار عليها، وهذا يدل على مدى وحشية وإجرام هذا العدو الصهيوني، فبقيت قوافل الشهداء مستمرة بلا توقف.

استمرت المرأة في جهادها ومقاومتها للمحتل الصهيوني، ففي الانتفاضة الأولى في العام 1987م كانت المرأة طليعة الانتفاضة، تحمل الأعلام في المظاهرات وترشق الحجارة، وتشجع الرجال، وكان لها أيضًا دور عسكري سواء بالرشق بالحجارة أو زرع العبوات الناسفة، أو نقل الأموال ومساعدة المقاومين، ومع كل ذلك يا أبا عبد الله تقول إن المجتمع لا يقبل فكرة جهاد المرأة، أولم تر أن المرأة في بداية انتفاضة الأقصى كتبت بدمائها تاريخًا جديدًا ببطولاتها؟ ألم تسمع بأخواتي وفاء إدريس التي نفذت أول عملية استشهادية والتي جاءت من مخيم الأمعري للاجئين في رام الله وفجرت نفسها في مدينة القدس بتاريخ 28/ 01/ 2002م؟ وجاءت بعدها بنت جبل النار دارين أبو عيشة من مدينة نابلس، ومن بعدها الاستشهادية عندليب طقاطقة من مدينة بيت لحم، وهل نسيت يا أبا عبد الله عملية الاستشهادية هبة دراغمة ابنة مدينة جنين، والتي كان عمرها تسعة عشر عامًا وهي طالبة في جامعة القدس المفتوحة حيث نفذت العملية الاستشهادية في العفولة التي وقعت بعد ظهر يوم الاثنين في 19/ 05/ 2003م على المدخل الشرقي لمجمع "عتيليم" التجاري في منطقة العفولة شمال فلسطين المحتلة؟ مما أسفر عن مقتل 3 صهاينة وإصابة العشرات، وهل تعلم لماذا أخفوا تفاصيل هذه العملية الاستشهادية يا أبا عبد الله؟ فأجابها أبو عبد الله: نعم أعلم لماذا يا هنادي؛ لأن أخي الشهيد صالح خطيبك _رحمه الله_، هو المسئول الأول عن هذه العملية، وبسببها تم اغتياله.

أدرك المجاهد سامي أنه يقف أمام امرأة صلبة عنيدة وواعدة ومحامية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فعلم حينها أن المرأة الفلسطينية قد قاسمت الرجل شرف تنفيذ العمليات الاستشهادية، تلك العمليات التي يقدم المرء عليها وهو يعلم سلفًا أنه مقدم على الموت، فلا يخاف ولا يتراجع، وأدرك أنه لا مجال لأن تتوانى المرأة الفلسطينية عن خوض هذا الصنف من العمليات التي تعتبر أصدق وأجرأ صيحة احتجاج على العدو الصهيوني، فهي بمثابة الشمعة التي أضاءت فضاء الأمة المظلم، وهنا صمت المجاهد سامي قليلًا، ثم قال للمجاهدة هنادي: لك ما تريدين يا أخت الرجال، وسأساعدك فيما تريدين، واشترى لها شريحة جديدة للتواصل ليكون التواصل فقط عبر الرسائل

والكلمات المشفرة لضمان نجاح العملية، وطلب المجاهد سامي من المجاهدة هنادي أن تحافظ على سرية الأمر ليتكلل بالنجاح، وما كانت المجاهدة هنادي تسمع بوقوع عملية استشهادية حتى تبدأ تتساءل: متى سيأتي الدور؟ ومتى سنلقى الأحبة محمدًا وصحبه؟ وقد اشتاقت إلى الجنة وأدركت أنها سلعة الله الغالية، ولهذا أعدت واستعدت إلى لقاء الله ـعز وجلـ، وعرض المجاهد سامي هذا الأمر على المجاهد نعمان طحاينة الذي أيد أن تتم هذه العملية، وأن يتم مساعدة المجاهدة هنادي، ودار النقاش بينهما حول المكان، فطرح المجاهد سامي أن يكون الهدف في القدس المحتلة، بينما رأى المجاهد نعمان أن يكون الهدف مدينة حيفا المحتلة لكون غالبية السكان فيها من اليهود الصهاينة، واتفق المجاهدان على أن يكون الموقع حيفا، وبدأت الاستعدادات لهذه العملية، ولاسيما أن المجاهدة هنادي انتظرت ما يقارب ثلاثة أشهر للوصول إلى هذه اللحظة المنشودة، وذهب المجاهد سامي لإخبارها بموعد العملية، وهو يوم الخميس في 02/ 10/ 2003م، وأن الهدف هو حيفا، وكان في يديه شعار جديد لحركة الجهاد الإسلامي مرسوم على إحدى العصبات، وأصرت حينها ألا يتصور به أحد قبلها، وكان لها ما أرادت.

بدأ المجاهد سامي يشرح لها طريقة الوصول إلى حيفا وتنفيذ العملية الاستشهادية بحيث تخرج من مدينة جنين عبر السيارات التي تقل المواطنين إلى داخل حيفا من حملة الهويات "الإسرائيلية" أو من حملة التصاريح، وكانت تحمل هوية "إسرائيلية" مزورة، وطلب منها المجاهد سامي أن يكون حديثها فقط باللغة الانجليزية عندما تصل إلى حيفا، وذلك لإبعاد الشبهات عنها ولاسيما أنه في تلك الفترة كانت قد قامت الحكومة الصهيونية بتشديد الإجراءات الأمنية والحصار على الضفة الغربية بدخول اليهود في عيد ما يسمى يوم الغفران من شهر أكتوبر (تشرين أول) من العام 2003م، وعندما تركب في السيارة التي ستقلها من جنين تطلب من السائق أن يوصلها إلى مشفى "رمبام" بحيفا من أجل الذهاب للعلاج، وبالقرب من هذا المشفى يوجد محطة باصات صهيونية، وهناك تركب في إحدى السيارات للوصول إلى المكان، وسوف تقوم بالاتصال على المجاهد سامي ولا تتحدث معه فقط عبارة عن رنة واحدة، وستقول في الرسالة إنها قد وصلت إلى مدينة رام الله، أي كناية عن وصولها إلى حيفا، وهناك تختار الموقع الذي تريده إما في حافلة صهيونية أو في تجمع كبير للصهاينة، أو في مطعم لاسيما وأن ذلك المكان مليء بالصهاينة، فهكذا كانت الخطة التي وضعها المجاهد سامي للمجاهدة هنادي، ولم يتبق سوى أن تكتب وصيتها بنفسها وتتجهز للعملية، وأحضر لها المجاهد سامي جرادات حزامًا ناسفًا يزن 7 كيلو جرامات من المتفجرات، وكان من المفروض أن تكون العملية يوم الخميس إلا أن ظروفًا خاصة جعلها تؤجل الخروج لتكون العملية في يوم السبت بتاريخ 04/ 10/ 2003م.

وإذ خرجت هذه المجاهدة، هذه المحامية، هذه التلميذة الخاصة والفريدة فلا يجب أن تعيقها لحظة استقرار في الحياة عن السير والتحول، فالألم

والحرمان هما غذاء هذه الشجرة التي يجب أن تنمو في نور الوعي، وتثمر من أجل الحرية والعدل، وخرجت من منزلها في صباح يوم جميل مشرق في حوالي الساعة السابعة والنصف دون أن تودع أحدًا، أو يظهر عليها أي تغيير يوحي أنها عازمة على تنفيذ أمر ما، ولسان حالها يقول لأمها: يا أماه إني لا أحب أبدًا أن أختار بيتًا غير هذا البيت، أماه إني لن أفارقكم أبدًا. وما أن أتمت قولها في سرها حتى أحست أن أمها تقول لها: يا هنادي، يا ابنتي إن الجميع يقول هذا يا ابنتي، ودعي موعده يصل بنفسه، فخرجت من المنزل وقد أقسمت على أن تضحي بنفسها من أجل مبادئها مفضلة بذلك الوفاء لخطيبها صالح، ولأخيها فادي وللشهداء، والأهم أنها خرجت في سبيل الله، والدين والحرية والوطن. فقالت حين خروجها من المنزل وبدأت تسير بخطواتها الأخيرة في شوارع مدينة جنين: يا رباه لا يمكنني إحصاء نعمك وألطافك، إلهي لست ضائقة بلقائك، ولكنني أطمع أكثر وأكثر في أن أكون مستحقة للنعمة التي تمنحها لي، فتوجهت بحزامها الناسف إلى مدينة حيفا لتنفيذ الخطة كما تم وضعها، فما أن وصلت إلى حيفا حتى رنت رنة واحدة على المجاهد سامي وقالت إنها قد وصلت إلى مدينة رام الله، وكان ذلك في يوم السبت بتاريخ 04/ 10/ 2003م، وما أن وقفت أمام الهدف الذي اختارته في ذلك اليوم وفي ذلك المكان حتى رنت مرة أخرى على المجاهد سامي جرادات وكان ذلك في تمام الساعة الثانية والعشرين دقيقة وقالت أنا مروحة، فعلم حينها المجاهد سامي أن المجاهدة هنادي ستفجر نفسها خلال دقائق أو ربما خلال الثواني القادمة، فبدأ يدعو الله _عز وجل_ لها بالنصر والنجاح في عمليتها الاستشهادية، وكان متفائلًا جدًا، رغم أن ذلك اليوم كان يوم السبت وكان يوم عيد بالنسبة للصهاينة، وهو عيد "الكيبور" أي الغفران، وبالتالي يكون الصهاينة في مثل هذا اليوم أعدادهم محدودة، ولكن شاء الله شيئًا آخر، هو أن جعل الصهاينة في ذلك اليوم وفي ذلك المكان بأعداد كبيرة لتتحقق رؤية والدة المجاهد سامي جرادات والتي رأت في منامها أن هنالك عملية استشهادية وبها عدد ضخم من القتلى الصهاينة.

النصب التذكاري للقتلى الصهاينة
في عملية حيفا الاستشهادية بتاريخ 04/ 10/ 2003م

تجسدت تلك الرؤية على أرض الواقع حيث فجرت الاستشهادية هنادي نفسها الشريفة في مطعم "مكسيم" الصهيوني على شاطئ حيفا، فقتلت ثلاثة وعشرين صهيونيًا وجرحت العشرات ليكون من بين القتلى قائد القوات البحرية السابق وعائلته فكانت الاستشهادية هنادي هي الاستشهادية السادسة في انتفاضة الأقصى والثانية في صفوف سرايا القدس، وأول الاستشهاديات في العام الرابع للانتفاضة، ولذلك أثبتت المجاهدة الاستشهادية

هنادي جرادات والمرأة الفلسطينية بشكل عام أنها ليست أقل قدرة من الرجل على تكبيد العدو الصهيوني الخسائر الباهظة، ولهذا لقد شكلت المرأة الفلسطينية حالة غير مسبوقة على الصعيدين العالمي والتاريخي، ومن هنا يصبح إدعاء الصهاينة، ومن اتبعهم واقتدى بهم بأنه لا تقدم على تنفيذ عمليات استشهادية إلا نساء يائسات من الحياة ويعانين من أمراض جسدية ونفسية ولهن مشاكل عائلية اجتماعية صعبة، هو إدعاء باطل ولا صحة ولا أساس له بأن هذه العمليات هي حق مشروع لكل فلسطيني ولكل من يعاني من الاحتلال الصهيوني، وأن من نفذ هذه العمليات معظمهن فتيات خريجات جامعيات، أو متزوجات أو عاملات مستقرات، في حياتهن المهنية، ولكن الإيمان بالله أولًا، ثم بعدالة قضيتهن ثانيًا، ثم بضرورة أن يسمعن صوتهن للعالم الجائر، والذي ينحاز دومًا للعدو الصهيوني رغم أنه يدعي الديمقراطية والحرية والعدالة والمساواة، وهو حقيقة يتغاضى عن حق الشعب الفلسطيني في العودة لأرضه ووطنه، وتقرير مصيره، وإقامة دولته على كامل التراب الفلسطيني المقدس، ولهذا دفعن أرواحهن رخيصة على مذبح الحرية والتحرير.

فيا أيتها المحامية، يا سيدة المجاهدات ويا سيدة الاستشهاديات، لا أدري ماذا أكتب عنك، وماذا أقول سوى أني أردت أن أقلد أحد كبار خطباء فرنسا في حديثه عن مريم عليها السلام، مرة أمام لويس فقال: ألف وسبعمائة عام وكل خطباء العالم يتحدثون عن مريم، ألف وسبعمائة عام وكل فلاسفة ومفكري الشعوب في الشرق والغرب وهم يشرحون فضائل مريم، ألف وسبعمائة عام والشعراء يستخدمون كل قواهم وتتفانى الشعوب وهم يخلدون المعاجز الفنية في إظهار مُحيا وحالات مريم، ولكن كل هذه الكلمات والأقوال والأفكار والجهود طوال هذه القرون العديدة والمديدة لم تستطع أن تبين عظمة مريم، كما بينتها هذه الجملة مريم هي أم عيسى، لذلك أنا أجيز بنفس الحديث عن هنادي لأقول: إن هنادي من بيت آل جرادات وفي بيت أبيها وأمها، فوجدت أنها ليست هنادي، وأردت أن أقول إن هنادي هي المحامية وهي ابنة الثامنة والعشرين حين فجَّرت نفسها، فوجدنا أنها ليست هنادي، وأردت القول إن هنادي هي خطيبة صالح الشهيد وأخت الشهيد فادي، ولكننا وجدنا أنها ليست هنادي، أردنا القول إنها ابنة سرايا القدس فلم أجدها هنادي، كلا فهذه كلها هي وليست هي كلها، فهنادي هي هنادي.

اعتقاله والحكم عليه

وما كان حينها من المجاهد سامي إلا أن يسجد شكرًا لله ويحمده على هذا النجاح في هذه العملية، وأوعز حينها إلى المجاهد أمجد عبيدي وسلمه أشرطة الفيديو الخاصة بهنادي لكي يرسلها للإعلام، ليعلن

عن العملية الاستشهادية، تلك العملية التي أثلجت صدر الشعب الفلسطيني، من شماله إلى جنوبه، وعلى أثرها قام العدو الصهيوني بقصف مواقع عسكرية للجهاد الإسلامي في خارج فلسطين، واجتاح العدو الصهيوني مدينة جنين، وبدأ البحث عن قادة سرايا القدس إلا أن المجاهدين سامي جرادات ونعمان طحاينة قد استطاعا أن يتواريا عن عيون العملاء، وما هي إلا سبعة عشر يومًا من تاريخ العملية حتى قرر حينها المجاهد سامي الذهاب لزيارة عائلته في سيلة الحارثية، وكان ذلك في شهر أكتوبر (تشرين أول) في موسم قطف الزيتون، فدخل إلى البيت في تمام الساعة السابعة صباحًا في تاريخ 22/ 10/ 2003م وما أن استراح قليلًا وبدأ بالوضوء إذا بالجيش الصهيوني يحيط بالمنزل من كل مكان، وكأنهم كانوا يراقبون المنزل على مدار الساعة، وما أن رأوه يدخل المنزل حتى قاموا بتطويق المنزل والبحث عنه ولا سيما أنه تمكن من الهرب والابتعاد عن المكان إلى مكان آخر،

CICR

هذه الشهادة سارية المفعول فقط في حالة تطابق بياناتها باللغتين العربية والإنجليزية

Date: 20.08.2006

التاريخ

Place: JENIN

المكان

توقيع مندوب اللجنة

وقد استظل تحت سور بعيدًا عن أنظار الجنود الصهاينة وبعد أربع ساعات أحضر الجيش الصهيوني وحدة لتتبع الأثر وأحضروا الكلاب البوليسية المدربة وعثروا عليه، وبدأ التحقيق الميداني معه، ومن ثم تم نقله إلى تحقيق الجلمة ليمكث هناك حوالي ثلاثة أشهر ونصف، ويحكم عليه بتاريخ 19/ 02/ 2004م بثلاثة وعشرين مؤبدًا وليهدموا منزله بعد 35 يومًا من اعتقاله، وبدأ مشواره الجهادي الجديد في سجون الاحتلال الصهيوني ليكتب الله ـعز وجلـ له أن يتزوج معظم أولاده وبناته وهو في سجون الاحتلال، ورزقه الله حتى اليوم 12 حفيدًا، ولا زال ينتظر اليوم الذي يكون فيه إلى جانب أولاده وبناته وأحفاده ولقد تحقق نصر الله عز وجل وتحرر الأسرى والمسرى، ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريبًا.

الأسير المجاهد
سامح سمير محمد الشوبكي

رمز الإرادة الصلبة وبراعة التخطيط والتنفيذ

تاريخ الميلاد: 1980/12/04م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مدينة قلقيلية - محافظة قلقيلية

عدد أفراد العائلة: 13

تاريخ الاعتقال: 2003/10/26م

الحكم: مؤبد و20 عاماً

هو من عائلة فلسطينية تنحدر من الساحل الفلسطيني الأوسط، وبالتحديد من بلدة سيدنا علي أو بلدة الحرم سيدنا علي، والتي أطلق عليها الاحتلال بعد احتلالها مدينة "هرتسيليا"، وعائلة الشوبكي أصابها ما أصاب الكثير من العائلات الفلسطينية من الطرد والتهجير من موطنها من قبل الاحتلال الصهيوني وعصاباته، وأسيرنا كما يقول فإن وقائع ثلاثة ساهمت في بلورة نشأته المقاومة، وهي: (النكبة وما رافقها، صفقة تبادل الأسرى في العام 1985م، انتفاضة الحجارة التي اندلعت في العام 1987م). هذه الأحداث شكلت أحداثًا تركت الأثر الكبير في صياغة شخصية الأسير المجاهد سامح الشوبكي.

أما أحداث النكبة وما رافقها: فإن حديث النكبة والطرد والظلم الذي كان ظاهرًا في حديث رجالات العائلة، وكان كثيرًا ما يسمعه المجاهد سامح وهو لا يزال طفلًا صغيرًا؛ ذلك الحديث الساخن في كثير من الأحيان ترك تساؤلات كثيرة، كانت السنوات التالية في مرحلة المراهقة والدراسة والحي والمسجد كفيلة بتوضيح بعضها، ومن ذلك: الاحتلال، الشهداء، التهجير، النكبة، بلدة سيدنا علي، الصهاينة، المقاومة وحركاتها.

طفولة المجاهد وعائلته

ترعرع المجاهد سامح في كنف عائلة تتناقل حكاية قتل أبنائها الستة في مجزرة مروعة ارتكبتها عصابات الإجرام الصهيوني (الهاجاناة، اتسل، الليحي) وكيف قاوم شباب العائلة أهداف هذه العصابات التي كانت تريد إجلاء العائلة وعائلات أخرى من منطقة سيدنا علي الاستراتيجية؛ لأنها تمثل حلقة وصل بين (تل الربيع وأم خالد وحيفا). ومع اندلاع حرب العام 1948م، وقع شباب العائلة في قبضة هذه العصابات التي قامت على الفور بإطلاق النار عليهم عند جسر البلدة لتكون هذه المجزرة الأولى المروعة التي تشهدها هذه البلدة الفلسطينية الوادعة وتفجع العائلة بهذا المصاب، وأمام المطاردة والضغط والإرهاب تتشرد العائلة من بلدها ويفر من تبقى منها، وتتوجه العائلة شرقًا ليستقر بها الحال في قرية الطيرة في المثلث، وبعد ذلك انتقلت للعيش في مدينة قلقيلية التي كانت لا تزال وقتئذ بلدة صغيرة.

ودائمًا ما كانت الجدة أم سلمان الشوبكي ـ رحمها الله ـ تجمع أطفال العائلة في أواسط الثمانينات من القرن العشرين، وتبدأ بسرد وقائع المجزرة والقتل والنكبة والحق الضائع والاحتلال وحتمية العودة وأن شباب فلسطين على عاتقهم مسؤولية تحرير فلسطين من الاحتلال، وأن هؤلاء الأطفال الذين كان المجاهد سامح يجلس بينهم يسمع بكل حواسه لحكاية جدته عن مقتل أجداده، ويبدأ يتخيل نفسه رجلًا يقتص من القتلة الصهاينة، وينتقم لكل فلسطين، ودائمًا ما كانت الجدة أم سلمان الشوبكي ما تصاحب روايتها بالدموع الساخنة، والعويل على مقتل والدها وأعمامها وتقول: فلسطين أمانة في أعناقكم،

آثار مسجد بلدة سيدنا علي المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

وهكذا كان يفعل الحاج محمد الشوبكي (أبو سامي) وهو جد المجاهد من والده حيث كان دومًا يتحدث عن فلسطين التاريخية لأحفاده وعن جمال البلاد وعن حياة البساطة والهدوء وروعة العيش في سيدنا علي، وكيف جاء الاستعمار البريطاني ليتم وضع المخططات الخبيثة والمؤامرات من أجل زرع الكيان الصهيوني في فلسطين، واقتلاع الفلسطينيين من أرضهم وطردهم منها، وكيف قامت العصابات الصهيونية بقتل إخوته، ودائمًا كان يقول: "لا يوجد حق يضيع وخلفه هذا الحق رجال يطالبون به"، وبذلك ساهم الجد وهو من رأى وعاين كل المحطات الصعبة التي مرت بها القضية الفلسطينية بزرع حب الوطن وحب العودة إلى الديار في قلب أحفاده، وأن فلسطين أمانة لا يجوز أبدًا المساومة عليها أو القبول بالتفريط بأي جزء منها.

وأما الحدث الثاني الذي أثر كثيرًا في طفولة المجاهد سامح، وقد كان ابن الخامسة فقط من

عمره فهي صفقة تبادل الأسرى التي تمت بين الاحتلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة (أحمد جبريل). ففي إحدى الصباحات بدأت عائلة الشوبكي تتزين وبدت معالم الفرحة والبهجة بادية على وجوه الجميع، وعندما سأل الطفل والده "شو في، وما سر هذا الفرح؟ هل يوجد عرس أو مناسبة أو ماذا؟" وطبعًا بلغة الأطفال، قال الوالد أبو محمد سمير الشوبكي: "اليوم يا بوي أعمامك سوف يخرجون من سجون الاحتلال"، وسرعان ما أدرك المجاهد سامح مع صغر سنه أن لديه اثنين من الأعمام (سامي وطالب الشوبكي) وهم من فدائيي الثورة؛ في سجون الاحتلال منذ أواخر سنوات الستينات، ومحكوم عليهما بالسجن المؤبد بعد اشتراكهما في عمليات فدائية من خلال دوريات قطعت الحدود مع فلسطين من الأراضي الأردنية ليهاجما مواقع عسكرية صهيونية وليقعا بعد ذلك أسرى، لقد عمت الفرحة شوارع قلقيلية بعد أن خرجت عن بكرة أبيها لاستقبال الأبطال الأسرى.

لقد كان ينظر الطفل المجاهد سامح إلى عميه نظرة إعجاب وفخر ويحدث أصدقاءه الصغار عنهما، وكيف مكثا في السجون الصهيونية قرابة العشرين سنة؛ لأنهما فدائيان رفضا الاحتلال...إلخ.

عزز الأسيران المحرران العمان سامي وطالب الشوبكي معاني الثورة، والعزة والكرامة والحرية وقيمة فلسطين وواجب الدفاع عنها في نفوس أبناء عائلة الشوبكي الصغار وسمعوا منهما الحديث الطويل عن حياة الفدائي التي تحفل بالمغامرة، وكذلك حياة السجون والاعتقال والصبر والثبات، وكانت لحظة لقاء ذلك الطفل الصغير بعميه الأسيرين المحررين من السجون لحظة فارقة في بلورة المقاتل المقاوم الذي عرف أن عليه واجبًا يجب أن يقوم به فور وصوله إلى سن تؤهله لذلك، وما هي إلا سنوات قليلة جدًا حتى كانت فلسطين على موعد مع انتفاضة الحجارة في العام 1987م.

هذه الانتفاضة التي أظهرت الوجه الحقيقي للفلسطينيين وأصالة تعلقهم بالقضية الفلسطينية من مقدسات وأرض وحق تقرير للمصير وعودة... إلخ، وكان المجاهد سامح رغم صغر سنه لا يترك مجلس شباب العائلة وعميه الأسيرين المحررين الذين لا يتحدثون إلا عن حدث واحد، وهو الانتفاضة وفعالياتها والمسيرات والتصعيد والشهداء والأسرى والفصائل، وصوت الرصاص ومشاهد رشق الاحتلال ومستوطنيه بالحجارة والزجاجات الحارقة، وأصوات التكبيرات والإضرابات.

في ذلك الوقت كان المجاهد ومجموعة من أصدقائه في المدرسة الابتدائية (مدرسة المرابطين الأساسية) على موعد يومي لرشق الاحتلال بالحجارة، ولكن بطريقة أشبال الحجارة، وكم كانت السعادة غامرة يوم نجح هؤلاء الصبية بإصابة دورية الاحتلال العسكرية ببعض الحجارة الصغيرة!

تركت مشاهد الانتفاضة الأولى عظيم الأثر في نفس ذلك الصبي الطفل الذي كان ينظر بكل ذهول إلى تلك الجموع من الشباب الفلسطيني الملثم الذين كانوا بمثابة (السوبر مان)، هؤلاء

الشباب الذين مثلوا جيشًا فلسطينيًا للدفاع عنها، وهنا تتولد الأماني لدى الأسير وأصدقائه الصغار بأن تمر السنوات مسرعة لكي يتحولوا إلى شباب، ويلتحقوا بصفوف المقاومة، ويضعوا الأعلام الفلسطينية على أجسامهم ووجوههم، وكذلك الحال رأى سامح كما كل أطفال فلسطين وحشية الاحتلال وعدوانيته وبطشه وكيف يطلق الرصاص والغاز المسيل للدموع صوب الناس والأطفال، وكيف يعربد المستوطنون في كل مكان، وتتكرر المأساة في نهايات العام 1988م حيث داهمت قوات مدججة بيت المجاهد "الطفل" لتقوم باعتقال والده أبو محمد سمير الشوبكي وتأخذه إلى جهة مجهولة، ولقد بكى ذلك الطفل بكاءً مريرًا على فراق والده، وطرح الأسئلة الصعبة على كل من رآه: أين والدي؟ متى سيعود؟ لماذا أخذوه؟ هل سيقتلونه كما فعلوا بأجدادي في بلدتنا سيدنا علي؟

وفي كل مرة يسمع إجابات غير مقنعة في ظل استمرار غياب والده، الذي اتهمته قوات الاحتلال بوضع شبكة كهربائية لعبوة زرعت في مغتصبة "كفار سابا"، وما هي إلا أشهر حتى عاد الوالد يحمل لحية طويلة ضعيف الجسد غائر العينين، وفي يديه علبة كولا صغيرة، وما أن رأى سامح الصغير حتى أخذه في أحضانه، ويقول له: هذه لك، لقد أحضرتها لك يا ولدي! وبدأ يحدث المحيطين بقصة أيام الاعتقال ووحشية التحقيق، وذلك الطفل يسمع ويحتار ويصاب بالصدمة من هؤلاء البشر الذين يعذبون الناس ويعتدون عليهم، فماذا يريدون؟ إنه الصراع على فلسطين، إنهم يريدون أخذ فلسطين، الأرض والبحر والدار والحقول والجبال من أهلها، إنهم يريدون سرقة فلسطين من أهلها، ونحن أهلها هكذا كان يقول الكبار الغاضبون أمام الأطفال الذين يسترقون السمع.

ومع تقدم السنوات وتكشف الحقائق أمام الشعب الفلسطيني حول قيام منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات بمغامرة المفاوضات والاعتراف بالجلاد واللص والقاتل مرتكب المجازر والتطهير العرقي في النكبة والتشريد والقتل الجماعي بالنكسة...إلخ، والاعتراف للصهيونية بحقها في وجود دولة لها اسمها "إسرائيل". لقد صُدم شباب الانتفاضة من هول هذا التراجع، وانصدم كل من هو محيط بالمجاهد الذي يبلغ من العمر الآن ثلاث عشرة سنة من عمره. وأدرك من كل ذلك اللفظ عبارة واحدة هي أن هناك من الفلسطينيين من يريد إعطاء الاحتلال أرضنا والتنازل عن حقنا فيها، وهذا يعني أن حب وعشق تلك البلدة الساحلية "سيدنا علي" سوف تكون للصهاينة ولن نعود إليها، وأن هناك من خان وصية الجدة أم سلمان الشوبكي والجد أبو سامي الشوبكي، وخان تلك السنوات الطويلة التي خُطِف فيها العمان سامي وطالب الشوبكي في السجن، وأن تلك الأماني بتحرير فلسطين والعودة إلى الديار غير متاحة الآن.

لذلك أصاب ذلك الشبل غضب شديد ورفض مطلق لكل حديث عن اتفاق مع الاحتلال، وبكل ما لديه من عبارات بسيطة عبّر عن رفضه لما يطلق عليه دولة فلسطين بدون فلسطين، وكان معارضًا لما عُرف باتفاق أوسلو

ومن قام به بعيدًا عن النضج السياسي، وكم كان يكون النقاش حادًا وفوضويًا بين من اعتقد أن ما قام به (أبو عمار) خيانة للقضية وبيع للوطن، ومن اعتقد أن هذا المسار معقول، وهذا النقاش لم يكن لشبل صغير إدراك أبعاده، وكل ما كان في خاطره هو تلك الوصايا من جدته وجده بضرورة الدفاع عن كل فلسطين وعن مقدساتها، وأن على الشباب أن يعودوا إلى ديارهم، وكل من يقول بخلاف ذلك فقد خان أمانة الشهداء واللاجئين والمشردين.

لقد كانت المدرسة هذه المرة ساحة الوعي الجديدة التي وجد فيها المجاهد سامح بعض رغباته الوطنية وإفراغ طاقاته الشبابية، وكانت باحة المدرسة فرصة لالتقاء سامح بالفصائل الفلسطينية بتوجهاتها المختلفة، وكان لقاؤه مع مجموعة من المعلمين الذين لا يخلو حديثهم أثناء الدرس من الحديث عن فلسطين، لقد أحب المجاهد الطالب في صفوف الدراسة كل معلم كان يتحدث عن فلسطين بشغف، وكره كل من تحدث عن السلطة ومشروعها السياسي التفاوضي، وفي داخل أسوار المدرسة سيكون أول لقاء مع العمل الطلابي المنظم، وفي إطار طلابي واضح يعبر فيه ومن خلاله المجاهد سامح عن رفضه لكل إفرازات اتفاق أوسلو من خلال: (الإذاعة المدرسية، تنظيم الفعاليات الطلابية، توزيع النشرات والبيانات السياسية، الدعوة المستمرة إلى اعتبار أوسلو وكل مخرجاته نقطة سوداء في تاريخ القضية).

وشكل شهر فبراير (شباط) في أواسط سنوات التسعينات منعطفًا هامًا في حياة المجاهد، بل وفي حياة جيل فلسطيني كامل حين وقعت مجزرة الحرم الإبراهيمي بتاريخ 25/ 02/ 1994م،

هذه المجزرة البشعة التي مثلت شعلة لاندلاع هبة جماهيرية فلسطينية غاضبة ضد الاحتلال، والأهم تلك الردود من حركات المقاومة الإسلامية وفي مقدمتها حركة الجهاد الإسلامي، وحركة حماس التي ابتدعت ذلك الأسلوب الجهادي، الذي أدهش العالم بأسره من خلال العمل الاستشهادي التفجيري. في تلك الأيام المشتعلة وجدت فرصة لممارسة العمل الانتفاضي الغاضب بعد سنوات من اغتيال انتفاضة الحجر برصاص أوسلو الغادر، فخرج الشباب وكان بينهم سامح في ثورة شعبية غاضبة ضد الاحتلال، وفي كافة أماكن التماس في محافظة قلقيلية، وقد تبين دور أجهزة السلطة الفلسطينية السلبي واشتراكات اتفاق "أوسلو" المشئوم.

أدرك الجميع ماهية ودور أجهزة السلطة الأمنية، وهذا تجلى بتلك الحملات من الاعتقالات في صفوف حركتي الجهاد الإسلامي وحماس بعد تنفيذ العمليات العسكرية الاستشهادية المفخرة

والشجاعة والتي قلبت الطاولة بالمعنى السياسي والميداني والوطني على رأس الاحتلال الصهيوني، وفي هذه الاعتقالات وتلك العمليات البطولية التي وصلت قمة العطاء البشري بتحويل أجساد الفلسطينيين إلى قنابل تتشظى في مستوطنات الاحتلال في فلسطين التاريخية. لقد شكلت هذه العمليات وتلك الاعتقالات السياسية التي تقوم بها أجهزة السلطة إشارات مبكرة للمجاهد سامح أن الحركة الإسلامية في فلسطين هي من يحمل الآن أمانة فلسطين والدفاع عنها، وأن فلسطين لا تزال تحتفظ ببقية باقية يدافعون عنها.

وفي العام 1999م كان المجاهد سامح على موعد مع الالتحاق بصفوف الحركة الإسلامية

المجاهدة في فلسطين، والتي رأى بها ضالته إلى فلسطين، وبالتحديد الانتماء إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، فمن خلال الالتحاق بصفوف الجهاد "أدرك سامح رشده الجهادي الإسلامي المفعم بالنضوج"، وحول اختياره لحركة الجهاد الإسلامي للالتحاق بصفوفها كانت لحادثة اغتيال الأمين العام والمؤسس الدكتور فتحي الشقاقي بتاريخ 26/ 10/ 1995م، وما رافقها من أحداث، ولعملية بيت ليد البطولية التي كان يسمع تفاصيلها بشغف من فم والده أبو محمد الذي يتقن اللغة العبرية، واعتاد ترجمة الإعلام المرئي والمسموع أمام أبنائه وما يقال عن فتحي الشقاقي رجل الإرهاب الفلسطيني حسب إعلام العدو، وكذلك التعليق على عمليات الجهاد التي غالبًا ما كانت تستهدف العمود الفقري لمجتمع الاحتلال والجيش الصهيوني، وهذا ما جعل من الجهاد في سنوات التسعين رقمًا صعبًا في معادلة المقاومة، ورفض أوسلو وكذلك استقطاب قلوب وعقول الناشئة الفلسطينيين، وحتى وإن كان بشكل غير تنظيمي دعوي، ومثل اغتيال الدكتور وتلك الأصداء التي رافقت هذا الاغتيال في الجانب الفلسطيني والجانب الصهيوني، وتعليق الوالد أبو محمد المتابع الدائم للإعلام، أولى أساسات التوجه لدى سامح ورغبته في الالتحاق بصفوف حركة الجهاد الإسلامي.

لم تكن حركة الجهاد الإسلامي وبناها التنظيمية واسعة الانتشار في محافظة قلقيلية، ولهذا أسباب موضوعية وذاتية، ولكن الأكيد أن الأسير إلى جانب مجموعة من الشباب قد أخذوا على

عاتقهم تشكيل بنية تنظيمية راسخة وحقيقية في محاكاة لأحوال الحركة في كافة المحافظات، ومنها محافظات جنين وبيت لحم والخليل وغيرها، ومع اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة وحالة الارتباك البادية على مؤسسات السلطة الأمنية وعلامات الموت التي رآها كل متابع لما يطلق عليه عملية التسوية، وأمام تناول وسائل الإعلام لأسماء قيادات شابة من صفوف حركة الجهاد الإسلامي وذراعها العسكري للاحتلال، ومنها على سبيل المثال لا الحصر المجاهد إياد حردان وأسعد دقة وأيمن دراغمة، وكذلك بعض القيادات السياسية أمثال الشيخ هاني جرادات والشيخ بسام السعدي والشيخ بسام أبو عكر، والشيخ أبو مؤيد بريوش، وهنا يدور الحديث عن الضفة الغربية فضلًا عن القطاع والشتات...إلخ.

انتفاضة الأقصى

العام 2000م وبالتحديد في نهاياته كان الموعد الحقيقي لتلك الانطلاقة لحركة الجهاد الإسلامي في محافظة قلقيلية حيث بدأ انتشار الحركة الدعوي المقاوم يتمدد في المحافظة، وما أن مرت أشهر حتى انضم العشرات بشكل منظم وقوي لصفوف الجهاد، والمقصود هنا بالعشرات من أبناء العائلات الوازنة في المحافظة، وهذا ما سيفتح الباب فيما بعد وعلى مصراعيه لدخول الحركة في قطاعات شعبية مختلفة طلابية وشبابية ونسائية، حيث شارك المجاهد سامح ومجموعة من الشباب المجاهد حوله في نشر فكر الحركة وعقيدتها القتالية مع الجماهير، وكان لهم رافدًا في ذلك ما تتميز به الحركة من إرث جهادي، كذلك لعبت أحداث الانتفاضة المتسارعة دورًا في ذلك لانتشار ورغبة الشباب الفلسطيني في أداء واجب المقاومة والدفاع عن فلسطين بكل أبعادها الدينية والسياسية والثقافية...إلخ.

وبذلك سجلت الحركة تواجدًا كبيرًا في المدارس الإعدادية والثانوية للبنين والبنات، وكذلك ربط أي عضو في الحركة بخليته المتواجدة في الحي الذي يسكن فيه ليكون نقطة اللقاء دائمًا "مسجد الحي"، والأهم التواجد في جسم كل العائلات الكبيرة، وهي التي تشكل الخزان الحقيقي الذي يمد الحالة الجهادية والمقاومة بالطاقة البشرية دومًا.

أمام تصاعد الانتفاضة في فلسطين المحتلة وتوغل الاحتلال بالقتل والهدم وسياسة التصفية الوجودية للشعب الفلسطيني؛ كانت حركة الجهاد الإسلامي تُسجل تاريخًا في الاشتباك في كل الساحات في الضفة والقطاع، وفي هذه الأثناء بالتحديد في العام 2002م وفي سياق ترتيب الحالة التنظيمية في قلقيلية تقوم الحركة في الخارج بتكليف المجاهد سامح بشكل رسمي بإدارة دفة العمل الحركي في قلقيلية التي أصبحت تتمتع بقاعدة شعبية ولافتة رغم قصر الفترة التي شهدت فيها قلقيلية عملًا ونشاطًا خاصًا بالحركة، وهذا ينسحب على كافة المجالات الاجتماعية والسياسية والطلابية والميدانية، هذا بشهادة القريب والبعيد، وباتت حركة الجهاد الإسلامي تقاد وتوجه من خلال مجلس شورى يمثل كافة القطاعات والأحياء وبعض القرى، وما أن دخلت أيام العام 2003م الأولى حتى بدأ حديث خفي بين أبناء وأنصار حركة الجهاد الإسلامي في

قلقيلية عن غياب العمل العسكري وغياب الذراع الضارب سرايا القدس عن عمل قلقيلية الجهادي أمام حالة التمدد التنظيمي والتواجد الفاعل في كل ما يتعلق بنشاطات الانتفاضة وأمام استمرار الحديث عن فعل سرايا القدس في جنين وطولكرم ونابلس والعديد من مناطق الضفة إلى جانب القطاع الصامد، فكان السؤال يتبادر إلى الأذهان: متى تقوم حركة الجهاد الإسلامي ببناء قوة عسكرية تضرب هذه المرة من قلقيلية من خلال سرايا القدس؟.

ودار نقاش مطول بين المجاهد سامح والقيادة في الخارج عن رغبة الجهاد في قلقيلية بالسماح لسرايا القدس بإنشاء خلايا خاصة بها، وتقوم وتشارك في توجيه الضربات الموجعة للاحتلال الذي تجاوز كل حد وكل قانون وكل منطق إنساني جنبًا إلى جنب مع خلايا السرايا المنتشرة في المحافظات المختلفة.

وعبر وسائل التواصل المعتمدة والعبارات المشفرة، كان توجه القيادة برفض طلب المجاهد، والتوجه إلى تعميق تواجد الجهاد الإسلامي في قلقيلية لتكون جذورها ضاربة ومتغلغلة، وأن الحركة تحتاج إلى قلقيلية كمساحة للاشتباك في السنوات التالية لعام 2003م، وقد استجاب الأسير الذي كان يدير هذا النقاش بسرية تامة مطلقة ودون إطلاع أي كادر من كوادر الحركة في المنطقة، وهنا قام المجاهد بإغلاق هذ الملف لثلاثة أشهر فقط، وأمام الحماسة البادية والاندفاع الجهادي لدى شباب الجهاد في قلقيلية الذي وصل عند البعض حد الغضب بسبب غياب سرايا القدس عن قلقيلية، وفي كل رسالة مكتوبة كانت تصل إلى مجلس الشوري من شباب الحركة الصاعد يستفسرون عن سبب هذا الغياب للفعل العسكري المسلح في قلقيلية، وكان رد المجاهد سامح ومن خلال رسائل مكتوبة أن هذه الفترة شهدت العمل السري الخفي وغير المعلن بسبب حملة السور الواقي وتواجد العدو الصهيوني في مراكز المدن بعد فشل السلطة في الدفاع عنها، واستخدام قوى للمقاومة ومنها الجهاد الإسلامي وذراعها العسكري سرايا القدس أسلوبًا قتاليًا من حرب شوارع، وهنا لا حاجة للسيطرة على الجغرافيا. إذن قيادة الحركة في الخارج رفضت في بداية الأمر، وبعد نقاش طويل بين المجاهد سامح وبين المعنيين بالبدء في بناء قوة عسكرية في قلقيلية، وكان هذا في بداية العام 2003م بالتحديد، والسبب هو عدم الاستعجال والتريث إلى حين يكون التنظيم أكثر رسوخًا في المحافظة ولاسيما أنه يعيد بناء نفسه في جميع النواحي ويسجل محاولات لا بأس بها للتغلغل في شرائح المجتمع المختلفة.

وبعد ثلاثة شهور بالضبط بدأ المجاهد بممارسة الضغط من جديد وإدارة نقاش مع القيادة في الخارج وبالتحديد على ضرورة السماح وإعطاء الضوء الأخضر لبدء عمل عسكري وبناء خلايا نشطة لسرايا القدس في قلقيلية، والسبب في ذلك استفحال وتعاظم الأعمال الإجرامية وبكافة الصعد من الاحتلال، وكذلك تصاعد وشراسة المواجهة، فكان لابد من وجهة نظر الأسير سامح عن مساهمة الجهاد الإسلامي في قلقيلية في هذه المعركة المفتوحة من خلال بناء خلايا لسرايا القدس.

وكان أبو مجدي هو الاسم الحركي المعروف به عند الحركة في الخارج الذي تتم من خلاله كل المشاورات حول ضرورة محاولة أن يتم بناء قوة تابعة لسرايا القدس في قلقيلية، وبعد أخذ ورد وتقديم المعطيات اللازمة سمح التنظيم أخيرًا رغم ميله إلى مزيد من التريث بالبدء بإنشاء أولى الخلايا التابعة لسرايا القدس الذراع العسكري، والأهم في هذا الشأن أن كل الظروف الأمنية والميدانية منعت من أي تواصل بين حركة الجهاد الإسلامي في قلقيلية وبين أي محافظة أخرى نهائيًا، وكان لابد من بناء هذه الخلايا بعيدًا عن أي استفادة من أصحاب الاختصاص في الذراع العسكري وخلاياه في أي منطقة على الرغم من تسجيل بعض المحاولات المتقدمة في بعض القرى التي علم بها الأسير فيما بعد، وكانت بعيدة عن إطار العمل الحركي المنظم ضمن المدينة كمركز...إلخ.

إذن كان التاريخ هو شهر مارس (آذار)، وبالتحديد في بدايته من العام 2003م، حيث كانت الموافقة وحيث حمل المجاهد هذه المرة اسمًا حركيًا جديدًا سوف يتواصل من خلاله مع قيادة الحركة في الخارج وهي المعنية بتقديم كل ما يلزم، وهذه المرة كان الاسم الذي اختاره المعنيون هو "جابر" وتم الاتفاق على البدء بالعمل، وكان المجاهد رغم كل مشاغله الجهادية من دعوة واستقطاب ومتابعة للشؤون الميدانية ويوميات الانتفاضة والأذرع الاجتماعية والسياسية والطلابية ومتابعة إحياء ومتطلبات العمل في كل مجال مع عدد من الشباب المجاهد من أبناء الحركة، ففي قلقيلية كانت النواة الأولى للجهاد الإسلامي بالشكل المفتوح تقوم رغم محدودية الانتشار في بداية الأمر 1999م - 2000م على ضرورة أن يكون هناك اختصاص وملفات ومجلس شورى يتابع مناطق مقسمة حسب الخارطة، وكل مجاهد يعرف عمله ويعرف ما هي واجباته، ولقد كان في مجلس الشورى الشبابي والذي تم اعتقاله فيما بعد على إثر نشاط سرايا القدس وعملها العسكري في قلقيلية وتم محاكمة كل مجاهد على نشاطه بعد تقديم لوائح الاتهام (لوائح شرف) لهم فعلى سبيل المثال:

كان المجاهد سامح مكلفًا بشكل سري، ولا يعرفه إلا دائرة ضيقة جدًا؛ بإدارة دفة الحركة في محافظة قلقيلية، وكان الرائج أن سامح مكلف من قبل مشايخ الحركة في المحافظة الذين لا يستطيعون النزول إلى الميدان ربما كان لهذا بعض الصحة المعنوية حيث كان عدد من مشايخ الحركة القدامى وكبار السن يتابعون مسار العمل الحركي، ولكن دون تدخل مباشر في العمل، اللهم إلا ببعض التوجيهات بين الحين والآخر من خلال لقاء سامح والمجاهد أ.س يتم تحت غطاء من السرية.

وكان الأسير المفرج عنه من سجون الاحتلال الشيخ محمد سلمي (أبو النور) مسؤول الذراع الطلابي "الجماعة الإسلامية"، وكان هذا الإطار ومنذ مطلع العام 2000م، وأمام وضع الطلاب بهدف التوسع لدى الحركة في قلقيلية، وكان يضم بشكل منظم وصارم المئات ومن كافة الفئات.

وكان الأسير المفرج عنه من سجون الاحتلال الشيخ أحمد هلال (أبو محمود) منسق الحركة في اللجنة الوطنية في المحافظة.

وكان الأسير المفرج عنه من سجون الاحتلال الشيخ محمد سعسع مسؤول الملف الإعلامي، وكل ما يتعلق بالتواصل الإعلامي والمناسبات...إلخ.

وكان الأسير المفرج عنه من سجون الاحتلال أشرف سلمي (أبو مصطفى) مسئولًا عن مخازن الحركة والمقتنيات الموجودة بها من مطبوعات ورايات ولباس ميداني للمجاهدين ويافطات... إلخ، فلا أحد يملك حق فتح أي مخزن إلا بإذنه.

وكان الأسير المفرج عنه من سجون الاحتلال أحمد عودة ممثلًا في مجلس الشورى ويتواصل مع الأسير لتوفير حاجيات بعض المناطق اللوجستية.

وكان لكل منطقة مسؤول ميداني يتابع كل تطور في هذه المنطقة ويتواصل بشكل مباشر مع المسؤول الحركي فيها، ومنهم من تم اعتقاله ومنهم من لم يتم اعتقاله، ونذكر المجاهد محمد نصار والمجاهد أويس شريم والمجاهد باسم الصورة والمجاهد ربيع داود والمجاهد إبراهيم شريم والمجاهد رياض السخلة والمجاهد رزق شريم والمجاهد محمد الأقرع والمجاهد صالح نزال والمجاهد محمد الشوبكي والمجاهد مؤيد الشوبكي والمجاهد عمار الشوبكي والمجاهد أمجد عوينات (شريم) والمجاهد مجدي عوينات (شريم)، والمجاهد إيهاب حسنين، والمجاهد أسامة زهران والمجاهد محمد زهران، هؤلاء وغيرهم ممن كانوا يتابعون شؤون المناطق والأحياء في المدينة، وكلهم دخلوا سجون الاحتلال لتتم محاكمتهم على نشاطهم في حركة الجهاد الإسلامي في قلقيلية في الأعوام ما بين 2000م و2005م وهناك من دخل السجون تحت نفس النشاط عدة مرات حتى تاريخ كتابة هذه السيرة، والآن سوف يكون ذراع جديد تابع لحركة الجهاد الإسلامي وسوف يكون مختلف اللون والطابع والعقل والهدف؛ هو الذراع العسكري (سرايا القدس) ولأول مرة في محافظة قلقيلية بشكل واضح ومدرك.

لقد أدرك المجاهد سامح حساسية المهمة وخطورتها، وأدرك كذلك هذه المسؤولية وأن البدء ببناء الخلايا العسكرية يجب أن يتم بعيدًا عن جسم الحركة وكادرها الذي أصبح معروفًا للجماهير (محروقًا) أمام العامة أنه نشيط للجهاد الإسلامي حتى لو كان ذلك في الدوائر المغلقة؛ لأنه وكما سبق ذكره؛ فإن عمل الجهاد الإسلامي في هذه الأثناء حال لكونه سريًا أكثر منه علنيًا دون سقوط مراكز المدن في يد الاحتلال.

وهنا قرر المجاهد سامح أن يبدأ العمل من خلال متابعة بعض الشباب من خارج صفوف الحركة من أجل دعوتهم إلى الحركة وفكرها، ومن ثم العمل على تأهيلهم لأن يكونوا نواة لسرايا القدس، والهدف هو المساهمة لوضع نواة أولى للسرايا، ثم الانسحاب من المشهد العام العسكري لمتابعة جسم الحركة العام الذي يتعاظم ويكبر في قلقيلية يومًا بعد يوم سياسيًا واجتماعيًا وطلابيًا ودعويًا...إلخ.

ولكن ما قيمة كل هذا بدون الاشتباك المباشر مع الاحتلال والمشاركة في قتاله بقوة النار والفعل الجهادي، ورد العدوان والدفاع عن الشعب الفلسطيني الذي يتعرض للقتل يوميًا، هذه هي دوافع المجاهد، ومن ثم يذكر ضرورة انخراط سرايا القدس في العمل في جغرافيا قلقيلية.

كانت مهمة اختيار المجاهدين الذين سيكونون نواة أولى لخلايا سرايا القدس مهمة صعبة ومعقدة وثقيلة، وكان المجاهد (جابر) هذه المرة يشعر بعظم المسؤولية والتحمس في نفس الوقت؛ لأن القيادة المركزية في الخارج، وافقت أخيرًا وبعد جهد كبير على عمل سرايا القدس في قلقيلية.

كانت الأسئلة الكثيرة تدور في ذهن المجاهد سامح حول نقطة البداية: ومن هو الشاب الذي يجب أن يكون في سرايا القدس، وما هي صفاته؟ وما هي مؤهلاته؟ وما هو عمره؟ ومن أين سوف نأتي بالعتاد والسلاح والمتفجرات والذخيرة وربما الأحزمة الناسفة؟ كل هذه أسئلة كانت تدور في رأس سامح وخاصة أن جنود الاحتلال ودباباته تجوب شوارع المدينة صباح مساء في بدايات العام 2003م.

أدرك المجاهد سامح أن العمل الحقيقي بدأ الآن، ولابد من بذل الوقت والجهد من أجل تسجيل أولى نقاط الانطلاق باستقطاب أول الأعضاء العسكريين داخل الحركة، كان الأسير ينظر إلى كل المحيطين به من شباب وكادر الحركة في قلقيلية، وكان يبحث من بينهم دون أن يشعر أحد في الشخصية الأكثر مناسبة للعمل العسكري، ونيل شرف الانتماء إلى سرايا القدس الذراع العسكري للجهاد الإسلامي، وحقيقة الأمر أن الكثير من الشباب كان فيه من الصفات ما يؤهله للانضمام لسرايا القدس مثل الالتزام الديني، الإخلاص، حب العطاء، والرغبة في الدفاع عن فلسطين، روح الشباب والحيوية، وأخيرًا الاستعداد للتضحية، لكن الإشكال الكبير كان هو انفتاح هذا الشباب والكادر على بعضه البعض ومعرفة هذا الكادر لبعضه وطبيعة العمل الجهادي اليومي سواء في العمل الميداني أو في اللجان المختلفة داخل الجهاد كحركة لم يكن يستدعي وقتها أسلوب عمل سري بين كل الأفراد والكادر؛ هذا بخلاف السرية أمام الجمهور الذي كان يرى ابن الجهاد الإسلامي فقط وهو ملثم، وهذا يعني أن أي انضمام لهذا الكادر والشباب للذراع العسكري سوف يعني عند أول عمل عسكري ضد الاحتلال وأول حالة اعتقال انهيار البناء التنظيمي بالكامل، لذلك كانت هذه النقطة تمثل رعبًا عند المجاهد سامح، وهي التعرض لضربة أمنية تؤدي لانهيار الحركة الشبابية الناشئة والزاحفة في صفوف شرائح المجتمع المختلفة حتى تحولت الجهاد الإسلامي في قلقيلية بشهادة القريب والبعيد وشهادة الفصائل إلى ظاهرة تجتاح مدينة قلقيلية بقوة في الأعوام 2002م إلى 2005م على وجه التحديد.

وهنا كان قرار سامح عدم انضمام أي من نشطاء الحركة مهما كان يمتلك من قدرات ومميزات لأن يكون في النواة الأولى والخلية الأولى لسرايا القدس في فصل كامل بين الحركة كإطار وبين

السرايا كذراع، ولكن هل سوف يلتزم المجاهد (جابر) بهذا القرار؟

في خضم البحث عن نقطة البداية، وقع نظر سامح على شاب يُعتبر من أنصار الجهاد، وليس معروفًا لدى المجاهدين الفاعلين وهو باسم نصُّوره، وسيكون حلقة وصل دون أن يعلم مع كل هدف بشري محتمل أن يتم دعوته واستقطابه إلى صفوف الخلية الأولى لسرايا القدس في قلقيلية. الأخ باسم إنسان اجتماعي صاحب علاقات متشعبة ونشاط خفي غير معروف في فعاليات الانتفاضة، وله صداقات مع شباب الفصائل النشيطين وسبق أن تعامل مع السلاح حسب علم سامح، وتم اللقاء بين سامح والأخ باسم ودار حديث أولي عن أسئلة افتراضية، وكان سامح يقول للأخ باسم في كل سؤال: "يا باسم.. على سبيل المثال.. افرض.. تخيل لو أردنا أن نشتري أدوات قتالية للحماية الداخلية والعروض...إلخ هل يمكن ذلك؟ وما هي الأسعار؟ وكيف المصادر؟ وكان باسم يجيب بعفوية.

وفي منتصف شهر مارس (آذار) من العام 2003م، كان المجاهد سامح متواجدًا في وسط المدينة بصحبة باسم، وفجأة يأتي شاب سريع الحركة أبيض البشرة يصافح الأخ باسم، ثم يطلب مكانًا يصلي فيه العصر، ولقد تفاجأ المجاهد سامح من طلب الشاب الذي بدا في بداية الثلاثينيات من العمر، وكان يعتقد أنه أحد أفراد الأجهزة الأمنية الفلسطينية؛ لأنه عادة ما يركب إحدى سياراتهم، وسأل سامح من هذا الشاب، فقال الأخ باسم: هذا "طارق"، من طارق؟ قال: طارق حساين، ولاحظ المجاهد سامح أن الأخ طارق أثناء ركوعه وسجوده يضع مسدسًا على خاصرته، وهنا قال سامح للأخ باسم في أي جهاز أمني هو؟ فضحك الأخ باسم وقال: طارق حساين هو أحد نشطاء الانتفاضة الفاعلين في قلقيلية، وهو يلعب دورًا حساسًا في أمن المدينة، وأمام إصرار سامح على باسم أن يعرف هذا الدور قال باسم: هو في هيئة مكافحة الفساد الأمني والأخلاقي، وكان سامح يعرف هذه الهيئة التي شاركت في الانتفاضة الأولى في إنزال العقاب الصارم بكل مشتبه به بعد التحقيق معه، ويكون مرتبطًا مع الاحتلال أو يقوم بجنح أخلاقية كبيرة مثل تجارة المخدرات والاعتداء على الأعراض وغير ذلك.

هذا هو من كان يبحث عنه البطل سامح (شخص إذا نظرت إليه لا تعتقد نهائيًا أن له دورًا في الانتفاضة) وغير معروف الهوية، والتزامه محاط ومعروف أنه مقرب من كتائب الأقصى، وأن هذه السيارات التي يركبها ما هي إلا سيارات للسلطة تابعة لبعض أقربائه. طارق وصورته في ذهن سامح لم تفارقه لحظة واحدة وبعد أقل من 24 ساعة من مشاهدته لطارق عند باسم في وسط المدينة، استدعى سامح باسم على وجه السرعة، وعند اللقاء قال لصديقه المقرب من الجهاد الإسلامي: اسمع وبدون مقدمات طويلة، أريد طارق في صفوف الجهاد الإسلامي، وقتها ضحك باسم بأعلى صوته وقال: ماذا؟! طارق في الجهاد! لا لا هذا مستحيل، فقال سامح: ولماذا مستحيل؟ فبدأ باسم بالحديث عن دور طارق ومكانته وانتماء عائلته إلى كتائب الأقصى وحركة فتح تاريخيًا، وأنه

معروف ككادر كبير عندهم، قال باسم حاسمًا: اصرف النظر عن هذا الموضوع.

وهنا ما كان من المجاهد سامح إلا أن قام وقال: حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين شرف كبير، ويتشرف به في الدنيا والآخرة من يحوز شرف الانتماء لها وإلى صفوفها، وقال أنا يا باسم أتحداك في أنني بحول الله وبعض المساعدة منك؛ سوف أدعو طارق إلى صفوف الجهاد، وسوف يستجيب وأريد منك بعض المساعدة، وأعتبر ما أقوله تحديًا وأمام قوة التحدي وافق باسم على المحاولة، وهو واثق 100٪ أنه سوف يكسب الرهان بعدم قبول طارق الالتحاق بصفوف الجهاد الإسلامي.

الأسير المبعد/ طارق حساين تحرر في صفقة وفاء الأحرار (2011م)

ولكن لماذا طارق؟ طارق شاب خبير في العمل الميداني العسكري، تربى في عائلته بين السلاح. وهو يعرف شبكة لا حدود لها، يمكن من خلالها شراء الأدوات القتالية دون أن يكشف الأمر بأن الجهاد الإسلامي يشتري السلاح، وهذه عملية صعبة ومعقدة، وفي غالب الأحيان معظم الخلايا تنكشف وهي تحاول شراء السلاح، وكذلك هو معروف بأنه كتائب أقصى ونحن نحتاج إلى السرية التامة، وهذا يعني أنك بضمك لطارق لصفوف الجهاد لن تبدأ من الصفر.

طلب المجاهد سامح من المجاهد باسم وضع خطة محكمة بأن يقول لطارق إنه أي (باسم) قد وصلته رسالة من الجهاد الإسلامي تقول إن الجهاد معني بضمي (باسم) إلى صفوفهم، وأنا يا طارق أريد رأيك في الموضوع، وهنا لم يكن المجاهد طارق حساين يعلم أن المجاهد باسم قريب من حركة الجهاد الإسلامي التي أثبتت وجودها خلال فترة وجيزة في المدينة، وقال المجاهد سامح لصديقه المجاهد باسم: أريد معرفة ماذا سيكون رد طارق عندما تخبره بذلك؟ وقد حصل اللقاء وكان رد طارق إشارة إيجابية رائعة، تلقاها المجاهد سامح، حيث قال طارق: يا باسم إذا لم أكن ما تعرف فلن أكون إلا في الجهاد الإسلامي، وبدأ يمتدح ما تقوم به الجهاد من أعمال مقاومة ضد الاحتلال، وهنا التقط سامح حديث طارق الذي نقل إليه من خلال باسم، وقال بلغة واثقة لصديقه باسم: سيكون طارق قريبًا أحد كوادر حركة الجهاد الإسلامي، وما هي إلا أيام حتى تم اللقاء بين باسم وسامح وكذلك طارق، وكان سامح حينها ملثمًا مع مجموعة في بناية بوسط مدينة قلقيلية، وتم الإعداد لهذا اللقاء جيدًا، وحتى هذا اللقاء كان يهدف إلى إدخال باسم إلى صفوف الجهاد الإسلامي بعد دعوة له وبعد إصرار وليس لطارق فحسب، ولكن بعد عدة لقاءات طويلة وحديث ونقاش معمق عن الجهاد ونهجه، واللقاءات كانت تتم بين باسم وطارق وسامح ملثم، وعدة مجاهدين آخرين ملثمين أيضًا، والهدف كان أنه في حال رفض طارق الانضمام إلى صفوف الحركة؛ لا يكشف أمامه شباب الجهاد الإسلامي في قلقيلية، وهكذا كانت تتم عملية الدعوة إلى صفوف الجهاد، ويتم تحديد الهدف (طارق)، ثم يتم متابعته لفترة من الزمن ثم تأتي عملية الدعوة وغالبًا ما كانت تتكلل بالنجاح.

ولكن في حالة المجاهد طارق التي لعب فيها المجاهد باسم دورًا كبيرًا من خلال متابعته وتعاونه مع المجاهد سامح لضمه إلى صفوف الجهاد، وفي نية المجاهد سامح أن المجاهد طارق سيكون نواة الخلايا الأولى لسرايا القدس في قلقيلية، وأن كل ما يتمتع به من إمكانات ومهارات، والأهم دائمًا هو شهرته بهوية وطنية وفصائلية بعيدة كل البعد عن سرايا القدس والجهاد؛ سوف يمكنه من العمل والبناء بكل هدوء وثقة وأناة، دون أن يتم كشف نوايا الجهاد الإسلامي في فلسطين، وعزمها بناء خلايا عسكرية لسرايا القدس في محافظة قلقيلية.

ولم يكن لشهر مارس (آذار) من العام 2003م أن ينقضي حتى بات المجاهد طارق حساين البالغ من العمر وقتئذ 28 عامًا يدرك المهمة التي من أجلها أراده المجاهد جابر في صفوف الجهاد، وهنا كان التواصل التنظيمي بين سامح وقيادته في الخارج قد خطا خطوة إلى الأمام، ففي الوقت الذي كان يوجه سامح فيه شؤون قلقيلية مع كادر الجهاد الشبابي في النواحي السياسية، والاجتماعية والوطنية والطلابية؛ كان يعمل سرًا لا أحد يدرك ما يصنعه إلا الله ثم قيادة الحركة المعنية في هذا الشأن.

وبعد تقديم التقرير الأول عن بداية تكوين النواة الأولى لسرايا القدس بدأت القيادة بإرسال كل ما تحتاجه ويحتاجه جابر في هذه الفترة الحساسة مثل الدعم المالي والتعليمات وأدوات التواصل المشفرة، والأهم آلية استخدامها عند أي عمل جهادي ضد الاحتلال، وكيفية التعاطي مع الإعلام، والأهم من كل هذا بالنسبة لجابر كان كيفية إنشاء مختبرات لتصنيع المتفجرات من خلال دراسة علمية من إعداد الحركة وغيرها من الحاجات ذات الصلة.

وكما تم ضم المجاهد طارق حساين إلى صفوف سرايا القدس، تم ضم أفراد الخلية الأخرى وهم:

• المجاهد الأسير المحكوم مدى الحياة إبراهيم يوسف إبراهيم عطية.

• المجاهد الشهيد محمد حسام عطية

• المجاهد الأسير المحكوم مدى الحياة محمد مصطفى ذرة (شريم)

• المجاهد الأسير المحكوم مدى الحياة عمار عاهد الشوبكي

وهنا كان لابد للمجاهد سامح أن ينكشف على المجاهد طارق حساين لأول مرة، وهو الذي كان يوصل له الرسائل من خلال المجاهد باسم نصوره، وكان اللقاء وكانت أولى الجلسات التي تم فيها الحديث عن التفاصيل حول تأسيس الذراع العسكري لسرايا القدس في محافظة قلقيلية، يتذكر المجاهد سامح ذلك الحماس والثقة والإقدام لدى كافة أعضاء الخلية الذين كانوا يجتمعون في دروس تربوية إسلامية وأمنية وحركة مكثفة، وكيف كان يدور الحديث عن العمل العسكري، وأولى الضربات التي سوف توجهها سرايا القدس ضد الاحتلال، وتخيل ردود الفعل...إلخ.

لابد من الإشارة إلى أن النواة الأولى وهي التأسيسية هي التي ساهمت في توفير السلاح والمواد

المتفجرة "على قلتها" والذخيرة وكل ما يحتاج له المقاتل من لباس ورايات خاصة بالسرايا وأختام وغيرها، وكانت تضم طارق حساين وباسم نصوره الذي طلب منه الانسحاب مبكرًا من العمل لصالح العمل في ملفات أخرى، وكذلك عمار الشوبكي، وكان قد انضم إلى الخلية أيضًا محمد ذرة ومحمد عطية وإبراهيم عطية.

تنفيذ أولى ضربات سرايا القدس في مدينة قلقيلية

لقد كانت الجلسات الإعدادية لخلية السرايا وأفرادها تتم على قدم وساق، ولقد طرح المجاهد سامح ضرورة أن يكون هناك جدول زمني لتنفيذ أولى ضربات السرايا في قلقيلية، والأهم تحديد الآلية المستخدمة في تنفيذ الهجوم وفتح النقاش حول ذلك. وكان اللقاء يتم في إحدى البنايات القديمة جدًا بالقرب من المسجد القديم في المدينة (مسجد عمر بن الخطاب) وذلك في منتصف الليل على أن يأتي أفراد الخلية في مواعيد متفاوتة دون لفت الانتباه.

لقد كان اللقاء يتم على نور الشموع بعد إغلاق النوافذ المتهالكة بالستائر، وعند الحديث عن الجدول الزمني اتفق أعضاء الخلية أن يكون مسقوفًا بثلاثة أشهر، أي أن يتم الإعداد الجيد لتنفيذ أولى ضربات سرايا القدس في شهر يونيو (حزيران) من العام 2004م، والإشكال الحقيقي كان في آلية التنفيذ والإدارة المستخدمة؛ فلقد كان سقف الطموح عاليًا جدًا، وكانت الإرادة الجهادية في عنان السماء، فهذا يريد أن تكون عملية استشهادية مزدوجة في قلب "تل أبيب"، والآخر يقول: لا لا، نريد تنفيذ عملية من خلال سيارة مفخخة يقودها استشهادي في قلب القدس الغربية، وثالث يريد نسف البنايات، وكانوا يتحدثون وتلك الرعشة بادية على أجسادهم، ولكن عند الحقيقة ندرك أننا في العام 2003م، أي بعد السور الواقي وأن الحصول على المتفجرات أو المواد الأولية التي تستخدم فيها غير ممكن بعد المطاردة الشرسة لقوات الاحتلال لمحال الأدوات والمواد الزراعية على وجه التحديد، والاتصال بخلايا في الضفة الغربية تابعة لسرايا القدس في جنين أو بيت لحم أو نابلس أو طولكرم وغيرها، كان يلاقيه رفض قاطع وحاسم من القيادة المعنية في سوريا، وذلك بسبب خشيتهم أن يتم فضح وكشف نوايا الجهاد في إنشاء قوة في قلقيلية، وحدوث أي خلل في التواصل والاتصال. تم الحديث عن كل الاحتمالات في تنفيذ العملية القادمة باستثناء استخدام السلاح وإطلاق النار لم يتحدث عنه أحد وهو الشكل الذي سوف يتم استخدامه في أولى العمليات لاحقًا.

تم الاتفاق أن ينطلق أعضاء الخلية كل حسب طاقته في البحث عن السبل التي من خلالها يمكن الحصول على المواد الأولية التي يمكن استخدامها في عملية تصنيع المواد المتفجرة، وبعيدًا عن التفاصيل باءت كل المحاولات بالفشل أمام الحصار والاقتحام والمطاردة والمراقبة لكل من يتعامل مع هذه المواد. وشهر يونيو (حزيران) يقترب ولابد من الالتزام بالسقف الزمني المحدد، وأعمال الانتفاضة تتصاعد والأعمال الانتقامية من الاحتلال هي الأخرى تتصاعد والحماسة بادية على

وجوده رجالات سرايا القدس في قلقيلية الذين يسيرون في شوارع قلقيلية وهويتهم الجهادية لا يعلمها إلا الله وحده.

في شهر مايو (أيار) 2003م عقد اجتماع بين سامح وطارق حساين، وتم الحديث ببعض التفاصيل عن الخلية وحاجياتها، وأن العمل يسير على قدم وساق لإنشاء خلايا للسرايا منفصلة بأدوار مختلفة يضم كل منها من 3 إلى 4 مجاهدين، وفي ذلك اللقاء القريب من جدار الفصل كانت الفكرة وولادتها: لماذا لا يتم استهداف الجدار؟ لماذا لا تكون العملية الأولى مستهدفة لجدار الفصل العنصري؟ وكانت الإيماءات تقول بأن هذا هو الهدف.

في أول تواصل بين المجاهد سامح والقيادة العسكرية في الخارج تم طرح الفكرة، فتحولت الفكرة بعد دراستها على ما يبدو إلى أمر عسكري يجب تنفيذه والنجاح فيه؛ لأن إسقاط نظرية الجدار الذي يجلب للمستوطنين في الكيان الأمن هو هدف لدى الجهاد الإسلامي في فلسطين، لقد بدأت الفكرة وليدًا صغيرًا عفويًا في حوار بين سامح وطارق حساين، ثم جاءت القيادة المعنية في الخارج لتحول هذه الفكرة إلى أمر عسكري توفر له كل المقومات لإنجاحه. وأعطى المجاهد سامح الإشارة للمجاهد طارق حساين بأن الهدف اختراق السور الواقي، والوصول إلى أراضي فلسطين عام 1948م وتنفيذ الضربة الجهادية؛ هذه الفكرة الهامة.

جدار الفصل العنصري وشارع "عابر إسرائيل"

قلقيلية مدينة تقع في شمال غرب الضفة الغربية، وهي أقرب مدينة فلسطينية من الضفة الغربية إلى كل المدن والمستوطنات في الكيان، ومنها مغتصبة "تل أبيب" ومغتصبة "بيتاح تكفا" ومغتصبة "هرتسيليا" وأقربها على الإطلاق مغتصبة "كفار سابا"، والتي لا يفصلها عن قلقيلية سوى بعض الأراضي الزراعية. إذن قلقيلية تقع حسب التقدير الأمني الصهيوني في خاصرة الكيان، وتمثل نقطة اختراق قوية فيه. وعلى ذلك وبعد اشتداد أعمال المقاومة والأعمال الاستشهادية في قلب الكيان، جاء قرار رئيس وزراء الكيان أرئيل شارون ببناء جدار الفصل العنصري، الذي سوف يبنى على أراضي الضفة الفلسطينية على طريقة الأفعى التي تتلوى في كل مكان.

جدار الفصل العنصري الصهيوني
بمحاذاة مدينة قلقيلية من الجهة الغربية

كانت قلقيلية وكانت أراضيها هدفًا لجدار الفصل العنصري، والذي ادعى شارون بأنه سوف يكون الحل الوحيد والناجع في وقف مسلسل الهجمات الفلسطينية الضاربة في العمق الصهيوني، وفي هذه الأثناء كانت سلطات الاحتلال قد قررت

فتح شارع أطلقت عليه اسم "عابر إسرائيل" يمر بمحاذاة مدينة قلقيلية من الجهة الغربية، وبدأ العمل في هذا الشارع الضخم مطلع العام 2000م، والهدف منه بناء طريق هو الأضخم في الكيان يربط شمال فلسطين المحتلة مع جنوب فلسطين المحتلة، وهو هدف اقتصادي تجاري لدولة الكيان حيث يتم استخدامه مقابل دفع مبلغ مالي وتقوم على شق هذا الطريق كبرى شركات الكيان للمواصلات، إذن هو معلم معماري كبير ويحمل رمزية طالما تحدثت عنه وسائل إعلام العدو. كانت قلقيلية هدفًا للجدار وكذلك الحال فإن "عابر إسرائيل" الذي يمر على أراضي قلقيلية غرب الجدار مباشرة، وكان الجدار في العام 2003م، وكان "عابر إسرائيل" هذا المعلم الاقتصادي للكيان هو والجدار هدف سرايا القدس الأول في مدينة قلقيلية.

في شهر مايو (أيار) بدأت التحضيرات الأولية لكيفية توجيه ضربة عسكرية وأمنية هي الأولى من نوعها للجدار العنصري، وكذلك الوصول إلى "عابر إسرائيل"، وبدأت المشاورات والتقديرات، ولكن بطريقة شباب فلسطين الذين لم يدخلوا كليات عسكرية، وجل خبراتهم تم اكتسابها من الميدان وسماع تجارب الآخرين، كان طارق ومعه محمد مصطفى ذرة (شريم) هما من أخذا على عاتقهما مراقبة الجدار وحركة آليات العدو العسكرية عليه، فالجدار من الجهة الشرقية، أي من ناحية المدينة يوجد عليه شارع أمني تمر عليه جيبات عسكرية دورية كل ساعات النهار، والجدار من الجهة الغربية بجانبه كذلك شارع أمني تقوم الآليات العسكرية بتمشيطه طيلة ساعات الليل والنهار، وهذا إلى جانب أبراج المراقبة العسكرية المتواجدة على الجدار نفسه التي تطل من الجهة الغربية على شارع "عابر إسرائيل" و"كفار سابا" وبعض "الكيبوتسات" الصهيونية، ومن الجهة الشرقية تطل هذه الأبراج على مدينة قلقيلية وتطلق النار على منازل المواطنين والشبان في حال اشتدت المواجهات في يوميات الانتفاضة، هذا بالإضافة إلى نقطة عسكرية ثابتة موجودة غربي الجدار على تلة مرتفعة أيضا كان هدفها مراقبة الحركة واطلاق النار والقذائف على مجموعات الشبان وخاصة قبل عملية السور الواقي.

إذن البدء بعملية رصد الجدار والحركة العسكرية عليه وحوله كانت معقدة وتحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد، والأهم الدقة وشدة الملاحظة، وبعد جمع بعض المعطيات عن جدار الفصل والصورة المتخيلة عن الكيفية التي يمكن أن يكون عليها "عابر إسرائيل"، ومن خلال لقاءات مكثفة بين سامح والمجاهد طارق عن الطريقة والوسيلة وعن الأدوات التي يمكن من خلالها اختراق هذا الجدار الهائل الضخم والوصول إلى "عابر إسرائيل" لكي يتم استهدافه، ومن خلال النقاش تم الاتفاق لأول مرة بعد الوصول إلى قناعة أن امتلاك مواد متفجرة لن تكون مهمة سهلة، ولن تكون قريبة، وبعد تمكن سرايا القدس من امتلاك السلاح الآلي كلاشنكوف ومسدسات وقنابل يدوية والكثير من الذخيرة فإن العملية ستكون من خلال إطلاق النار المباشر على آليات المستوطنين وآليات الجيش العسكرية.

وكان واضحًا أن الهدف هو اختراق أمن الصهاينة، وكذلك إسقاط المقولة المزعومة أن جدار الفصل العنصري التوسعي سوف يجلب الأمن والأمان للصهاينة، وهي العملية الأولى التي تستهدف الجدار نفسه كحالة أمنية، وهي المرة الأولى التي سيتم فيها استهداف "عابر إسرائيل" كحالة صهيونية اقتصادية تجارية، وكان السؤال المركزي لدى سرايا القدس "سرية الشهيد القائد محمود طوالبة": كيف يمكن اختراق الجدار الأمني؟ وهنا جاءت بعض الأفكار ومنها: أن يتم اعتلاء الجدار من خلال السلالم الكبيرة، وهناك فكرة من خلال الحبال والتسلق وغيرها من الأفكار الصعبة، وفي إحدى الجولات تبين أن هناك أسفل الجدار عبّارة لتصريف المياه تمر أسفل الجدار (نفق) وهي محكمة الإغلاق من خلال القضبان المشبكة التي يبلغ سمكها 37 ملم، إذن النفق من الأسفل هو السبيل الذي سوف يتم من خلاله اختراق وإسقاط وهم الجدار، وما قد يجلبه من أمن وأمان مزعوم من قبل مجرم الحرب أرئيل شارون لمستوطني الكيان.

بدأت سرايا القدس الاستعداد ووضع التفاصيل الأخيرة لعملية "اختراق السور الواقي" من خلال المراقبة والرصد والاستعداد النفسي الإيماني لأعضاء الخلية الذين ربما يواجهون خيار الاستشهاد أثناء تنفيذ العملية، كان المجاهد سامح يرصد كل ذلك من خلال التقارير التي يرفعها المجاهد طارق حساين (أبو عمر) عن مجريات الاستعدادات، وفي بداية شهر يونيو (حزيران) 2003م، كانت كل التفاصيل والاستعدادات شبه جاهزة وبقي أمر وحيد هو تهيئة النفق أسفل الجدار الذي سوف تستخدمه سرايا القدس للوصول إلى شارع "عابر إسرائيل".

لقد كان هاجس الفشل والرغبة في النجاح بعيدًا عن أي إخفاق؛ فالفشل في أول عملية عسكرية لسرايا القدس في قلقيلية ستكون نتائجه سلبية جدًا. كان الحديث يدور حول أنه إذا تم استخدام أدوات كهربائية (الجلخ) واستخدام الأوكسجين (جرات) يمكن أن يؤدي إلى كشف الخلية قرب الجدار، والحل الوحيد سيكون فقط من خلال القص، والحقيقة لا يوجد مقص يدوي يمكن أن يقص هذا الشبك الكبير. وهنا كان دور سامح في البحث عن أداة يمكن من خلالها إزالة جزء من ذلك الشبك وتهيئة النفق لاستخدامه لعبور خلية السرايا والوصول إلى "عابر إسرائيل"، وبعد جهد كبير ومحاولات متتالية تمكن سامح من شراء مقص ضخم من محل مواد البناء ولم يكن متواجدًا في الأسواق، فتم الحصول عليه من خلال شركة مركزية في الداخل الفلسطيني حيث وجد هذا المقص الضخم في مقر الشركة في "تل أبيب"، وكان في كل فلسطين فقط اثنان منه، الأول حصلت عليه سرايا القدس بعد أيام من الانتظار، ومقص آخر كان في طريقه من أوروبا إلى الشركة عبر ميناء حيفا، كما قال صاحب الشركة وقتئذ، كانت عملية شراء المقص من سامح محاطة بالهدوء والسكون لكي لا تلفت انتباه أحد، حتى أن أحدًا من أبناء الخلية لم يكن على دراية بمساعي المجاهد البطل سامح الشوبكي.

وصل المقص ليد سرايا القدس، ودون تفاصيل قام المجاهد سامح والمجاهد عمار عاهد الشوبكي في منتصف شهر يونيو (حزيران) بالتوجه نحو النفق أسفل الجدار، بعد أن قاما بتجريب المقص على قضبان قريبة في الشكل، واستحمّا وصليا ركعتي نية الجهاد، وأحضرا كفات لليدين ومنشارًا للحديد وماسورة كبيرة حتى يضعاها في يد المقص لتطويل الذراع، ووضعا سلاحهما تحت ملابسهما، وتوجها بالسيارة غربًا نحو الجدار الفاصل، وكان الوقت قريبًا إلى المغرب، وتسلل المجاهدان سامح وعمار بعد أن وضعا السيارة بعيدًا، وأخذا في العمل واستغرق العمل في قص الشبك عدة ساعات مرّت خلالها أكثر من دورية عسكرية للعدو، وفي كل مرة كانا يستعدان بالسلاح للاشتباك مع جنود الاحتلال في حال تم كشفهما. كانت عملية القص صعبة ومجهدة، وفي نهاية المطاف تمكن المجاهدان بعد عدة محاولات من إحداث ثغرة في الشباك، وبذلك بات الطريق سالكًا لسرايا القدس لتصل إلى "عابر إسرائيل"، وتنفذ العملية التي بدت عليها علامات النجاح والتوفيق.

انسحب المجاهدان وتم إبلاغ طارق حساين مشافهة أن النفق أسفل الجدار بات جاهزًا، وأصدر المجاهد سامح الأمر بأن تنفيذ العملية سيكون مساء السابع عشر من حزيران، وبذلك بدأت الاستعدادات الروحية والنفسية وتجهيز السلاح وغير ذلك بكل سرية وهدوء، والشعار كان "لا مجال ولا مكان للفشل" ووضعت الخطة النهائية للهجوم، وكان المتفق ألا تعلن السرايا المسؤولية عن العملية والإعلان يكون دفعة واحدة بعد تنفيذ سلسلة من العمليات.

قضت الخطة أن يتجه مُجاهدو السرايا على أن يقود المجاهد عمار الشوبكي السيارة ليلًا ويركن السيارة قرب الجدار، ويدخل باقي أفراد الخلية عبر النفق وينفذوا هجومهم ضد آليات العدو ومستوطنيه، وفي اللحظات الأخيرة للعملية تم إضافة تعديل يقضي بأن يكون هناك خلية إسناد من المجاهدين عمار الشوبكي وإبراهيم يوسف عطية، وخلية الهجوم مكونة من المجاهدين طارق حساين ومحمد مصطفى ذرة والشهيد محمد حسام عطية، وأن يكون الجميع ملثمين وأن يقوم المجاهد سامح بمتابعة مجريات العملية في حال حصل أي تطورات، وقبل التنفيذ بدقائق اجتمع سامح بالمجاهدين طارق وعمار قرب الملعب البلدي في قلقيلية في مكان منعزل، وقام بتوديعهما وللمرة الأخيرة والاتفاق مع عمار على نقطة اللقاء بعد التنفيذ وكيفية الانسحاب للمجموعة والاحتياطات الأمنية ما بعد العملية.

تم تنفيذ العملية كما تم التخطيط لها، وتم استهداف سيارة جيب للمستوطنين بإطلاق النار عليها ليقع من فيها، وهم ستة بين قتيل وجريح، وبعد 15 دقيقة من انسحاب السرايا من الموقع من خلال النفق، كلٌ إلى المكان المقرر له، اجتاحت قوات الاحتلال مدينة قلقيلية بالدبابات وإطلاق نار كثيف، وتم استدعاء طائرة أباتشي قامت بتمشيط الحدود طوال الليل مستخدمة الرشاشات الثقيلة، وبدأت وسائل الإعلام والفضائيات العبرية

والعربية بتغطية أحداث العملية، وكانت الصدمة الكبرى في الكيان من شكل ونوعية العملية.

لم يتم كشف النفق إلا بعد ساعات طويلة، أي في صباح اليوم التالي للعملية، وطوال الليل تكرر سؤال من وكيف وإلى أين ذهب من نفذ العملية؟ حالة من الإرباك الأمني في صفوف الكيان، وعندما تبين أن منفذي العملية قد استخدموا نفقًا تحت الجدار، قامت وسائل الإعلام في الكيان بالهجوم والنقد الكبير لحكومة الكيان، وقالوا بالعنوان العريض نظرية الجدار وما سيجلبه من الأمن والأمان والملايين من الدولارات سقطت بضربة واحدة من قبل الفلسطينيين، "الجدار هو الخاصرة الضعيفة" صفعة في وجه الجيش والأمن "الإسرائيلي"، وغيرها من العناوين التي تساءلت عن هوية المنفذين وكيف تمكنوا من اجتياز الجدار والضربة القاسية التي وجهت لشارع "عابر إسرائيل" الذي أوقف العمل به وعليه عدة شهور، وكان للعملية صدى مدوٍ في محافظة قلقيلية كاملة لنوعيتها...إلخ.

بعد أسبوع تم اتخاذ قرار عدم الإعلان عن مسؤولية سرايا القدس عن العملية، وبعد نقاش صاخب دار في السرايا وتقدم بعض الفصائل لإعلان مسؤوليتها عن العملية زورًا، فكشفت السرايا المسؤولية عن العملية وتفاصيلها الكاملة، وبذلك أدرك العدو أن الجهاد الإسلامي هو المسؤول عن العملية، وهو من يقف خلفها، وكانت صفعة جديدة له فكيف تمكن الجهاد والذراع العسكري التابع له من بناء قوة عسكرية وتنفيذ هكذا عملية دون أن يتم كشفهم...إلخ، فأصدر رئيس وزراء الكيان وهو يقف قرب موقع العملية أمره بالاستنفار التام لقواته، للقضاء على الفاعلين والوصول اليهم بعد كم الانتقادات التي تعرضوا لها.

اعتقاله والحكم عليه

في هذا الوقت بدأت الاستعدادات من قبل سرايا القدس لضرب الجدار ووهم أمنه وأمانه للكيان، ولكن هذه المرة من موقع آخر، وبعد الإعلان عن العملية قامت قوات الاحتلال بأوسع عمل عسكري في قلقيلية، وقامت باعتقال كل من يشتبه بعلاقته أو انتمائه للجهاد الإسلامي، ومنها بيت الأسير سامح الذي بات مطاردًا، وتم اعتقال العشرات، وفي غرف التحقيق توصل الاحتلال لطرف خيط من خلال الآلية التي تم فيها كتابة وطباعة ونشر البيان العسكري التي أدت إلى اعتقال بعض المقربين من أعضاء السرايا، وبعد عدة مداهمات تم اعتقال المجاهد عمار الشوبكي وإبراهيم عطية ومحمد مصطفى ذرة (شريم)، وهنا بدأ يطارد الاحتلال سامح وطارق حساين ومحمد حسام عطية، وبعد عدة أشهر من المطاردة والاشتباك تم اعتقال المجاهد سامح بتاريخ 26/ 10/ 2003م، وكذلك الحال بالنسبة لطارق حساين في شهر 11/ 2003م، وأما محمد عطية فبقي مطاردًا حتى تم استشهاده في أحداث قلقيلية بين مجموعة من المجاهدين المطاردين للعدو الصهيوني وبين الأجهزة الأمنية الفلسطينية في قلقيلية حيث تم استشهاده على أيدي أجهزة السلطة الفلسطينية في العام 2009م.

بعد العملية والمطاردة اكتسبت حركة الجهاد الإسلامي في مدينة قلقيلية زخمًا ورصيدًا جماهيريًا واسعًا، وهذا رافقه هجمة صهيونية شرسة على قادة وكوادر الحركة السياسيين والعسكريين، ومع ذلك لم يتمكنوا من اجتثاث هذه الحركة، وإنما تشكلت المزيد من الخلايا العسكرية لسرايا القدس في مدينة قلقيلية، ولم تكن الأحكام الصهيونية القاسية التي نطقت بها محاكم بني صهيون الزائفة نهاية العام 2003م وبداية العام 2004م، لتفت في عضد المجاهدين أو تزرع في نفوسهم الألم بل تحول الألم إلى أمل حيث تم الحكم على المجاهد الكبير وأحد أبرز مؤسسي سرايا القدس في قلقيلية الشيخ سامح الشوبكي بالمؤبد بالإضافة إلى عشر سنوات ليقود الشاباك الصهيوني مرة أخرى المجاهد سامح إلى التحقيق ليزيد حكمه بالمؤبد و20 عامًا، فلم تكن فترة التحقيق الـ91 يومًا بكل مساوئها وعذاباتها إلا فترة من الصبر على ظلم العدو الصهيوني ليخرج بعدها المجاهد إلى سجون الاحتلال، ويجتمع مع إخوانه في الحركة الأسيرة،

الأسير المجاهد/ سامح الشوبكي
برفقة قادة من الحركة الأسيرة بسجون الاحتلال

وليكون إلى جانب إخوانه المجاهدين طارق حساين وعمار الشوبكي وإبراهيم عطية ومحمود ذرة (شريم)، وحكم عليهم جميعًا بالحكم المؤبد، ومع ذلك تمكن المجاهد طارق حساين من امتلاك حريته عبر صفقة وفاء الأحرار في العام 2011م، ولا يزال إخوانه من أبناء مجموعته ينتظرون دورهم في الصفقة القادمة إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القدس
عمادة القبول والتسجيل

Al-Quds University
Deanship of Admission & Registration

مصدقة

بناءً على نتائج امتحانات الفصل الثاني من العام الأكاديمي ٢٠١٧-٢٠١٨/٢ قرر مجلس الجامعة في جلسته رقم ٣٩١ بتاريخ ٢٠١٨/٠٩/١٣ منح سامح سمير محمد الشويكي المولود في قلقيلية عام ١٩٨٠ درجة بكالوريوس في العلوم السياسية . بمعدل خمس وثمانون و ثلاثة أعشار (٨٥.٣%) وبتقدير جيد جداً.

أبو ديس في

مدير التسجيل

ولذلك كان لابد للمجاهد سامح الشوبكي عدم الاستسلام لقهر السجن والسجان، فعكف على العلم والدراسة في سجون الاحتلال، وتمكن من الحصول على شهادة الدبلوم في تخصص تأهيل الدعاة، ومن ثم حصل على بكالوريوس في علم التاريخ، وأتبعه بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة القدس أبو ديس، ولا يزال الآن طالبًا

في الماجستير تخصص الشؤون الإسرائيلية بإشراف الدكتور مروان البرغوثي في سجن "هداريم"، ذلك السجن الذي أمضى فيه المجاهد معظم أيامه في السجن فمكث فيه 14.5 عامًا، وقف خلالها إلى جانب الحركة الأسيرة في إضراباتها في العام 2004م وبأقسى الخطوات التصعيدية حتى يومنا هذا، فاختاره أبناء الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال ليكون أحد أبطال الهيئة القيادية العامة لأسرى الحركة في السجون، فكان عند حسن ظنهم وأملهم فيه، وكان بمثابة الرجل القرآني في أدبه وأخلاقه وحسن تعامله مع إخوانه، وكانت جهوده الحثيثة في سجون الاحتلال منصبة دومًا على خلق واقع علمي وفكري مستنير، بالإضافة إلى اهتمامه بالعمل على توطيد العلاقات الاجتماعية مع معظم الفصائل الفلسطينية من أبناء فتح وحماس والجبهتين، فكانوا له سندًا قويًا في محنته يوم أن تم اعتقال أخويه محمد ومؤيد ويوم أن توفيت والدته في العام 2017م، فكانوا له بمثابة البلسم للجروح، ولا يزال هذا القائد والمجاهد والأستاذ والمؤسس لسرايا القدس في قلقيلية وفيًا لدماء الشهداء وعلى الوعد والعهد، فطوبى له وطوبى لأمثاله الأبطال الشجعان الذين يستحقون بشرف العمل أن ينالوا حريتهم المسلوبة بكل عز وفخار.

مجموعة من قيادة حركة الجهاد الإسلامي
في زيارة اجتماعية لعائلة الأسير المجاهد/ سامح الشوبكي

الأسير المجاهد
إسماعيل إبراهيم مصطفى أبو شادوف

مجاهد من أسرة مجاهدين

تاريخ الميلاد: 1983/02/20م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة برقين - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 13

تاريخ الاعتقال: 2004/01/04م

الحكم: 28 عاماً

في فلسطين كل شيء مختلف: البشر، الحجر، الشجر، جذور ضاربة ممتدة في أعماق الأرض، ومروية بدماء الشهداء الزكي الطاهر، كذلك كانت وما زالت عائلة أبو شادوف التي يلازم ذكرها ذكر برقين، شرف يُدركه كل ساكن أو زائر، تلك البلدة مهد الشهيد القائد في سرايا القدس وليد العبيدي الذي أضحى بوصلة لكل تلاميذه، فيها طيف الاستشهادي البطل نضال أبو شادوف محلقًا يبصره الأوفياء في فضاء برقين والقافلة تطول، تضحيات عمرها عمر الصراع الطويل مع الاحتلال الغاشم.

الميلاد والنشأة

ورغم أن عنواننا هنا الأسير البطل إسماعيل أبو شادوف؛ فلا سبيل لفهم طبيعة انضمامه المبكر لمقاومة الاحتلال، ومواجهة ظلمه إلا باستعراض كوكبة منيرة من الشهداء والأسرى، التي ترتبط بهذه العائلة المجاهدة، ومن منا لم يسمع بالشهيد القائد زياد العامر ابن خالة الأسير المجاهد إسماعيل الذي كان من أبرز نشطاء الفهد الأسود خلال انتفاضة الحجارة في العام 1987م، واعتقل وحُكم عليه بالمؤبد، ثم أُفرج عنه لاحقًا في أواخر تسعينات القرن الماضي، ضمن تفاهمات اتفاق "أوسلو" بين السلطة والعدو الصهيوني، وبقي الشهيد القائد

زياد على عهد المقاومة والجهاد حتى استشهد خلال انتفاضة الأقصى وبالتحديد في اجتياح مخيم جنين بتاريخ 03/ 04/ 2002م، وودعه أبناء شعبنا الفلسطيني بفخر الشهادة وألم الوداع، وحملوه في طريقه للجنة وزفوه بعرس وطني كبير، ومن بين المشيعين وقف اثنان يستعيدان صورًا من ذاكرة ومحطات جمعتهما به: إنهما أخواه مؤيد وعمار، اللذان كانا قد شاركاه عذابات الأسر عدة سنوات وأُفرج عنهما ضمن نفس الإفراجات معه، فخرجوا للحرية معًا، ولكن ليس إلى نفس البيت، فبيت العائلة كان الاحتلال قد هدمه في مخيم جنين، وللشهيد زياد أخوان تعرضا لمطاردة الاحتلال، وهما محمد وأحمد.

كل من عرف المجاهد إسماعيل يعرف وعيه المتحرر من الحزبية الضيقة، وهو ينتمي إلى مدرسة قوامها الإسلام والجهاد وفلسطين. ورغم انضوائه ضمن صفوف حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري سرايا القدس إلا أن علاقاته الطيبة كانت متميزة مع أبناء كافة الفصائل الأخرى، ومرد ذلك إلى فهمه بأن التناقض الأول والوحيد هو مع الاحتلال فقط، وفي سبيل ذلك لابد من توحيد كل الطاقات والجهود لدحره عن صدورنا وطرده من أرضنا، كيف لا وثلاثة من أخواله كانوا من نشطاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خلال الانتفاضة الأولى عام 1987م؟ ولاحقًا أُعتقلوا لبضع سنوات في سجون الاحتلال، فأخواله من عائلة الزبيدي ذات الباع الطويل في الدفاع عن الوطن جمال ومحمد وسليمان الزبيدي، الخال محمد والد الشهيد طه الزبيدي أحد أعضاء سرايا القدس وصاحب دور بارز في معركة مخيم جنين في العام 2002م اغتاله العدو في هذه المعركة بواسطة قذيفة "أنيرجا"،

وزوجة الخال محمد هي الشهيدة سميرة الزبيدي، اعتقل ابنها يحيى في اجتياح مخيم جنين وحكم عليه بالسجن ستة عشر عامًا ونصفًا، واعتقل ابنها جبريل في العام 2004م وحكم عليه بالسجن 12 عامًا، واعتقل ولداه عبد الرحمن وزكريا في الانتفاضة، وخلال انتفاضة الأقصى طاردت قوات الاحتلال المجاهد زكريا الزبيدي الذي شارك في معركة مخيم جنين وخرج من تحت أنقاضها، أما خاله سليمان الزبيدي فقد أبعده الاحتلال إلى الأردن بعد قضائه عدة سنوات في الأسر، تُوفي _رحمه الله_ في المنفى بعيدًا عن أهله ووطنه. والشهيد مهند أبو شادوف فارس آخر من فرسان هذه العائلة الكريمة، وهو ابن عم الأسير المجاهد إسماعيل واعتقل في العام 1990م وحكم عليه بالسجن سبع سنوات، وهدم منزله في الانتفاضة الأولى واستشهد بقصف مدفعي بضاحية صباح الخير في جنين في 08/ 12/ 2000م أي في بداية انتفاضة الأقصى.

لقد كانت القبائل العربية الأصيلة ترسل أبناءها ليتربوا في البادية، تحت رعاية أسر تتقاضى قدرًا من المال لقاء ذلك، وقد جرت هذه العادة تحقيقًا لهدفين: أولهما: أن يشتد عود الفتى ويألف شظف العيش، أما الهدف الآخر فهو التخلق بالصفات النبيلة والسمات الرفيعة، فأسيرنا البطل إسماعيل أبو شادوف لم يكن بحاجة لذلك، فقد توفرت لتربيته داخل أسرته الظروف المناسبة، التي جمعت بين هذا وذاك.

عاشت عائلة أبو شادوف حياة صعبة منذ البداية، وقد تجرعت مرارة اللجوء من قرية (سولم)، قرب العفولة المحتلة وسكنت بلدة برقين في جنين، وللمجاهد إسماعيل ستة إخوة وأربع أخوات، ورغم الحالة الصحية الصعبة لوالده الذي لا يبصر إلا بعين واحدة إلا أنه كان يجد ويجتهد ليحسن تربية أبنائه وتوفير شروط الحياة الكريمة لهم ولزوجته، فعمل أبو نضال في الحسبة بائعًا للخضار، وزرع في أبنائه خشونة العيش وعفة النفس والمثابرة كي لا يتمنن عليهم أحد، وبهذا صنع من أولاده رجالًا بحق، وكما يقول المثل: "من يزرع يحصد"، فزرع أبو نضال بأبنائه حب التضحية والإيثار وحب الخير للغير، وحصد برًا ووفاءً، كيف لا؟ وهو الذي فقد نور عينه اليمنى نتيجة إصابة عمل.

لقد كان الوقت طويلًا على إسماعيل وإخوانه أن ينتظروا سن البلوغ ليردوا شيئًا من الجميل لوالدهم، فلم ينتظروا ذلك، بل سارعوا لمساعدته وهم صغار للعمل أينما أتيحت لهم الفرصة، فكان المجاهد إسماعيل أثناء دراسته وبعد انتهاء الدوام يذهب للعمل في الزراعة ببلدتهم في برقين مع والدته وإخوته لتوفير لقمة العيش دون الحاجة لأحد، أما شقيقه الأكبر نضال فقد عمل داخل أراضينا المحتلة عام 1948م أثناء العطل المدرسية الصيفية، واستمر هذا الحال حتى العام 2000م.

عندما كبر المجاهد إسماعيل أصبح يعمل في الحدائق والبناء في الداخل الفلسطيني، وبدأ الوضع الاقتصادي يتحسن للأسرة شيئًا فشيئًا، ففكرت عائلة أبو شادوف أن تدخل الفرح على أسرتهم وخاصة على الوالد والوالدة اللذين بذلا عمريهما بالسهر على تربيتهم وراحتهم، فتضافرت جهود الأم والأبناء لتزويج الابن البكر نضال، وقرروا حينها تجديد المنزل وتطويره كي يزفوه إليه، لكن مشيئة الله كانت غالبة فاختار الابن نضال شهيدًا إلى جواره ليزف عريسًا للحور العين، فالثمار الطيبة لا تنتجها الأحلام والأمنيات، بل العمل الدؤوب المصحوب بالعناية والاهتمام، وكذلك كان الاستشهادي نضال أبو شادوف حصاد تربية واعية لأسرة أصيلة تنتمي لعائلة وطنية عريقة بامتياز.

بدأ المجاهد نضال تضحيته مبكرًا فمنذ الصغر حمل على عاتقه عبء إعالة والده وأسرته بالعمل داخل أراضينا المحتلة عام 1948م خلال عطل المدارس، ففي كل يوم كان يكبر فيه نضال يبصر أهله تطور حسه الجهادي الثوري وهو مغرم باقتناء السلاح حتى قبل اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة وكذلك إخوانه، ذلك الاهتمام بالسلاح شرح قلب الوالد أبو نضال واطمأن على أبنائه، وفهم أنهم على الطريق الصحيح رغم خطورته،

لكنهم أصبحوا في حصانة من الانحراف أو الانجراف لسلبيات سن المراهقة.

استقبل البطل نضال انتفاضة الأقصى في العام 2000م بلهفة وشوق، كمن وجد ضالته بعد طول بحث وعناء، وانخرط في العمل من أجل فلسطين في سبيل الله دفاعًا عن القضية المركزية للأمة، فكان يعمل ويعين الأهل وفي نفس الوقت يذهب إلى المواجهات مع قوات الاحتلال، وتعرض للإصابة عدة مرات، وفي تلك المرحلة أصابته فاجعة كبيرة باستشهاد رفيقه وابن عمه المجاهد مهند أبو شادوف في 08/ 12/ 2000م بقذيفة مدفعية على حاجز الجلمة، فكانت هذه أول عملية اغتيال بالمدفعية في جنين وراح ضحيتها خمسة من منتسبي الأمن الوطني، وكان قائدهم الشهيد المجاهد مهند ففجعت العائلة بهذا الخبر.

استشهاد أخيه نضال

قرر المجاهد نضال أن يثأر لأخيه وابن عمه الذي ذهب أشلاءً، فلم تكن مصيبة الفقد هذه رادعًا لنضال أو سببًا للتراجع، بل كانت حافزًا ودافعًا جديدًا له على طريق التضحية والفداء، فحمل دم أخيه مهند أمانة وأشهر سيفه في وجه عدوه القاتل، وانطلق يقتحم ميادين المقاومة دون وجل، فلا يترك مواجهة مع العدو إلا كان في الصفوف الأمامية، ولكن بعد فترة قرر أن يطور أسلوب المواجهة وأراد سلاحًا آخر يثخن فيه المحتل المجرم، واشتاق نضال للفردوس الأعلى وأهله، وظمأ لشربة ماء من يد محمد -صلى الله عليه وسلم- على الحوض، واختار الالتحاق بركب الشهداء الأطهار مهند وإخوانه، وبالتحديد أراد الانتماء لكوكبة الاستشهاديين الذين خلطوا دمهم وأشلاءهم بتراب الأرض المقدسة.

توجه شهيدنا البطل نضال إلى أكثر من جهة، ولكن الجميع رفضه بسبب وضع عائلته المادي؛ لأنه فعليًا المعيل الأساسي للعائلة، لكنه أصر على الموضوع أكثر فأكثر، وتوجه للقادة في سرايا القدس محمد أبو طبيخ ومحمود طوالبة وثابت مرداوي،

وبعد نقاش طويل وافقوا على طلبه، وحمل على جسده الطاهر شنطة المتفجرات، ولبى نداء ربه سريعًا بتاريخ 16/ 07/ 2001م، كان خبر بطولته على شاشات التلفاز يتلألأ بتنفيذه عملية استشهادية في مدينة "بنيامينا" قرب محطة القطار، وقتل في العملية اثنان من الجنود الصهاينة، وأصيب أكثر من 20 آخرين وأعلنت سرايا القدس مسئوليتها عن هذه العملية الاستشهادية.

ارتقى الاستشهادي نضال نجمًا محلقًا في عنان السماء، بينما كان الوالدان يحمدان الله بشهادة ابنهما التي رفعت رأس الأمة عاليًا، وكانت عيونهما تذرف

الدموع حزنًا وألمًا على فراق بكرهما وفلذة كبدهما، وفي الذكرى السابعة عشرة لاستشهاد البطل نضال، في ذلك اليوم الذي لا يُنسى في ذاكرة الفلسطينيين الشرفاء عامة، وآل أبو شادوف خاصة كتب الأسير البطل إسماعيل أبو شادوف يرثي أخاه قائلًا:

مضى ابن شادوف حتى لم يبق له
مشرقًا ولا مغربًا إلا وله فيه مادح

ما كنت أدري ما فضائل كفه
على الناس حتى غيبته الصفائح

فأصبح في لحد من الأرض ضيقًا
فكانت به حيًا تضيق الصحائح

سأبكيك ما فاضت عيوني وإن تفض
فحسبك مني ما تكن الجوارح

لئن كثرت فيك المراثي وذكرها
فقد كثرت من قبل فيك المدائح

وكان من قبل قد كتب الشهيد البطل نضال لأمه قبيل استشهاده قائلًا: "أمي لا تنتظريني عند الموعد، فلن آتي، سيأكل طعامي إخوتي الصغار عند الغداء، وسيشرب قهوتي والدي عند المساء، وسينام في حضن عينيك أخي الصغير بدلًا مني، أمي لا تنتظريني عند الموعد فلن آتي، 21 عامًا على هذه الأرض تكفي، أما بقية عمري فأهديه لك، ولإخوتي من بعدي". رحم الله شهيدنا البطل نضال.

إن المجاهد إسماعيل أبو شادوف هو معدن نفيس لا تزيده الشدائد والابتلاءات إلا وهجًا ولمعانًا، سنوات طوال كشفت أصالة التربية التي حظي بها منذ نعومة أظفاره، فقد نشأ على حب التضحية منذ صغره، فكان يحب مساعدة الآخرين والوقوف إلى جانبهم، وكما بقية الأطفال يمرح ويلعب، ولكنه في الوقت نفسه اعتاد على خشونة العيش، فكان يعين العائلة مع إخوانه الصغار في أيام العطل حيث يذهب للعمل في السهل بعد الظهر.

دراسته

أنهى المجاهد إسماعيل الصف العاشر بنجاح، ثم التحق بمعهد قلنديا برام الله ليتعلم صنعة تجهيز ودهان السيارات، وكان أيضًا يعمل بعد الدوام لكي يعين نفسه ويخفف عن أهله أعباء ومصاريف المعهد، وبقي هناك سنتين، وأنهى المعهد بنجاح وحصل على دبلوم صناعي، وفي آخر أيام المعهد تلقى خبر استشهاد أخيه المجاهد نضال، فأظلمت الدنيا في وجه مجاهدنا البطل إسماعيل الذي شعر بغصة في القلب، وكان المجاهد إسماعيل يومها كجسد يفارق روحه، وحزن حزنًا شديدًا ولكنه تلقى الخبر بصبر واحتساب؛ لأن هذا ما تربى عليه، وانطلق يشارك في جميع المواجهات التي كانت تحصل مع العدو، وتعرض للإصابة في المرة الأولى في إحدى المواجهات التي كانت تحصل في رام الله قرب البالوع، وفي المرة الثانية في نابلس عند مدخل نابلس، وعندما عاد إلى جنين كان يقتنص كل فرصة عمل مرة في العمار وأخرى في الفلاحة وأخرى في تجهيز السيارات.

بحث المجاهد إسماعيل عن كل درب يوجع به المحتل الغاصب، وفي نهاية العام 2001م

كان صديقه ورفيق دربه المجاهد شادي النوباني يزوده بالأكواع من أحد أبرز قادة سرايا القدس الذي ذاع صيته في جنين خاصة وفي الوطن عامة،

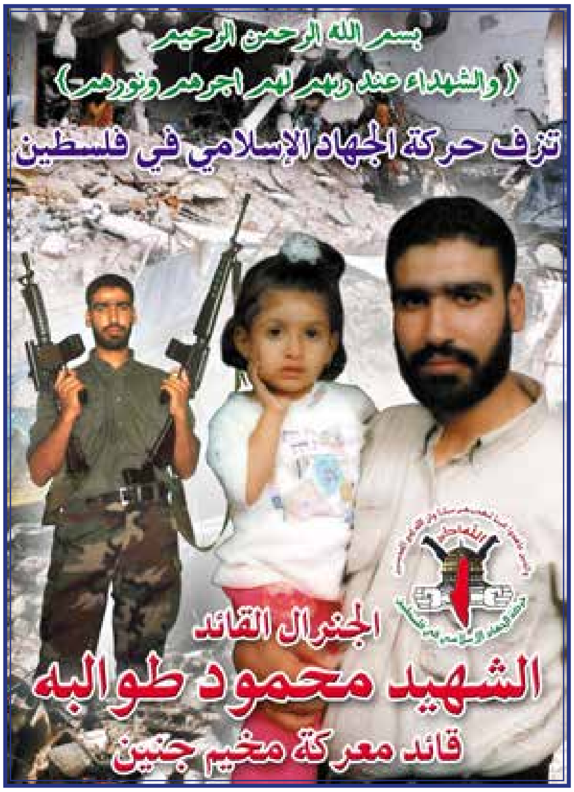

إنه الشهيد القائد محمود طوالبة، ومن ناحيته كان يوزع هذه الأكواع على شبان الانتفاضة في بلدة برقين، وبقي على هذا الحال حتى اجتاح العدو الصهيوني مخيم جنين، وتعلم المجاهد إسماعيل من أخيه وشقيق روحه نضال حب اقتناء السلاح واستخدامه فاشترى سلاحًا شخصيًا، وعرض عليه أحد أصدقائه من مخيم جنين أن يعمل ضمن صفوف الجبهة الشعبية وتزويده بقطعتي سلاح فوافق على العمل؛ فأخذ السلاح وأشرك معه في العمل رفيقيه المجاهدين فادي شلاميش وأحمد خلوف، وهكذا أصبح معه ثلاث قطع سلاح فاكتملت المجموعة التي نفذت عدة عمليات إطلاق نار في برقين وخارجها، ولاحقا خطط أفراد هذه المجموعة لعملية نوعية ضد جنود الاحتلال، وقرر المجاهد إسماعيل ورفاقه استهداف دورية مراقبة وحراسة لشق طريق استيطاني التفافي خلف قرية العرقة، وحملت هذه العملية المعقدة في تفاصيلها درجة عالية من المخاطرة، الأمر الذي استدعي أن يكتب المنفذون وصاياهم، ثم تم اختيار ليلة العيد موعدًا للعملية، وكان التنسيق مع شخص في قرية العرقة تبين فيما بعد أنه خائن وعميل، وقد أوصل خبر العملية للعدو قبل تنفيذها، ونجا المجاهد إسماعيل ورفاقه بأعجوبة من بين فكي كمين محكم أعده لهم جنود الاحتلال، وبعد ذلك أعاد المجاهد إسماعيل السلاح لصاحبه وبقيت تربطه به علاقة طيبة.

التحاقه بسرايا القدس

توجه الشهيد القائد وليد العبيدي أبو القسام للمجاهد إسماعيل وطلب منه الانضمام رسميًا لصفوف سرايا القدس، ولم يكن ذلك اختيارًا عشوائيًا فلقد عُرف عن الشهيد أبو القسام فطنته ودقة ملاحظته، كيف لا؟ وهو صاحب الفضل في انضمام أبرز قادة الجهاد الإسلامي لصفوف هذه الحركة الإسلامية الرائدة على درب الجهاد والمقاومة، فوافق المجاهد إسماعيل وأصبح واحدًا من أولئك المجاهدين الذين يحملون أرواحهم على أكفهم، وتعرف على نخبة من مجاهدي السرايا كان منهم المجاهد أحمد الشيباني (العندليب)، والمجاهدون أحمد دهيدي وصالح جرادات وأمجد عبيدي، والتزم المجاهد إسماعيل الحفاظ على أمنه الشخصي من

خلال تطبيق أهم القواعد الأمنية في العمل الجهادي، فجميع علاقاته كانت سرية، وكان وجهه غير معروف حتى عند أهل بلده بحكم غيابه الطويل للعمل في رام الله أو في الداخل الفلسطيني المحتل عام 1948م، وعلى غرار العمليات المشتركة والتنسيق بين سرايا القدس وباقي الأجنحة العسكرية لفصائل المقاومة نفذ البطل إسماعيل مع صديقه المقرب الشيخ محمود أبو خليفة قائد كتائب شهداء الأقصى عملية إطلاق نار تجاه سيارة مستوطنين على الخط الالتفافي، وانقلبت هذه السيارة وأصيب من فيها، وكانت تلك واحدة من عمليات اطلاق النار المتفرقة في العام 2003م، وكانت أغلبها ضد الجنود الصهاينة المتواجدين في وادي برقين.

الشهيد القائد/ وليد عبيدي (يسار)
برفقة مجموعة من قادة ومجاهدي سرايا القدس في مخيم جنين

ضيقت قوات الاحتلال على المجاهدين وشنت حملة اعتقالات ومداهمات واقتحامات شرسة ضد كل من يشتبه بنشاطاته أو انتمائه داخل صفوف سرايا القدس، واستشهد المجاهد البطل صالح جرادات واعتقل عدد من القادة البارزين، وفيما بعد طلب القائد العام لسرايا القدس الشهيد نعمان طحاينة ومعه أحد المجاهدين من المجاهد البطل إسماعيل أبو شادوف تسلم مهام قيادة السرايا في جنين؛ لكنه رفض هذه الأمانة الثقيلة على عاتقه، خاصة أنه عشق العمل السري لوجه الله تعالى ولا يحب ظهور اسمه.

بحث المجاهد إسماعيل عن المجاهد إياد أبو الرب المختفي عن الأنظار، والتقى الاثنان واتفقا على المضي قدمًا على طريق الشوكة، واشترى المجاهد إسماعيل مسدسًا للمجاهد إياد، وتوجه أحد المجاهدين للمجاهد إسماعيل عازمًا على الاستشهاد وبدوره طلب من أخيه المجاهد إياد تولي مهمة إرساله لتنفيذ عملية جهادية، وقاما بتوصيل الاستشهادي الذي اعتقل قبل تنفيذ العملية بساعات، وأجرت سرايا القدس حينها تحقيقًا في الأمر ليتضح أن هذا الاستشهادي قام بتوديع عائلته وأصدقائه علنًا مما تسبب في افتضاح أمره.

قرر المجاهدان إسماعيل أبو شادوف وإياد أبو الرب مجددًا إرسال استشهادي آخر من غزة وهو المجاهد منير أبو ربيع، والذي كان يعمل في السلطة الفلسطينية، وأحضر المجاهد إسماعيل الحزام الناسف، ثم اشترك معه المجاهد إياد في إرسال الاستشهادي منير إلى العفولة وفق خطة محكمة لتنفيذ العملية، ولكن للأسف تم تغيير الخطة من قبل مجاهد آخر، أخذ على عاتقه مسؤولية توصيل الاستشهادي منير وهو المجاهد مراد أبو زيتون، واعتقلتهما قوات الاحتلال في اليوم الثاني في قرية بردلة في الأغوار وكان ذلك بتاريخ 03/12/2003م، وأعلنت الأجهزة الأمنية الصهيونية طوقًا أمنيًا شاملًا،

الأسير المجاهد/ إياد أبو الرب
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 24/ 11/ 2005م

وبدأت حملة واسعة لاعتقال المجاهد إسماعيل، الذي قرر الاختفاء عن الأنظار وترك المسؤولية الكاملة لرفيق الدرب المجاهد إياد أبو الرب لقيادة سرايا القدس، ووعده ألا يبخل عليه بشيء، وأن يقدم له كل مساعدة مطلوبة.

تعرض بطلنا إسماعيل لمطاردة قوات الاحتلال، ونجا من عدة محاولات اغتيال إحداها كادت أن تتسبب في استشهاد أخيه محمد، الذي من شدة حبه لأخيه إسماعيل كان يقلده في ملبسه وطريقة مشيه وتقريبًا في نفس طوله، وفي إحدى الليالي وبينما كان محمد عائدًا إلى البيت تم محاصرته ضمن كمين لقوات الاحتلال الصهيوني في مدخل البيت ظنًا منهم أنه المجاهد إسماعيل، وبدون تحذير أو سابق إنذار تسارعت إليه رصاصات الغدر وأصيب في يده وأذنه ورقبته، وقامت أمه وأخته بسحبه إلى داخل المنزل مضرجًا بدمائه وسط إطلاق نار كثيف.

مطاردة الاحتلال له واعتقاله

عندما توقف إطلاق النار طلبت قوات الاحتلال المحاصرة للمنزل من الوالد الحاج أبو نضال إخراج جميع سكان المنزل، وأن يقفوا صفًا واحدًا أمام مدخل المنزل، كدرع بشري ظنًا منهم أن المجاهد إسماعيل موجود بالبيت، وعندما فشلوا في هدفهم اعتقلوا أخاه محمد وهو ينزف دمًا، ومكث في الأسر اثني عشر يومًا قبل الإفراج عنه، وبعدها تواصلت معاناة المطاردة حيث لا مأوى للمجاهد إسماعيل ينام فيه إلا المغارات ورؤوس الأشجار، هذا إضافة إلى التضييق على عائلته بالمداهمة المتكررة للمنزل مرة كل أسبوع أو أسبوعين، وفي يوم آخر وبينما كان المجاهد إسماعيل متوجهًا لزيارة ذويه، ثم زيارة أهل الشهيد البطل نهاد أبو غانم الذي كان حينها أسيرًا في سجون الاحتلال، وبعد خروجه من بيته شق طريقه للقاء استشهادي طلب منه تنفيذ عملية، ولكن قدر الله تعالى كان إليه أقرب حيث اعتقلته قوات الاحتلال بكمين محكم في إحدى حواري بلدة برقين وكان ذلك بتاريخ 04/ 01/ 2004م.

إن قوة الظلم تشكل القانون بما يتناسب معها، وهذا الاحتلال يستند للبطش والقتل والتدمير، ويحاول تجميل وجهه القبيح بمحاكم وأنظمة صورية لتشرع جرائمه ضد أبناء شعبنا المجاهد، ففي التحقيق مثلًا يمنع القانون ضباط الشاباك من استخدام العنف ضد الأسرى، وهو قانون يُستثنى منه كل أسير يصنف على أنه قنبلة موقوتة لامتلاكه معلومات تؤدي لقتل الصهاينة فهو مصطلح فضفاض، يمكن للعدو إطلاقه على من شاء

والأسير البطل إسماعيل أبو شادوف كان ضمن هذا التصنيف، فأخضع إلى ما يسمى التحقيق العسكري الذي يجري من خلاله تعريض الأسير للتعذيب الجسدي، واستطاع المجاهد إسماعيل وكثير من إخوانه الأسرى الصمود وعدم الاعتراف، وتعرض المجاهد إسماعيل للتعذيب الشديد وكان يشعر خلالها بقرب الموت لقسوة الألم والمعاناة والضغط الشديد على العمود الفقري والأطراف، واستمرت مرحلة التحقيق لمدة خمسة أشهر ويوم، ثم تم تحويله بعدها لمستشفى الرملة لمدة أربعين يومًا.

مازال يعاني الأسير المجاهد إسماعيل من آثار التعذيب الذي تعرض له حيث الآلام الشديدة في القدمين ومشكلة في الشرايين، وحكمت عليه المحكمة الصهيوني بالسجن الفعلي ثمانية وعشرين عامًا، وأمضى منها حتى تاريخ هذه الكلمات خمسة عشر عامًا أمضاها في خدمة إخوانه ورعاية شؤونهم كما حرص على طلب العلم فحصل على شهادة التوجيهي، ثم انتسب لجامعة الأقصى، وتعرض للعزل أثناء فترة دراسته لمدة ثمانية شهور بتهمة حفر نفق داخل زنزانته بادعاء إدارة مصلحة السجون بأنه ينوي الهروب، وبعد خروج المجاهد إسماعيل من العزل قرر إكمال مشواره التعليمي فانتسب إلى جامعة القدس المفتوحة ودرس تخصص الخدمة الاجتماعية.

كما كل الثوار في العالم ضد قوى الاستعمار، بل كما كل المجاهدين المؤمنين بخياري النصر والشهادة بقي المجاهد إسماعيل على العهد يقارع سجانيه في كل مواقع البطولة، ومشاركًا في كل الخطوات والفعاليات النضالية داخل الأسر، فخاض عدة إضرابات بدءًا بإضراب العام 2004م الذي شمل كل قلاع الأسر، وفي العام 2010م أضرب مرتين الأولى 12 يومًا والثانية 17 يومًا، إضافة لإضرابه الذي استمر لمدة 15 يومًا في العام 2011م، ثم لمدة 31 يومًا في العام 2012م أما العام 2014م فقد أضرب فيه لمدة عشرة أيام، ثم أضرب لمدة 29 يومًا في العام 2017م.

ورغم السنوات الطوال في الأسر استمر الاحتلال في منع الأسير البطل إسماعيل أبو شادوف من زيارة أهله بشكل طبيعي، ويسمح له بالزيارة فقط مرة كل ستة شهور، وأحيانًا كل سنة، وكتب إسماعيل من داخل الأسر وفاءً لأخيه الصغير أحمد قائلًا: "أكتب عن أخينا الصغير وقرة أعيننا أخينا أحمد، فهو أصغر سنًا، ولكنه ليس بفتى كباقي الفتيان، أخذ على عاتقه همًا كبيرًا، وكان هو الذي يسد الفراغ عندما كنا في السجن، فكان عمود البيت بامتياز، أخلص لأمي وأبي وأخواتي حتى كبرن وتزوجن، فكان لنا نعم السند ومهما عملنا لا نوفيه أجره، حاولنا سداد ولو جزءًا بسيط من معروفه وحقه علينا، فعرضنا عليه أن نبني له منزلًا ولكنه رفض، وقال لنا إنني لم أعمل لكم سوى الواجب المفروض علي، فأنتم جاهدتم ضد الاحتلال وأنا جاهدت بكم وبأخواتي وأمي وأبي، وسأبني بيتي بعرق جبيني، وها هو اليوم يكد ويجتهد لبناء منزل له، فطوبى لهذا الشاب ما أعظم شأنه، وندعو الله أن يوفقه لما يحب ويرضى".

الجدير ذكره أنه بعد اعتقال المجاهد إسماعيل بحوالي شهر داهمت قوات الاحتلال منزل أسرته

وعاشت فيه تخريبًا، واعتقلت أخاه المجاهد محمد وحكمت عليه بالسجن خمس سنوات، وبعد قضائه محكوميته في العذاب والألم والحرمان أفرج عنه، ولم ينتهِ مسلسل التنكيل في هذه العائلة، فبعد الإفراج عن المجاهد محمد بخمسة أيام اقتحمت قوات الاحتلال المنزل وعاثت فيه فسادًا، واعتقلت شقيقيه الصغيرين قسام وطارق، واستمرت المعاناة إلى أن أُفرج عنهما بعد سنتين،

الأسير المجاهد/ إسماعيل أبو شادوف (يسار)
برفقة شقيقه الأسير المحرر/ نبيل أبو شادوف

وبعد الإفراج عنهما لما يقارب الأربعة الأشهر اقتحمت قوات الاحتلال المنزل مرة أخرى واعتقلت أخاه نبيل، وبعدها بثلاثة أيام أعادت اعتقال طارق ليمكثا بعدها سنتين داخل سجون الاحتلال.

وفي هذا العام 2018م ما زال الأسير المجاهد إسماعيل يعاني ويلات السجن والقهر والحرمان، وينتظر على أحر من الجمر أن يرى أهله خاصة والده الذي فقد بصره وسمعه، وكم كانت الصدمة للمجاهد إسماعيل أثناء زيارة والده الأخيرة له، فكان والده ينظر إليه قائلًا: إني لا أراك يا بني أرجو أن تسامحني، وهو الآن يبلغ من العمر 75 عامًا ولكن أنهكه المرض، وأمه التي تعتصر ألمًا على فراقه قد أثقل كاهلها التنقل بين السجون، فمرة تكون في زيارة المجاهد إسماعيل والأخرى عند شقيقه محمد وأخرى لزيارة نبيل وثالثة لزيارة قسام وأيضًا طارق، فما أعظم هذه الأم التي تصبر على احتجاز جثمان ابنها الاستشهادي نضال، وعلى فراق فلذات كبدها الخمسة الذين يقبعون في السجون، فأي إجرام هذا وأي أم هذه؟ فطوبى لك أيتها الأم وطوبى لكل نساء فلسطين.

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة لعائلة الأسير المجاهد/ إسماعيل أبو شادوف

أما إذا أردنا التكلم عن أخواته فهن أيضًا يعانين كبقية العائلة تمامًا، فهن محرومات من الزيارة، فأي قانون هذا الذي يمنع المجاهد إسماعيل من زيارة أخته الكبرى له سوى مرة واحدة على مدار خمسة عشر عامًا، وباقي أخواته أربع أو خمس مرات؟ فنعم العائلة عائلة أبو شادوف، هذه العائلة التي أنجبت وربت وأنبتت أبناءً رجالًا شجعانًا لا يعرفون الهزيمة أو الاستسلام أو التراجع، وكانت أنموذجًا ومثالًا للعائلة الفلسطينية المجاهدة والمناضلة والمضحية من أجل فلسطين وترابها ومائها وهوائها، والأهم لأجل عيون القدس الباكية.

الأسير المجاهد
مهند محمود محمد أبو عيشة

سيف من جبل النار

تاريخ الميلاد: 1980/05/26م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة بيت وزن - محافظة نابلس

عدد أفراد العائلة: 9

تاريخ الاعتقال: 2004/06/23م

الحكم: 30 عاماً

نتحدث اليوم عن مجاهد من مجاهدي سرايا القدس تحدى الصعاب بنفس راضية، لذلك تراه القوة التي تعبُر البحار والمحيطات في الريح العاصفة ويشق طريقه تحت أمواج تهدد بابتلاعه، إنه ينهك الأرض التي لا تعرف التعب، ينهكها مستعيناً بالخيول على تقليب ترابها، ولا يزال مجاهدًا يمسك بخيوط الشمس علَّه يصنع منها حبلًا قويًا يشكل له طوق نجاة من ظلمات السجون التي طال ليلها. حديثنا اليوم عن المجاهد البطل مهند محمود محمد أبو عيشة.

الميلاد والنشأة

ولد المجاهد مهند في قرية بيت وزن التي تبعد مسافة ستة كيلومترات عن وسط مدينة نابلس، وتقع بين مجموعة قرى هي جنيد وزواتا وبيت إيبا وقوصين وصرة، ولا تزال تشم رائحة الورود المنبعثة من الياسمين الذي يعلو الأرض التي عانقت أرواح شهداء مدينة نابلس الأبية، ولا يزال فلاحوها يسقون هذه الأرض من عرقهم ودمهم لتنبت شجرة الأمل التي لا يستطيع العدو الصهيوني اجتثاثها. ولهذه القرية تاريخ حافل بالتضحيات، ودفعت ثمن الكرامة والعزة وحب الوطن من دمها، فما بخلت يومًا بأداء واجبها الثوري والوطني والديني،

فقدمت الشهداء والاستشهاديين والأسرى والجرحى والمطاردين، وكل ذلك من أجل رفعة الوطن الغالي.

في هذه البلدة الأبية والرائعة بيت وزن الشامخة شموخ الجبال الشاهقة، شموخ عيبال وجرزيم التي علمت أبناء نابلس معنى الشموخ والكبرياء والعظمة والصمود في وجه المحتل الصهيوني، فكانت تسمى جبل النار، وصارت تسمى جبل النار، وستبقى جبل النار؛ لأنها نار على من اعتدى. في حضن هذه المدينة الأبية، وفي بلدة بيت وزن الصمود نشأ مجاهد بطل مغوار عشق الجهاد والمقاومة والرايات السود، فأحب معاني الفداء والتضحية والبطولة والصمود. وإن لم يصدِّقنا أحد فليحاولوا أن ينظروا إلى وجه هذا المجاهد المبتسم، وانظروا إلى صبره وخلقه وتواضعه وعفته وتفانيه في خدمة دينه ووطنه وشعبه، ثم لا تتعجبوا بما ترونه! أنتم أمام رجل، بل مجاهد من أبطال سرايا القدس في فلسطين، نشأ وترعرع في ظل أسرة مؤمنة متدينة بسيطة ومتواضعة وفلاحة متجذرة في أرضها. وكان المجاهد البطل مهند الابن الأصغر والمدلل لأبيه بعد أن تركته أمه طفلًا صغيرًا يتيمًا، وهو في عمر الورود، وبرغم يتمه كان المدلل لأبيه وإخوانه وأخواته ولاسيما بعد وفاة والدته علهم بحبهم ودلالهم له يعوضونه ما افتقده من حب الأم وحنانها وصدرها وعطفها، فلم يكن حينها يشعر باليُتم حيث عرف أصدقاؤه الأطفال البسمة التي لا تفارقه، فأبدع في مدرسته ليحظى بمزيد من الاهتمام من قبل عائلته، وأحب المدرسة كما أحب طفولته، ولكن أي طفولة التي حاول المحتل أن يكسر زجاجها الشفاف عبر إغلاقه للمدرسة في أيام الانتفاضة الأولى؟!

قرر المجاهد مهند أن يُحب الوطن أكثر من حبه لمدرسته التي أغلقها المحتل، فكانت أيام الانتفاضة الأولى أيام عز وكرامة عندما كان شباب الانتفاضة يضعون الحواجز والمتاريس ويشعلون النيران بعجلات السيارات لمنع تقدم الآليات العسكرية نحو قرية بيت وزن، ولا يزال مجاهدنا يذكر عندما أقدم العدو الصهيوني على اجتياح قريته بحثًا عن المطلوبين، ومن أجل منع المظاهرات وسط إطلاق كثيف للرصاص من فوهات بنادقهم الأمريكية الصنع، فأصابت إحدى هذه الرصاصات الشاب الشهيد نضال شفيق عبد الحق، واخترقت رأسه الطاهر الشريف الذي رفض أن يطأطئ للعدو الصهيوني ليدفع روحه ثمن الدفاع عن حرية الوطن السليب، فما أن رأى المجاهد مهند هذا المشهد حتى تغيرت أحواله، فلم يعد ذلك الفتى المدلل الذي يحرص ويتسابق إخوته وأخواته من أجل خدمته وإرضائه، وبدأ يعي أن هذه الدنيا ليست جميلة كما كان يظن، بل ستكون أجمل فقط عندما ينتهي هذا الاحتلال، وعندها يمكن له أن يعود المدلل الوحيد لهذا الوطن الحر.

كبر المجاهد مهند بمخزون ذكريات جهادية كثيرة كانت بمثابة البوصلة التي توجهه في مسار حياته، وما أن أنهى مرحلة التوجيهي في العام 1998م حتى سعى العديد من الناس لإقناعه أن ينضم إلى الدورات العسكرية في السلطة الفلسطينية، علَّه يتخرج منها برتبة ضابط، ولكنه بإيمانه العميق وبوعيه الكبير قرر عدم الاذعان لهم، وكانت السلطة

الفلسطينية بالنسبة له لا تعني شيئًا سوى المزيد من الأعباء والأحمال الثقيلة على أكتاف الشعب الفلسطيني المعذب والمضطهد والمظلوم، فهذه هي الصورة التي في ذاكرته عن السلطة الفلسطينية، وقرر أن يكمل تصوره وصوره بوضوح أكثر بالتحاقه بدورة للتدريب على التصوير، وليصبح مصورًا ذا خبرة كبيرة أهلته لأن يمتلك استوديو للتصوير الفوتوغرافي والفيديو بالإضافة إلى تصوير الكتب والدراسات ولاسيما أن موقع هذا الاستوديو كان استراتيجيًا؛ لأنه كان قريبًا، بل ملاصقًا لجامعة النجاح الوطنية في مدينة نابلس التي من خلالها تمكن من التعرف على الكثير من الفصائل الفلسطينية الوطنية والإسلامية عبر كُتلها وأطرها الطلابية في الجامعة نتيجة مساعدتهم في مجال التصوير، والأهم تصوير الكتب والملخصات الجامعية والأبحاث المختلفة لتتعمق معرفته أكثر بالجماعة الإسلامية الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في جامعة النجاح عندما تعرف إلى قادتها وكوادرها، وفي مقدمتهم زيد بسيسي وربيع أبو الرب ونعمان طحاينة وخالد الزواوي وغيرهم من المجاهدين.

مهرجان حاشد للجماعة الإسلامية
بجامعة النجاح الوطنية في نابلس (أرشيف 2001م)

انضمامه إلى حركة الجهاد الإسلامي

كان العام 1999م هو العام الذي وجد المجاهد مهند أبو عيشة نفسه وروحه في ظل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وعشق أفكارها وأطروحاتها وقادتها، وفي مقدمتهم الأمين العام المؤسس الشهيد فتحي الشقاقي لتتبلور لديه الأفكار الثورية والجهادية شيئًا فشيئًا ليمارسها عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي سميت بانتفاضة الأقصى في 28/ 09/ 2002م والتي أكدت على أنه لا يمكن أن تكون هناك تسوية حقيقية وعادلة ودائمة على المدى الطويل، ولاسيما في ظل احتلال صهيوني استعماري إحلالي استيطاني بسط كامل نفوذه على كامل التراب الفلسطيني بشكل مباشر أو غير مباشر، وفي ظل استيطان مستمر، وفي ظل تهويد للقدس ومقدساتها وأحيائها، وكل ذلك في ظل تصور عام لمفاوضات كامب ديفيد في يوليو (تموز) 2000م بأن رئيس الحكومة الصهيونية باراك قدم عرضًا سخيًا وغير مسبوق للفلسطينيين، ولكن هذا العرض لم يلبِ مطالب الشعب الفلسطيني، ولم يكن ليقنع الذين هرولوا تجاه التطبيع ومواصلة التفاوض مع العدو الصهيوني مما جعل الشعب الفلسطيني يرد بكل طاقاته وانتماءاته مطالبًا بوقف هذه المفاوضات، وكان الرد بإشعال فتيل انتفاضة الأقصى المباركة علها بقوتها وعنفوانها تستطيع أن تعيد الحق لأصحابه بعد ضياعه منذ عشرات السنين.

كانت حركة الجهاد الإسلامي من أوائل الحركات والأحزاب الفلسطينية التي شاركت في هذه الانتفاضة، وشكَّل دخولها القوي رافعة للمقاومة

الفلسطينية، وكان المجاهد مهند أبو عيشة من أوائل من لبوا نداء الوطن ونداء القدس للدفاع عنها، فانتمى إلى صفوف سرايا القدس ليكون إلى جانب ابن عمه إسماعيل أبو عيشة والمجاهد ربيع أبو الرب أحد أبرز قادة سرايا القدس، وهو من سكان بلدة قباطية في جنين. وكان عمله ونشاطه في سرايا القدس محصورًا في مدينة نابلس ليبدأ العمل إلى جانبه وجانب العديد من المجاهدين من سرايا القدس، ومع ذلك لم يكن ليتخلى عن آلة التصوير الخاصة به التي كان يحملها معه في حله وترحاله، وأنه يريد بذلك إيصال الرسائل المصورة إلى الأجيال القادمة.

كان مهند من أوائل الذين هبُّوا إلى مشفى نابلس لرؤية جثمان الشهيد المجاهد أنور حمران أحد قادة حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية الذي تم اغتياله قبل ظهر يوم 14 رمضان 1421هـ الموافق 11/ 12/ 2000م أمام جامعة القدس المفتوحة في مدينة نابلس ليجد المجاهد مهند أبطال الجهاد الإسلامي وقادتها وكوادرها يحيطون بجثمان الشهيد أنور لإلقاء نظرات الوداع الأخيرة عليه.

الشهيد القائد/ أنور حمران لحظة اغتياله
استشهد بتاريخ 11/ 12/ 2000م

والتقى هناك بالمجاهدين نعمان طحاينة وخالد الزواوي صديقي القائد أنور حمران، وبدا على وجهيهما حزن شديد لم يَرَ المجاهد له مثيلًا، فما كان منه إلا أن يستخدم سلاحه الشخصي الذي من خلاله يفضح همجية وإرهاب الجيش الصهيوني عبر تصويره بآلته الخاصة جثمان الشهيد القائد أنور حمران ليجد أن جسده قد تعرض لما يقارب 20 رصاصة، وفي معظم أنحاء جسده لتتناقل وسائل الإعلام هذه الصورة وليعلم العالم أن هذا المحتل الصهيوني ملك الإجرام والإرهاب في العالم بلا منازع، وأنه سيحصل على وسام خزي وعار في الإرهاب المنظم من قبل الجمعية الإرهابية العالمية الديمقراطية الأمريكية؛ لتخرج جنازة مهيبة في تشييع المجاهد أنور حمران من مستشفى نابلس إلى وسط المدينة، ولتنقله سيارات الإسعاف إلى مسقط رأسه في بلدة عرابة بمحافظة جنين حيث انتظره قادة وكوادر وأعضاء سرايا القدس، وقدموا له التحية العسكرية، وعاهدوه على المضي قدمًا في الجهاد والمقاومة حتى الحرية والانعتاق من الاحتلال الصهيوني.

وجد المجاهد مهند نفسه بعدها عاجزًا عن تصوير الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني على مر الزمان، بدءًا من وعد بلفور في العام 1917م مرورًا بنكبة فلسطين عام 1948م لتلحق بها نكسة عام 1967م ولتعمل على تعديلها قليلًا حرب العام 1973م لتمهد بنتائجها للتغطية على حرب 1982م وصولًا إلى انتفاضة الشعب الفلسطيني في العام 1987م للعودة مرة أخرى إلى نكبة فلسطينية

جديدة بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية على اتفاق أوسلو الهزيل في العام 1993م، وليعود الشعب الفلسطيني في ظل انتفاضة الأقصى في العام 2000م، مرة أخرى وليعلن موقفه النهائي هذه المرة، وهو المقاومة والتصدي لهذا المحتل حتى يكتب الله أمرًا كان مفعولًا، فما كان من المجاهد مهند إلا أن يحمل هموم أهالي وأحبة الشهداء وحكاياتهم وقصصهم وصورهم ولتبقى في الذاكرة لتنتقل من جيل إلى جيل ليكون المجاهد مهند من بين المجاهدين الفلسطينيين في سرايا القدس الذين جعلوا الإسلام والجهاد والفداء والاستشهاد المرجعية والسبيل إلى تحرير فلسطين والقدس الشريف، وليبدأ المجاهد مهند أبو عيشة بتعزيز علاقاته الأخوية والوطنية مع كافة الفصائل الفلسطينية في مدينة نابلس حيث كانت تربطه علاقة أخوية بأحد أبطال كتائب الشهيد عز الدين القسام، وهو المجاهد خالد ريان الذي ساهم في تدريب المجاهد مهند أبو عيشة على استعمال السلاح وآلية إطلاق النار ليكون إلى جانب قادة وكوادر سرايا القدس وخاصة المجاهد ربيع أبو الرب.

بدأت الانتفاضة الفلسطينية في مطلع العام 2001م تتحول من مرحلة الحجر إلى مرحلة العسكرة، واشتدت ضربات المجاهدين، وبدأت العمليات الاستشهادية تؤتي أكلها مؤكدة أن الانتفاضة الفلسطينية تستعيد قوتها رغم ما تكبده الشعب الفلسطيني من خسائر في السنة الأولى من الانتفاضة الأولى حين وصل عدد الشهداء إلى أكثر من 679 شهيدًا، وحوالي ثلاثين ألف جريح وعشرات المنازل والمؤسسات المهدمة، وفي الجهة المقابلة كان العدو الصهيوني قد تكبد ضربات قوية في العام الأول من انتفاضة الأقصى، فقُتل نحو 170 صهيونيًا إضافة إلى مئات الجرحى فضلًا عن خسائره الاقتصادية لمليارات الدولارات، فقد جعلتهم الانتفاضة الفلسطينية يتألمون كما يتألم الفلسطيني والعربي، وقُدِّر لمجاهدي سرايا القدس أن يتم افتتاح العام 2002م بعملية استشهادية مشتركة ومزدوجة بين سرايا القدس وبين كتائب شهداء الأقصى فرع السواعد السمراء التابعة للشهيد نايف أبو شرخ، واستطاع المجاهد إسماعيل أبو عيشة تجنيد الاستشهادي صفوت أبو عيشة من قرية بيت وزن بمحافظة نابلس ليوصله إلى المجاهد ربيع أبو الرب الذي استطاع تجهيز شنطة متفجرات لكي يستخدمها المجاهد صفوت أبو عيشة في العملية

الاستشهادي/ صفوت أبو عيشة
استشهد بتاريخ 25/ 01/ 2002م

بينما قام المجاهد مهند أبو عيشة بتجهيز الاستشهادي نفسيًا وروحانيًا، بالإضافة إلى تصويره برايات الجهاد الإسلامي عبر شريط يظهره يقرأ وصيته ويتوعد الصهاينة ليكتمل الدور المناط بسرايا القدس في هذه العملية بينما استطاعت السواعد السمراء تجهيز أحد الاستشهاديين وتسليمه سلاحًا من نوع كلاشينكوف، وكانت الخطة أن يقوم الاستشهادي صفوت بتفجير جسده الطاهر بجموع الصهاينة في تل الربيع المحتلة، وبعدها بفترة قصيرة يقوم الاستشهادي الفتحاوي بإطلاق النار من سلاحه الناري تجاه جموع الصهاينة الذين سيحضرون لإسعاف القتلى والجرحى، وما أن وصل المجاهد إلى مدينة تل الربيع المحتلة حتى أسرع الاستشهادي البطل من سرايا القدس واقتحم جموع الصهاينة في وسط الشارع ليصرخ بأعلى صوته: هذه الأرض لنا وستبقى لنا! وتقدم خطوة للأمام ليسبق بها المليار مسلم في العالم، وصاح بصوت عالٍ زلزل الأرض تحت أقدام الصهاينة: الله أكبر! الله أكبر! وفجر نفسه بشنطة المتفجرات، لتصعد روحه إلى بارئها مقبلة غير مدبرة متوضئة طاهرة نقية، ولتلحق بروح الشهداء الأبطال الذين تم اغتيالهم في مدينة نابلس، وهم من قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام لتجتمع بهم وبمواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

حان دور الاستشهادي الذي أعدته كتائب شهداء الأقصى من السواعد السمراء ليتقدم وينفذ باقي العملية إلا أن ظروفًا طارئة حالت دون تنفيذ العملية، وتم اعتقاله من قبل العدو الصهيوني ليكون يوم 25/ 01/ 2002م هو يوم مشهود لابن سرايا القدس البطل صفوت أبو عيشة الذي أوقع أكثر من 26 إصابة في صفوف العدو الصهيوني، ولتعلن سرايا القدس مسئوليتها عن العملية ردًا على المجزرة البشعة التي ارتكبها العدو الصهيوني في مدينة نابلس واستهدفت قادة حركة حماس، فهكذا هم أبناء الجهاد الإسلامي الذين حولوا الشعب الفلسطيني بكل فئاته إلى سرايا جهاد ومقاومة ومرابطة على ثغور الإسلام، مرابطة على رباط القدس الشريف والأرض المقدسة التي بارك الله فيها وحولها ليبدأ المجاهد مهند أبو عيشة بعد هذه العملية البطولية بمواصلة درب الجهاد والمقاومة إلى جانب أبطال سرايا القدس في مدينة نابلس بهمة ونشاط كبير في تجنيد المجاهدين وشراء السلاح وتعزيز التنسيق مع كافة الأجنحة العسكرية في نابلس في مجال العمل العسكري.

كان للمجاهد البطل مهند الفضل في مساعدة المجاهدين القساميين خالد ريان ومجدي خلوص في زرع عبوة ناسفة لإحدى الدوريات الصهيونية شرق قرية زواتا في مدينة نابلس، وانتظر المجاهدون قدوم الدورية الصهيونية، ولكنها لم تأت بل جاء مكانها مجنزرة صهيونية مما جعل المجاهدين في حيرة من أمرهم: هل يفجرون العبوة أم لا؟ فما كان منهم إلا أن فجروا العبوة في هذه المجنزرة الصهيونية، ولكن لم يحدث بها إصابات، وكانوا يعلمون هذه النتيجة، ولكن طالما أن هنالك احتمالًا ضئيلًا جدًا لقتل جندي صهيوني بها فإن ذلك يتطلب منهم القرار الشجاع بتفجير العبوة، وطلب المجاهد مهند أبو عيشة من أخويه الحمساويين أن تعلن كتائب القسام

عن هذه العملية كفاتحة عمل مشترك معهم، فما أجملها أخلاقه الجهادية السامية التي عمل بها أبناء سرايا القدس أبناء المدرسة المحمدية.

تصاعدت وتيرة الانتفاضة الفلسطينية عبر سلسلة من العمليات الاستشهادية التي نفذتها سرايا القدس وكتائب القسام في شهر مارس (آذار) 2002م ليقرر المجرم الصهيوني شارون اجتياح الضفة الغربية لإحباط العمليات الاستشهادية عبر عملية أسماها عملية السور الواقي، والتي من خلالها تم تنفيذ الجرائم والمجازر بحق أبناء الشعب الفلسطيني في مخيم جنين وفي البلدة القديمة في مدينة نابلس ورام الله وبيت لحم، وكل مدن الضفة الغربية، ولتؤدي إلى اعتقال آلاف المجاهدين واستشهاد المئات وإصابة الآلاف في أقل من شهر واحد، فما كان من المجاهد مهند أبو عيشة إلا أن يأخذ على نفسه مواصلة الدرب في المقاومة حتى تعرف على المجاهدين محمود كليبي وأحمد بسيسي وفادي البهتي وتميم سالم وأحمد جاد الله ورامي أبو بكر وفؤاد برهوش وحميدة مرشود والعديد العديد من أبطال سرايا القدس الذين تعاهدوا على إعادة مجد وقوة وعظمة سرايا القدس في مدينة نابلس، وبدأ كل مجاهد بتنفيذ ما طلب منه، وفي مجال اختصاصه العسكري حيث استطاع المجاهد مهند أن يتخصص في مجال من أهم المجالات للمقاومة الفلسطينية، وهو مجال تصنيع المتفجرات، وتمكن بفضل من الله تعالى أن يتعلم كيفية تصنيع مادة أم العبد واليوريا والنيتروجيلسرين ليتم استخدامها في صناعة الأحزمة الناسفة والحقائب والأكواع والعبوات الناسفة، وليستفيد منها كل المجاهدين في مدينة نابلس، ومن كل الفصائل الفلسطينية.

كانت عملية التصنيع عملية شاقة جدًا، وبحاجة إلى تركيز شديد، وأي خطأ بسيط تنفجر مباشرة فكانت أشهر العام 2002 (رغم صعوبتها على المجاهد مهند لاسيما أنه لم يمضِ عليه يوم في تلك الشهور، إلا وكان يعمل فيه ليل نهار من أجل إنتاج أكبر كمية من المواد المتفجرة) أيامًا جميلة لاسيما عندما أقدمت سرايا القدس في مدينة جنين على الثأر لدماء مجزرة مخيم جنين عبر عملية مجدو وكركور اللتين كانا لهما الأثر الكبير في رفع معنويات المجاهدين في الضفة الغربية وقطاع غزة الحبيبة، فشرع مجاهدو سرايا القدس في مدينة نابلس بالتخطيط والتجهيز للعمليات الاستشهادية بالإضافة إلى خوض الاشتباكات المسلحة مع الدوريات الصهيونية، وكان المجاهد مهند أبو عيشة رغم تخصصه في تصنيع المتفجرات؛ بين الحين والآخر يشارك إخوانه في سرايا القدس بخوض الاشتباكات المسلحة وزرع العبوات الناسفة لتشهد له شوارع وأزقة وحارات نابلس ببطولاته وتضحياته.

وفي ذات يوم قرر مهند أن يخرج بصحبة أخيه المجاهد رامي أبو بكر لتنفيذ عملية ضد أحد المعسكرات الصهيونية بالقرب من مدينة نابلس، فيقوم المجاهد رامي بإطلاق صاروخ لاو على الموقع المستهدف بينما يقوم هو بإطلاق النار من سلاح (M16) باتجاه الجنود والتغطية على المجاهد رامي من أجل الانسحاب من الموقع، ولما وصلا مكان تنفيذ العملية واستعدا للمواجهة حاول

المجاهد رامي إطلاق صاروخ اللاو دون جدوى، وكان المجاهد مهند غير مطمئن من هذا الصاروخ الذي تم شراؤه من داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، ففي مناطق أخرى انفجر بالمجاهدين إلا أن المجاهد رامي أبو بكر أصر على الذهاب مرة أخرى إلى مكان العملية وبمساعدة المجاهد فؤاد برهوش،

ولما قام بإطلاق صاروخ اللاو انفجر به ليرتقي شهيدًا يوم 13/01/2003م، جاعلًا أعماله الجهادية الشجاعة المحرك القوي والأساسي لتقدم وتطور سرايا القدس في مدينة نابلس، وكان مصير المجاهد فؤاد أن جرح جراحًا خطيرة.

حصل المجاهد مهند على خط تواصل مع قيادة حركة الجهاد الإسلامي في الخارج، واستطاع من خلاله إحضار المال لشراء السلاح والمواد الأولية لتصنيع المتفجرات، بالإضافة إلى دفع أجور المنازل التي يسكنها المجاهدون في مدينة نابلس. وكان قدم المال والسلاح والذخيرة للمجاهد تميم سالم ابن قرية بزاريا في مدينة نابلس، والذي كان بدوره يتنقل كخلية وصل بين مجاهدي سرايا القدس بين مدينتي طولكرم ونابلس لتمتين العلاقة أكثر فأكثر بينهما عبر المجاهد الشهيد فادي البهتي الملقب بالشيخ إبراهيم، والذي كان حضوره إلى مدينة نابلس قد ساهم في نقل سرايا القدس نقلة جهادية نوعية، وعمل يدًا بيد مع المجاهد مهند أبو عيشة لتكون الفترة الواقعة بين منتصف العام 2003م ومنتصف العام 2004م فترة خصبة لسرايا القدس في مدينة نابلس، فازداد عدد أعضاء سرايا القدس وازدادت الاشتباكات المسلحة في المدينة، بالإضافة إلى إنتاج كمية كبيرة من المتفجرات، والأهم أن الجهاد الإسلامي في مدينة نابلس أصبح التنظيم الوحيد الذي لا يمكن اجتثاثه، فما أن يتم اغتيال مجاهد من سرايا القدس حتى يخرج مقابله عشرة مجاهدين. وكانت سرايا القدس في جنين قد أبدعت في عملياتها الاستشهادية مما رفع معنويات مجاهدي سرايا القدس في نابلس، وقرر المجاهدان تميم سالم ومهند أبو عيشة في مطلع العام 2004م التخطيط والإعداد لعملية استشهادية في مدينة القدس المحتلة، وتمكن المجاهد مهند من تجهيز شنطة متفجرات بمواد قوية جدًا وشديدة الانفجار، وأشرف على تصوير الاستشهادي ووضع اللمسات الأخيرة على العملية، وكانت خطة المجاهدين مهند وتميم تقضي بأن يتم إرسال شنطة المتفجرات إلى مدينة القدس المحتلة ولتوضع في مكان آمن، ومن ثم يتم إرسال الاستشهادي من مدينة نابلس على أنه أحد العمال الفلسطينيين. وبدأ المجاهدون بتنفيذ هذه الخطة المحكمة، فتم تجنيد المجاهد فادي أبو خيزران من مخيم بلاطة في مدينة نابلس من أجل إيصال شنطة المتفجرات إلى مدينة القدس، ونجح في هذه المهمة، وجاء بعدها

تنفيذ بقية الخطة، فتوجه الاستشهادي إلى مدينة القدس كأنه عامل يريد العمل في القدس المحتلة، وأثناء محاولة العمال والمواطنين الدخول عبر طريق التفافي، ومن وراء أحد الحواجز إلى مدينة القدس حتى تم إلقاء القبض عليهم، وتم اقتياد العمال، ومن ضمنهم الاستشهادي إلى سجن مجدو. وحقيقة الأمر أنه تم أخذهم إلى قسم العصافير (العملاء) في سجن مجدو، وما أن دخل الاستشهادي إلى إحدى الغرف التي يتواجد بها العملاء، والذين كانوا بنظر الاستشهادي مجاهدين لجهله بهم وبمسألة العصافير وبقضية الاعتقال والتحقيق بشكل عام. ومارس هؤلاء العصافير فنون وأساليب كثيرة للحصول على معلومات من الإستشهادي ممكن أن تفيد الشاباك الصهيوني، وبعد ترغيب وترهيب منهم للاستشهادي ذكر لهم أن يحاولوا الاتصال بالمجاهد الذي أرسل العبوة إلى مدينة القدس، ليخبروه أنه معتقل وأنه لا يمكنه الآن تنفيذ العملية المتفق عليها مع المجاهدين تميم سالم ومهند أبو عيشة.

جن جنون الشاباك الصهيوني عندما علم بذلك الأمر حيث من غير المتوقع ذلك، واستطاع إحباط عملية استشهادية في مدينة القدس، وتم اعتقال المجاهد فادي أبو خيزران، واكتشاف أمر العبوة الناسفة وتفجيرها، ومعرفة من يقف وراء هذه العملية، وهما المجاهدان تميم ومهند، وتم ملاحقة المجاهد تميم سالم في مدينة طولكرم ليتم إلقاء القبض عليه في عملية أمنية صهيونية معقدة، فشعر المجاهد الكبير مهند أبو عيشة أنه بقي وحيدًا ليواجه العدو الصهيوني في ظل ظروف عصيبة على الشعب الفلسطيني،

الأسير المجاهد/ تميم سالم
محكوم 22 عاماً، واعتقل بتاريخ 06/ 05/ 2004م

فكلما جلس وحده كان يبكي على فراق إخوانه المجاهدين من الذين قضوا نحبهم كالشهيد رامي أبو بكر والشهيد خالد ريان ورفيق الدرب الشهيد أحمد جود الله الذي نفذ عملية إطلاق نار على نقطة عسكرية في نابلس أدت إلى مقتل ثلاثة صهاينة ليتربص له العدو الصهيوني في رأس العين في مدينة نابلس عندما كان يقود سيارته ويفاجئه بالكمين المحكم ليرتقي إلى العلا شهيدًا في 27/ 10/ 2002م.

اعتقاله والحكم عليه

استمر المجاهد مهند بمراجعة شريط الأحداث الماضية بينه وبين سرايا القدس ليتذكر تلك الصورة التي التقطها للمجاهد إياد صوالحة حين أحضره المجاهد زيد بسيسي إليه في بداية العام 2001م لتصويره بعصبة الجهاد الإسلامي، فلم يجدوا عصبة جاهزة في أستوديو التصوير وبحثوا في الأستوديو ليجدوا شريطة سوداء صنعوا منها على

الفور عصبة وكتبوا عليها شعار الجهاد الإسلامي، وكلما تذكر تلك الحادثة، يبدأ بالترحم على روح الشهيد القائد إياد صوالحة. كان لذلك الأستوديو ذكريات أليمة وحزينة، وبعضها جميل مع المجاهد مهند، وما أن توقف عن مراجعة شريط الأحداث الماضية حتى قرر العودة إلى أستوديو التصوير في مدينة نابلس علَّه يستطيع ترتيب أفكاره وهو يشاهد الصور التي كان قد التقطها في بداية الانتفاضة الفلسطينية، ولما وصل إلى الأستوديو وسلَّم على صاحبه الذي يعمل معه في هذا الأستوديو وهو المجاهد شادي سليم ابن مدينة سلفيت تفاجأ أن قوات خاصة صهيونية تحاصر المكان، وتبدأ بإطلاق النار باتجاهه، وإذا بالرصاص يصيب صاحبه المجاهد شادي سليم ليرتقي إلى العلا شهيدًا، بينما أصيب هو، وتم اعتقاله في 23/ 06/ 2004م ليجد نفسه في سجون الاحتلال، وحكم عليه ثلاثين عامًا إلا أنه لا يزال صامدًا، وليس نادمًا على جهاده، ولن يندم يومًا، لكنه تبدو عليه علامات الحزن من الوضع المأساوي الذي وصل إليه المجاهدون والمناضلون وطلاب الحرية في ظل الانقسام البغيض بين فتح وحماس الذي انعكس بظلاله على الشعب الفلسطيني ولاسيما أن الأسرى والمعتقلين أفنوا أعمارهم وشبابهم من أجل الوحدة الوطنية.

قرر المجاهد مهند أن يجسد الوحدة الوطنية في داخل السجون عبر تعزيز علاقاته الوطنية مع كافة الفصائل الفلسطينية متسلحًا بالعلم الذي حصل عليه من جامعة الأقصى في قطاع غزة وهو بكالوريوس في علم التاريخ، واستطاع أن يفهم طبيعة هذا العدو الصهيوني أكثر فأكثر وبشكل واعٍ عبر تعلم لغته وهي اللغة العبرية، ولكن ذاكرته تعود به دومًا إلى الوراء، فيذكر ذلك اليوم الذي خرج فيه من مقر التحقيق الصهيوني في سجن "بيتاح تكفا"، وعلم أن منزله قد تعرض للهدم، وأصبحت عائلته تفترش الأرض وتلتحف السماء، فلم يعلم حينها ماذا يصنع فتمنى حينها أن يجعل من جلده أغطية لهم، وحزن أكثر وأكثر في شهر يناير (كانون الثاني) من العام 2005م عندما جاءه خبر وفاة والده ـ رحمه الله ـ الذي أحبه أكثر مما أحب نفسه، فكان له الأب والأم والأخ والأخت والصديق، وكان يتمنى لو رآه قبل وفاته ولو لمدة دقيقة واحدة، نعم غالية هي الثواني والدقائق في سجون الاحتلال، ولكن سلعة الله غالية أكثر، فصبر واحتسب مجاهدنا مهند، ولا يزال على عهد الشهداء سائرًا ولا يزال على قناعة راسخة أنه من بين الركام وحطام الأحداث ستبرز نقطة ضوء تبعث الأمل في النفوس.

الأسير المجاهد
أمين أحمد جميل شقيرات

أسطورة الجهاد وصلابة الإرادة وعزة الإيمان

تاريخ الميلاد: 1975/03/20م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه أربعة أولاد

مكان السكن: قرية السواحرة الشرقية - محافظة القدس

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2004/11/27م

الحكم: مؤبدان و3 سنوات

نحن اليوم أمام حكاية وقصة لأحد الفرسان الذين دخلوا ميدان العز والفخار، ميدان الجهاد والمقاومة بروح طاهرة ونفس زكية صافية، فكان من هؤلاء المجاهدين الذين قدموا من الصالحات في دنياهم ما أهلهم بأن يختارهم الله ـ عز وجل ـ بأن يحملوا راية الدعوة والمقاومة والجهاد، وأصبحوا ممن يتسابقون في عمل الصالحات، فلا تفتر لهم همة مهما كانت المصاعب جمة، ولا تلين لهم عزيمة مهما كانت الطريق وعرة، هؤلاء الأبطال شكلوا منارات وهدى على مدى السنين ليهتدي بها الثائرون في رحاب الله تعالى ويظل زيتها يضيء ونورها يسطع.

حديثنا اليوم هو عن المجاهد أمين شقيرات (أبو معاذ) الذي أراد أن يروي أرض الإسراء والمعراج من عرقه ودمه، وقد جعل حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما قال: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله. وهم كذلك"، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"، وجعل المجاهد أمين هذا الحديث نبراسًا له يضيء له حالك الظُّلم، فكان لسان حال مجاهدنا أمين يقول: لبيك يا رسول الله، نحن إن شاء الله من

هذه الطائفة المنصورة وإن كنا قليلين، لكننا على حق وقد تكفل الله بنصر عباده حينما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: 47].

عقد مجاهدنا البطل أمين العزم في قلبه على أن يقدم نموذجًا لأبناء شعبه وبلدته حتى لا يصيبهم ما أصاب غيرهم، من ظلم الاحتلال عبر بنائهم السور الواقي الإجرامي، ولاسيما أنه في كل يوم يصبح فيه الواقع أكثر سخونة واشتدادًا في الصراع والمواجهة مما يجعل من وتيرة الصراع والاحتدام بمثابة الليل والنهار في البقاء والتعاقب، فهذا الجدار الصهيوني، جدار الفصل العنصري الذي التهم مزيدًا من الأرض الفلسطينية، وأحال حياة الناس إلى جحيم سيلهب المشاعر ويؤججها أكثر وأكثر، وسيكون بمثابة الإبر التي تهز جسم الإنسان الفلسطيني كل يوم، بل كل ساعة ولحظة مما يزيد التحدي، وقد قبل مجاهدنا البطل أمين شقيرات ورفاق دربه من المجاهدين الأبطال هذا التحدي، وكان لهم الفخر والاعتزاز في مواجهة تلك الأخطار، فمن هناك من تلك الجبال الشامخة للقدس الحزينة الأبية، ومن على ضواحيها وتلالها الصامدة من الجبل الذي وطأته قدما الخليفة العادل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حيث كبرّ وكبرّ المسلمون من بعده عندما دخل مدينة القدس فاتحًا من قلب جبل المكبر وأحياء القدس خرج مجاهدنا البطل أمين شقيرات، والذي يعود بنسبه لعشيرة آل شقيرات المنحدرة من جنوب الجزيرة العربية، وتسكن قرية السواحرة التي تقع على التلال الشرقية والجنوبية للمدينة المقدسة حيث تتداخل مع أحياء القدس في الجنوب والشرق لجبل المكبر الذي يعد من أحد أكبر أحياء القدس الجنوبية، وهذا الحي يسكنه أهل السواحرة منذ زمن بعيد. وكذلك حي الشيخ سعد والسواحرة الشرقية من جهة الشرق.

لقد أثبت الباحث المقدسي الأسير المحرر محمد هلسة أن أهل السواحرة عامة قد قدموا من الجزيرة العربية أثناء وبعد تحرير القدس، وقد سكنوا المنطقة الجنوبية الملاصقة للمسجد الأقصى حول عين سلوان، وكانت تسمى قريتهم حينها بيت ساحور الواد في بيت المقدس والأكناف، وقد أثبتت وثائق المحكمة الشرعية في القدس هذا القول، وتأكد بما لا يدع مجالًا للشك أنهم كانوا هناك إلى حين قدوم الحكم المصري على فلسطين بقيادة محمد علي باشا، ولكن عندما ثارت فلسطين على الحكم المصري استقدم محمد علي حملة عسكرية من مصر بقيادة ولده إبراهيم وقام بسحق الثورة الفلسطينية، وتدمير القرى الثائرة ومطاردة أهلها، وكان حظ السواحرة أن دمرت قريتهم بالكامل وفر من نجا منهم إلى الشرق ومع اشتداد المطاردة عبروا النهر إلى الأردن، واستوطنوا فيها مدة طويلة وتحولت حياتهم في المدن الزراعية إلى البداوة وتربية المواشي، وعندما عادوا إلى القدس وجدوا قريتهم وقد أزيلت تمامًا وسكن مكانها أناس آخرون هم أهل سلوان التي نعرفها اليوم، وقد توسعوا في المنطقة التي كان يسكنها أهل السواحرة، فما كان من أهل السواحرة إلا أن ابتعدوا قليلًا إلى الجنوب والشرق وأخذوا ببناء منازلهم من جديد، علمًا أنهم كانوا قد ألفوا حياة البداوة والترحال،

منظر عام لقرية السواحرة الشرقية بمحافظة القدس

وأصبحوا يمتلكون آلافًا من القطعان الحيوانية التي لا يستطيعون بسببها العيش في المدينة، وهي مصدر رزقهم الوحيد، ولكن هذا الأمر لم يمنعهم من إعادة بناء بلدتهم، وإن كان في مكان أبعد قليلًا عن المسجد الأقصى، ولكنهم بقوا مجاورين للمسجد، وبالرغم من هذا الابتعاد الاضطراري يعد سكان السواحرة من أكثر التجمعات السكانية المقدسية التي باتت تؤرق المحتل وتقض مضجعه وتجعله يفكر في كيفية التخلص منهم وسلخهم عن المدينة المقدسة، وخصوصًا بعد سلسلة من العمليات الموجعة التي تلقاها العدو من المجاهدين من أبناء هذه البلدة الصامدة، وكذلك بسبب النمو السكاني (الديموغرافيا) الذي بات يقلق المحتل الصهيوني ويجعله يقدم على بناء الجدار الفاصل حول القدس بقصد عزلها عن أهلها ومحيطها.

النشأة

لقد كانت نشأة المجاهد أمين شقيرات في أسرة كادحة كباقي الأسر الفلسطينية التي اكتوت بنيران الاحتلال، فما أن فتح عينيه على الدنيا حتى أدرك أن هناك عدوًا محتلًا يجثم على صدورنا، ويحتل الأرض ويهدم البيوت ويقتل ويعتقل، وهذا حتمًا يستوجب ردة فعل طبيعية ستصبح ثورة في وجه العدو الصهيوني، وخوض جولات وصولات، وسيكون لها بالغ الأثر في نفوس أبناء هذا الشعب والأمة التي نتنسب إليها، فقد كانت الأحداث تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للشعب الفلسطيني، وأصبحت هذه الحقيقة ماثلة أمام الكبير والصغير، ويفهمها الطفل كما الشيخ، وكان حظ المجاهد أمين أن عاش مرحلة مبكرة من النضال والمقاومة، فقد عاش في بيت خرج منه أحد الرجال ليلتحق بصفوف الثورة الفلسطينية المسلحة، هو عمُّه محمد شقيرات الذي غادر فلسطين إلى الأردن ومن ثم إلى لبنان ليقود مجموعة من الفدائيين الذين سيكون لهم دور في مواجهة المحتل ويخوضون معه أعنف وأشرس المعارك التي سيكتبها التاريخ، وصار هذا الطفل يسمع الأحاديث الكثيرة عن عمه والبطولات التي يحققها في مواجهة الصهاينة، وازداد شغفه وحبه لعمه ولهذه الثورة التي ينتمي لها ويقاتل في صفوفها.

ومع اشتداد الحركة الفدائية والعمليات البطولية التي خاضها الفدائيون ضد المحتل، كان العدو يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على معسكرات الفدائيين والقضاء عليهم والحيلولة دون استمرار حركتهم، وكانت معاهدة كامب ديفيد الأولى وخروج مصر من ساحة الصراع، فوجد الصهاينة الفرصة مواتية للهجوم على لبنان وشن حرب ضروس على الثورة الفلسطينية وإخراجها

مـن هنـاك، وهنـا تجلـت معـاني البطولـة والفـداء في نفـوس مـن جبلـوا عـلى حـب الوطـن وبـذل الدمـاء، حيـث واجـه العـدو مقاومـة شرسـة وتكبـد خسـائر فادحـة جعلتـه يتراجـع عـن مخططه ولـو إلى حين، وكل أسرة فلسـطينية لهـا ابـن أو أخ أو قريـب منخـرط في صفـوف الثـورة تلهـج بالدعـاء لـه صبـاح مسـاء.

كان المجاهـد أمـين يسـمع جدتـه وهـي تدعـو لعمـه بـأن يحفظـه الله، وأن يكـف عنـه كيـد اليهـود، ولكـن لـكل أجل كتـاب فقـد جـاء الخـبر الـذي لابـد مـن سـماعه، فقـد عـاد الصهاينـة وفي هـذه المـرة لديهـم النيـة بالقضـاء عـلى المقاومـة الفلسـطينية في لبنـان، وكان قـرار المواجهـة والقتـال حتـى النصر أو الشـهادة، وبالفعـل فقـد جـاء القـرار مـن جهـة عليـا كانـت تقـود الثـورة بـضرورة الانسـحاب، وتـرك المواقـع التـي كان فيهـا الثـوار واللجـوء إلى مواقـع أخـرى، فانسـحب بعـض مـن لانـت نفسـه وركـن إلى الدنيـا، ولكـن القائـد المغـوار محمـد شـقيرات رفـض الانسـحاب وأعلـن التمـرد عـلى هـذه القيادة التي آثـرت السـلامة عـلى المواجهـة، فعـزز تحصيناتـه واسـتعد لخـوض آخـر النـزالات هنـاك في شرق النبطيـة وقلعـة شـقيف التـي لا يـزال العـدو يبـث التقاريـر السريـة عـن فداحـة خسـائره فيهـا، وعـن حجـم المقاومـة وشراسـة المعـارك التـي خاضهـا الفدائيـون ضـده، واسـتمرت المواجهـات فـترة مـن الزمـن، وكانـت النتيجـة استشـهاد المجاهـد محمـد شـقيرات وجميـع الثـوار الذيـن كانـوا معـه في تلـك المنطقـة، ولم يسـتطع العـدو النيـل منهـم إلا بعـد قصـف كثيـف بالطائـرات، واستشـهد الجميـع رحمهـم الله، وتكريـما لهـم قـام أهـالي تلـك المنطقـة وشـيدوا نصبًـا تذكاريًـا تكريـمًا لهـم كتبـوا عليـه أسـماءهم.

يقـول أحـد العائديـن مـع يـاسر عرفـات والسـلطة الفلسـطينية، وكان يشـغل منصبًـا رفيعًـا في الثـورة الفلسـطينية: «لقد أرسـلت له _أي للشـهيد محمد شـقيرات_ نحـو 49 نـداءً باللاسـلكي وطلبـت منـه الانسـحاب والابتعـاد والإبقـاء عـلى نفسـه ومـن معـه مـن المجاهديـن، ولكنـه رفـض في كل مـرة أن يسـتجيب لنـا، وأصر عـلى المواجهـة والإقـدام، لقـد كان شـجاعًا وقاتـل ببسـالة، ولقـي ربـه شـهيدًا». وقالـت العائلـة حينـذاك: الحمـد لله الـذي شرفنـا باستشـهاده، وقـد كان المجاهـد أمـين صغـيرًا عندمـا جـاء خـبر استشـهاد عمـه، فـإذا بالنـاس يتجمعـون حـول البيـت والنسـوة يولولـن ويبكـين، هـذه النهايـة لابـد منهـا وقـد كـبر وكـبر معـه هـذا المشـهد الأليـم، وكان يحـدوه أمـل أنـه لربـما سـيأتي عمـه يومًـا ويكـون حيًـا مـع الأحيـاء، وعندمـا كـبر وبلـغ مبلـغ الرجـال أدرك الحقيقـة التـي لا يمكـن تغييرهـا بـأن هـذا الطريـق لا يسـلكه إلا الشـجعان الأبطـال الذيـن لا يهابـون المـوت، فالجبنـاء هـم الذيـن يشـاهدون نهايـة المعركـة؛ لأنهـم لا يشـهدون المنازلـة منـذ بدايتهـا، وقـد ارتقـى عمـه شـهيدًا وهـو يدافـع عـن الأرض والمسـتضعفين وحتـى لا تسـقط البندقيـة الفلسـطينية، تـاركًا استشـهاده جرحًـا غائـرًا في الضمـير والوجـدان، ودخـل الحـزن إلى هـذا البيـت مبكـرًا؛ ولكـن هـذا قـدر الله، وهـي ضريبـة السـكن والربـاط عـلى هـذه الأرض التـي باركهـا الله، لأن السـكن في الأرض المقدسـة شرف لا يدانيـه شرف فمـن جـد وجـد، ومـن زرع حصـد ومـن عـرف اغـترف.

كـبر المجاهـد أمـين وعـاش طفولتـه المعذبـة وهـو يتابـع أخبـار الثـورة والفدائيـين، فقـد اشـترى

والده مذياعًا من النوع الممتاز، وكان يعكف على سماع الأخبار لساعات وساعات طويلة سواء في الليل أو في النهار، ومن ثم يزف أخبار ما سمع من انتصارات الفدائيين إلى أبناء الحي والمنطقة، ويشرح لهم ما سمع، وكان المجاهد أمين في كثير من الأحيان يتمنى أن يكبر بسرعة حتى يقوم بواجبه الوطني، ويكمل مسيرة عمه الشهيد التي انتهت بالشهادة، لقد كان يسمع أناشيد الثورة والعز والرسائل المشفرة التي كانت تبث في آخر الليل.

مرحلة الدراسة

درس مجاهدنا أمين المرحلة الابتدائية والإعدادية في مدرسة القرية، ومن ثم انتقل إلى مدرسة المعهد العربي الأردني لإكمال المرحلة الثانوية، وكان هناك مرحلة النضوج والوعي الفكري، فقد كان هناك في الجوار مكتبة جامعة القدس يستعير منها الكتب والروايات الثورية، وقرأ يومًا رواية ثورية اسمها "ثمانون عامًا بحثًا عن مخرج" تحكي قصة فدائيين كانوا يعبرون الحدود ويضربون في عمق الأرض المحتلة، ومن ثم يعودون إلى الأردن، وكانت النهاية محزنة فقد وقع أفراد هذه الخلية في كمين للعدو، وارتقى عدد منهم شهداء بما فيهم صاحب الرواية، والذي لم يكمل كتابتها.

إذن فالخاتمة هي الشهادة، وهذه ستكون أكثر محفز للأجيال القادمة على مواصلة الدرب، فالذين يكتبون بدمائهم هم أصدق من الذين يكتبون بمداد القلم، وفي هذه المرحلة من العام 1992/ 1993م تعرف المجاهد أمين على مجموعة من الشباب المسلم، وانعكس ذلك على واقع حياته وعلاقاته التنظيمية والأسرية والاجتماعية، وصار الشباب يتأثرون به ويتوجهون إليه بالأسئلة والاستفسارات لاسيما عندما يرون مخطوطات الجماعة الإسلامية الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي سواء في المدارس أو في الجامعات.

مهرجان حاشد للجماعة الإسلامية
بجامعة القدس – أبو ديس (أرشيف 2001م)

لقد صارت المنشورات والمطويات التي تعرف بحركة الجهاد الإسلامي والحركة الإسلامية عبر تاريخها ومسيرتها ومواقفها تظهر في كل مكان، وما أن أنهى المجاهد أمين دراسته الثانوية حتى التحق في العام 1993م بجامعة القدس (أبو ديس) في كلية العلوم والتكنولوجيا، وكان ينوي دراسة علم الأحياء الدقيقة أي البيولوجيا، وهناك توسعت دائرة معارف العلاقات الاجتماعية والتنظيمية، وتفتحت آفاق جديدة وتكونت أحلام كثيرة علها تتحقق يومًا ما، فما أن انقضى العام الأول حتى جاءه أحد إخوانه المقربين، وقال له بأن إدارة الجامعة سوف تعطي مجالًا لكلية الدعوة وأصول الدين بالتدريس في حرم الجامعة

الرئيسي في أبو ديس، وبالفعل جاءت كلية الدعوة ومعها طلابها وشيوخها، وطغى لون الشيوخ على كل الألوان، وصار طلاب العلوم يتسللون إلى محاضرات الشيوخ، وكانت هذه حلقة مباركة للمجاهد أمين، وصار يفكر بالالتحاق بالدراسة الشرعية حتى يفهم الدين أكثر وأكثر.

تقدم المجاهد أمين بطلب للالتحاق بالدراسة الشرعية، وتمت الموافقة على طلبه وشرع في حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الشرعية، وبعد أربع سنوات تخرج من الجامعة، وقد أتم حفظ ثمانية أجزاء من القرآن؛ إذ بدون القرآن لا يستطيع التخرج، وتوجه إلى الأوقاف الإسلامية وتقدم بطلب للتدريس وآخر للعمل في حقل الدعوة كإمام وخطيب في أحد المساجد، وتم قبول الطلبين، ولكنه آثر وظيفة الإمام والخطابة على التعليم؛ لحاجة في نفس يعقوب، وصار يطوف على مساجد شرقي القدس ويخطب فيها ويعظ الناس، ويقدم لهم النصح والإرشاد، ويشرح لهم الأحداث التي تدور حولهم ويحثهم ويحرضهم على الجهاد في سبيل الله، ولكن بلغة يفهمها أولو الألباب من الرجال، فقد كان أسلوب القدوة والدعوة الحسنة هو الأسلوب الأمثل في استقطاب الجماهير، وجذبهم إلى مربع الخير الذي يطمح كل مسلم أن يحققه لنفسه ولإخوانه. واستمر المجاهد أمين على دعوته مع انغماسه بأعمال أخرى كان قد نذر نفسه للقيام بها هي في حقيقتها في صلب العقيدة، وتعد واجبًا دينيًا ووطنيًا وأخلاقيًا، فقد كان انغماسه بالعمل الجهادي مبكرًا جدًا.

انتفاضة الحجارة

لقد كانت انتفاضة شعبية بامتياز اشترك فيها كل أطياف الشعب الفلسطيني، وكانت تأخذ طابع العفوية والارتجالية، وكلنا يعلم أن معركة الشجاعية كان لها أثر بالغ في إشعال فتيل هذه الانتفاضة المباركة، وكذلك حادثة الشاحنة وصدم سيارة العمال الفلسطينيين واستشهاد أربعة منهم على قارعة الطريق، لقد ظن العدو أنها ستستمر لأيام وتنتهي، ولكن تقديراته جانبت الصواب، فهذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها الشعب الفلسطيني عن بكرة أبيه بهذا الزخم رافضًا للاحتلال الصهيوني، مطالبًا بحقه بتقرير المصير، فشعر العدو بالإحراج الشديد خاصة عندما تبث صور الفلسطينيين وهم يتعرضون للتعذيب على أيدي الجنود الصهاينة، وكذلك عندما تتكسر عظام الفلسطيني بالحجارة على أيدي الجنود أمام مرأى ومسمع العالم الذي يدّعي الديمقراطية وحقوق الإنسان.

استمرت الانتفاضة رغم الوحشية الصهيونية وصار العدو يفكر في القضاء عليها، ولكن دون جدوى، ولجأ إلى محاولة اختراقها من الداخل وحرفها عن مسارها ومن ثم إجهاضها، وعمل على إسقاط عدد من العملاء، وكان لزامًا على رجال المقاومة أن يضعوا الحد المناسب لتلك الظاهرة الخطيرة، فأصبحت هناك لجان وخلايا مهمتها مطاردة العملاء ومحاسبتهم على قدر جرائمهم، وكان للمجاهد أمين حظ بالمشاركة في أحداث الانتفاضة، فمنذ اليوم الأول وخصوصًا عندما أعلن الاحتلال إغلاق المدارس والجامعات

في الضفة، وبحكم القرب من قلب مدينة القدس الشريف كانت الفعاليات والنشاطات كلها تدور على ثرى القدس، فقد شهد العديد من الأحداث وتعرض للأذى الكثير والاعتداء أثناء المشاركة في المسيرات، وفي إحدى المرات وقع في قبضة الجنود الصهاينة الذين أوسعوه ضربًا واستخدموه درعًا بشريًا أمام رشقات الحجارة التي كانت تأتيهم من كل حدب وصوب، ولكنه أصر على أنه ذاهب لشراء بعض الأغراض لأسرته، فما كان منهم إلا أن أطلقوا سراحه بعد عدة ساعات، ومع كثرة القمع الصهيوني للآمنين تحركت في نفوس بعض الأحرار جذوة الانتقام، فلابد من أعمال أكثر إيلامًا لهذا العدو، ولابد من تطوير وسائل الدفاع عن النفس، وصار البحث عن خيارات أخرى غير الحجر.

ظهرت أول خلية عسكرية في المنطقة بمعرفة الدكتور الشهيد أحمد مشعل _رحمه الله_ الذي درس في مصر وتخرج طبيبًا وعاد إلى فلسطين الحبيبة وعمل في مدينة القدس، وكان شديد التدين

الشهيد الدكتور/ أحمد مشعل
استشهد بتاريخ 28/ 04/ 1989م

وتربطه بالحركة الإسلامية صلات وثيقة حتى إن أحد قدامى الحركة الإسلامية قال إن هذا الرجل كان على صلات بحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وكان ينادي بأفكارها، وكان خبيرًا في صناعة المتفجرات وعمل على تدريب أخيه الأصغر إبراهيم، وأعطاه أسرار الخبرة وانطلق الاثنان في مسيرة المقاومة والجهاد، وأصبح الحديث يدور عن عمليات عسكرية في المنطقة وعبوات جانبية وإطلاق نار وما إلى ذلك.

توجه الدكتور مشعل في أحد أيام الجمعة من عام 1989م إلى المسجد الأقصى وصلى الجمعة وانطلق بسيارته المفخخة قاصدًا المسكوبية، وركن السيارة بالقرب من مقر المخابرات وانسحب عائدًا إلى مقره، وعند الساعة المحددة يبدو أن خللًا ما أصاب ساعة التوقيت، فعاد الرجل إلى السيارة لإصلاح الخلل، ولكن شاءت إرادة الله أن تنفجر السيارة ويستشهد الدكتور مشعل رحمه الله رحمة واسعة، وعلى الفور قام الاحتلال باعتقال أخيه إبراهيم وأخضعوه لتحقيق قاسٍ، ولكنه صمد صمودًا أسطوريًا، وبعد مدة زمنية أطلق سراحه، وتوجه إليه المجاهد أمين رفقة عدد من الشبان، لتعزيته باستشهاد أخيه وللاطمئنان على سلامته بعد الإفراج عنه، وقد كان عليه آثار التعذيب.

قرر المجاهد إبراهيم أن يواصل درب أخيه الشهيد الدكتور مشعل، فعمل على تأسيس خلية عسكرية أوسع وأطلق عليها اسم الثأر لدماء الشهداء، وأخذت توجه الضربات للدوريات الصهيونية وتوقع فيها إصابات محققة وأخذت صدى إعلاميًا واسعًا، وأحدثت أثرًا بالغًا في نفوس الجماهير، وكانت التعليمات تأتيه من خلال الرسائل المشفرة عبر راديو صوت الثورة الفلسطينية، وفي إحدى المرات تلقوا أمرًا باختطاف أحد العملاء والتحقيق معه، فقاموا بعد ثلاثة أيام واختطفوا العميل وحققوا معه، وقرروا قتله على الفور، وتركوا جثته في واد سحيق شرق القدس، وعلم المجاهد أمين بخبر اختطاف هذا العميل، وتوجه على الفور إلى أحد الرجال المعروفين بصدق انتمائهم وأخبره بالأمر، ثم عاد واصطحب

معه اثنين من رفاق دربه أحدهما بهجت شقيرات وتوجهوا إلى المكان ووجدوا العميل مقتولًا، وعلى جسده آثار الطعنات، وعاد المجاهد أمين إلى البلدة وأكد الرواية بأن المقتول هو العميل (إ. ص) من جبل المكبر، ويعمل أستاذًا في إحدى مدارس القدس، ولكن المفاجأة أن الرجل الذي كانت تصل عنده الأخبار، كان على علم باختطاف العميل والتحقيق معه فقط دون قتله، فأوعز إلى مجموعة أخرى للقيام بنقل هذا العميل ودفنه وإخفاء أثره، وقد صار البحث عن هذا العميل حثيثًا والكل ينشد خبره، وصارت الدوريات الصهيونية لا تغادر المنطقة، الأمر الذي حال دون إخفائه فقد تم اكتشاف أمره والعثور على جثته، وقام العدو واعتقل المجاهد إبراهيم مشعل على الفور وفجر بيته، وكذلك اعتقل إسماعيل شقيرات وفجر بيته، وتوجه المجاهد أمين إلى مرجعيته وأخبره بذلك، إلا أنه قال لقد علمت أن قتل هذا العميل سيؤدي إلى كشف هذه المجموعة، فقد كان على علم بكل الأحداث، وما هي إلا أيام حتى تم اعتقاله وإخضاعه لتحقيق قاس وعنيف، ولكنه كان خبيرًا بالسجون وأساليب التحقيق والخداع الصهيوني ومر عليه الكثير الكثير، وصمد وتحمل التعذيب وخرج بعدها، في حين أن المجاهد إبراهيم مشعل حكم بالمؤبد وكذلك إسماعيل شقيرات.

لقد ترك الإخوة وراءهم بعض عتادهم فاستلمتها أيدٍ أمينة أكملت بها المشوار وعندما اعتقل المجاهد أمين عام 2004م التقى في السجن مع المجاهد إبراهيم مشعل وتحدثا عن الموضوع وعن سبب قتل هذا العميل خلافًا للتعليمات، فقال له: لقد كان هذا الرجل عميلًا للشاباك الصهيوني، ومن ثم تحول إلى المهام الخارجية أي صار عميلًا للموساد، وقام بكثير من الأعمال الدرامية، وصار مخترقًا لمنظمة التحرير الفلسطينية حتى النخاع، وكان الذراع الأيمن لأبي فراس اللفتاوي مسؤول القطاع الغربي في منظمة التحرير، وكل العمليات التي أُحبطت كان هو وراء إحباطها، ومع كثرة ما لديه من معلومات كنا بصدد تقديم إفاداته وانتظار القرار، ولكن صدر منه حركة فهمنا منها أنه قد عرف أحدنا، فقام المجاهد إسماعيل وقتله على الفور وترك جثته، وعلمنا أن هذه العملية ستكون الأخيرة لنا. ويقول المجاهد أمين لقد نزلنا إلى المكان، ورأينا المشهد وكانت هناك محاولة لإخفاء الجثة دون جدوى، ولكن لكل أجل كتاب فقد كان لقاء مؤثر، ولدى سؤاله عن سبب دخوله حركة فتح، فقال بعد استشهاد الدكتور أي أخيه شعر برغبة كبيرة في الانتقام، وتلقى الدعم من هؤلاء الأبطال فالتحق بصفوفهم، وأمضى في السجن قرابة 22 عامًا وتحرر في صفقة وفاء الأحرار في حين أن إسماعيل تحرر في الإفراجات التي تلت أوسلو.

وبينما المجاهد أمين في سجن عسقلان في العام 2008م، وكان مصاحبًا للشيخ بسام السعدي وقع في يديه كتاب لمسؤول الشاباك الصهيوني السابق يعقوب بيري، الذي ألف كتابًا عن حياته ووضع له عنوانًا: "مهنتي كرجل مخابرات: 29 عامًا من العمل في الشاباك"، وأثناء قراءة الكتاب

تفاجأ المجاهد أمين بوجود قصة هذا العميل، وكم تحدث عنه هذا الصهيوني، وقد أفرد له صفحات كثيرة، وكان يرمز إليه بالكابتن "دوران"، وكيف تحول من الشاباك إلى الموساد وكيف اخترق منظمة التحرير وأحبط الكثير من العمليات الفدائية.

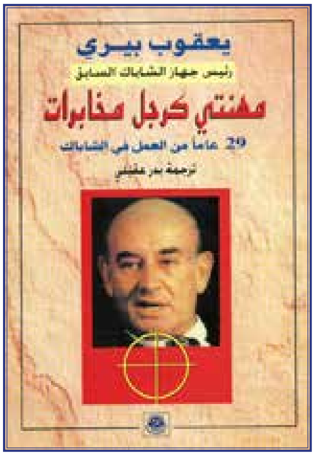

وكيف كشف المطران كبوتشي، وكيف أحبط عملية إطلاق الصواريخ على مبنى الكنيست الصهيوني في اللحظة الأخيرة، ومن ثم تحدث عن زيارته الشخصية أي يعقوب بيري لأبي فراس اللفتاوي، فقال لقد زرته في مكتبه وخصوصًا أنه صار محافظًا لمدينة رام الله والاسم الحقيقي لهذا العميل هو (إ. ص) من سكان القدس كان يعمل أستاذًا للرياضيات، وختم حياته بخاتمة غير مشرفة.

وعودة على بدء لقد استطاع الاحتلال إنهاء الانتفاضة الأولى من خلال فتح قنوات التفاوض السرية مع منظمة التحرير، وما هي إلا سنوات حتى تم التوقيع على اتفاقية أوسلو، والتنازل عن 78٪ من أرض فلسطين للصهاينة، والقبول بالتفاوض في كامب ديفيد الثانية، لتنفجر في وجه الاحتلال والمفاوضين والمطبعين الانتفاضة الفلسطينية الثانية بتاريخ 28/ 09/ 2000م.

أحداث انتفاضة الأقصى

في اليوم الأول لانتفاضة الأقصى المباركة دخل الصهيوني أرئيل شارون ساحة الأقصى وقام المرابطون واستقبلوه بالنعال وحاويات القمامة، فاندحر مذعورًا وكان ذلك يوم الخميس 28/ 09/ 2000م، وفي اليوم التالي توجه الشبان للمسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة والاعتكاف في المسجد والدفاع عنه، وما أن انتهت صلاة الجمعة حتى اندلعت مواجهات عنيفة مع قوات الاحتلال أمطرت فيها المصلين بوابل من النيران، فارتقى عدد من الشهداء ومئات الجرحى، وتوجه المجاهد أمين إلى ساحة قبة الصخرة وحاول ومن معه الاحتماء من بطش الصهاينة، ولكن دون جدوى، فقد كان القمع عنيفًا، ومع كثرة الجرحى استطاع المجاهد أمين التسلل بينهم مما مكنه من الخروج، ولكنه ما أن خرج من الباب حتى توجه إلى مستشفى المقاصد، ووجد أعدادًا من الشهداء والجرحى تغص بهم عيادات الطوارئ، ورأى وحشية الصهاينة على أجساد الشهداء والجرحى، وأخذ يتفقدهم وينظر في وجوههم ويدعو لهم ويخفف عنهم آلامهم بالدعاء تارة وقراءة القرآن تارة أخرى، ولكنه لم يجد أحدًا ممن كان يبحث عنهم، فتوجه إلى باب الطوارئ فإذا بمجموعة من المسعفين، يجتمعون حول شاب مصاب في رقبته وكتفه ويحاولون إنقاذ حياته.

توجه المجاهد أمين إلى الشاب المسجى بين أيدي المسعفين، وما أن ألقى عليه بصره حتى أدرك بأنه أخوه الأصغر نضال، وقد أصابه

قناص صهيوني في رقبته وكتفه اليسرى، وعلى الفور تقدم نحوه محتضنًا إياه وأخذ يكلمه، فإذا برجال الإسعاف يحاولون إبعاده عنه، فقال لهم: هذا أخي اتركوني أريد أن أراه، فالتفت الجميع وأدخلوه معه، ويا لهول المشهد! أن ترى أخاك مذبوحًا بين يديك، ولا تستطيع أن تقدم له شيئًا، مع أن كل الذين في المكان إخوة وأعزاء، لقد ظن المجاهد أمين أن أخاه نضال قد أصبح في عداد الشهداء، وفجأة فتح نضال عينيه وأفاق، وتكلم أنه بخير وبصحة جيدة، وجاء طبيب مختص عاين الجرح وقال: "الحمد لله، الشريان سليم ولم ينقطع". وقال لأخيه: "لابد من عمل سريع لوقف هذا النزيف وتنظيف الجرح"، لقد كانت حالة المجاهد نضال خطيرة جدًا، ولكن الله منَّ عليه بالشفاء وفاءً إلى سابق عهده، فقد كان من المرابطين في المسجد الأقصى مع المجاهدين الآخرين، وكان من السباقين للدفاع عن المسجد عند كل صيحة استغاثة، لقد جاءت هذه الحادثة لتعيد فتح الجرح القديم وكأنه وليد اللحظة، وعاد المجاهد نضال إلى ساحات المسجد الأقصى، وانضم في هذا الرباط رفيق دربه المجاهد نضال مشعل، والمجاهد محمد خليل الملقب بأبي خليل.

عرض المجاهد نضال على رفيق دربه نضال مشعل المشاركة في الانتقام لدماء الشهداء، قائلًا له: "لقد ادخرت مبلغًا من المال سأشتري به عتادًا حديثًا أي سلاحًا، للانتقام لدماء إخواننا الذين قتلهم الصهاينة"، فما كان من المجاهد نضال مشعل إلا أن وافق على العرض، ولكنهم يريدون استشارة من لديه الخبرة والمعرفة في هذه الأمور، فقام أحدهم واستشار المجاهد أمين شقيرات، وأطلعه على الخطة بأكملها من أولها لآخرها، فما كان من المجاهد أمين إلا أن أعطاه بعض الإرشادات والنصائح والدلائل التي يحتاجها في رحلته، وحذره من الوقوع في مكائد التجار الذين يعملون لصالح الصهاينة، وفي خضم الاستعداد لهذه الصفقة جاء خبر اغتيال عائلة المجاهد حسين أبو كويك من حركة حماس في رام الله بتاريخ 04/ 03/ 2002م، فاستشهدت زوجته (بشرى) وأطفاله (محمد، وبراء، وعزيزة) بالإضافة لطفلين آخرين (عرفات المصري، وشيماء بصلة) تواجدا في المكان، حينما قصفت الدبابات الصهيونية سيارة المجاهد حسين أبو كويك في محاولة لاغتياله، ولقد صار الرد حتميًا ولابد من الوصول بأسرع وقت ممكن للهدف.

توجه المجاهد نضال شقيرات ورفيقا دربه نضال مشعل ومحمد خليل، والتقوا بأحد المجاهدين في ساحة الأقصى، وقام الأخير بإيصالهم لمدينة بيت لحم، وهناك التقى المجاهد نضال ورفيق دربه نضال مشعل بأحد الشباب الذي بدوره أوصلهما إلى شقة سكنية، فالتقيا مع الرجل الذي سيصنع لهما الأحزمة الناسفة، والتي ستردع المحتل وتجعله يفكر ألف مرة قبل الإقدام على جرائمه بحق أطفالنا ونسائنا، وقام الرجل بصناعة حزام واحد فقط وجهزه على عجل، وكان من نصيب المجاهد نضال مشعل فحمله وتوجه به إلى القدس الغربية، ودخل إلى أحد المقاهي وانتظر حتى عج المكان

بـرواده، ثـم أطلـق صيحتـه المزلزلـة فكـبر وضغـط عـلى كبسـة التفجـير ولكـن الحـزام لم ينفجـر، وعـاد وضغـط مـرة أخـرى وثالثـة ورابعـة وخامسـة، فانقض عليـه الصهاينـة وسـيطروا عليـه، واعتقلـوه. لقـد كان حجـم العبـوة كبـيرًا جـدًا، ولـو انفجـر لـكان عـدد قتـلى الصهاينـة كبـيرًا جـدًا.

يقـول الصهيـوني ميكـي ليفـي قائـد شرطـة القـدس آنـذاك: "لـو انفجـرت هـذه العبـوة لقتـل مـا بـين 50 إلى 70 صهيونيًـا وتسـببت في مشـاكل إقليميـة"، وتحـت التعذيـب الشـديد أراد العـدو انتـزاع اعترافـات سريعـة مـن المجاهـد نضـال مشـعل إلا أنـه صمـد صمـودًا أسـطوريًا ولم يقـدم لهـم مـا يريـدون، فقامـوا عـلى الفـور وداهمـوا بيـت المجاهـد نضـال شـقيرات واعتقلـوه وأخضعـوه للتحقيـق الميـداني، ومـن ثـم ذهبـوا بـه إلى مركـز التحقيـق في القـدس الـذي يُسـمى الآن بالمسـكوبية، وهنـاك اسـتمرت ممارسـة التعذيـب قرابـة شـهر وكل هـمّ المحققـين الصهاينـة الوصـول إلى طريقـة التواصـل التـي تربـط بـين كل المناطـق والتـي تخـرّج كل المجاهديـن والاستشـهاديين، فـكان المجاهـد أمـين شـقيرات بحكـم علاقاتـه الاجتماعيـة والوطنيـة والثوريـة مـع هـؤلاء الإخـوة يسـتعد للحظـة هجـوم الصهاينـة عـلى منزلـه، وأعـد للأمـر عدتـه، واسـتعد لهـذه اللحظـة التـي لا محـال قادمـة بعـدة خطـوات لابـد منهـا في مثـل هـذه الظـروف.

قـام العـدو الصهيـوني بهجـوم مباغـت عـلى بيـت المجاهـد أمـين، وبعـد حصـار امتـد لعـدة سـاعات قـام باعتقـال جميـع أفـراد الأسرة، وأخـذوا أحـد إخـوان المجاهـد أمـين الـذي كان كل ذنبـه أنـه يشـبهه إلى حـد كبـير، وقيـدوه جانبًـا وأخضعـوه لتحقيـق جسـدي عنيـف، ووجهـوا لـه تُهـمًا خطـيرةً لا يعلـم عنهـا أي شيء، واسـتمر التحقيـق معـه وتعذيبـه أكثـر مـن سـاعتين بشـكل متواصـل، وهـو ينكـر أي علاقـة لـه بالموضـوع، وفجـأةً جـاء رجـل ملثـم ونظـر في وجهـه وشـخَّصه؛ ثـم قـال للصهاينـة بـأن هـذا الشـخص المعتقـل ليـس هـو أمـين، فقامـوا بإحضـار الأخ الأكـبر، وقالـوا لـه عرِّفنـا عـلى هـذا الشـخص، فقـال لهـم: هـذا أخـي عبـد الله، فقـام أحـد المحققـين وضربـه عـلى رأسـه وقـال: "خربـت الدنيـا الله يخـرب بيتـك"، ثـم قامـوا وفكـوا قيـود عبـد الله، وقالـوا لا تعمـل مشـاكل وغـدًا تحضـر إلى مقـر المخابـرات الصهيونيـة، وأعطـوه تبليغًـا لـه ولإخوانـه، ومـن ضمنهـم المجاهـد أمـين، ومـن ثـم انسـحبوا مذعوريـن خائبـين، وقـد انكشـفت بضاعتهـم وفقـدوا عنـصر المفاجـأة، لقـد صـار كل مـا لديهـم مكشـوفًا فـماذا يريـدون بالضبـط وبـدأت رحلـة المطـاردة.

رحلة المطاردة

بعـد هـذه المداهمـة الفاشـلة وبعـد أن أخطـأ العـدو مرتـين في تلـك الليلـة، ظـن أن الهـدف المطلـوب هـو في البيـت وبنـى تقديراتـه عـلى معلومـة اسـتخباراتية خاطئـة، والثانيـة عندمـا ظـن أن الشـخص الـذي تـم الإمسـاك بـه هـو المطلـوب فانهـال عليـه بـكل جبروتـه يريـد انتـزاع معلومـة منـه وهـو لا يـزال أمـام بيتـه، وكشـف التهـم التـي بحوزتـه، ولكـن خيبتـه كانـت كبـيرة جـدًا عندمـا علـم أنـه فشـل وانكشـف أمـره، فالمعادلـة أصبحـت واضحـة ولا مجـال للتخمـين والشـك، فبعـد عـشرة أيـام

تقريبًا انتكس العدو مرة أخرى وكشف عددًا من عملائه، وقام بحرقهم عندما أقدم على مداهمة أخرى فاشلة، وفي هذه المرة فقد صوابه، ونكل بالعائلة تنكيلًا شديدًا، وقام باعتقال اثنين من إخوان المجاهد أمين وعذبهم تعذيبًا شديدًا إلى درجة فقدان الوعي، ومن ثم ألقى بهم على قارعة الطريق حتى جاء من أسعفهم وقدم لهم المساعدة، فالرسالة صارت أكثر وضوحًا، والأمور أصبحت تأخذ منحىً تصاعديًا في ظل هذه الهجمة الشرسة، وأراد المجاهد أمين أن يبعد شر اليهود عن العائلة ويقنعهم أنه ليس في المنطقة ووصلت الرسالة وحققت الهدف، وابتعد العدو في بحثه واتجه إلى مناطق أخرى علَّهُ يجد طرف خيط يوصله إلى هدفه.

أدرك العدو أن المعركة الآن أصبحت مكشوفة وأن الهدف ليس سهلًا، وربما سيكلفه ثمنًا باهظًا إن استمروا في الاستفزاز والتنكيل بالأبرياء، وتكرر حضورهم إلى البيت بين فترة وأخرى لاستجواب الزوجة والأم والأب وإطلاق التهديدات بهدم المنزل وقصفه، والمطلوب أن يسلم المجاهد أمين نفسه، وفي خضم هذه الأحداث كان مجاهدنا أمين يعكف على حفظ القرآن الكريم وتكررت دعوته التي ألح بها على الله بها: "اللهم أعني على حفظ كتابك وارزقني ولدًا صالحًا"، وذلك تحقيقًا لوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلَّ الله يرزقه بذرية صالحة يفدون إلى المسجد الأقصى المبارك ويرابطون فيه ويحمونه من خبث الصهاينة ومكرهم.

لقد كانت تلك الدعوة بعد حادثة قاتلة تعرض لها المجاهد أمين ولم يكن قد تزوج بعد، بل إنها كانت في بداية رحلته الدعوية حين وقع في كمين لقوات الاحتلال الصهيوني، وصار طائر الموت يحلق فوق رأسه فرفع عينيه إلى السماء، وقال: يا رب لا تمتني حتى أحفظ كتابك وترزقني ولدًا صالحًا، وقد نجاه الله من ذلك الموقف بأعجوبة بالغة، وفي العام 1998م تزوج من امرأة صالحة كانت له عونًا في محنته، ولها فضل عليه في حفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ ورزقه الله منها ذرية صالحة، وقد طلب من الله ولدًا واحدًا فأعطاه الله أربعة أولاد، وما أن انقضت السنة الأولى في المطاردة حتى أتم حفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ عن ظهر قلب، وصار يؤم المصلين في صلاة التراويح هو ورفاقه الذين كانوا معه، فيقول من شهد ذلك الموقف: ما أن تأكدت زوجة المجاهد أمين أنه صار مطلوبًا للصهاينة حتى أخذت مصحفًا صغيرًا كان بحوزتها وناولته إياه، وقالت له احرص على أن تكمل حفظ كتاب الله، فنعم الزوجة هي ونعم الأم ونعم الرفيقة في المحنة.

وعند هذه الحلقة توقف مسلسل الاعتقال وصارت كل ضربات العدو عشوائية ودون دليل مسبق، وهذا يتوقف على مدى وعي المجاهدين وثباتهم أثناء رحلة التحقيق، فأمر الإنسان يكون بين يديه، فعليه أن يحرص أن يكون السد المنيع والدرع الحصين الذي لا يؤتى أحد من قبله، وباءت كل محاولات العدو بالفشل، وقد كانت السلسلة محكمة جدًا لدرجة أن العدو صار يتخبط ولا يدري ماذا يفعل، وصار يقدم العروض السخية لبعض المقربين ويطلب المساعدة في القبض على المجاهد أمين، وقد كانت كل تحركات العدو مكشوفة، فقام بكشف عدد كبير من

العملاء خلال هذه المدة، ودفع بعضهم حياته ثمنًا لخيانتهم وبقصاص رباني عادل، ومع كل حدث كان يقع في المنطقة كانت الملاحقة تشتد أكثر وأكثر، وتزداد شراسة، ولكن هيهات هيهات، فقد غاب المجاهد أمين عن المشهد، نعم صحيح، ولكن حمل اللواء إخوة آخرون كانوا يتشوقون للحظة الحقيقية. وكان من جملة أولئك المجاهدين المجاهد بهجت شقيرات الملقب بأبي محمود، وقد درس أيضًا هذا المجاهد رفقة أمين بنفس المدرسة، ونفس الجامعة وذات التخصص وتخرجا سويا، وتم تعيينه مدرسًا في الأوقاف الإسلامية في القدس إلى جوار المسجد الأقصى.

كانت معاناة أهل القدس على أيدي الجيش الصهيوني وقطعان المستوطنين حاضرة، وصار المجاهد بهجت يرى بأم عينيه وحشية الصهاينة، وإصرارهم على اقتلاع المقدسيين من بيوتهم وتهويد القدس وأراضيهم وهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم،

الأسير المجاهد/ بهجت شقيرات
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 07/ 02/ 2005م

وأصبحت هذه الأمور كلها محسوسة وملموسة من قبل الجماهير وليس السمع كالمشاهدة، فأحدثت هذه السياسة هزة عنيفة في وجدان المجاهد بهجت، وأدرك تمامًا ماذا يعني الاحتلال، ومع اشتداد العمليات الجهادية ضد الصهاينة أنتجت العقلية الصهيونية واخترعت حكاية واسمها حكاية الجدار الفاصل، أي جدار الفصل العنصري، وتم نشر الخبر وتوزيع البلاغات على أصحاب الأراضي، فقام المجاهد بهجت حينها ومنذ اللحظة الأولى بلقاء أصحاب الأراضي المصادرة، وشكلوا لجنة شعبية لمواجهة الجدار اجتماعيًا وقانونيًا، ومن خلال المحاكم والخروج للأراضي المصادرة والاعتصام فيها، وإقامة النشاطات والفعاليات، وبناء المخيمات وإقامة صلاة الجمعة على هذه الأراضي للحديث عن خطر الجدار وخطر عزل المقدسيين عن مدينتهم.

رغم سلمية تلك الفعاليات إلا أن الصهاينة لم يتركوها وشأنها فقمعوها بشدة، واستخدموا كل أدوات القمع والإرهاب بحق الآمنين، وكان كل همّ المجاهد بهجت حشد أكبر عدد ممكن من الناس وإنزالهم إلى الساحات، وتغطية ذلك إعلاميًا مع إدراكهم أن هذا المخطط الخبيث ماض لا محالة، ولكن لابد أن يدفع العدو الصهيوني الثمن غاليًا جدًا مقابل كل اعتداءاته، فكان المجاهد بهجت يتوجه إلى نقاط التماس وعينه على أهداف أخرى؛ فقد كان يرصد حركة الصهاينة وأعدادهم ونشاطاتهم في كل موقع، وكان الاختيار لمنطقة هي الأخطر والأبعد بالنسبة للعدو، وقدم المجاهد رؤيته وتصوره للأحداث، واقترح على

إخوانه توجيه ضربة موجعة مؤلمة للعدو تجعله يفقد صوابه، وبعد أخذ ورد تم قبول الاقتراح، والإيعاز للمجاهد باستكمال الفكرة، وفي المحصلة استقر الأمر على ضرب تجمع للصهاينة على إحدى بوابات القدس الخارجية من جهة الشرق، وإرسال رسالة متعددة الأهداف للعدو بأنه لا أمن لك ولا أمان ولا بقاء لك على هذه الأرض، وأن الجدران لن تحقق لك الأمن، ورسالة أخرى للناس الذين ينزلون إلى الساحات بأن من تسلب أرضه لا يكفيه الاعتصام فيها فقط، وإنما عليه أن يقدم أكثر وأكثر من ذلك حتى وإن أدى إلى استشهاده.

وضعت خطة متكاملة للعملية، وبقي فقط اختيار التوقيت، وقرر المجاهدون أن يكون الرد في ليلة القدر، في يوم القدس العالمي، والهدف هو الجنود الصهاينة والحراس المدججون بالسلاح على بوابات القدس، وسار المجاهدون نهارهم وأحيوا ليلة القدر وصلوا في القدس الشريف، وودعوا معراج نبيهم محمد _صلى الله عليه وسلم_، وما يدريك لعل الله يكتب لهم الشهادة فيكون آخر عهدهم بعد رباط وركعتين على ثرى القدس، فقام المجاهد بهجت واستحضر رفاق دربه واتجهوا للمكان الذي سينطلقون منه والهدف الذي سيتوجهون إليه، واطلعوا على كافة التفاصيل، ثم انطلقوا مهللين مكبرين وألسنتهم تلهج بذكر الله، وفي لحظة واحدة ومن كل اتجاه انقض المجاهدون على الموقع وأمطروا الصهاينة بزخات من الرصاص، وموجات من التكبير، فانهار العدو وتحطمت حصونه وكانت نتيجة هذه العملية مقتل ضابط صهيوني في حرس الحدود وحارس أمني آخر، واختفى الباقون ولم يعد لهم أثر أو يسمع لهم صوت، وكانت تلك العملية البطولية في 22/ 11/ 2003م وانسحب حينها المجاهدون وعادوا إلى قواعدهم سالمين غانمين.

عندما حضرت قوات العدو الصهيوني أعلنت عن مقتل اثنين وفقدان ثالث، تبين فيما بعد أنه كان متجمدًا في البرج الذي يتواجد به وسلاحه بيده لا يقوى على استخدامه، وفرض العدو حصارًا محكمًا على كل المنطقة والقرى المحيطة، وقام بعملية تمشيط واسعة واعتقل عشرات من الشباب ونكل بهم، وفي اليوم التالي قام بهدم بيت قريب بحجة أنه يقع في مسار الجدار، واشتدت ملاحقة العدو للمجاهدين، وصار الحديث يدور عن رجل مطارد وعليه اعترافات بعمليات مشابهة، ولربما يكون له ضلع بهذه العملية، وصار هم العدو وشغله الشاغل هو اعتقال المجاهد أمين أو قتله، وبالفعل صارت التهديدات تصل إلى المجاهد أمين بأنهم سوف يحضرونه إلى أهله في كيس أسود، ولكن هيهات هيهات! فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، واشتدت المطاردة وضاق الخناق حول المجاهد أمين، وكثرت الاعتقالات والاقتحامات، وكل من يثبت أنه آوى مطاردًا يسجن أو يهدم بيته، وابتعد كثير من الناس وأغلقوا بيوتهم وسألوا السلامة، في حين أن أناس آخرين فتحوا بيوتهم وأعلنوها صراحة أن هذه السياسة الصهيونية لن تزيدهم إلا عطاءً وتضحية، فالذي يُضحي بدمه يستحق منا أن نفتح له بيوتنا، ونقدم

له جزءًا من أموالنا، وتالله لقد كانت هذه المواقف العظيمة تزيد المؤمن قناعة أن هذه الفئة من الناس تستحق أن يضحى من أجلها، وأن يدافع عنها بالغالي والنفيس وإن كتب الله لأي إنسان الشهادة فإنه سيرحل مرتاح البال وهادئ الضمير.

شاءت إرادة الله ألا يتضرر أحد من الأهالي الذين احتضنوا المجاهدين، وحفظ الله لهم بيوتهم وكتب لهم الأجر الكبير على صدق نواياهم، لدرجة أن أحد البيوت قد تعاقب عليه أكثر من عشرة مطاردين خلال فترات مختلفة، وكانوا يمضون ما شاء الله لهم، ثم يغادرون سالمين فمنهم من استشهد ومنهم من وقع في الأسر ومنهم ما زال، ولا زالت ألسنتهم تلهج بالدعاء لإخوان لهم قدموا الغالي والنفيس، وكانوا شركاء في كل موقف يفرح به المؤمنون، ولكن الله حفظهم وحفظ إخوانهم وسترهم عن عيون الأعداء، ومن لف لفهم ومن يذكر الله _تعالى_ في الرخاء يذكره في الشدة، ومن يقدم لك في محنتك حري بك أن تكتم سره وتخفيه ولو أدى ذلك إلى رحيلك عن هذه الدنيا، فهذه يجب أن تكون عقيدة راسخة في عقول المجاهدين.

وخلال هذه الفترة وقعت أحداث كثيرة كلها غامضة ولا يعرف العدو عنها شيئًا، فجن جنونه وفقد صوابه فجاء بجرافاته وادعى أن بيت العائلة قريب من الجدار ويشكل تهديدًا للأمن الصهيوني، فقام بهدم البيت، وهدم مزرعة الأغنام فيما بعد، وسيكون هنالك هدم للمنزل الثاني الواقع غرب الجدار في ناحية القدس وسيتم التضييق على العائلة بشكل حقيقي ومحاولة دفعهم إلى الرحيل عن المنطقة كلها، ولكن سيعيد أبناء العائلة بناءه بعد هدمه رغم تهديداتهم، ولكن هذه هي المعركة ومن يصبر سينتصر.

أصبح في قبضة العدو معظم المجاهدين نضال مشعل، ومن ثم نضال شقيرات ومن بعدهم محمد خليل، ومع نجاة المجاهد أمين من الاعتقال توقفت الحلقة وأغلقت الثغرة، ولم يستطع العدو أن يحقق شيئًا إلا من خلال ضربات عشوائية أو أخطاء بعض المجاهدين الذين يقعون ضحايا للعصافير أثناء التحقيق، وفي هذه الفترة حكمت المحكمة الصهيونية على المجاهد نضال مشعل بالسجن الفعلي 23 عامًا وعلى المجاهد نضال شقيرات بالسجن أربع سنوات وعلى المجاهد محمد خليل بالسجن 20 عامًا.

الشهيد المجاهد/ نضال شقيرات استشهد بتاريخ 27/ 07/ 2006م

وصار المجاهد أمين يترقب لحظة الإفراج عن أخيه المجاهد نضال ويعد الأيام لعل الله يمن عليه بالبقاء لحين لقاء أخيه مرة أخرى، ولكن شاءت الأقدار أن يعتقل المجاهد أمين قبل الإفراج عن أخيه نضال ويبدأ مرحلة جديدة من العذاب.

مرحلة الاعتقال

في ليلة 27/ 11/ 2004م كان الجو عاصفًا والأمطار تتساقط بغزارة، فظن المجاهد أمين أن عملية الرصد ستخف حدتها ولا بأس من قضاء ليلة أو بعض ليلة في منزل العائلة، وبالفعل كان المجاهد في منزله في تلك الليلة ويجلس مع أطفاله ولم

يخلع حذاءه وبالكاد فعل، فإذا بالقوات الصهيونية تحاصر المنطقة كلها والمنزل وتطلق القنابل الصوتية، وتقتحم عددًا آخرًا من البيوت المجاورة، فأدرك المجاهد أمين أنه في هذه المرة ربما سيكون الأمر مختلفًا تمامًا، فقد جاء الصهاينة وفي نيتهم هدم البيت والبحث تحته ظنًا منهم أن هناك ملجأ أو نفقًا يستخدمه أثناء تنقلاته، فبدأوا ببيوت إخوانه، وقاموا بإخراج من فيها إلى العراء والأمطار تهطل بغزارة، واقتحموا بيت أخيه الكبير وقيدوه وألقوه في قنوات المياه، ووضعوا السلاح في رأسه وقالوا له: أين هو؟ إما أن تموت أو يموت هو!

فما كان من الأخ الكبير إلا نطق الشهادتين، ومن ثم قال لهم: "اقتلوني أنا"، هذا المشهد حصل أمام زوجته وأطفاله الخمسة، وحالهم لم يكن بأحسن من حاله، واستمرت عملية الاقتحام والتفتيش حتى جاء دور عائلة المجاهد نفسه أمه وأبيه وإخوانه الصغار والأخوات، وكذلك زوجته وأطفاله، وكان عمر ابنه معاذ حينها أربع سنوات وثلاثة شهور وسبعة عشر يومًا، ولكن هذا لم يمنعهم من أخذ هذا الطفل ووضعه في أحد البيوت والتحقيق معه وإطفاء الكهرباء عن الغرفة التي كان بها وسؤاله متى رأيت أباك؟ وهل له لحية أم لا؟ وهل كان معه سلاح وأين هو الآن؟ لقد رأيناه عندكم الليلة، وقد استعانوا بأحد العملاء في المنطقة، وقام بالاستفراد بالطفل ودفعه للحديث، وبعد ساعات من البحث والتفتيش تفاجأ المجاهد أمين بقوة صهيونية قد أصابهم الرعب، وخرجوا من البيت مسرعين وهم يصرخون لقد رأيناه في المدخل، ولكن المفاجأة الكبرى هي أن أحد الجنود فقد صوابه وبدلًا من الهروب إلى خارج المنزل هرب إلى الداخل في الاتجاه المعاكس. ووجد نفسه عالقًا داخل الحمام ولا مخرج له إلا من خلال المرور من أمام المكان الذي كان فيه المجاهد أمين، فأخذ صراخه يعلو ويقول لهم إنه عالق ولا يستطيع الخروج وهم يصرخون عليه من الخارج بأن عليه أن يخرج.

كانت هذه الحادثة هي هدية من الله وبرهان صدق على جبن اليهود ورعبهم عند اللقاء، ولم يكن المجاهد أمين يحمل أي سلاح ولولا وجود هذا الجندي الذي فقد صوابه لأمطره الجيش بالرصاص والقنابل، ولكنهم لم يتمكنوا من إطلاق رصاصة واحدة، وهذا الذي حال دون إصابته أو هدم البيت فوق رأسه، فخرج إليهم واقتربوا منه على حذر وقيدوا يديه، وبدأ التحقيق الميداني معه حول كثير من الأحداث التي حصلت والتي ستحصل، وكانت إجاباته تنم عن تحدٍ واضح عندما قال له أحدهم: سأهدم المنزل الآن، فرد عليه: سنعيد بناءه، فقال له: نحن أذكياء وقبضنا عليك، فقال لهم: وحدها هي الصدفة التي ساعدتكم، فقالوا: لا فائدة منه، أوقفوه على الجدار ورجعوا إلى الخلف، ثم في وضعية توحي بأنهم سيطلقون عليه النار وسيعدمونه، فقال: والله لن يصيبني الرصاص إلا في صدري، وأشار إليه بيده، فما كان من أحدهم إلا أن قال: يريدونك حيًا هناك، وانطلقوا به إلى مركز تحقيق المسكوبية في قلب القدس.

بدأت رحلة التعذيب والتحقيق المكثف مع استصدار قرار من المحكمة الصهيونية بأن هذا

المعتقل هو قنبلة موقوتة، ويجب إطلاق يد المحقق لانتزاع المعلومات اللازمة منه وإنقاذ حياة الأبرياء، هذا الامتحان الحقيقي فهنا تسقط الشعارات الزائفة وتنكشف معادن الرجال، لقد كنت أيها البطل من طلاب الشهادة، أليس كذلك؟ فهذا هو الميدان إن كنت صادقًا فلا تجزع ولا تتوخ الهرب ولا تحاول مقايضة حياتك بحياة إخوانك؛ فالرخصة غير جائزة ولا مجال إلا للعزائم ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وكان شعاره ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، وقد سألها بحق وكان يتمنى أن يلقى الله ـ عز وجل ـ وهو على ثباته وعزيمته، فقد كان نموذج سيدنا بلال حاضرًا أمام ناظريه، وفي إحدى الليالي قال أحدهم لقد أتعبتنا، وأخذ يضرب على رجليه بقوة شديدة، ويقول: قاعود قاعود أي لا ينهار، والقاعود هو فحل الجمل.

لقد كان التحقيق مع المجاهد أمين على مدار الساعة، وعلىورديات، وكل وردية تضم أربعة محققين، ثم يأتي دور الوردية الثانية وهكذا حتى جاء أحد المسؤولين وحضر جولة من التعذيب سواء كسرة الموزة أو قطعة رباط الأيدي من خلال إغلاق الكلبشات وضغطها بشدة على منتصف السواعد، وتورمت الأيدي وتغير شكلها من كثرة شد الكلبشات، وقال: خذوه للسجن العسكري وسلموه للجيش، وما هي إلا لحظات حتى جاء رجل عسكري يحمل رتبة عسكرية عالية وأخذ يهدد ويتوعد، فقال له وهو يبتسم: على رسلك يا رجل لن يكون حظك أوفر منهم، وقد كان محطمًا تمامًا ومنهكًا، ولكن الروح تحلق في الأعالي، ففهم أحدهم الرسالة واقترب من المجاهد، وقال له: حرام عليك تموت وتخسر بيتك وأولادك، اعترف! عليك بالاعتراف وحافظ على نفسك وارحم حالك، ثم خرج وعاد بعد عدة أيام، ودخل عليه وقال: لقد جئت خصيصًا من أجلك حتى أعلم أنك حي أم ميت، وانحنى ومد يده إليه أي إلى يد المجاهد أمين مع أنها مقيدة وراء ظهره، وقال له: ألا تريد الاعتراف؟ لكنهم اعترفوا، هل تريد فتوى شرعية؟ سأحضر لك فتاوى من الشيوخ الذين تحبهم، فما كان من المجاهد أمين إلا أن قال لهم: الأيام بيننا، فردوا عليه: هل تريد أن تكون شهيدًا لن نعطيك إياها، سنرسلك إلى الزنزانة كي تنام، وبالفعل أرسلوه إلى الزنزانة، ونام مدة طويلة، ولكنه كان يحتاج إلى علاج عاجل، ولقد جاءت محكمة التمديد، وعندما رآه القاضي على هذه الحالة المريعة تم نقله إلى مستشفى "شعار تسيدك" في القدس.

وبعد إجراء الفحوصات الطبية اللازمة تبين أنه يعاني من كسور في الأضلاع ونزيف في إحدى كليتيه، وتمزق في عضلات البطن والظهر وبحاجة ماسة للعلاج إلا أنهم أعادوه إلى التحقيق مرة أخرى بالرغم من توصيات الأطباء بأنه لا يحتمل مزيدًا من التعذيب، وأن حياته في خطر حقيقي، وأعادوه إلى المسكوبية، وبدأوا معه جولات وجولات جديدة من التحقيق مع قليل من العنف الجسدي، والكثير من الحرمان من النوم، والتهديد بأنهم سيضربونه على أعضائه التناسلية، وبالفعل نفذوا تهديدهم ووعيدهم، ففي يوم عيد الأضحى المبارك وضعوه في زنزانة انفرادية،

وأدخلوا عليه عددًا من الملثمين الصهاينة وقاموا بتقييد يديه إلى الخلف، ومن ثم قاموا بضربه على أعضائه التناسلية بأرجلهم وتركوه يلعق جراحه، وينتظر رحمة ربه، وأفاق من غيبوبته وزحف إلى الباب، وإذا بهم يخرجونه إلى عيادة المسكوبية، وبعد أيام أعادوه إلى مستشفى "شعار تسيدك" وأجروا له فحوصات والصور اللازمة، وتبين لهم أنهم قد حطموا عظامه، وسلخوا جلده، وأنه سيصاب بإعاقات دائمة، وكانوا قد صرفوا له دواء، وهذا الدواء يتسبب بآلام ومعاناة شديدة لازمته طوال مدة أسره، وفشلت محاولاتهم العنيفة في انتزاع أي معلومة فالتجأوا إلى اعتقال والد المجاهد ووالدته وإخوانه وأخواته، وحاولوا مساومته على حرية أهله ولكن هيهات هيهات، وبعد قرابة الشهرين ونصف الشهر قاموا بعملية اعتقالات عشوائية وأحضروا بعض الإخوة والمجاهدين الذين لا خبرة لهم في مكر اليهود وخداعهم، ولا يعرفون شيئًا عن أساليبهم وخاصة العصافير، فوقع بعضهم وقدم معلومات خطيرة تؤدي لاعتقال بعض المجاهدين، وتفتح بابًا من الاعترافات تودي بحياة أناس لا يعرف أحد عنهم شيئًا، وسيصل طرف الخيط إلى المجاهد بهجت شقيرات وإخوة آخرين.

اعتقال المجاهد بهجت شقيرات

بعد حوالي شهرين ونصف الشهر قامت قوات خاصة صهيونية باختطاف المجاهد بهجت شقيرات أثناء توجهه إلى عمله حيث كان يعمل مدرسًا في إحدى مدارس الأوقاف الإسلامية، وأخضعوه إلى تحقيق شديد، ووصلوا إلى بعض الأمور التي كانوا يحاولون الوصول إليها منذ زمن بعيد دون جدوى، وهذه المرة حصلوا على دليل؛ فقد وجدوا بحوزته سلاحًا وعتادًا، وبعد فحصه تبين أنه قد تم استخدامه في أحداث متفرقة، ثم عادوا وسحبوا المجاهد أمين مرة جديدة إلى التحقيق، وقدموا الأدلة التي بحوزتهم ولكن دون جدوى، واستمر التحقيق 116 يومًا بشكل متواصل، وكانوا يظنون أنه سينهار ويعترف، ولكن خاب ظنهم وأملهم فما يضر الشاة سلخها بعد ذبحها؟ وأبلغوه أن التحقيق معه سيتواصل لـ 180 يومًا أي ستة أشهر متواصلة، وقبل التحدي وصمد وعزم على مواصلة الدرب، وتقطعت أنفاسه عند اليوم الـ116 وأخرجوه إلى سجن بئر السبع، وهناك قام برفع دعوى قضائية على الشاباك الصهيوني بسبب الأضرار الجسدية التي لحقت به جراء التعذيب أثناء التحقيق معه، ولكن النيابة الصهيونية رفضت مرات ومرات فتح هذا الملف أو قبول الدعوى، وفي كل مرة كان يقدم الدعوى مرة أخرى، ولليوم يرفضون قبولها ووصل إلى سجن السبع، وكان يحدوه أمل بإكمال مسيرته التعليمية، ودخل على إخوانه في حركة الجهاد الإسلامي، فاستقبلوه وأكرموه وأراد أن يتعلم، ولكن وجد نفسه معلمًا وعليه واجب التعليم، فجاءه إخوانه الذين حملوا البندقية في وجه المحتل ولم تسمح لهم الفرصة لإكمال تعليمهم، وقام بواجبه على أكمل وجه، ولكنه وجد عددًا كبيرًا من المجاهدين لا يعرفون عن الحركة إلا القليل ولا يعرفون إلا البندقية، وفي السجن لا يوجد بندقية فبذل كل جهد ممكن من أجل تعليمهم والوقوف

إلى جانبهم في كل شيء، وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

لقد حمل أولئك الأبطال البندقية وعندما سكتت البندقية كان لزامًا عليهم التعلم، وأن يواصلوا طريق الجهاد بوسائل أخرى، فإن لم تكن موجودة فلابد من ابتكارها، فالعهد الذي في أعناقهم هو عهد أبدي ولا يمكن الاستقالة منه إلا إذا ارتقوا شهداء أو سلموا الأمانة إلى بارئها، وخرج المجاهد بهجت من التحقيق ودخل عسقلان وهناك انضم إلى صفوف الجهاد الإسلامي، ومن ثم لحق به أخوه أشرف شقيرات ودخلوا غرف الجهاد الإسلامي وعاشوا تحت ظل هذه الحركة المجاهدة الأبية، ثم كانت ساعة اللقاء، وقد قدر الله لهؤلاء المجاهدين أن يلتقوا في سجن بئر السبع ويعملوا جميعًا في خدمة إخوانهم من خلال المؤسسة التنظيمية كل حسب تخصصه.

لقد كان أشرف أستاذًا ويعمل مدرسًا في سلك التعليم والتدريس، وعاشوا في رضا الله ـعز وجلـ يحدوهم أمل في لم شمل باقي إخوانهم وخصوصًا المجاهد نضال شقيرات شقيق المجاهد أمين، ولكن إدارة السجون رفضت جمعهم رفضًا قاطعًا، وكان المجاهد نضال يعيش عند الإخوة في حركة حماس وقد أمضى كل فترة اعتقاله دون أن يلتقي أخاه أو يحظى بزيارته ولو لمدة ساعة واحدة، مع أن هذا حق مكفول للأسير، ولكن يتم تطبيقه بانتقائية، فكان هناك أمل كبير أن ينجو المجاهد أمين من حكم المؤبد، وقد صمد وأنكر كل التهم الموجهة إليه ولم يقدم أي اعتراف، وقد عزم المجاهد نضال على مواصلة درب الجهاد وهو لا يزال في السجن، فالتقى مع المجاهد الشهيد خالد شنايطة في السجن وهو من كوادر حركة الجهاد الإسلامي في بيت لحم والذي سيرتقي شهيدًا فيما بعد، وتعاهدوا على درب الجهاد والمقاومة وخصوصًا أن عامي 2005/ 2006م قد شهدا حالة من الهدوء وحوارات القاهرة والتهدئة وإعلان الإخوة في حماس قبول التهدئة ووقف العمليات الجهادية ضد المحتل الصهيوني.

أُفرج عن المجاهد نضال منتصف العام 2005م وكان قد عقد عزمه على الفور، وبدأ يخطط لتحقيق حلم قديم لطالما تحدث عنه، وغادر السجن دون رؤية أخيه المجاهد أمين ولو لساعة واحدة، فترك في نفسه أثرًا سيعبر عنه بطريقته الخاصة فيما بعد، وقد التقى بالمجاهدين خالد شنايطة وعقلة شنايطة، وكان هؤلاء الإخوة هم من سرايا القدس وهم في حكم المطاردين،

الشهيدان المجاهدان/ خالد (يمين) وعقلة شنايطة
استشهدا معاً بتاريخ 18/ 08/ 2006م

وكان هناك مطارد آخر من الجهاد الإسلامي يقدم الدعم المادي والمساعدة للمجاهدين، فتم تدريب المجاهد نضال على أنواع مختلفة من السلاح وتمتع

بقدرات عالية في فن الرماية والقنص بالإضافة إلى ما كان يتحلى به من لياقة بدنية عالية، وكذلك كان يجيد لعبة "الكيك بوكسينج" وهي إحدى الفنون القتالية الميدانية التي كان نضال يتقنها جيدًا ويستخدمها عند الضرورة، وفي إحدى المرات قام مجموعة من الزعران بالاعتداء على بعض الناس ولسوء حظهم تصادف وجود المجاهد نضال في المنطقة، وكان لا يمكن أن يشترك في هذه المعركة إلا بإذن فطلب الإذن وحصل عليه، وأنهى المعركة بضربات قاضية، لقد كان متدينًا منذ نعومة أظفاره، كريم النفس، طاهر الكف، شريف الحسب والنسب.

عاش المجاهد نضال طفولته وشبابه على الاستقامة وحب الخير للناس، وكان يترفع عن الصغائر ولا يحب المزاح كثيرًا، وجاءه وفد من الحركة الإسلامية وهو مصاب وقدم له مبلغًا من المال ومصحفًا، فقبل المصحف ورد المال بالرغم من إصرار الشيوخ، وقررت اللجنة الطبية أن الإصابة ربما تحدث له إعاقة في المستقبل، فحولوا ملفه إلى دائرة رعاية الجرحى وصرفوا له راتبًا شهريًا، وعندما علم بالأمر ذهب إليهم وقال لهم إنه لا يريد أي راتب، وطلب منهم تحويل الأموال إلى جهة أخرى أكثر حاجة منه.

الاستشهاد

كان هناك إرهاصات لاستشهاد البطل المجاهد نضال؛ فقد كانت كل الدلائل تشير إلى أن هذا المجاهد يسير على درب الشهادة، لقد تدرب على السلاح وأتقن فن الرماية، والتقى مع إخوانه المجاهدين، وشاءت إرادة الله أن يقوم إخواننا في المقاومة بأسر الجندي الصهيوني جلعاد شاليط، فأخذ العدو يقصف قطاع غزة قصفًا عنيفًا موقعًا الشهداء والجرحى، فتحرك المجاهد نضال وأخذ يُعد العُدة لنصرة إخوانه وتحركت مشاعره وما هي إلا أيام حتى قامت المقاومة في لبنان بأسر جنديين صهيونيين فتحول القصف الصهيوني إلى لبنان، وانهمرت القنابل على رؤوس الأطفال والنساء الآمنين، وعلت صور الأشلاء والجثث على كل الشاشات، وكانت مشاهد مؤلمة جدًا.

تحرك المجاهد نضال واتصل مع إخوانه وعزم على تقديم العون ولو بالقدر اليسير، وكان ذلك في يوم الخميس الموافق 27/ 07/ 2006م ومع آذان المغرب اقتحم الحاجز الصهيوني المقام على إحدى بوابات القدس الشرقية، وأطلق النار على الجنود فأصابهم جميعًا، وكان عددهم ثلاثة جنود ثم انسحب، ولكن المعسكر لا يبعد عن الحاجز سوى مسافة قريبة، فجاءت قوات صهيونية معززة للحاجز ليشتبك معهم مرة أخرى، وليرتقي شهيدًا رحمه الله رحمة واسعة.

كان المجاهدون أمين وبهجت وأشرف في سجن "أوهليكدار"، فقام العدو ونقل المجاهد بهجت إلى سجن شطة، ولم تكن هناك اتصالات إلا من خلال الرسائل والزيارات العائلية، فسمع المجاهد أمين الخبر من الراديو والتلفاز ومن كل نشرات الأخبار، وكان يذاع الخبر ولم ينشروا الاسم بعد، ولكن من خلال نظرة على موقع العملية

شعر المجاهد أمين أن الأمر يخصه إلى حدٍ كبير، وطوال ليلة الخميس عكف الإخوان أمين وأشرف على الاستماع للمذياع، فهمس أشرف في أذن أمين: من تظن من قام بهذه العملية، فقال: أخشى ما أخشاه أن يكون أخي نضال، وسكت الاثنان، ولم يدم الانتظار طويلًا فقد كان هناك زيارة للقدس يوم الأحد 30/ 07/ 2006م بعد ثلاثة أيام، ونزل الاثنان إلى زيارة الأهل.

دخل الزوار من أهالي الأسرى إلى القاعة، فنظر المجاهد أمين ليرى أخته ترتدي السواد فعرف قبل أن تتكلم، وأخبرته بكل ما حدث وأن الصهاينة قد أخذوا جثة الشهيد واعتقلوا كل إخوانه، فما كان منه إلا أن قال: "الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه"، وبعد قرابة أسبوع سلم الاحتلال جثمان الشهيد وأصروا ألا يتم دفنه بالقدس مهددين بدفنه في مقابر الأرقام، فوافق الأهل وأخذوا الجثمان ودفنوه في منطقة أخرى لتصبح هي مقبرة للشهداء وتعج بالشهداء، واستشهد المجاهد نضال في نفس المكان الذي نفذت فيه عملية يوم القدس العالمي، وبعد عدة شهور وبالتحديد بتاريخ 26/ 05/ 2007م قام المجاهدان ممدوح شقيرات ومحمود ناجي هلسة بتنفيذ عملية أخرى على البوابة المقابلة على نفس الخط، وتم إصابة ثلاثة جنود صهاينة واستشهاد الأخوين بالإضافة إلى شاب ثالث هو الشهيد أنس عويسات تصادف وجوده في المكان، وتحول هذا المكان وهذا المقطع وهذا المحور للجدار إلى كابوس أرّق الاحتلال، واستخدم الصهاينة قوة كبيرة ومعدات كبيرة وارتفعت التكلفة المادية والمعنوية بشكل كبير، فقد قام ببناء أبراج وتحصينات لحماية جنوده من هجمات المجاهدين، وبعد استشهاد المجاهد نضال بأيام وبالتحديد بتاريخ 18/ 08/ 2006م، قام العدو الصهيوني باغتيال المجاهدين خالد وعقلة شنايطة في العبيدية ببيت لحم، وهكذا استشهد كل أفراد المجموعة المجاهدة، ولكن المسيرة سوف تتواصل.

المحاكمة الصورية للمجاهد أمين

في إحدى جلسات المحاكمة قام أحد القضاة وسأل المجاهد أمين عن أخيه نضال فقال له: "لقد ارتقى شهيداً في عملية بطولية فدائية!". لقد كان كلامه بقصد الاستفزاز وكأنه يقول إن من يعمل ضدنا فمصيره القتل والموت، واستمرت المحاكمة قرابة 30 شهرًا، وتم استدعاء عشرات الشهود وعقد عشرات الجلسات، وفي النهاية تم إصدار الحكم على المجاهد أمين شقيرات بالسجن المؤبد مرتين، وكذلك على المجاهد بهجت شقيرات بالمؤبد مرتين بالإضافة إلى بضع سنوات، ولقد حول المجاهدان المحكمة إلى محاكمة للاحتلال على جرائمه وهدمه للبيوت وقتل الأطفال والنساء، وتوجه المجاهد أمين للقضاة وخاطب رئيسهم وقال: "هذا الحكم الذي أصدرتموه سمعته منذ اللحظة الأولى التي جلست فيها على كرسي التحقيق، فأنتم تمثلون الوجه القبيح للاحتلال الصهيوني، وعمري أطول من أعماركم، وأنتم لا تملكون لي ضرًا ولا نفعًا فالحكم هو لله عز وجل، وسترحلون عن هذه الأرض كما رحل غيركم".

أما المجاهد بهجت فرفض الاعتراف بالمحكمة الصهيونية، ورفض تعيين محامٍ له وقال لهم: "إن الاحتلال إلى زوال، فهذه المسيرة هي مسيرة الجهاد والمقاومة ماضية إلى يوم الدين، والصراع مع الروم حسمه خالد بن الوليد في اليرموك، والصراع مع المغول والتتار حسمه قطز وبيبرس في عين جالوت، والصراع مع الصليبيين حسمه صلاح الدين الأيوبي في حطين، وأما صراعنا مع العدو الصهيوني فسنحسمه بأيدينا وقريبًا بإذن الله تعالى وإن غدًا لناظره قريب".

الأسير المجاهد
مهنا شعبان شفيق زيود

شعلة الجهاد والوطنية الملتهبة

تاريخ الميلاد: 1984/11/27م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة سيلة الحارثية - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 10

تاريخ الاعتقال: 2005/04/19م

الحكم: 25 عاماً

نقف اليوم للحديث عن مقاتل فلسطيني شجاع مقدام، انتمى إلى صفوف سرايا القدس في انتفاضة الأقصى، عرف طريقه منذ الصغر وحدد بوصلته، فأدرك أن ما أصاب الشعب الفلسطيني من ظلم وعدوان ودمار وهمّ وغمّ يتحمل مسئوليته الاحتلال الصهيوني، ولذلك لابد من العمل الدائم من أجل القيام بأي عملٍ يؤدي إلى الإضرار بالعدو الصهيوني، وقد آمن مجاهدنا البطل مهنا زيود بضرورة الإسراع في ذلك الأمر، ولهذا وقف هذا المجاهد شوكة في حلق المحتل الصهيوني عبر مراحل مختلفة. ولد هذا المجاهد لأسرة مناضلة من عائلة زيود التي تعتبر من أكبر العائلات الفلسطينية في بلدة سيلة الحارثية، تلك البلدة التي علَّمت المجاهد مهنا البسالة والشجاعة والإقدام والصمود، كيف لا؟ وهي البلدة الوطنية الشجاعة والجميلة والخلابة التي خاضت أروع وأجمل ملاحم البطولة والاستشهاد. هذه البلدة أثبتت دومًا رغم أنها بلدة صغيرة أنها قلعة شامخة عصيّة على الاحتلال الصهيوني، ولذلك تحولت إلى بلدة لصناعة الرجال والجهاديين والاستشهاديين، فسلام لك وعليك يا بلدة الأبطال.

الميلاد والنشأة

وُلد مجاهدنا مهنا زيود في بلدة سيلة الحارثية، ولم تكن ولادته طبيعية كبقية مواليد فلسطين، فقد ولد وهو في سبعة أشهر، أي سباعي، واكتشف حينها أنه طفل لم يعرف أنه فلسطيني من الكتب أو القصائد أو الخرائط، بل عرف فلسطينيته حينما كبر ونما، ورأى أن العدو الصهيوني والمستوطنين يحيطون به من كل جانب، وأنهم جاؤوا لذبحه، ولهذا أدرك أنه طفل فلسطيني بامتياز، ففتح عينيه على هذه الدنيا ليجد أن منزلهم كان مقصد ووجهة المطاردين، ومن كافة الفصائل الفلسطينية، في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وكانت حياة العائلة كما حال العديد من العائلات الفلسطينية التي تعتمد إما على الزراعة أو على التجارة، أو في مجال البناء.

كان والد المجاهد مهنا يعمل في البناء، ومع ذلك كان حريصًا جدًا على أن يكمل أولاده تعليمهم إلا أن هذه الأمنية لم تتحقق في ولده مهنا. فقد خرج من المدرسة باكرًا، وهو في الصف الثامن الأساسي، وبدأ بمساعدة والده في العمل، فاشتد عوده وأصبح صلبًا يافعًا يعتمد عليه في كل شيء، واكتسب خبرة في فهم الصراع الفلسطيني الصهيوني عبر ما كان يسمعه من نقاش وحوار يدور بين المطاردين في منزلهم أكثر مما تعلمه عن وطنه وقضيته في المدرسة، وتوجه مع أصدقائه للعمل في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، وما هي إلا فترة من الزمن، حتى اكتشف أن هذا العدو يجب أن يتم ضربه اقتصاديًا وجعله يحسب ألف حساب للفلسطينيين، فاتفق مع مجموعة من أصحابه على سلب اليهود ممتلكاتهم، وخاصة من المزروعات والمواشي والأبقار، ولهذا تسلل مع أصحابه إلى المستوطنات الصهيونية في أوقات متأخرة من الليل ليتم الاستيلاء على عدد كبير من المواشي والأبقار، وتم اقتيادها بسرعة كبيرة دون أن يشعر بهم أحد، وما أن طلع عليهم الصباح إذا بهم قد وصلوا إلى بلدة سيلة الحارثية، وبدأ حينها الأبطال بذبح المواشي والأبقار، وتوزيع اللحوم على العائلات الفقيرة في البلدة وسط فرح عارم تسلل إلى قلوبهم، ولاسيما أنهم استطاعوا أن يعيدوا للفلسطينيين ولو الجزء اليسير جدًا من الذي سيطر عليه المحتل الصهيوني عام 1948م. واستمر على هذه الحالة إلى فترة من الزمن، وكلما حصل على شيء من الداخل المحتل إما أن يجعله للبيع وإما يهديه لأحد وإما يقوم بتوزيعه على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

في أحد الأيام رأى مهنا كلبًا بوليسيًا لأحد أفراد الشرطة الصهيونية، ووجد أن هذا الشرطي الصهيوني متعلق بكلبه كثيرًا، فقرر أن يجعله يبكي على فراق هذا الكلب بأن يقوم بالاستيلاء عليه، وبالفعل تمكن من اقتياده رغم أنه مدرب بشكل كبير جدًا، فلما وصل به إلى بلدة سيلة الحارثية إذا بالشرطة والجيش الصهيوني، يدخلون إلى محيط بلدة سيلة الحارثية، ويطالبون السلطة الفلسطينية بالعمل على إعادة هذا الكلب، فبدأت السلطة بالبحث عنه في كل مكان إلى أن تم العثور عليه وإعادته إلى العدو الصهيوني، وكان ذلك في العام 2000م، وفرح حينها كثيرًا عندما رأى كيف أنه استطاع أن يذل الشرطة الصهيونية وجعلهم يتوسلون من أجل

إعادة ذلك الكلب، وما هي إلا عدة أشهر فإذا بانتفاضة الأقصى المباركة قد اندلعت، وأصبحت المواجهات مع العدو تشتد يومًا بعد يوم.

هبَّ المجاهد مهنا للدفاع عن فلسطين وقدسها وعزتها وكرامتها، فشارك المتظاهرين في رجم الحجارة وإشعال إطارات السيارات ووضع الحواجز أمام الدوريات الصهيونية بالإضافة إلى مشاركته في تشييع جثامين الشهداء الأبرار. وكانت انتفاضة الأقصى دافعًا أساسيًا في تحريض الشعب الفلسطيني في كل مكان، وبهذا كان حجم التأييد الشعبي لها كاسحًا في كل بقعة وجد فيها الفلسطينيون حتى إن الفلسطينيين في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م هبوا للدفاع عن المسجد الأقصى الشريف، وارتقى العديد من الشهداء في شهر أكتوبر (تشرين أول) من العام 2000م، لتتطور الانتفاضة الفلسطينية خلال عدة أشهر لتصبح عسكرية، حيث إن العمليات الفدائية والاستشهادية في فلسطين أدت إلى رفع معنويات الشعب، وألهبت عواطف الجماهير وأصبحت الانتفاضة والجماهير في خندق واحد، ورفعت العمليات الاستشهادية روح النضال الفلسطيني عاليًا، وحاول العدو استغلال هذه العمليات الاستشهادية ووصفها بأنها عمليات إرهابية تستهدف المدنيين الصهاينة، واستخدم العدو قوة نارية لم يسبق لها مثيل، وأدخل طائراته إلى ميدان المعركة، وخاصة طائرة الـ (F16)، وطائرة الأباتشي إضافة إلى الاجتياحات البرية المتكررة لمناطق السلطة الفلسطينية، وآخرها إعادة احتلال المدن الفلسطينية في عدوان 29 مارس (آذار) من العام 2002م، وبذلك تم اجتياح مخيم جنين وارتكاب مجزرة رهيبة، استهدفت البشر والشجر والحجر، وتم الإعلان عن استشهاد أكثر من 50 شهيدًا وسط سخط شعبي عارم، واستنكار دولي واسع.

بداية دوره الجهادي

أدرك المجاهد مهنا أنه لابد من العمل العسكري المدروس، والمتواصل لإنهاك قدرات العدو الصهيوني، واستنزافها على مدار الساعة، ولهذا بدأ في مساعدة المجاهد عبد الهادي العمري أحد أبطال سرايا القدس في مدينة جنين في مهامه الجهادية عبر إطلاق النار على المستوطنات الصهيونية،

الشهيد المجاهد/ عبد الهادي العمري
استشهد بتاريخ 06/ 12/ 2002م

وعلى دوريات الجيش الصهيوني التي أصبحت تسير في شوارع وأزقة مدينة جنين وبشكل اعتيادي، فكان لابد من المقاومة والتصدي لها، وبكل وسيلة متاحة، فقام الضابط الصهيوني الكابتن جمال باقتحام منزل المجاهد مهنا زيود، وطلب من

عائلته تسليمه رسالة منه مفادها أن على المجاهد مهنا أن يسلم نفسه وإلا فإن مصيره إما الموت وإما السجن، وردًا على ما قام به الضابط الصهيوني، قام المجاهدان عبد الهادي ومهنا بخوض اشتباك مسلح عنيف مع الجنود الصهاينة، بالقرب من معسكر سالم الصهيوني، ثم أتبعاه باشتباك آخر عبر إطلاقهما النار على المستوطنين الصهاينة.

اعتقاله الأول

أصبح المجاهد مهنا زيود يضرب به المثل لشجاعته وبسالته وجرأته اللامحدودة، ولذلك حدث اجتماع بين المجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي ومهنا زيود، وبترتيب من قبل المجاهد عبد الهادي العمري، وطلب القائد إياد صوالحة من المجاهد مهنا زيود أن يساعده في إيصال السيارات المفخخة إلى داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، فما كان منه إلا الموافقة على هذا الأمر، فوجد به المجاهد إياد صوالحة مجاهدًا صلبًا لا يخاف من أي شيء إلا أن الأمر لم يتم بسبب اعتقال المجاهد مهنا زيود، ليوضع في سجن "عوفر" الصهيوني، وما أن جاء يوم 06/ 12/ 2002م حتى تعرض المجاهد عبد الهادي العمري لعملية اغتيال في بلدة سيلة الحارثية مما أدى إلى استشهاده، وعندها أصر المجاهد مهنا زيود على الانتقام لدماء صديقه وحبيبه عبد الهادي، ولكن يبقى السؤال كيف؟

عملية الهروب من سجن "عوفر"

وما هي إلا أيام حتى اتفق المجاهد مهنا مع أحد أبطال حركة حماس وأحد أبطال حركة فتح في سجن "عوفر" على الهروب إلا أن هذه المعلومة تم تسريبها إلى قادة الفصائل في سجن "عوفر" لم يؤيدوا ذلك حرصًا منهم على عدم جر المعتقل والأسرى في سجن "عوفر" إلى مواجهة مع إدارة السجون، التي في حال حدوث عملية الهروب، فإن الأسرى سيتعرضون إلى ضغوط ومضايقات كبيرة من إدارة السجن ولهذا تم إلغاء هذه الخطة، والتراجع عنها، وبعد شهر من هذه الحادثة، اتفق المجاهد مهنا زيود مع المجاهد ابن حركة الجهاد الإسلامي بلال ياسين، وهو من سكان قرية عانين في محافظة جنين؛ على أن ينفذا عملية هروب من سجن "عوفر"، وكان ذلك في بداية العام 2003م في فصل الشتاء. وفي فجر أحد الأيام الباردة جدًا بتاريخ 21/ 01/ 2003م، وكان حينها الضباب قد حجب الرؤية، وبذلك أيقن المجاهد مهنا أن هذا الوقت هو الأنسب لعملية الهروب، فسارع إلى أخيه المجاهد بلال ياسين وأيقظه من نومه، وقال له أن يجهز نفسه لعملية الهروب، وقاما بارتداء الملابس الخاصة لعملية الهروب، فلبس المجاهد مهنا بنطالًا جيشيًا وجاكيتًا جيشيًا،

الشرق الأوسط

الشرق الأوسط كتب Books

هروب أسيرين من «الجهاد الإسلامي» من معتقل عوفر وقوات الاحتلال تدمر 200 محل تجاري في طولكرم

وكذلك فعل المجاهد بلال ياسين، وذلك حتى يظهرا أنهما جنديان صهيونيان يخدمان في السجن، وقاما بفتح ثغرة في الأسلاك الشائكة، المحيطة بالقسم، الذي يتواجدان فيه، وخرجا منها متسلحين بتوكلهما على الله ـ عز وجل ـ وتوفيقه.

بدأ المجاهدان مهنا وبلال بالسير رغم الضباب الكثيف بين مكاتب الضباط الصهاينة، وبدآ ينتقلان من مكان لآخر دون أن يراهما أحد، ولم يبق سوى عبور خيم الجنود الصهاينة، التي ينامون بداخلها، وما أن تجاوزا تلك الخيم حتى وصلا إلى أسفل أحد الأبراج الصهيونية، وكان حينها الجندي الذي يحرس البرج نائمًا من شدة البرد فاستغلا ذلك، وقاما بفتح ثغرة أخرى في الشبك الأخير ولما خرجا منه إذا بهما يقفان على الشارع الرئيسي خارج سجن "عوفر"، فتوجها إلى منطقة بيتونيا في رام الله، وهناك شاهدا أحد الرجال يقود سيارته يريد الذهاب ليصلي الفجر في أحد المساجد، فطلبا منه تقديم المساعدة، وأخبراه بحقيقة ما حدث معهما، فما كان منه إلا أن قام بإيصالهما إلى حاجز قلنديا، ومن هناك تمكنا بعون من الله -عز وجل- من السير على طريق التفافي خلف الحاجز، وأوقفا إحدى السيارات هناك، وطلبا من سائق السيارة أن يوصلهما إلى مدينة نابلس، ولما وصلا إلى وسط المدينة توجها إلى أحد سكنات الطلبة في جامعة النجاح الوطنية، وكانا يعرفان هناك بعض الطلبة من سكان مدينة جنين إلا أن هؤلاء الطلبة لم يوافقوا على استقبالهما أو مساعدتهما، وما أن غادرا الشقة السكنية، حتى لحق بهما بعض الشباب ممن سمعوا قصتهما، وقرروا تقديم المساعدة والعون لهما، وألبسوهم ملابس جديدة، وطلبوا منهما قص شعرهما ولحيتيهما لتغيير مظهرهما. ولما هم هؤلاء الشباب باصطحابهما إلى البلدة القديمة في نابلس إذا بجيب عسكري صهيوني يلحظهم في المكان، وبدأ ينادي عليهم بالسماعة فما كان من المجاهدين بلال ومهنا إلا الهروب من المكان، والتوجه إلى إحدى البنايات السكنية، وبدآ بطرق أبوابها، فلم يفتح لهما أحد باب شقته، وحاولا الصعود إلى سطح البناية، فوجدا أن الباب مقفل بشكل محكم، فإذا بالجنود الصهاينة يمسكان بهما، ولما أنزلوهما إلى أسفل البناية، بدأ الجنود الصهاينة بضربهما وإهانتهما حتى خرجت امرأة عجوز من شقتها، وبدأت تتجادل مع الجنود الصهاينة وتصرخ في وجههم، وقالت لهم: إن هذين الشابين هما حفيداها، طالبة منهم تركهما، فظن الجنود الصهاينة ومعظمهم من الدروز أن هذه المرأة صادقة، فتركوا المجاهدين مهنا وبلال، وقالوا لها بأنه في المرة القادمة عندما يطلب منهما الجنود التوقف فعليهما تنفيذ الأوامر، وعدم الهرب.

ما أن دخل المجاهدان مهنا وبلال إلى شقة المرأة العجوز حتى شاهدا خبرًا عاجلًا على شاشة التلفاز، مفاده أن هنالك مجاهدين من حركة الجهاد الإسلامي قد تمكنا من الهرب من سجن "عوفر" هذا اليوم وتوجها إلى مدينة رام الله، ولذلك توجه حينها المجاهدان إلى البلدة القديمة في نابلس، وباتا ليلتهما عند شباب من المقاومة وسط استقبال كبير لهما. وفي اليوم التالي صرح أحد أبرز قادة حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية أن المجاهدين مهنا وبلال بخير، وأنهما موجودان في مكان آمن، ولم يتمكن العدو الصهيوني من الوصول إليهما، فقرر حينها المجاهدان العودة إلى مدينة جنين، وبحثا عن طريقة آمنة، فوجدا أن أفضل طريقة هي العودة مع طلبة جامعة النجاح الوطنية إلى مدينة جنين، وكان معهما بعض المطاردين يساعدونهم للوصول إلى منطقة وادي الباذان، وهناك توقفوا عن السير وركبوا سيارة

أخرى بها عدد من طلبة الجامعة، وكانت تتوجه إلى مدينة جنين، وأثناء الطريق بدأ الطلاب في السيارة يتحدثون عن بسالة وشجاعة الأبطال من الذين هربوا من سجن "عوفر"، وبدأوا بمدحهم وذكرهم بأجمل الصفات والألقاب، فما كان من المجاهدين مهنا وبلال إلا الصمت والشعور بحالة من الفخر والاعتزاز بنفسيهما، وما أن وصلا بسلام إلى مدينة جنين حتى استقبلهما قادة سرايا القدس، ومنهم المجاهد أنس جرادات ومعه المجاهد شادي سوقية، وقدموا لهما كل ما يلزم من مال وشراب وطعام وملابس بالإضافة إلى حصولهما على قطعة سلاح من المجاهد إياد أبو الرب بتوجيه من المجاهد نعمان طحاينة، وعندها فشل العدو الصهيوني في الوصول إليهما، ولذلك أقدم الضابط الصهيوني الكابتن جمال باقتحام منزل المجاهد مهنا، واعتقال والده 18 يومًا، ومن بعده تم اعتقال أخيه الأكبر علاء، وعاثوا في المنزل الفساد والتخريب والدمار.

توجه المجاهد مهنا إلى مخيم جنين ليكون إلى جانب أبطال المقاومة من سرايا القدس، ومن كافة الفصائل الفلسطينية، وهناك استطاع أن يتعرف على المجاهد أسامة أبو خليل، وهو من سكان بلدة عتيل بطولكرم، ويعتبر من كوادر سرايا القدس في ذلك الوقت، وقد استشهد في مخيم جنين بتاريخ 14/ 03/ 2003م، وبذلك شعر المجاهد مهنا أن الدنيا بدأت تضيق عليه، وخرج إلى بلدة قباطية ليكون إلى جانب الشيخ المجاهد

الشهيد المجاهد/ أسامة أبو خليل استشهد بتاريخ 14/ 03/ 2003م

محمود كميل الملقب بـ(الدبعي)، وهو من سكان بلدة قباطية، ويعتبر من أهم قادة سرايا القدس، وبدأ معه المجاهد مهنا مشواره الجهادي بتنفيذ العديد من الاشتباكات المسلحة بالإضافة إلى زراعة العبوات الناسفة ضد الدوريات الصهيونية، وأصبح المجاهد محمود كميل هدفًا للشاباك الصهيوني الذي حاول مرات عديدة اعتقاله أو اغتياله، إلا أنه كان ينجو في كل مرة، وفي يوم 03/ 12/ 2004م استطاع العملاء معرفة مكان المجاهد محمود كميل، وقام جهاز الشاباك الصهيوني باغتياله لترتقي روحه إلى جنات الخلد ليجتمع مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وكان ذلك اليوم يومًا حزينًا جدًا على المجاهدين في مدينة جنين وخاصة المجاهد مهنا إلا أن قادة سرايا القدس لا يمكن أن يتركوا أحدًا من مجاهدي السرايا وحيدًا لاسيما أنهم يعرفون كل التفاصيل عن المجاهدين، وأماكن تواجدهم، ومع من يعملون، وما هي قطع السلاح التي يمتلكونها ويحملونها، بل ويعلمون أدق التفاصيل عن حياة كل مجاهد، ولذلك أرسلوا المساعدة المطلوبة للمجاهد مهنا زيود سواء كانت مالية أو عسكرية، حتى يستطيع الصمود في وجه العدوان الصهيوني مما عزز من قيام المجاهد مهنا من رفع وتيرة الاشتباكات المسلحة ضد الدوريات الصهيونية.

العملية الأخيرة

شدة الرعب الذي سببه المجاهد مهنا زيود للجيش الصهيوني عبر زرعه للعبوات الناسفة، وخوضه للاشتباكات المسلحة جعل الضابط الصهيوني الكابتن جمال يُقدم على اقتحام منزل

عائلة المجاهد مهنا في بلدة سيلة الحارثية لأكثر من مرة، وكانت المرة الأخيرة ليست كسابقاتها، حيث قام مع جنوده بإطلاق النار وبشكل عشوائي داخل المنزل، وحطموا محتوياته وأثاثه، وأهانوا والده وعائلته كثيرًا، وقالوا لهم إن لم يقم مهنا بتسليم نفسه فسيكون مصيره الموت، وما أن خرجوا من المنزل وعلم المجاهد مهنا ما حدث مع عائلته حتى أقسم أن يرد على الكابتن جمال بعملية سريعة، ويكون الرد بها قاسيًا جدًا، لهذا قرر أن ينفذ عملية إطلاق النار على مستوطنة "زابد" التي تبعد عن بلدة سيلة الحارثية كيلو مترين، وساكنوها من المستوطنين الشرسين والعنصريين جدًا، ومن أكثر المستوطنين إيذاءً وكرهًا للعرب، وتوجه إلى تلك المستوطنة، وهو يحمل سلاحه من نوع 300 متسلحًا بإيمانه العميق بعدالة قضيته،

الأسير المجاهد/ مهنا زيود
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وواضعًا نصب عينيه ما قام به العدو الصهيوني من أحداث لا يمكن أن تنسى أبدًا، ولا يمكن لها أن تطمس من الذاكرة، ولا يمكن لكل إمكانيات العدو الصهيوني أن تشطبها من التاريخ، ولهذا فإن المجاهد مهنا لن ينسى أبدًا ذلك اليوم الذي هزه من الأعماق، يوم قام المجرم الصهيوني الكابتن جمال باجتياح منزله وإهانة عائلته، وهذا ليس جديدًا على الصهاينة، فهم جماعة من العصابات القتلة الذين لا يحترمون الأطفال والنساء، ولا يحترمون حتى موت الشهداء، وما أن اقترب المجاهد مهنا زيود من المستوطنة الصهيونية "زابد" حتى بدأ بإطلاق النار على قطعان المستوطنين مما أدى إلى إصابة العديد من المستوطنين بجراح.

اعتقاله والحكم عليه

استطاع المجاهد مهنا بعدها الانسحاب من موقع العملية بسلام، والتوجه إلى عاصمة المجاهدين في بلدة قباطية الصمود تلك القلعة العصية على جيش الاحتلال، ودخلها وقت الصباح واستقبله أبطال سرايا القدس استقبال الأبطال الشجعان، ووصلت رسالة المجاهد مهنا إلى العدو الصهيوني بعدم الاقتراب من عائلته ومن منزله، وبعد أسبوع من تاريخ تنفيذ العملية وتحديدًا في 19/ 04/ 2005م شعر المجاهد مهنا بالحنين والشوق لعائلته فتوجه مع صديقه المجاهد يوسف زيود إلى بلدة سيلة الحارثية، وما أن دخلا إلى المنزل واستراحا قليلًا حتى تفاجأ بوجود قوات كبيرة من الجيش الصهيوني مصحوبة بالدبابات والمشاة والقوات الخاصة بالإضافة إلى وجود طائرة الأباتشي في سماء بلدة سيلة الحارثية،

الأسير المجاهد/ يوسف زيود
محكوم 14 عامًا، واعتقل بتاريخ 19/ 04/ 2005م

وكأنهم كانوا يرصدون تحركات المجاهد مهنا أولًا بأول، فحاول حينها المجاهد مهنا ويوسف الاشتباك مع العدو الصهيوني إلا أن وجود عائلة المجاهد مهنا في داخل المنزل صعَّب الأمر عليهما، مما أدى إلى اعتقالهم في ذلك اليوم.

بدأ التحقيق الميداني مع المجاهد مهنا، ومن ثم اقتياده إلى تحقيق الجلمة ليمكث فترة طويلة من الزمن، وتم الحكم عليه لمدة 25 عامًا لم تفت في عضده، ولم تجعله يشعر بالإحباط، أو اليأس، وإنما بقي شامخًا عزيزًا عنيفًا جدًا مع إدارة السجون، رحيمًا ودودًا عطوفًا مع إخوانه من أبناء الحركة الأسيرة، وما هي إلا بضعة أشهر حتى حمل أخوه المجاهد علاء الراية من بعده وبدأ يواجه المحتل الصهيوني، وانتمى إلى مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي وعمل إلى جانب المجاهد الشهيد إلياس الأشقر، والشهيد معتصم جعار الملقب بـ (الجنجي)، وكان له دور كبير في قيادة المجموعات من سرايا القدس بمدينة جنين وقراها مما جعل العدو يبذل جهدًا كبيرًا في مطاردته هو وصديقه المجاهد باجس حمدية، وتعرضا لأكثر من مرة لمحاولة اعتقال أو اغتيال كانت محققة إلا أن حفظ الله لهما كان هو الغالب، وما أن جاء العام 2009م حتى قامت أجهزة السلطة الفلسطينية باعتقالهما أثناء خروجهما من أحد المنازل الواقعة ما بين بلدة اليامون وقرية الهاشمية في جنين، ومنذ ذلك اليوم لا يزال المجاهدان علاء وباجس معتقلين لدى الأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية.

وفي العام 2018م التقى المجاهد مهنا مع أخيه الصغير محمد في سجن ريمون الصهيوني ليعيش معه أجمل الأيام على الرغم من أن أيام السجن عادة توصف بأنها أيام قاسية وصعبة ومؤلمة ولا يوجد بها مجال للفرح والسرور، ولكن رؤية الأخ ولاسيما بعد سنين طويلة تجعل الأسير يعيد ذاكرته إلى سنوات قد مضت، ويمر بشريط الأحداث سريعًا بكل ما فيه من إيجابيات أو سلبيات، وازداد فرحه وسروره عندما تم اجتماع الأخوين مهنا ومحمد مع ابن عمهم محمد زيود (أبو الشيخ) أيضًا في سجن ريمون، فشعر حينها كأن هذه إشارات ودلائل على أن موعد الحرية قد اقترب، وما هي إلا قاب قوسين أو أدنى.

الأسير المجاهد

جمال نزيه جميل جعار

ثالث ثلاثة إخوة مجاهدين، نال أحدهما الشهادة

تاريخ الميلاد: 1983/07/22م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة علار - محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 5

تاريخ الاعتقال: 2005/08/30م

الحكم: 5مؤبدات و8 سنوات

لأنهم الأبطال ولأنهم الفرسان، ولأنهم عشاق الوطن، ولأنهم جمال الوطن وجلاله، فهم نشيد الحرية ولحن الوطن، هم الذين تغنى بهم طوقان في نشيده الوطني "موطني.. موطني.. الجلال والجمال". هم جلال وجميل وجمال ربا الوطن وجباله، هم فتية الكهف في القرن الحادي والعشرين، وفتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، فصدقًا لا نعلم من أين نبدأ حكايتنا عنهم، هل نبدأ من نهاية الحكاية حيث الحاجة أم جميل تلك الوالدة الصابرة والمحتسبة التي بقيت وحيدة في هذا الزمان لا زوج يحميها ولا أبناء من حولها يخدمونها، ولا تزال في كل لحظة تتمنى أن يدخل عليها أبناءها جمال وجلال وقد تحررا بعد أن غيبتهما السجون، ولا تزال تتذكر فلذة كبدها الشهيد جميل، لربما لا نستطيع أن نتخيل أمًا كأم جميل التي ما أن رأت جثمان ولدها الشهيد جميل حتى ودعته بالزغاريد؛ لتزفه إلى الحور العين، فهذه الزغرودة في نظر المحتل ومن لف لفه هي ضرب من الجنون. هذا الجنون الفلسطيني الذي قلب الموازين في هذا العالم الممتد، وأصبحت الأحزان والآلام عنوانًا للفرح الآتي عبر تدفق الدماء، وأصبح الشهيد يُزف كما يزف العريس إلى زوجته في يوم عرسه.

أم نبدأ من أبي جميل؟ حسرة الوالد الكهل الذي توفي وهو ينتظر عودة زوجته من زيارة ابنه جميل؛ لتبشره بأخباره السارة فإذا به يموت وحيدًا دون رؤية زوجته، ودون معرفة أخبار ولده، انتظر وحيدًا ومات وحيدًا، وليس عنده أحد إلا القدرة الإلهية تقول له: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۞ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ الفجر: [27-30]، أم نبدأ من الإخوة الثلاثة الذين يتسابقون فيما بينهم في ميدان الجهاد والمقاومة ومواجهة غطرسة وعنجهية وجبروت هذا المحتل الصهيوني؟! فيرتقي الأخ الأكبر المجاهد جميل شهيدًا في ميدان المعركة مع الجيش الصهيوني، ويكون مصير أخويه المجاهدين جلال وجمال الاعتقال، فحقًا نحن أمام نموذج فريد من نوعه لعائلة فلسطينية مجاهدة مناضلة بامتياز، فهم آل ياسر في هذا الزمان، فحكايتي عنهم لن توفيهم حقهم المقدس، ولكن هذا هو جهد المقل لعمالقة الجهاد والمقاومة والصبر والصمود.

الميلاد والنشأة

وُلد مجاهدنا البطل جمال في بلدة علار الأبية في طولكرم لتلك العائلة المجاهدة والصابرة والمحتسبة، والده يعمل في مجال الزراعة، يكد ليل نهار ليؤمن لعائلته قوت يومهم ومستلزمات حياتهم اليومية، علمهم أن الأرض كالعرض لا يمكن التفريط فيها مهما كان الثمن، ومهما حاول هذا المحتل الجاثم على صدر الشعب الفلسطيني باستيلائه ومصادرته للأرض الفلسطينية؛ فإنه سيندحر وسيهزم ومصيره إلى زوال؛ ليعيش الأبناء طفولتهم وفتوتهم في ظل الانتفاضة الفلسطينية الأولى، والتي أذهلت كل أحرار العالم بحالة نضالية وإبداعية، وصل لها الشعب الفلسطيني عبر مواجهته للمحتل الصهيوني بأدوات قتالية بسيطة لا تتعدى الحجر والمقلاع والزجاجات الحارقة والهتافات الوطنية الداعية لطرد المحتل وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، فكان أبناء الحاج نزيه أبو جميل كباقي أبناء وأشبال هذا الشعب يشاركون في رمي الحجارة والخروج في المسيرات الجماهيرية والشعبية دون اعتراض يذكر من والدهم، فكيف له أن يمنعهم من حقهم المقدس في مواجهة المحتل، وكيف يمنعهم من ذلك وقد أرضعتهم والدتهم حب الوطن وكراهية المحتل الصهيوني، لتمضي الأيام والأشهر والسنين ويكبر الأبناء الثلاثة جميل وجلال وجمال، ويصبحوا شبابًا أشداء وقفوا إلى جانب أبيهم في مساعدته في العمل لتوفير احتياجاتهم اليومية، وما أن فرح والدهم بهم حتى اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة في شهر أيلول من العام 2000م.

جسد المجاهدون الثلاثة جميل وجلال وجمال ما زرعهم بهم والدهم من معاني الشجاعة والإقدام والمواجهة وضرورة الجهاد في سبيل الله، وكانوا من السباقين إلى ميادين المواجهة وخاصة المجاهد البطل جميل الذي انتمى باكرًا لصفوف حركة الجهاد الإسلامي في وقت كانت حركة الجهاد الإسلامي تتمدد في صفوف الشباب المسلم الثائر الوطني في بلدة علار في طولكرم، هذا الأمر أدى لقيام الجيش الصهيوني بحملة اعتقالات طالت عشرات المجاهدين من البلدة، وكان من بينهم

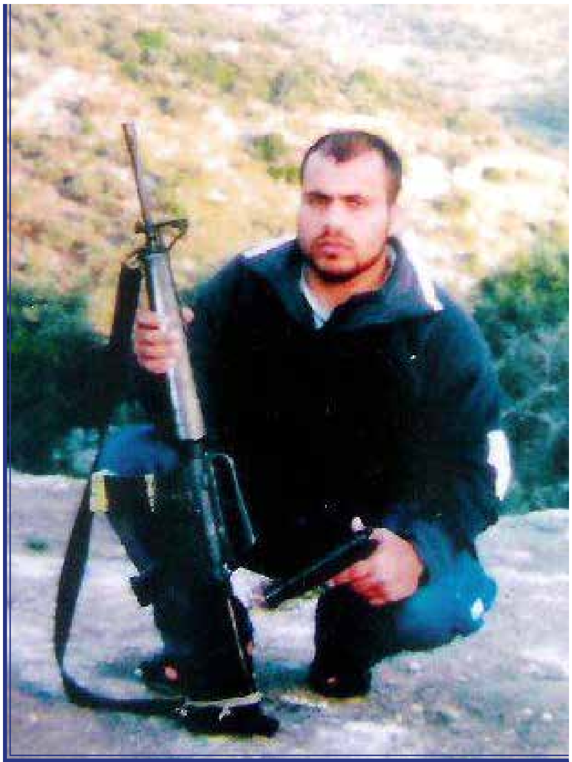

الشهيد القائد/ جميل جعار
استشهد بتاريخ 23/ 09/ 2005م

المجاهد جمال حيث تم وضعه في سجن "عوفر" وما أن أمضى شهرًا حتى تم الإفراج عنه لعدم إدانته بشيء أثناء التحقيق معه، وما أن خرج من السجن حتى علم أن أخاه المجاهد جميل قد أصبح مطلوبًا للعدو ليصبح فيما بعد من قادة وكوادر سرايا القدس، ومن ضمن مجموعة الشهيد لؤي السعدي، ويكون جنبًا إلى جنب مع المجاهدين لؤي السعدي وزاهر الأشقر ونضال أبو سعدة ورائد عجاج ومعتز أبو خليل وغيرهم من الأبطال، وكان حينها أخوه المجاهد جلال قد عاد للعمل داخل الأرض المحتلة، من أجل توفير المال المطلوب من أجل سد حاجته ووالديه وإخوته ولاسيما أن والده لم يعد يستطع العمل وأن أخاه المجاهد جميل كان مطاردًا، فكان من الضروري أن يهتم المجاهد جلال بأبيه وأمه من جهة وبتقديمه الدعم المادي والمعنوي لأخيه المجاهد المطارد جميل من جهة أخرى، ولطبيعة عمل المجاهد جلال في الداخل المحتل استطاع أن يعلم كافة تفاصيل العبور من داخل الضفة إلى داخل الأرض المحتلة دون أن يعترضه أحد من الصهاينة، فكانت مجموعة الشهيد لؤي السعدي في تلك الأوقات قد أعدت العدة وبدأت في الاستعداد من أجل البدء في العمل الجهادي عبر العمليات الاستشهادية التي ستعيد للمقاومة الفلسطينية حيويتها ونشاطها واعتبارها وزخمها، ولاسيما في ظل الحراك الدولي لإحياء عملية السلام الموهومة ما بين الكيان الصهيوني وبين السلطة الفلسطينية، وكان الشرط الوحيد للبدء في هذه العملية هو العمل على إحياء وإنعاش التنسيق الأمني بين الأجهزة الأمنية الفلسطينية والصهيونية من أجل القضاء تمامًا على انتفاضة الأقصى التي أنهكت المجتمع الصهيوني وأجهزته الأمنية والسياسية؛ وقرر مجرم الحرب الصهيوني أرئيل شارون الإعلان عن خطة الانسحاب من بعض المستوطنات في الضفة الغربية بالإضافة للانسحاب من قطاع غزة.

وكل ذلك جاء بفعل الأعمال الجهادية والنضالية والثورية لقوى المقاومة في فلسطين، ولذلك قررت مجموعة الشهيد لؤي السعدي تنفيذ سلسلة من العمليات الاستشهادية، فاجتمع المجاهدون لؤي السعدي ونضال أبو سعدة ومعتز أبو خليل وجميل جعار وشفيق عبد الغني

ومحمد أبو خليل، وتم إعداد الخطة والاتفاق فيما بينهم على أن يكون العمل سريًا جدًا، وبنفس الوقت يكون العمل بروح الفريق الواحد،

الشهيد القائد/ لؤي السعدي
استشهد بتاريخ 24/ 10/ 2005م

وقام حينها المجاهد شفيق عبد الغني أحد قادة سرايا القدس من قرية صيدا بتجنيد الاستشهادي عبد الله بدران من سكان بلدة دير الغصون في طولكرم، وقام المجاهد نضال أبو سعدة بتجنيد المجاهد أشرف القيسي من سكان الداخل المحتل من أجل إيصال الاستشهادي عبد الله إلى مكان العملية، بينما تمكن المجاهدون لؤي السعدي ومعتز أبو خليل ومحمد أبو خليل من إحضار الحزام الناسف بالتعاون مع قادة وكوادر سرايا القدس في مدينة جنين، وأكمل المجاهد لؤي السعدي الاستعدادات عبر تصوير الاستشهادي عبد الله بدران وهو يتلو وصيته للأمة والشعب، وتم تحديد مكان العملية وهو نادي "ستيج" الليلي في مدينة "تل أبيب" بتاريخ 25/ 02/ 2005م.

بداية دوره الجهادي

وفي صباح هذا اليوم توجه المجاهدون لؤي السعدي ونضال أبو سعدة وجميل جعار ومعهم الاستشهادي عبد الله بدران للقاء المجاهد جمال جعار في إحدى بيارات بلدة علار حيث طلب منه أخوه جميل تقديم المساعدة في إيصال الاستشهادي عبد الله من طولكرم إلى باقة الغربية، ومن هناك يأتي المجاهد أشرف لاصطحاب الاستشهادي عبد الله إلى موقع العملية، فأبدى حينها المجاهد جمال فرحه وسعادته في قيامه بهذا العمل الجهادي الذي كان ينتظره دومًا للقيام بمثل هذه المهمات الجهادية؛ ليقدم واجبه المقدس تجاه فلسطين والقدس والأقصى، وكان حينها المجاهد جمال ينتظرهم في البيارة واستلم منهم الاستشهادي عبد الله والحزام الناسف، وودع المجاهدون لؤي السعدي وجميل ونضال المجاهدين جمال وعبد الله وسط دعوات إيمانية لهم بأن يوفقهما الله ويتقبل منهما عملهما الجهادي، وتوكل على الله ـ عز وجل ـ المجاهدان جمال وعبد الله، وبدأت رحلتهما من طولكرم إلى مدينة رام الله، وركبا إحدى السيارات العمومية، وتجاوزا الحواجز الصهيونية المنتشرة في كل مكان، والتي كانت أحيانًا عائقًا أمام تقدم المجاهدين إلا أن من يقبل على الله عز وجل بصدق يكن الله معه ويحفظه ويعنه وتحرسه الملائكة، وما هي إلا سويعات حتى وصل المجاهدان بسلام إلى وسط مدينة رام الله، واستراحا قليلًا، ثم توجها إلى حاجز قلنديا الصهيوني، واستأجرا سيارة لإيصالهم إلى بلدة باقة الغربية في الداخل المحتل، ووصلا إلى هناك في وقت العصر من يوم 25/ 02/ 2005م، وانتظرا مجيء المجاهد أشرف

القيسي لإكمال ما نصت عليه الخطة التي وضعها المجاهد لؤي السعدي وإخوانه في سرايا القدس، وطال حينها الانتظار، وبدأ المجاهدان يتحدثان في أمور الدنيا والأحوال التي وصل إليها المسلمون والشعب الفلسطيني، وأن الاحتلال هو السبب الحقيقي وراء كل ما يحدث من مآسٍ وآلام للشعب الفلسطيني، وكان المجاهد عبد الله في عجلة من أمره للقاء الله _عز وجل_، وكان يتحدث عن فضل الجهاد والاستشهاد وضرورة التضحية بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله، ومشتاقًا للجنة وللأنبياء والصديقين والشهداء والحور العين،

الاستشهادي/ عبد الله بدران
استشهد بتاريخ 25/ 02/ 2005م

وأسدل الليل عليه الستار وطال الانتظار أكثر وأكثر، وقرر المجاهدان تناول طعام العشاء، وما أن انتهي منه حتى قرر المجاهد جمال أخذ زمام الأمور والاجتهاد بنفسه حول قيامه بإيصال الاستشهادي عبد الله لأحد المواقع الصهيونية التي يعرفها في مدينة الخضيرة المحتلة إلا أن الجندي عليه دومًا طاعة قائده في المنشط والمكره، وانتظر قليلًا وأجرى اتصالًا بأخيه المجاهد جميل وأطلعه على أحواله وأن المجاهد أشرف القيسي لم يأتِ إليهم كما تم الاتفاق معه، فقال له أخوه جميل بأن المجاهد أشرف الآن في طريقه إليكما فلا تقلقا، وما هي إلا فترة حتى وصل المجاهد أشرف وسلم على المجاهدين عبد الله وجمال، وبعد أن تحدث معهما سلم عليهما المجاهد جمال واحتضن الاستشهادي عبد الله وقبل رأسه وجبينه الطاهر، ودعا الله له أن يوفقه في قتل أكبر عدد ممكن من الصهاينة، وأن يجمعه الله مع من أحب في الجنة.

توجه المجاهدان أشرف وعبد الله نحو الهدف وهو النادي الليلي نادي "ستيج" الصهيوني في مدينة "تل أبيب" الصهيونية، ووصلا إلى الموقع، ونزل المجاهد عبد الله وهو يحمل حزامه الناسف، وينظر إلى هدفه، وكان الوقت حينها يقترب من منتصف الليل والصهاينة في سمر ولهو ومجون وفجور، وكان لسان حال المجاهد الاستشهادي عبد الله يقول: "يا سبحان الله! ها هم الصهاينة المحتلون يرقصون ويمرحون ويحتفلون على أنغام وصوت قتل الأطفال الفلسطينيين، وعلى صوت القنابل والصواريخ وهي تهدم البيوت، وعلى صوت الرصاص الموجه إلى صدر الشعب، ولكن هيهات هيهات منا الذلة"، وتقدم المجاهد عبد الله منهم شيئا فشيئًا ولسان حاله يقول: "هذه الأرض لنا، والهواء لنا، والزرع لنا، وكل ما عليها لنا، وأنتم ترقصون فوق جماجمنا، ولهذا جئتكم لأحطم لكم جماجمكم، ولأجعل منكم أشلاءً، ونجعل منها جسر العودة للاجئين، من كل فيافي الأرض إلى فلسطين المسلمة والعربية، جئتكم من حيث لا تتوقعون، جئتكم لأكون أول استشهادي في العام 2005م وأول استشهادي في سلسلة عمليات

مجموعة الشهيد لؤي السعدي، وأول استشهادي يرد على اجتماع شرم الشيخ الإجرامي الذي ضم السلطة والصهاينة لإحياء عملية السلام".

كبّر المجاهد عبد الله وسط جموع الصهاينة، فأرعبهم صوت التكبير قبل التفجير، وما أن فَجَّر نفسه حتى تناثرت أشلاء الصهاينة في كل مكان وأصبحت دماؤهم في كل مكان موقعًا خمسة قتلى منهم، ومصيبًا العشرات بجراح، وكبرّ المجاهدون وكبرّ الأحرار والشرفاء في فلسطين،

القتلى الصهاينة في عملية "نادي ستيج" الاستشهادية بتاريخ 25/ 02/ 2005م

ولاسيما أن هذه العملية كانت الجواب الواضح لكل القوى السياسية في فلسطين، ولكل الدول الغربية، والأهم للعدو الصهيوني بأن الهدنة التي أرادتها السلطة الفلسطينية والعدو الصهيوني هي هدنة باطلة، وأن الهدنة التي تريدها حركة الجهاد الإسلامي هي الهدنة التي من خلالها يسمح للصهاينة بمغادرة فلسطين إلى الدول التي جاؤوا منها من كل أصقاع الأرض، وبذلك أصبح المجاهد جميل عرضة للاعتقال أو الاغتيال، بينما استمر المجاهد جمال وكأن شيئًا لم يحدث، واستمر في عمله بالداخل المحتل لإعالة عائلته، واستمر المجاهد جلال بالاعتناء بوالديه ومساعدة أخيه المطارد جميل، وأصبح الجيش الصهيوني لا يغادر البلدة ولا يمر يوم إلا ويقتحم الصهاينة منزل العائلة؛ ليحطموا أثاث البيت ويدمروا ويخربوا كل ما تقع عيونهم عليه، فإما أن يسلم المجاهد جميل نفسه لهم وإما أن تستمر معاناة هذه العائلة.

اعتقاله والحكم عليه

نتيجة لتكرار الاعتداءات على منزل عائلة جعار قررت هذه العائلة المجاهدة الانتقال للعيش في منزل آخر في بلدة علار، ظنًا منها أن العدو سيتركهم وشأنهم إلا أن عملاءهم استطاعوا معرفة مكان منزلهم الجديد، وعاد الجيش الصهيوني لمسلسل مضايقات هذه العائلة، فما كان حينها من المجاهد جمال إلا إحضار كمية كبيرة من الذخيرة لمجموعة الشهيد لؤي السعدي لاستخدامها في مواجهة ظلم وصلف هذا المحتل الصهيوني، وقدم لهم كثيرًا من المساعدات المادية والمعنوية واللوجستية وأحيانًا العسكرية، واستمر على ذلك حتى شهر يوليو (تموز) من العام 2005م، حيث قامت الشرطة الصهيونية بحملة اعتقالات واسعة طالت العمال الفلسطينيين في الداخل المحتل، وتم اعتقال المجاهد جمال بذريعة عدم وجود تصريح عمل معه، وتم وضعه في أحد السجون وحكم عليه لمدة 45 يومًا.

الأسير المجاهد/ جمال جعار (يمين)
برفقة شقيقه الأسير/ جلال جعار (المحكوم 15 عاماً)

عاش المجاهد جمال أصعب أيام حياته داخل السجن، لاسيما أنه لا يعلم عن عائلته شيئًا، ولا يعلم ماذا حل بإخوانه جميل وجلال، فما كان منه إلا طرق باب الرحمن، داعيًا الله أن يحفظهما ويرعاهما ويقدم لهما الخير حيثما كانا وكيفما كانا وأينما كانا، ومع مرور الأيام في سجنه علم بطريقته بأن أخاه المجاهد جلال قد تم اعتقاله أثناء عودته من مهمة جهادية لإيصال استشهاديين، وأنه أثناء التحقيق معه قد اعترف على أن أخاه جمال له علاقة بإيصال الاستشهادي عبد الله بدران، وكان حينها قد تبقى يومان للإفراج عن المجاهد جمال، فتم إعادته للتحقيق في سجن الجلمة مجتمعًا بأخيه في القيد والزنازين والتحقيق وليتعانقا عناق المحنة والألم والعذاب.

تحمل جمال وجلال كل صنوف الألم والتعذيب الوحشي والهمجي، ولكنهما لم يتحملا ذلك الخبر الصاعق وهو خبر استشهاد أخيهما وقائدهما ومرشدهما ومعلمهما الحبيب والأخ الكبير جميل حيث كان المجاهدون جميل جعار ورائد عجاج وسعيد الأشقر في إحدى البيارات من بلدة علار في وقت متأخر من يوم 23/ 09/ 2005م، حين تقدمت باتجاههم وحدات من الجيش الصهيوني مصحوبة بالوحدات الخاصة ليحدث اشتباك مسلح عنيف بين الأبطال الثلاث وبين العدو؛ ليرتقي إلى العلا الشهداء سعيد الأشقر وجميل بينما تمكن المجاهد رائد من الانسحاب إلى قريته صيدا، وما هي إلا فترة قصيرة حتى لحق بصاحبيه وتم التنكيل بجثامين الشهداء، وما أن طلع النهار حتى خرجت الجماهير الفلسطينية المجاهدة الحاشدة من بلدة علار والقرى المحيطة بها لتعد للشهيد جميل موكبًا يليق به، وتم حمل نعشه على الأكتاف والطواف به في شوارع وأزقة بلدة علار وسط هتافات تطالب سرايا القدس بالرد على هذه الجريمة.

وُضع جثمان الشهيد جميل في أحد مساجد بلدة علار؛ لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة عليه وسط هتافات التكبير، وترددت في سماء الوطن زغاريد العزة والكرامة، وبعد استشهاد المجاهد جميل واعتقال المجاهدين جمال وجلال بقي والدهما وحيدين إلا من الرعاية الإلهية لهما، ومرت الأيام ليعلم الوالدان الصبوران أن ولديهما جمال وجلال سيحكم عليهما بأحكام عالية جدًا، ومع ذلك وقف هذا الأب الصابر على استشهاد ابنه البكر واعتقال ولديه جمال وجلال وقفة شجاعة إلى جانب أبنائه في كل شيء، وفي كل الظروف حتى في قاعة المحكمة الصهيونية

حين أصدرت حكمًا بحق ابنه جمال بالسجن المؤبد بالإضافة إلى 8 سنوات، وبحق ولده جلال بالحكم 15 عامًا، ليشرب الأب كأس لوعة أسرهما، فلم يكن يزجر أولاده يومًا لأنهم كانوا مجاهدين مؤمنين بعدالة قضيتهم، ولم يشجعهم بشدة لخوفه عليهم، ولكن صمته أحيانًا كان إقرارًا منه ليواصلوا درب الجهاد والمقاومة، فكان هذا الأب وهذا الشيخ ابن السبعين عامًا مكافحًا وأبًا مثاليًا، ونموذجًا للعفة والطهر، يؤمن بأن الأرض ومن عليها هي لله، يورثها عباده الصالحين، ويؤمن بأن هذه الدنيا وهذه الحياة قصيرة جداً، وأنها رحلة يجب أن يعيشوها بكرامة، وإن أرادوا الرحيل عليهم أن يغادروها بكرامة، أما والدتهم أم جميل فقد ذاقت أقسى اللوعة ومعاني الألم والعذاب، وتحولت هذه المرأة المجاهدة المناضلة الصلبة بعد أن استشهد ولدها جميل واعتقل أخواه جمال وجلال وتعرفت على مراكز الصليب الأحمر لتمضي سنوات عمرها متنقلة من سجن لآخر لزيارة ابنيها، فكان المجاهد جمال يحن دومًا إلى وطنه وبلدته علار حنينه إلى صدر أمه، ويحن إلى كل ذرة تراب بها ويهزه الشوق والحنين إليها، تلك البلدة التي نما وترعرع فيها ولعب في أزقتها وحواريها وسهولها وجبالها، وأكل من خبز طابونها، ومن ثمار أشجارها إلى أن شب وعرف طريقه الجهادي. وكان ينتظر بشوق كبير لزيارة والديه ليأنس بهما وبرؤيتهما ويخبراه عن بلدته وهوائها وترابها، ويرى بهما حلم الحرية والانعتاق من ظلم المحتل الصهيوني، ليكون له زيارة في شهر يوليو (تموز) من العام 2017م.

جهز الأسير المجاهد جمال نفسه منذ أيام لهذه الزيارة وحضر نفسه، وجهز مادة الحديث التي ستدور بينه وبين والديه، وكيف أنه سيدخل عليهما الفرح والسرور بإخبارهما أنه هو وأخاه جلال قد أنهيا دراسة بكالوريوس التاريخ من جامعة الأقصى في قطاع غزة، وكيف أن جمال لا يزال متعلقًا بوالديه، وجاء موعد الزيارة، وخرج المجاهد جمال للقاء والديه فإذا بوالدته لوحدها حضرت لزيارته، فسلم عليها وقبل يديها ورأسها من خلف الزجاج، وسألها عن أبيه فاعتذرت منه وقالت له إن أباك يهديك السلام ويهديك قبلاته الحارة ويعتذر عن إلغاء زيارته كونه أصبح كهلًا لا يقوى على السفر.

والدة الأسير المجاهد/ جمال جعار
على موعد مع الحرية لأبنائها الأسرى

ولما انتهت الزيارة التي لا تتجاوز 45 دقيقة، وفرحت الأم برؤية ابنها المجاهد جمال فكانت بأجمل وأبهى مظهر، وأوصى حينها المجاهد جمال والدته بأن تخبر والده بأنه مشتاق لرؤيته، ويتمنى لقاءه عما قريب على أرض بلدة علار الصمود، وانتهت الزيارة وعاد المجاهد جمال إلى سجنه وغرفته وهو يحمل شعورًا ما بين الفرح لرؤيته والدته، وما بين الذي حصل بعدم حضور والده، وعادت الأم الصابرة من زيارة ولدها في سجن "ريمون" إلى طولكرم، ومنها إلى بلدتها علار؛ لتدخل بيتها

حاملة معها القبلات الحارة من ولدها جمال لأبيه. ودخلت عليه الغرفة لتجده جالسًا بانتظارها وعيناه صوب الباب ينتظر عودتها، فإذا به قد فارق الحياة وأسلم روحه لخالقها؛ لتحمله الملائكة لعلياء السماء، ومات وحيدًا كما بدأ حياته وحيدًا.

فسلام عليك يا أبا جميل يوم ولدت ويوم موتك ويوم تبعث حيًا؛ لتبقى هذه الأم الصابرة المحتسبة خنساء فلسطين تواجه المحن والتحديات وتقسم قلبها إلى قسمين، قسم مع زوجها الذي دفن إلى جانب فلذة كبدها الشهيد جميل، وقسم معلق بابنيها الأسيرين الذين فقدا والدهما ولم يتمكنا من رؤيته، وما أن علم المجاهد جمال بنبأ وفاة والده حتى أظلمت الدنيا بوجهه، ولم يعد يتحمل المصائب، ففي الماضي فقد أخاه الشهيد جميل واليوم يفقد سنده ورجل البيت الأول، فأي مصيبة هذه التي أصابت الإخوة جمال وجلال؟! ولم يتخيل المجاهد جمال أنه سيأتي يوم يأتي فيه الموت ليخطف والده منه، هذا الوالد الذي عاش المجاهد جمال سنوات عمره وكبر وترعرع في ظل رعايته، ولم يكن يشعر أنه قد كبر في حياة والده بل كان يشعر بنفسه أنه لا يزال طفلًا، مرجعيته الأولى والأخيرة هو والده، فهو ولي أمره وصديقه ومرشده، وكان قد تمنى لو أن هذا الموت رجل ليقتله دون أي تردد، كان هذا الأب الراحل بالنسبة للمجاهد جمال هو ملاذه وصديقه، وكان يكبر أمامه شيئًا فشيئًا ويبث له أحزانه وأفراحه دون غيره، يتفهم آلامه وأحزانه وأفراحه ومواجعه، ولم يكن المجاهد جمال أمام هذه المصيبة إلا أن يقول: "آه يا منبع الجراح، آه يا جرحي الذي لا يبرأ، يموت أبي وأنا بحاجة ماسة إلى الكثير من الإجابة عن أسئلة لا يستطيع أحد الإجابة عليها سواه، آه يا من جسمك موت لا أشقى، أقف أمامك مكتوف اليدين ومعقود اللسان لا حول لي ولا قوة، لا أستطيع مواجهتك ولا التصدي لك، فقد هزمتني، ولكني أعدك أيها الموت بأنه قد مضي زمن الموت، وجاء زمن الحياة، هذه الحياة التي قال عنها رب العزة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169].

وما عزاء مجاهدنا البطل جمال إلا ذلك القول المأثور لأحد الكتاب بأنه من عرف حلاوة الأجر هانت عليه مرارة الصبر، والعاقل الفطن له في كل ما يرى من حوله عبرة، فهو يرى أنه ما ابيض وجه رغيف حتى اسود وجه خبازه، وما علت اللآلئ الأعناق إلا بمعاناة الغوص في الأعماق، ومن سهر الليالي بلغ المعالي، ومن استأنس بالرقاد استوحش يوم الرقاد، ولا يحل لحم الغزال دون ذبحه، ولا يطيب إلا بأن يصلي النار، وفي إضاءة الشمعة إفناء لنفسها، وكلما طال سفر القافلة عظم ربحها، وإذا كانت السلعة غالية فقد رامت همًا عالية، صاح بها أستاذ الصبر الأول محمد صلى الله عليه وسلم ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة.

أعان الله مجاهدنا البطل جمال، وأعان أخاه جلال، وأعان والدتهما الصابرة المحتسبة، فهذه العائلة هي أنموذج من نماذج التضحية والفداء، فلا ندانيهم في سمو أخلاقهم وأعمالهم الجهادية، قدموا أغلى ما يملك الإنسان، قدموا الشهيد وقدموا الأسير، ولا تزال النار مشتعلة هي نار واحدة مستعرة، هي نار الجهاد المقدس التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

الأسير المجاهد
إياد محمد أحمد أبو الرب

الراعي المجاهد

تاريخ الميلاد: 1974/05/20م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: قرية جلبون - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 9

تاريخ الاعتقال: 2005/11/24م

الحكم: 8 مؤبدات

نقف اليوم للحديث عن أحد المجاهدين الأبطال الذين استعذبوا مشقة الطريق، ووجدوا لها حلاوة أذهبت ألمه ووعورته وصعوبته وعذابه، بل حولت العذاب متعةً والمر حلوًا والصعب سهلًا والغالي رخيصًا، إنه الأسير المجاهد إياد أبو الرب.

وُلد المجاهد البطل إياد في قرية جلبون بمحافظة جنين التي عندما تقف على جبالها وتسير في وديانها تشم رائحة العطور الجميلة القادمة من بيسان، وهل هناك أجمل وأبهى وأزهى من مدينة بيسان المحتلة؟ وهل هناك أجمل وأعذب من بيسان اسمًا لجنائن النخيل؟ فكانت قرية المجاهد إياد أبو الرب (جلبون) شقيقة بيسان، بل هي توأم روحها، فما أن تبدأ الشمس بالتسلل من أطراف سهولها حتى تلامس أشجار النخيل الشامخة في مدينة بيسان ليمتزج الحنين بالدموع.

الميلاد والنشأة

فهناك ولد المجاهد إياد أبو الرب، وهناك ترعرع وعاش طفولته وشبابه بين سهولها وجبالها ووديانها، وهناك كان يرعى الغنم لعائلته الفقيرة والبسيطة، وهناك كان يتجذر بالأرض التي يسير عليها خوفًا من استيلاء قطعان المستوطنين

الصهاينة عليها ولاسيما وقد أصبحت قرية جلبون محاطة بعدة مستوطنات، كما عاش المجاهد إياد مرارة الألم والحزن على ضياع أراضي وسهول بلدته، والتي لا يزال يذكر كل شبر فيها، وبضياعها انقطعت عنها خيوط الشمس، وتم استبدالها بالأسلاك الشائكة لمنع العبور من القرية إلى داخل الأراضي المحتلة عام 1948م.

دوره في الانتفاضة الأولى واعتقاله

وما أن بدأت الانتفاضة الفلسطينية الأولى في العام 1987م حتى أدرك المجاهد إياد رغم عدم تجاوز عمره حينها الثلاثة عشر عامًا؛ بأن هذه الانتفاضة الفلسطينية بفعالياتها ونشاطها وقوة جماهيرها وأفعالها ستعيد البسمة الحزينة للقرية، وسيعود لشم رائحة اللوز والزيتون والليمون والبرتقال، فقرر المشاركة في فعالياتها إلى جانب أشبال الانتفاضة الفلسطينية، وقرر الالتحاق بصفوف حركة فتح وكان حريصًا على تنفيذ كل ما يطلب منه؛ من كتابة الشعارات إلى رمي الحجارة والمشاركة في المسيرات الجماهيرية؛ إلى تعليق الأعلام الفلسطينية على أعمدة الكهرباء، وإلى قطع الكهرباء عن قرية جلبون حين يقتحمها جنود العدو ليلًا، فما كان يمر يوم من أيام التصعيد ضد العدو الصهيوني إلا وتجد المجاهد إياد في مقدمة الصفوف.

ولذلك أقدم الجيش الصهيوني على اعتقاله وكان عمره لا يتجاوز سبعة عشر عامًا، وتم اقتياده إلى سجن الأشبال في سجن "تلموند" الصهيوني في منطقة "الشارون"، إلى جانب صديقه ورفيق دربه منذ الطفولة المجاهد مازن أبو الرب. وإضافة إلى رمي الحجارة قاما بحرق الأحراش الصهيونية بالقرب من المستوطنات الصهيونية المقامة على أراضي قرية جلبون، معتقدين أن هذا الأمر سيؤدي إلى هجرة المستوطنين وإعادة الأرض المسروقة بقوة العنجهية الصهيونية. وتم محاكمتهما في محاكم عسكرية صهيونية ظالمة، حيث حكم على كل منهما لمدة ثلاث سنوات ليعيشا معًا حياة جديدة في سجون الاحتلال، ملؤها الصبر والصمود وتحدي قهر السجان الذي حاول مرارًا وتكرارًا كسر إرادة المجاهدين الصديقين إياد ومازن؛ إلا أن صداقتهما وصحبتهما المبنية على أساس متين ووطني جعلت منهما سدًا قويًا في وجه السجان. وصدق فيهما قول الشاعر:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينِهِ
فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي

وما أن كبر المجاهد إياد قليلًا حتى قامت مصلحة السجون بنقله من سجن "تلموند" إلى سجن جنين المركزي، ومن ثم إلى سجن نابلس، وتم استقباله هناك استقبال الأبطال الشجعان لاسيما أنه كان أصغر مناضل في تلك السجون، ولذا حرص كوادر وقادة الحركة الأسيرة وخاصة حركة فتح على الاهتمام والعناية بالمجاهد إياد، ليواصل مشواره الكفاحي والنضالي والثوري عبر تعلم تاريخ القضية الفلسطينية، وتاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، وماهية منظمة التحرير وماهية مبادئ حركة فتح، ليتم صقل شخصية المجاهد إياد وتأسيسه وطنيًا وثوريًا لمرحلة نضالية جديدة في المستقبل.

وعلى الرغم مما قدمته حركة فتح للمجاهد إياد، والذي لا يزال شاكرًا لها إلا أنه في داخل السجن تعرف على قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي، وخاصة في سجن جنين المركزي، وبعد أن تعرف عليهم اقترب أكثر فأكثر وقرأ كتبهم ودراساتهم، وفهم أفكارهم وأراد حينها الانتقال إلى حركة الجهاد الإسلامي، ولصعوبة عملية التحويل من تنظيم لآخر داخل السجن قرر أن يؤجل ذلك إلى حين تحرره من الأسر.

حاول المحتل الصهيوني أن يكون السجن مقبرة للرجال إلا أن سواعد وقادة الحركة الأسيرة من كافة الفصائل الفلسطينية حولوا السجون إلى مدارس وجامعات ومصانع للرجال الذين لا يهابون الموت كأمثال المجاهد إياد أبو الرب، وما هي إلا فترة من الزمن حتى أعلن رئيس الحكومة الصهيونية رابين أنه ينوي الإفراج عن أسرى ومعتقلين في العام 1994م؛ كبادرة حسن نية تجاه الشعب الفلسطيني بعد المجزرة الصهيونية في الحرم الإبراهيمي وتشجيعًا لعملية السلام على حد زعمه.

الأسير المجاهد/ إياد أبو الرب
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

كان المجاهد إياد ضمن الأسماء التي تم الإفراج عنها؛ ليعود إلى حضن قرية جلبون وسط عائلته وأهله وأحبابه، وما هي إلا أشهر حتى جاءه طلب استدعاء إلى مدينة أريحا للحصول على دورة عسكرية في جهاز الاستخبارات العسكرية التابع للسلطة الفلسطينية؛ ليتخرج منها موظفًا في ذلك الجهاز، وبدأ يقدم المساعدة لكل من يطلبها منه بدون أدنى تمييز بين الناس، فكان على علاقة جيدة مع الجميع، وفي العام 1996م عندما اندلعت انتفاضة النفق ونزلت الجماهير الفلسطينية إلى الشوارع وقف المجاهد إياد إلى جانب الجماهير رافضًا الانصياع إلى قادة الأجهزة الأمنية، واتخذ قراره النهائي في العام 1999م بالاستقالة من وظيفته في السلطة الفلسطينية رغم وضعه المادي الصعب إلا أن الله عز وجل لا يتخلى عن عباده فأبدله خيرًا منها عبر أعمال مختلفة تعود عليه بالربح الوفير.

لم يكن المجاهد إياد أبو الرب ليشعر بالندم على تركه العمل في جهاز الاستخبارات العسكرية؛ لأنه تعلم على يد والديه بأن الظلم ظلمات وأن الالتزام بالدين أهم شيء في حياة الإنسان؛ فكان يرى عبر بصره وبصيرته ما آلت اليه الأوضاع الفلسطينية من حالة الانحلال الأخلاقي؛ وأدرك المجاهد إياد بأنه حين تضيع المعاني فيرى أتباع السلاطين عنف الظالمين عدلًا ويرون باطلهم حقًا، وصراخ المستضعفين تمردًا ومطالبتهم بحقوقهم ظلمًا

والوقوف مع الحركات الإسلامية ضد الظالمين المحتلين للأرض والإنسان شرًا، كما تصبح حقوق الناس مخدرًا وأباطيل الظالمين مقدسة، وتختل الموازين؛ فالمعروف منكر والمنكر معروف، ولذلك كان قرار المجاهد إياد صائبًا بتركه العمل في السلطة الفلسطينية، وأراد أن يبقى بعيدًا عنهم وعن كل شيء يتعلق بعملية السلام، وألزم نفسه بأن يعيش في داخل الوطن الذي رسم ملامحه بريشته منذ أيام الطفولة عندما كان يهوى الرسم، ولذلك قرر ألا يشاركه أحد في الوطن المخزون في ذاكرته، وكانت قناعاته واجتهاداته أن العملية السلمية سيكون مصيرها الفشل، وأن الشعب لابد له من الثورة على كل المفاهيم والظالمين للوصول إلى الحرية، ورأى ذلك قد تجسد على أرض الواقع باندلاع انتفاضة الأقصى المباركة في سبتمبر (أيلول) من العام 2000م، إلا أنه آثر عدم المشاركة إلى جانب الفصائل الفلسطينية في هذه الانتفاضة، بل أراد أن يعمل وحده ضد العدو الصهيوني للحفاظ على السرية المطلقة في العمل، وكان دومًا يتابع أحداث الانتفاضة الفلسطينية أولًا بأول؛ ليكتشف أن السلطة الفلسطينية رغم اندلاع الانتفاضة الفلسطينية بكافة فعالياتها ونشاطاتها كانت تصرح أنها ملتزمة بعملية السلام، وأنها تبذل كل جهد ممكن لمنع عمليات المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، وقد لاحقت المجاهدين لتزج بهم في سجونها، وأنها تحاول إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه سابقًا.

لذلك كان المجاهد إياد في حالة من الإرباك ما بين الإقدام على العمل في الانتفاضة إلى جانب المجاهدين وما بين الإحجام عنها خوفًا مما تقوم به السلطة والأجهزة الأمنية من اعتقالات ومحاولات لإجهاض الانتفاضة الفلسطينية، وبقي على هذه الحالة لفترة من الزمن، إلى أن أدرك هذا المجاهد عبر إعادة التفكير جيدًا في شريط الأحداث الماضية أنه أمام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث جاء رجل إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله إن القوم قد جمعوا لك عددهم وعدتهم، وأرى أن تستقبل أمرك بشيء من الحذر والخشية"، فنظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عرش الله، فإذا قوة ساحقة ماحقة، لو توجهت إلى كل من في الأرض وما في الأرض جميعًا لجعلته هباء، فزاد إيمانه صلى الله عليه وسلم بالله، وقال: حسبنا الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:173].

انتماؤه إلى حركة الجهاد الإسلامي

وعلم المجاهد إياد أبو الرب أنه قد أخطأ خطأ جسيمًا عندما تأخر في مشاركة المجاهدين الجهاد ضد العدو الصهيوني حتى لو كان ذلك مخالفًا لما كان مقتنعًا به، فأدرك بحسن وعيه أنه في تلك الفترة قد تقاصرت الهمم وخارت العزائم، وأنه كان من الممكن أن يرضى بالدون في كل شيء، ولكن رعاية الله وحفظه للمجاهد إياد كانت بمثابة هدية الله لهذا المجاهد، فشعر حينها أنه انتصر في هذه اللحظة ولو إلى حين على ثقافة التراجع وثقافة الهزيمة المتفشية في مواعظ النخب العربية التي حولت مفهوم الحرية والتضحية إلى مادة للسخرية. فمكنّه الله عز وجل

بأن يكون إلى جانب المجاهدين في ميدان المواجهة مع العدو الصهيوني مؤمنًا أن العمل الفردي غير مجدٍ، ولابد من العمل الجماعي وأن يد الله مع الجماعة؛ لذلك وتبعًا لميوله إلى حركة الجهاد الإسلامي منذ أن كان في السجن في بداية تسعينيات القرن الماضي توجه إلى أحد كوادر سرايا القدس في مدينة جنين وهو المجاهد أمجد عبيدي، حيث كان على علاقة طيبة معه في سجون الاحتلال، ومن خلاله بدأ العمل الجهادي العسكري في سرايا القدس ليتمكن بعدها من التعرف على أحد أبرز قادة سرايا القدس في جنين المجاهد صالح جرادات الذي قدم له كل ما يلزم للمقاومة من مال وسلاح وذخيرة.

وفي تلك الفترة قام الشاباك الصهيوني باغتيال قائد سرايا القدس في جنين المجاهد صالح جرادات بتاريخ 12/ 06/ 2003م، فقرر المجاهدان أمجد عبيدي وإياد أبو الرب الرد السريع على استشهاد المجاهد صالح جرادات،

الشهيد القائد/ صالح جرادات
استشهد بتاريخ 12/ 06/ 2003م

وأخذ المجاهد إياد أبو الرب عهدًا على نفسه أن يكون أول من يرد على هذه الجريمة حيث توجه إلى إحدى المستوطنات الصهيونية القريبة من قرية جلبون، وقام برصد إحدى الدوريات الصهيونية، ووجه إليها الرصاص المصحوب بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]؛ ليوقع بها الأضرار الجسيمة والإصابات ردًا على اغتيال المجاهد الكبير صالح جرادات، كما أتبعتها سرايا القدس بعملية استشهادية أخرى حيث استطاع المجاهدان أمجد عبيدي وإياد أبو الرب الإعداد والتخطيط لعملية نوعية في قلب الكيان الصهيوني.

عملية بيسان الاستشهادية

ما أن مضى أسبوع على اغتيال المجاهد صالح جرادات حتى كانت استعدادات المجاهدين للعملية جاهزة على أكمل وجه، فقد تمكن المجاهد أمجد عبيدي من إحضار الاستشهادي أحمد علي مفلح عباهرة من بلدة اليامون بمحافظة جنين عبر وحدة الاستشهاديين في سرايا القدس وقام بتصويره وتزويده بشنطة متفجرات شديدة الانفجار، ليقوم المجاهد نهار السعدي بإيصاله من مدينة جنين إلى قرية جلبون، وهناك كان بانتظاره المجاهد إياد أبو الرب ليقوم بدوره بنقل المجاهد الاستشهادي أحمد عباهرة إلى موقع العملية في مدينة بيسان المحتلة وكانت هذه العملية من المهمات المستحيلة والصعبة، ولكن إرادة وعزيمة

وإصرار المجاهد إياد لا يمكن أن يقف أمامها المستحيل. وانطلق متوكلًا على الله عز وجل، بصحبة الاستشهادي أحمد سيرًا على الأقدام، وقبل خروجهما من قرية جلبون أحضر المجاهد إياد من بيته شنطة كبيرة وضع بها زجاجات من الماء وكمية من الموز لتعينهم على تعب الطريق، ولما وصلا إلى مكان العبور من قرية جلبون إلى داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، قام المجاهد إياد بإخراج سلاح العملية وهو من نوع كلاشينكوف وذخيرة كان قد تم تأمينها في تلك المنطقة، وما أن حل الظلام حتى قررا الاستراحة تحت شجرة زيتون وتناولا تحتها الطعام والشراب، وصليا صلاة العشاء جماعة، وانطلقا بعدها سيرًا على الأقدام نحو مكان تنفيذ العملية في مدينة بيسان.

وبدأ المجاهدان يصعدان الجبال، من جبل وعر إلى جبل أكثر وعورة، وسط تعب ومشقة بالغة لا يمكن لأحد تحمل صعابها، ولاسيما أن ذلك اليوم كان يومًا من أيام الصيف شديد الحرارة بتاريخ 18/ 06/ 2003م، ولما نزلا من أحد الجبال كان أمامهم سهل كبير في آخره توجد مستوطنة زراعية وموقف للحافلات الصهيونية التي تقل المستوطنين والجنود الصهاينة من بيسان إلى قلب الكيان الصهيوني، وما أن اقتربا من الموقع حتى توقفا عن السير، وجلسا للاستراحة تحت الشجر في مدينة بيسان المحتلة، وما أجملها من لحظات على المجاهد إياد أبو الرب الذي لأول مرة في تاريخ حياته يسير على قدميه في داخل الأراضي المحتلة وهو يحمل سلاحه على كتفه، ويدوس الأرض ومن عليها معلنًا للعدو الصهيوني بأن هذه الأرض لنا، والشجر لنا، والهواء لنا، والنصر لنا، لا للظلمة، فكانت لحظات عز للمجاهد إياد.

الاستشهادي/ أحمد عباهرة
استشهد بتاريخ 19/ 06/ 2003م

وما أن اقتربا من موقع العملية حتى قام المجاهد إياد بتوديع الاستشهادي أحمد عباهرة الذي كان ينتظر بلهفة وشوق كبير الجنة، فقبله المجاهد إياد وطلب منه أن يدعو له وللمجاهدين وأن يكون حذرًا عندما يبزغ الفجر، وعاد المجاهد إياد إلى قرية جلبون ليصل إليها مع أذان الفجر الأول من يوم 19/ 06/ 2003م، وتوجه إلى المسجد مباشرة لصلاة الفجر التي لم يكن يغيب عنها، فما أن رآه المصلون بحالته التي كان عليها حيث إن ملابسه متسخة وعليها آثار للغبار والتراب، وكأنه كان يعمل في إحدى ورشات العمل حتى أدركوا أنه كان في مهمة جهادية، وسلموا عليه ودعوا له الله أن يحفظه ويوفقه في جهاده ومقاومته.

لقد كان فكر المجاهد إياد وعقله وروحه باتجاه مدينة بيسان المحتلة، تطوف حول المجاهد الاستشهادي أحمد عباهرة الذي كان يختبئ بين الأشجار الكثيفة القريبة من موقع العملية، حيث افترش الأرض والتحف السماء، ووقف يصلي صلاة الفجر آخر صلاة يصليها في هذه الدنيا الفانية، وما أن طلع الصباح حتى جهز البطل أحمد نفسه وتوجه إلى محطة الحافلات الصهيونية ليصعد إلى إحداها، وانتظر فترة من الزمن حيث كانت الساعة الثامنة صباحًا، ولطول انتظاره أثار منظره ولا سيما أنه يحمل شنطة المتفجرات الشك والريبة للمستوطنين هناك، فتقدم إليه أحدهم لمعرفة هويته وعندها أخذ الاستشهادي أحمد القرار الصائب وقام بتفجير نفسه في المكان وهو يصرخ بأعلى صوته: "اللهم تقبل مني.. اللهم تقبل مني". موقعًا قتيلًا صهيونيًا وأصاب ستة آخرين حسب إدعاء إعلام العدو الصهيوني. وازداد إيمان المجاهد إياد أن من يُقبل على الله عز وجل ويبذل الجهد والمشقة والتعب في سبيل الله، فإن الله سيجزيه على ذلك الأجر العظيم، ولا أعظم من أجر الشهيد، مستذكرًا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة: 120].

وأعلنت سرايا القدس أن هذه العملية تأتي ردًا على استشهاد القائد في سرايا القدس صالح جرادات، وأن القتيل الصهيوني هو الصديق الحميم للمجرم أرئيل شارون الذي ذرف دمعه عليه ليعلم الإرهابي شارون بأن سرايا القدس مستمرة في جهادها وعملياتها الاستشهادية حتى يتحرر الشعب الفلسطيني من براثن العدو الصهيوني، ونتيجة لما حدث قام العدو الصهيوني باقتحام قرية جلبون بحثًا عن المجاهد إياد أبو الرب.

مطاردة القوات الخاصة له

قرر المجاهد إياد أن يتوجه إلى بلدة قباطية في جنين ليكون إلى جانب أبطال سرايا القدس هناك حيث ساندهم في خوض الاشتباكات المسلحة ضد العدو الصهيوني، مما أدى لاجتياح صهيوني لبلدة قباطية، فانتقل المجاهد إياد إلى بلدة برقين ليكون في حضرة المجاهد إسماعيل أبو شادوف أحد أبرز قادة سرايا القدس الذي قدم له العون والأمن والطعام والشراب والمال والمبيت والحماية بصفته قائد سرايا القدس في بلدة برقين، وفي أحد الأيام في القرية أراد المجاهد إياد الخروج من المكان الذي يتواجد به، فإذا بسيارة حمراء اللون بها عدد من الشباب، فأدرك المجاهد إياد بخبرته وحنكته العسكرية بأن هؤلاء هم من القوات الخاصة الصهيونية، فقام المجاهد إياد بسحب الأقسام لسلاحه استعدادًا للمواجهة، وما أن سمعوا صوت سحب الأقسام حتى علموا أنهم قد اكتشف أمرهم فلاذوا بالفرار من المكان، وتوجه بعدها المجاهد إياد لصلاة العشاء ليجتمع بأخيه المجاهد محمد عتيق وطلب منه أن يؤمّن له طعام العشاء، وما أن جلسا لتناول العشاء حتى جاء خبر بأن هناك سيارة من نوع فلوكس فاجن تثير الشبهة في بلدة برقين، ولم يتمكن أحد من التعرف على من فيها، فعلم حينها المجاهد إياد أن القوات الخاصة الصهيونية قد عادت مرة أخرى،

الأسير المجاهد/ إياد أبو الرب
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

ويبدو أنهم مصرون على اعتقاله أو اغتياله وقرر حينها الخروج لمواجهتهم وجهًا لوجه، فحمل سلاحه وبدأ يبحث عن هذه السيارة وما أن وقع بصره عليها ومن مسافة صفر قام بإطلاق النار باتجاههم ليقتل أحد ضباط القوات الخاصة، ويصيب من بها بجراح مختلفة. وإذا بالمكان قد تحول إلى ثكنة عسكرية تعجّ بمئات الجنود الصهاينة الذين جاءوا لإسعاف جنودهم، وعندها تمكن المجاهد إياد من مغادرة المنطقة باتجاه أحد الجبال الذي يطل على تلك المنطقة. وأعلن العدو الصهيوني عن فشل محاولة اغتيال المجاهد إياد أبو الرب وأنهم تلقوا ضربة قوية بمقتل أحد ضباطهم، وأعلنوا عن انتهاء العملية والانسحاب من بلدة برقين يجرون أذيال الهزيمة بعد فشلهم الذريع بتحقيق هدفهم وهو اعتقال أو اغتيال المجاهد إياد.

الاحتلال يهدم بيت عائلته

وهنا أدرك أن أفضل مكان للاختباء به هو نفس المكان الذي كان يتواجد به، فعاد إليه مع بزوغ الفجر. ومن الطريف ذكره أن الطعام الذي كان قد تم إحضاره له ليكون وجبة العشاء بالأمس أصبح طعام فطور للمجاهد إياد أبو الرب، ليجده كما هو وعلى حاله لم يتغير لونه أو طعمه فكأنها كرامة من الله تعالى للمجاهد إياد، وهنا جاء الخبر الأصعب عليه وهو نبأ هدم منزله على يد الجيش الصهيوني وأن عائلته افترشت الأرض والتحفت السماء، وخيم على العائلة الحزن العميق والكبير، ولكن هيهات هيهات من سرايا القدس الذلة، فليست سرايا القدس ولا كوادرها ولا قادتها الذين يتخلون عن عائلات المجاهدين، حيث سارعت سرايا القدس لنجدة هذه العائلة بتعويضها ماليًا عن هدم المنزل، وأمنت لهم المبيت والطعام والشراب وكل ما يلزم لهم؛ ليصمدوا في وجه العدو الصهيوني في وجه هذه المحنة الصعبة والمؤلمة، فهذه هي أخلاق سرايا القدس في فلسطين، وهذه هي مدرسة السرايا، المدرسة المحمدية الجهادية الإيمانية. فمن مدرسة الإيمان والسرايا تخرج المجاهد الشهيد إياد حردان والشهيد إياد صوالحة والشهيد محمد سدر والشهيد رياض بدير، ومنها تخرج أسرى سرايا القدس المرابطون في سجون العدو الصهيوني منذ سنين.

انتقاله إلى بلدة برقين

لقد أكرم الله المجاهد إياد بعد هذه البطولة في بلدة برقين بمجاهدين حضروا إليه لاصطحابه إلى أحد المنازل الآمنة في مدينة جنين والمجهز بكل مستلزمات الحياة اليومية، وليكون نقطة الالتقاء مع قاده السرايا في مدينة جنين حيث استطاع القائد البارز في سرايا القدس في جنين وليد العبيدي عقد اجتماع بين المجاهد إياد وبين القائد العام لسرايا القدس نعمان طحاينة الذي أهدى للمجاهد إياد قطعة سلاح (M16) تقديرًا لجهوده وجهاده المشرف، بالإضافة إلى تزويده بخط للتواصل مع قيادة الحركة في الخارج، وأصبح القائد نعمان طحاينة يعتمد في الكثير من الأمور الجهادية على المجاهد إياد، سواءً كان لشراء السلاح أو إحضار الاستشهاديين أو تقديم المساعدة لأبناء السرايا في مدينة جنين وقراها، فتعمقت العلاقة بين المجاهدين نعمان وإياد أكثر فأكثر.

وكان القائد نعمان يرى في إياد الرجل الصالح، والتقي والورع، ومن المفيد ذكره هنا أن المجاهد إياد ومنذ صغره كان يرى في منامه رؤى كثيرة، ومعظمها كانت تتحقق، ومما يجدر ذكره أيضًا أنه في أحد الأيام رأى رؤيا مفادها أن هناك دماء تسيل ورؤوسًا تقطع وقتلى كثيرين في حي يسمى بحي الزيتون، ويُقتل بها ستة جنود صهاينة، وتتحقق رؤيا المجاهد إياد فأصبح بعدها القائد نعمان ما أن يرى المجاهد إياد حتى يسأله عن آخر رؤيا رآها.

ونتيجة للثقة العالية بين المجاهدين قرر القائد نعمان طحاينة أن يُعَلم المجاهد إياد أبو الرب تصنيع المتفجرات وصناعة الأحزمة الناسفة، والشنطات المتفجرة وكيفية زرع العبوات الناسفة، وكان ذلك في منتصف العام 2004م، حيث شرع المجاهد إياد بتنفيذ العديد من الاشتباكات المسلحة ضد الدوريات الصهيونية التي كانت أعدادها تزداد يومًا بعد يوم في شوارع مدينة جنين، وكان لابد من كبح جماح هذه الدوريات الصهيونية، عبر تفجير العبوات الناسفة وإطلاق النار وبدعم كامل من قبل القائد العام لسرايا القدس نعمان طحاينة، وتركز العمل الجهادي في تلك المرحلة من قبل سرايا القدس على عمليات إطلاق النار وزراعة العبوات الناسفة وشراء السلاح وصناعة المتفجرات وتأمين منازل لإيواء المجاهدين والمطاردين في جنين.

استشهاد قائد السرايا نعمان طحاينة

وما هي إلا أشهر حتى تم اغتيال القائد العام لسرايا القدس في مدينة جنين نعمان طحاينة بتاريخ 13/ 07/ 2004م؛ ليجد أبناء سرايا القدس أنفسهم في حالة صعبة باستشهاد قائدهم ومعلمهم ومرشدهم، وكيف لا يكون ذلك وقد بكته السموات السبع والأرضون السبع؟ كيف لا ولم يحمل المجاهد نعمان على أكتافه عبء أمانة أجداده وآبائه وعبء المجاهدين والمقاتلين والشهداء والأسرى والجرحى والصالحين من بني البشر فحسب، بل استطاع حمل عبء المسئولية الكبرى في البحث وتقصي الحقائق والعدالة والمقاومة التي فُرضت على كاهل المستضعفين والمظلومين على مرّ العصور،

فكان يشعر بها كأنها الأمانة ذاتها التي حملها الشهيد الأمين العام لحركه الجهاد الإسلامي في فلسطين الدكتور فتحي الشقاقي قبل أن يحملها الدكتور رمضان شلح الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي فلسطين _حفظه الله_، لذلك قرر مجاهدو سرايا القدس في كل أنحاء الضفة العمل الدؤوب لإعادة السرايا إلى سابق عهدها، بعملياتها الاستشهادية القوية والتي زلزلت الأرض من تحت أقدام بني صهيون.

كان العام 2004م، عامًا شديدًا على سرايا القدس في الضفة الغربية التي لم تتمكن فيه إلا من تنفيذ سوى ثلاث عمليات استشهادية، الأولى كانت بتاريخ 11/ 01/ 2004م، والتي نفذها الاستشهادي إياد بلال المصري من مدينة نابلس حيث فجر نفسه في دورية عسكرية على طريق جنين نابلس، والعملية الثانية كانت بتاريخ 22/ 02/ 2004م نفذها المجاهد الاستشهادي محمد عيسى زعول من قرية حوسان في مدينة بيت لحم حيث نفذ عملية استشهادية في مدينة القدس المحتلة، والثالثة كانت بتاريخ 04/ 07/ 2004م، والتي نفذها الاستشهادي ثائر رمضان من قرية تل في مدينة نابلس، وكان الشهيد المجاهد ثائر من أبرز قيادات سرايا القدس في مدينة نابلس، وأخذ على نفسه عهدًا بتنفيذ العملية بنفسه بواسطة إطلاق نار على إحدى المستوطنات المحيطة بمدينة نابلس.

الشهيد القائد/ لؤي السعدي
استشهد بتاريخ 24/ 10/ 2005م

وحتى نهاية العام 2004م قام المجاهد إياد أبو الرب بإعداد الأحزمة الناسفة وصناعة كمية كبيرة من المتفجرات، ليحاول أن يسد الفراغ الذي تركه الشهيد القائد نعمان طحاينة. وشاء الله -عز وجل- أيضًا أن يُكرم سرايا القدس بمجاهد قوي ذي خبرة وحنكة عسكرية، آمن بالخط الجهادي المسلح، وأصر على حمل لواء الجهاد؛ ليسير على نهج المعلم القائد الشهيد نعمان طحاينة، وهو المجاهد لؤي السعدي من مدينة طولكرم، والذي تحرر من الأسر بصفقة حزب الله في تبادل الأسرى في العام 2004م، حيث تعرف على المجاهد إياد أبو الرب في بلدة قباطية في مدينة جنين، واتفقا على الارتقاء بواقع سرايا القدس في مدينتي طولكرم وجنين عبر التنسيق بينهما وتبادل الخبرات والكفاءات، والأهم أنهما اتفقا على أن تكون العمليات الاستشهادية مشتركة بين جنين وطولكرم حيث تقوم سرايا القدس في مدينة جنين وعبر المجاهد إياد بتجهيز المتفجرات والأحزمة الناسفة والشنطات، بينما تقوم سرايا القدس في مدينة طولكرم بتجنيد الاستشهاديين ليكون العام 2005م هو عام سرايا القدس بامتياز.

عملية نادي "ستيج" الاستشهادية

قرر المجاهد لؤي السعدي بأن يفتتح العام 2005م بعملية استشهادية ليعيد قوة سرايا القدس إلى ما كانت عليه، طالبًا من المجاهد إياد تجهيز حزام ناسف شديد الانفجار قام بنقله إلى مدينة طولكرم، حيث تم تجنيد أحد الاستشهاديين وهو المجاهد عبد الله سعيد بدران من قرية دير الغصون في طولكرم، وبعد أن أتم المجاهد لؤي السعدي وأبناء مجموعته الاستعدادات واللمسات الأخيرة على هذه العملية والهدف المنشود في مدينة "تل أبيب" الصهيونية، كان لابد من اتخاذ قرار بتفعيل العمليات الاستشهادية من قبل القيادة العسكرية لحركة الجهاد الإسلامي في الخارج حيث كان هناك عائق أمام المجاهد لؤي السعدي وهو وجود قرار من قيادة الحركة في الخارج بتجميد العمليات الاستشهادية بسبب انعدام الخبرة الكافية في تلك الفترة، ولاسيما بعد فشل بعضها في العام 2004م، واعتقال من كان سينفذها، والسبب الآخر هو أن محادثات الفصائل الفلسطينية في القاهرة قد بدأت بحضور رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، وتم الاتفاق على هدنة مؤقتة بين الفصائل الفلسطينية وبين العدو الصهيوني بحيث يتم وقف العمليات الاستشهادية من قبل المقاومة الفلسطينية، ويقوم الاحتلال الصهيوني بوقف عمليات الجيش ضد أبناء الشعب الفلسطيني والفصائل الفلسطينية.

وما أن أجرى المجاهد لؤي السعدي الاتصال مع القيادة العسكرية للحركة في الخارج، وطلب منهم الإذن بتنفيذ العملية الاستشهادية حتى وجدهم يقولون بأننا لا نهتم بمسألة الهدنة فهي مجرد كلام ووهم ولا تلزمنا بشيء، وأنه لا مانع لدينا من استئناف العمل الاستشهادي، بشريطة الإعداد الجيد، وأقدم حينها القائد لؤي السعدي على تنفيذ القرار بإرسال العملية إلى حيز التنفيذ، وانطلق المجاهد عبد الله بدران من مدينة طولكرم بصحبة من قام بتوصيله من المجاهدين إلى مدينة "تل أبيب" الصهيونية ودخل إلى نادي "ستيج"

الصهيوني وقام بتفجير نفسه لتسفر العملية عن قتل خمسة صهاينة وإصابة العشرات بجراح، وفرح مجاهدو سرايا القدس بهذه العملية التي أعادت الاعتبار للمقاومة الفلسطينية وللسرايا في الضفة الغربية؛ ليكون يوم 25/ 02/ 2005م يومًا من أيام الله، ثم يومًا من أيام البطولة لسرايا القدس،

الاستشهادي/ عبد الله بدران
استشهد بتاريخ
25/ 02/ 2005م

ولاسيما أن هذه العملية جاءت في زمن التراجع والنكوص والتخاذل، وفي زمن الانزلاق نحو التهدئة وتجديد المفاوضات مع العدو الصهيوني، فجن جنون العدو الصهيوني الذي طالب رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس باعتقال المجاهدين الذين يقفون وراء هذه العملية، ولم ينتظر الشاباك الصهيوني قيام السلطة الفلسطينية بهذه المهمة حيث نفذ الجيش الصهيوني حملة اعتقالات طالت عشرات المجاهدين من حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية بالإضافة إلى اغتيال العديد من المجاهدين، ومنهم المجاهد محمد عبد اللطيف حسن خليل من سكان بلدة عتيل بمحافظة طولكرم بتاريخ 10/ 03/ 2005م، وعلى أثر هذا الاغتيال قرر قادة وكوادر وأبناء سرايا القدس في طولكرم وتحديدًا مجموعة المجاهد لؤي السعدي وهم معتز أبو خليل وعلي عبد اللطيف خليل شقيق المجاهد الشهيد محمد، ومعتصم رداد وغيرهم من المجاهدين الانتقال إلى مدينة جنين لمواصلة مسيرة الجهاد والمقاومة.

اغتيال العدو للقائد لؤي السعدي وثأر السرايا له

بدأ المجاهد إياد أبو الرب تعليم المجاهد معتز أبو خليل على تصنيع المتفجرات وصناعة الأحزمة الناسفة واكتسب مهارة التصنيع بسرعة كبيرة، بل أضاف عليها صناعة مواد متفجرة بنوعيات جديدة ذات قوة وفعالية كبيرة، وبدأت السرايا بفضل المجاهدين لؤي السعدي وأبناء مجموعته في تحقيق الانجازات الهامة في العمل العسكري الاستشهادي، مما أدى إلى إقدام العدو الصهيوني على اغتيال المجاهد الكبير لؤي السعدي بتاريخ 24/ 10/ 2005م.

كان لزامًا على سرايا القدس في مدينة جنين الرد على هذه الجريمة، فتقدم قادة سرايا القدس في مجموعة الشهيد لؤي السعدي وبمساعدة قادة سرايا القدس في جنين ومنهم المجاهدون إياد أبو الرب وأرشد كميل وجهاد السحو، وأخذوا على عاتقهم الرد على جريمة اغتيال القائد لؤي السعدي حيث تم تجنيد الاستشهادي ابن بلدة قباطية حسن أبو زيد وتزويده بشنطة متفجرات كبيرة الحجم، وإرساله إلى مدينة الخضيرة المحتلة ليقتل ستة صهاينة وإصابة العشرات، وبذلك تكون سرايا القدس قد أوفت بعهدها بالرد على جريمة اغتيال القائد لؤي السعدي وجاء يوم العملية بتاريخ 26/ 10/ 2005م، يومًا تاريخيًا للسرايا وجاء

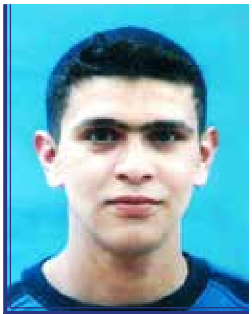
الاستشهادي/ حسن أبو زيد
استشهد بتاريخ
26/ 10/ 2005م

في نفس اليوم الذي يحيي به أبناء الجهاد الاسلامي ذكرى اغتيال الأمين العام للحركة الدكتور فتحي الشقاقي، حيث أكد الأمين العام للحركة الدكتور رمضان شلح أن الاستشهادي البطل حسن أبو زيد قد شتت أشلاءه ليجمع الشعب الفلسطيني حين قال: "إننا حين نرسم الوطن وشمًا على لحمنا وننثر لحمنا في الخضيرة نشيدًا لحسن أبو زيد وعرسًا للؤي السعدي ووفاءً لفتحي الشقاقي ومهرًا لفلسطين، فإننا نتشبث بهذا الخيار، لنجمع شتات أرواحنا وشتات الأمة على الإسلام وفلسطين والجهاد".

وعلى أثر العملية الاستشهادية قام الجيش الصهيوني باجتياح بلدة قباطية، ومحاصرة المنزل الذي يتواجد به المجاهدون أرشد كميل وجهاد السحو،

وكان ذلك بتاريخ 31/ 10/ 2005م، واندلعت الاشتباكات بين المجاهدين أرشد وجهاد وبين العدو الصهيوني، واستمر الاشتباك لمدة سبع ساعات متواصلة، حيث هب قادة وكوادر وأبناء بلدة قباطية وفي مقدمتهم المجاهد إياد أبو الرب للدفاع عن المجاهدين أرشد وجهاد واستخدم العدو الصهيوني كامل قوته العسكرية من أجل قتل المجاهدين أرشد وجهاد، وبعد ساعات طويلة من الاشتباك الذي قهر العدو الصهيوني وأذله وأذل قدرته العسكرية تمكن الجيش الصهيوني من قتل المجاهدين؛ ليرتقيا إلى العلا شهداء مع الصديقين والشهداء والصالحين.

الأجهزة الأمنية الفلسطينية تحبط عمليات السرايا

بدأ المجاهد إياد أبو الرب ومجاهدو سرايا القدس محاولتهم الرد على جريمة اغتيال المجاهدين أرشد وجهاد، إلا أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية في تلك الفترة كانت تبذل قصارى جهدها لتثبيت التهدئة والعمل على إحباط العمليات الاستشهادية، وبدأت في مسلسلها الجديد من متابعة وملاحقة المجاهدين من كافة الفصائل الفلسطينية، وخاصة مجاهدي سرايا القدس وعززت هذه العملية عملية التنسيق مع العدو الصهيوني، وتم تقديم المساعدة الأمريكية في هذا المجال الأمني، والهدف يكمن في إنهاء الانتفاضة الفلسطينية حتى تعود السلطة الفلسطينية إلى سابق عهدها، وكما كانت عليه في العام 2000م، فشعر حينها المجاهد إياد أبو الرب أن هذا المسلسل الخياني والإجرامي سيؤدي إلى إحباط العمليات الاستشهادية لسرايا القدس في الضفة الغربية كما فعلوا في الأعوام الماضية، حيث في العام 2003م كان المجاهد إياد أبو الرب بالإضافة إلى

المجاهدين وليد عبيدي وفراس صوافطة قد خططوا من أجل إرسال أحد الاستشهاديين إلى منطقة الغور لتنفيذ عملية استشهادية بحزام ناسف، وبعد تجهيز كافة تفاصيل العملية تمكنت الأجهزة الأمنية من الحصول على معلومات سرية حول هذه العملية عبر عملائهم، وبدأوا بحملة ضغوط جديدة على عائلة الاستشهادي للضغط على ابنهم للتراجع عن تنفيذ العملية، وبالفعل خضع هذا المجاهد لمطلب عائلته خوفًا عليهم من أذية السلطة الفلسطينية، وتراجع عن تنفيذ العملية الاستشهادية، وليس هذا فحسب بل أيضًا في العام 2003م تمكن المجاهدان إسماعيل أبو شادوف وإياد أبو الرب من التخطيط لإعداد عملية استشهادية في منطقة الأغوار حيث استطاع أحد مجاهدي سرايا القدس تجنيد المجاهد منير أبو ربيع وهو من سكان قطاع غزة ويعمل في جهاز الشرطة الفلسطينية في الضفة الغربية، وتمكنوا من الحصول على حزام ناسف شديد الانفجار، قام بتجهيزه القائد العام لسرايا القدس الشهيد القائد نعمان طحاينة، وتم الاستعانة بأحد أبطال سرايا القدس وهو مراد أبو زيتون من أجل المساعدة في ايصال الاستشهادي منير أبو ربيع إلى موقع العملية، وانطلق المجاهدان مراد أبو زيتون ومنير أبو ربيع إلى منطقة الغور وما أن وصلا إلى مسجد قرية بردله بالغور حتى تم محاصرتهما من قبل العدو الصهيوني الذي حاول هدم المسجد عليهما، وتبين فيما بعد من التحقيق الذي أجرته سرايا القدس أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية وعبر معلومة وصلت إليهم من قبل عملائهم حول هذه العملية، قاموا بالاتصال بالشاباك الصهيوني، وأطلعوه على هذه العملية مما أدى إلى إحباطها، رغم أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية رفضت اتهامات سرايا القدس لها حول تسريب المعلومات للعدو الصهيوني.

ومما يؤكد صحة رواية سرايا القدس أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية حاولت زرع أحد عملائها في صفوف سرايا القدس بذريعة أن هذا الشخص يريد تنفيذ عملية استشهادية، وبعد التحري الذي أجرته سرايا القدس حول هذا الشخص، تبين أنه يعمل في جهاز المخابرات الفلسطينية، وأنه تم زرعه لكشف مخططات السرايا وكشف هوية من يشرفون على العمليات الاستشهادية، ومن أجل الإساءة لسمعة سرايا القدس، وليس فقط هذا بل إن قادة الأجهزة الأمنية الفلسطينية متورطون بالعمل على إحباط العمليات الاستشهادية، بدليل أنه في العام 2004م تمكن المجاهد إياد أبو الرب وقادة سرايا القدس من تجنيد المجاهد فادي حمران من حي الألمانية في مدينة جنين لتنفيذ عملية استشهادية في مدينة القدس المحتلة بواسطة حزام ناسف تم تصنيعه وتجهيزه من قبل القائد العام نعمان طحاينة، وعند الاستعدادات الأخيرة للعملية كان الاستشهادي فادي قد ودَّع أحد أقربائه وأخبره أنه بصدد تنفيذ عملية استشهادية في مدينة القدس المحتلة، ووصل الخبر إلى أحد أقارب المجاهد فادي حمران الذي كان يعمل ضابطًا في الأجهزة الأمنية الفلسطينية، والذي قام بدوره بإخبار الأجهزة الأمنية بهذا الأمر، وتم متابعة المجاهد فادي حمران في مدينة رام الله، وعبر عملية معقده بإشراف كامل من أحد قادة جهاز المخابرات الفلسطينية تمكنوا

من إلقاء القبض على المجاهد فادي حمران مما أدى إلى إحباط هذه العملية، وكذلك العمل على إحباط عملية استشهادية أخرى كان قد خطط لها المجاهدان وليد عبيدي وفراس صوافطة ستنفذها استشهادية وهي المجاهدة ريما دراغمة من محافظة طوباس، وتم اعتقالها في شهر يوليو (تموز) عام 2004م، وكان هدف العملية في منطقة البقعة في الغور بتاريخ 28/ 07/ 2004م، وكان عمر المجاهدة ريما عشرين عامًا، وتدرس في جامعة القدس المفتوحة في طوباس، وكانت خطة قادة سرايا القدس وليد العبيدي وفراس صوافطة بأن المجاهدة ريما سوف تخرج لتنفيذ العملية وهي ترتدي بدلة عسكرية صهيونية وتحمل بندقية (M16)، وعلى خصرها حزام ناسف حيث إن البندقية من أجل إظهارها كمجندة صهيونية، وليس من أجل استخدامها؛ لأن العملية ستكون عبر الحزام الناسف، وبما أن هذه العملية قد تم إحباطها من قبل العدو الصهيوني وعملائه، اتخذ القرار في ذلك الوقت من القيادة العسكرية بالخارج بوقف العمليات الاستشهادية لحين إعادة هيكلة سرايا القدس، واكتساب الخبرات العسكرية والأمنية؛ للحفاظ على تاريخ وقوة وحيوية سرايا القدس كما كانت في الماضي.

لم يكن المجاهد إياد أبو الرب ليصدق ما وصلت إليه الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وكأنها أصبحت العمود الفقري للشاباك الصهيوني، وهل أن كل ما قامت به الأجهزة الأمنية الفلسطينية من إحباط للعمليات الاستشهادية كان كما يدعون في صالح الشعب الفلسطيني؟! ومن أجل الحصول على مزيد من التنازلات الصهيونية عبر المفاوضات الفلسطينية الصهيونية؟! أو لم يعلموا الحقيقة المطلقة أن ما يبحثون عنه وما يسيرون فيه إنما هو وهم وسراب؟!، وصدق فيهم قول الشيخ يوسف القرضاوي:

فيا عجبًا لمــــن يجري   وراء سرابه النفســــي
يظــــن له بــــــه ريًّا   ويرجـع فارغ الكأسِ
يفرّط في دم الشّهــداء   يا للعــار والبــؤسِ!
يبيع الأرض والتّاريخ   بالأرخص من فَلْسِ!
بحكم في حمى صهيون   يا للثمـن البخـــس!
فلا دولتــه قامـــتْ   ولا أبقـى على النّفسِ
فما معنــى فلسطــين   بلا أقصى ولا قدسٍ؟!
فلسطين بلا قـــدس   كجثمان بلا رأسٍ!

اعتقال المجاهد إياد والحكم عليه بثمانية مؤبدات

فما كان من المجاهد إياد أبو الرب إلا أن يستمر على نهج المعلم الشهيد القائد نعمان طحاينة، وصديقه الشهيد القائد لؤي السعدي والشهيد القائد صالح جرادات، والشهيد نهاد أبو غانم في السعي الدؤوب إلى إنجاح العمليات الاستشهادية وعمليات إطلاق النار على الدوريات الصهيونية، وحينها أخذ الشاباك الصهيوني قراره بأن يضع حدًا لجهاد المجاهد إياد أبو الرب الذي استطاع بجهاده وأعماله البطولية أن يكسر هيبة هذا الجيش الصهيوني الذي يدعى أنه لا

يُقهر، وقد قهرته سرايا القدس في ميادين القتال المختلفة، فكان جيشًا قويًا ولكن بآلياته العسكرية وأسلحته القوية وليس بقلوب جنوده الجبناء،

الأسير المجاهد/ إياد جرادات (يمين)
برفقة الشهيد المجاهد/ مروح كميل

وتم ملاحقة تحركات المجاهد إياد أبو الرب أولًا بأول عبر العملاء إلى أن تم تحديد مكان تواجده في منطقة دوار يحيي عياش بمحافظة جنين، وكان معه المجاهد فراس أبو الرب وتم محاصرتهما من كل مكان ولمدة تزيد عن ست عشرة ساعة متواصلة، وقامت الجرافات الصهيونية بالتحرك تجاه المنطقة التي يتواجدان بها، وقام المجاهد فراس أبو الرب بالاتصال بالصليب الأحمر وإخباره بأن العدو الصهيوني سيقوم بهدم المنزل على المجاهدين إياد وفراس، وقاما بتسليم نفسيهما للجيش الصهيوني ليكون يوم 24/ 11/ 2005م يومًا خسر فيه الشعب الفلسطيني أسدًا من أسود المقاومة الفلسطينية، وبطلًا من أبطال سرايا القدس في مدينة جنين، ورغم حكمه بالمؤبد ثماني مرات إلا أنه وهو في سجون العدو الصهيوني على يقين بأنه سيأتي اليوم الذي يأتي به أشبال فلسطين ويهدمون أسوار السجون، ويحطمون الأقفال ويخرجون المجاهدين من السجون، ويحملونهم على الأكتاف، ويسيرون بهم نحو المسجد الأقصى للاحتفال بالنصر والتحرير.

الأسير المجاهد

أحمد محمد زهدي مرشود

المجاهد الذي لم يطق على جرائم الاحتلال صبرًا

تاريخ الميلاد: 1984/11/27م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم بلاطة - محافظة نابلس

عدد أفراد العائلة: 19

تاريخ الاعتقال: 2006/02/20م

الحكم: مؤبد

إن الهداية التي أصابت المجاهد أحمد مرشود لسلوكه خيار الجهاد والمقاومة في انتفاضة الأقصى؛ جعلت منه فدائيًا صلبًا وأحد أبطال المقاومة في فلسطين، فهو الأكثر رشدًا وإدراكًا لطبيعة الداء ونوعية الدواء المطلوب في هذا الصراع، كيف لا يكون بطلًا مغوارًا؟ وقد ولد لعائلة فلسطينية وهي عائله آل مرشود، هذه العائلة البسيطة الفقيرة التي تم تهجيرها من مدينة يافا على يد العصابات الصهيونية بقوة السلاح لتعاني مرارة اللجوء والنكبة شأنها شأن آلاف العائلات الفلسطينية التي تم تهجيرها من مدنها وقراها في فلسطين المحتلة عام 1948م حيث وصل عدد المدن والقرى المهجرة ما يزيد عن 418 مدينة وقرية فلسطينية، فما كان من هذه العائلات إلا الصبر على هذه النكبة والسير مسافات طويلة للوصول إلى أماكن من الممكن أن توفر لهم الأمن والأمان والغذاء والإيواء.

الميلاد والنشأة

كان نصيب عائلة آل مرشود مخيم بلاطة في مدينة الثورة، مدينة نابلس بجبليها الشامخين جرزيم وعيبال، وفي هذا المخيم ولد المجاهد أحمد مرشود (الملقب بـ "حميدة") ووجد نفسه مضطرًا أن يستوعب نكبة جماعية حقيقية لم يحلم بها، هي نكبة

فقدان الوطن أو البلاد كما يسميها أبناء المخيمات، فلم يكن بيده اختيار قدره ونصيبه بل سبقه القدر إلى ذلك ليكون ممن سيسجل لهم التاريخ بأنهم رجال أبطال لسرايا القدس، ما ضعفوا وما استكانوا وللريح ما مالوا، وأنهم بذلوا دماءهم وأرواحهم وأعمارهم في سجون الاحتلال ليعيدوا البسمة على شفاه فلسطين الجريحة وأبنائها.

حياة عناد وجهاد في الصغر

بدأ المجاهد أحمد مرشود حياته على وقع مداهمات الجيش الصهيوني لمنازل عائلة مرشود في مخيم بلاطة بحثًا عن مطاردين ومطلوبين؛ ومن بينهم البطل محمود مرشود خال المجاهد أحمد مرشود، والذي يعتبر من أهم وأبرز قيادات حركة فتح في مخيم بلاطة، وما كان يمضي يوم إلا وتتعرض عائلة مرشود إلى مضايقات المحتل الصهيوني، إما بالضرب وإما بتفتيش المنازل والعبث بمحتوياتها، وفي كل مرة يبذل الجيش الصهيوني كل ما بوسعه لينغص حياة هذه العائلة وإرغامها على تسليم المطلوبين من العائلة؛ فهذه الأجواء جعلت من أحمد مرشود رجلًا قبل أوانه على الرغم من صغر سنه إلا أن ذلك لم يمنعه كما غيره من أولاد المخيم في تسعينيات القرن الماضي من المشاركة في أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

بدأ المجاهد أحمد يكبر شيئًا فشيئًا على مسميات وكلمات لم يعهدها من قبل، كلفظ كلمة شهيد وعمليات عسكرية وغيرها من الكلمات، ولا يزال يذكر يوم أن خرجت الجماهير في مخيم بلاطة وفي كل بقاع الوطن الفلسطيني للتنديد بمجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف، بالإضافة إلى مشاركته في أحداث سبتمبر (أيلول) 1996م، أو ما يعرف بأحداث هبة النفق، والتي كان أشهرها في مخيم بلاطة في محيط ما يسمى بقبر يوسف حيث تعرض جنود الجيش الصهيوني لوابل وزخات من رصاص المجاهدين الفلسطينيين، الأمر الذي دفع السلطة الفلسطينية وبضغط دولي وصهيوني كبير؛ للعمل على إخماد هذه الهبة الجماهيرية كما فعلت بأحداث العام 1999م عندما خرجت مسيرة حاشدة من مخيم بلاطة داخل مدينة نابلس تطالب السلطة الفلسطينية بالعمل على إطلاق سراح أبنائهم من سجون الاحتلال، فجاء رد السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية بالاعتداء على أمهات الأسرى الفلسطينيين مما أثار حفيظة الأحرار والشرفاء من أبناء مخيم بلاطة، واشتبك أبناء المخيم مع أجهزة السلطة الفلسطينية، ما أدى إلى إصابة العشرات بجراح خطيرة، وكان المجاهد أحمد مرشود ممن تعرض لإصابة مباشرة في قدمه، ومكث فترة في المشفى للعلاج.

أصبح للمجاهد أحمد مرشود قناعات وأفكار حول الهدف الذي وجدت لأجله السلطة الفلسطينية، وهو أن تكون بمثابة حارس الأمن لمستوطنة صهيونية، وأنه لابد من يوم تتغير هذه الأحوال، وعادت الأمور إلى التوتر بتاريخ 28/ 09/ 2000م حيث اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة كرد طبيعي على جرائم الاحتلال، وتأكيدًا للشعب الفلسطيني بأن مسار التسوية لم يعد قائمًا،

فانتفضت فلسطين كلها بمدنها وقراها ومخيماتها وبمدارسها وجامعاتها تلبيه لنداء الأقصى الذي حاول أرئيل شارون تدنيسه وبمساندة قطعان المستوطنين ومئات من الأجهزة الأمنية الصهيونية.

هبت الجماهير الفلسطينية دفاعًا عن الوطن ودفاعًا عن العقيدة ودفاعًا عن التاريخ ودفاعًا عن العرض والشرف، فشارك المجاهد أحمد مرشود في معظم فعاليات الانتفاضة الفلسطينية من ضرب للحجارة إلى ضرب الزجاجات الحارقة إلى توزيع البيانات إلى كتابة الشعارات وتوزيع صور الشهداء والاستشهاديين.

أصبح أحمد مرشود من أهم الأشبال الفاعلين في نشاطات انتفاضة الأقصى اليومية، حيث تأثر بأخيه المجاهد خليل مرشود أحد مؤسسي كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح وابن عمه رياض مرشود، وهو أيضًا قائد بارز في كتائب شهداء الأقصى، وكذلك ابن خاله الشهيد أحمد مرشود أحد أهم وأبرز قادة حركة حماس، وكان قد تم اعتقاله بتاريخ 11/ 04/ 1993م بتهمة الانتماء إلى كتائب الشهيد عز الدين القسام، ومساعدة الشهيد يحيى عياش، واستشهد بتاريخ 15/ 10/ 2001م في عملية اغتيال صهيونية جبانة بينما كان متوجهًا إلى عمله، وكان للشهيد مآثر وفضل كبير لا يُنسى على المجاهد أحمد الذي وجد به قائدًا وبطلًا ملهمًا، يجب أن يسير على خطاه.

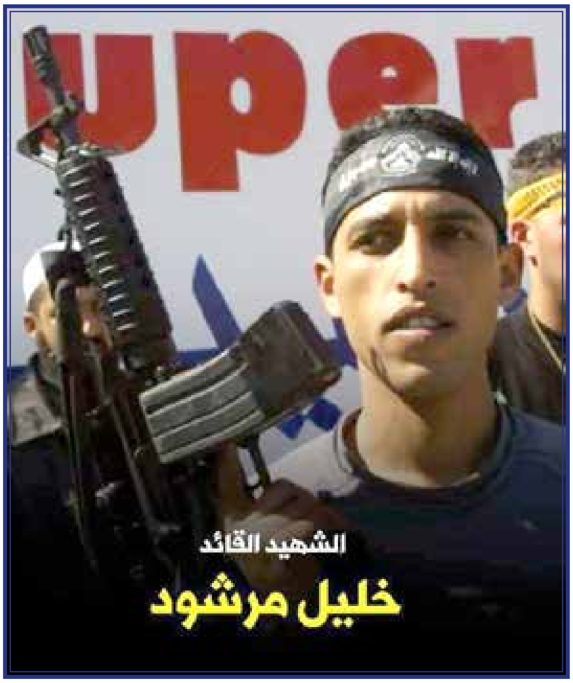

لاحظ المجاهد أحمد مرشود أن عائلته مستهدفة من قبل العدو الصهيوني كما بقية أبناء الشعب الفلسطيني، واشتدت المقاومة وازدادت العمليات العسكرية في داخل فلسطين المحتلة، وخسر العدو الصهيوني العديد من جنوده في هذه العمليات مما جعله يتصرف بجنون، ويبدأ بمسلسل الاغتيالات بحق الكوادر والقادة الفلسطينيين، وفي إحدى جولات المجاهد أحمد مرشود في مخيم بلاطة حدث أمامه انفجار هائل هز إحدى السيارات في وسط مخيم بلاطة، وكان يقودها قائد لحركه فتح هو عزام مزهر الذي ارتقى للعلا بصحبة من معه في داخل السيارة، وهذا الأمر أثر كثيرًا على المجاهد أحمد، ولم يستطع النوم لفترات طويلة وهو يفكر بالانتقام لهؤلاء الأبطال، وما هي إلا أيام حتى جاء خبر اغتيال ابن خاله أحمد مرشود الذي أحبه كثيرًا فازداد الهم والحزن على المجاهد أحمد مرشود، وأراد أن يلتحق بأحد التنظيمات الفلسطينية الفاعلة داخل مخيم بلاطة حتى يتسنى له من خلاله توفير

متطلبات ما يخطط له، وهو الرد بقوة على ممارسات العدو الصهيوني.

التحاقه بحركة الجهاد الإسلامي

في تلك الأثناء وبينما كان المجاهد أحمد يستمع إلى جهاز الراديو إذا بنبأ يتحدث عن عملية فدائية أدت إلى مقتل اثنين من الصهاينة في منطقة تسمى "بثان" بالقرب من مدينة طولكرم، وأن حركة الجهاد وجناحها العسكري سرايا القدس هي المسؤولة عن هذه العملية، وهنا قرر المجاهد أحمد أن التنظيم الذي سيلتحق به هو حركة الجهاد الإسلامي، ولهذا بدأ يسأل معارفه عن هذه الحركة للوصول إلى من يساعده في أموره الجهادية، وأثناء مروره في مدينة طولكرم تفاجأ بوجود مسيرة حاشدة لتشييع الشهيد أسعد دقة، وعندما سأل المجاهد أحمد عن هذا الاسم أجابوه بأن المجاهد أسعد دقة هو أحد مؤسسي سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في مدينة طولكرم، وتم اغتياله في بلدة عرابة بمحافظة جنين بتاريخ 12/ 09/ 2001م، وهو المسؤول المباشر عن عملية "بثان".

فإذا بالمجاهد أحمد حينها كأنه وجد ضالته حيث استطاع إلى جانب أبناء مخيم بلاطة تشكيل مجموعة أسموها مجموعة أبو سياف، مهمتها زرع العبوات الناسفة لدوريات الاحتلال وإلقاء القنابل على جنود الاحتلال في أعقاب الاجتياح الصهيوني للضفة الغربية حيث في هذه الفترة أقدمت القوات الصهيونية على ارتكاب العديد من المجازر بحق أبناء الشعب الفلسطيني في مدن الضفة الغربية تحت سمع ونظر حكام العرب والمسلمين في العالم.

ورغم بؤس الأوضاع الفلسطينية وغياب دور هؤلاء الحكام وغسل أيديهم من الدم الفلسطيني عبر عقدهم للقمم العربية والإسلامية إلا أن استمرار انتفاضة الشعب الفلسطيني زاد من إحراجها للحكام الأقزام وخاصة أن الشهداء هم الذين يقومون بقيادة الانتفاضة الفلسطينية، فما أن يتم تشييع شهيد حتى يرتقي إلى العلا شهيد آخر، فالشهداء هم وحدهم من يقرر قيادة الانتفاضة واستمرارها، وبلغة الدم هكذا أدرك المجاهد أحمد مرشود الصراع الفلسطيني الصهيوني، فبدون لغة الدم يقول المجاهد أحمد لم ولن تعود فلسطين، وأن لغة القوة والدم عندما امتلكتها المقاومة الفلسطينية استطاعت تغيير المعادلة، ولنا شواهد عديدة على صحة اعتقاده ابتداءً بصوت الشهيد عز الدين القسام ومرورًا بانتصار المقاومة في لبنان، وليس انتهاءً بعملية بيت ليد وكركور ووادي النصارى، كذلك لابد من مرحلة الحسم، مرحلة الشهادة بإذنه تعالى، وصدق الله العظيم القائل: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُاْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، وفق هذا الأمر استطاع المجاهد أحمد مرشود بالتعاون مع عرابي ذوقان ومراد مرشود وأسامة بدره وإبراهيم أبو زور وإياد حرب وغيرهم من المجاهدين الأبطال تكوين نواة سرايا القدس الأولى في مخيم بلاطة.

بدأت أعمال المجموعة الجهادية تتنوع بين زرع العبوات الناسفة وإلقاء القنابل وإطلاق النار على دوريات الاحتلال، وتم الاتفاق

بين كافة الأذرع العسكرية في بلاطة على تصعيد العمل المسلح ضد القوات الصهيونية،

عرض عسكري لحركة الجهاد الإسلامي بمخيم بلاطة في ذكرى استشهاد الدكتور فتحي الشقاقي (أرشيف 2002م)

ولا سيما بعد الاجتياح الكبير للضفة الغربية لإيصال رسالة للعدو الصهيوني مفادها بأنه مهما فعلتم فإننا باقون متمسكون بحقوقنا وسنبقى نحمل السلاح وندافع عن شعبنا، طالما فينا قلب ينبض. واستطاع المجاهد أحمد مرشود تنظيم عرض عسكري لسرايا القدس في قلب مخيم بلاطة بمشاركة العشرات من أبطال سرايا القدس في مدينة نابلس، إلى جانب تنظيم معرض صور لشهداء فلسطين، وتكريم أمهات وعائلات الشهداء والأسرى ليقول لهم بأن دماء أبنائكم لاتزال تثمر فينا طالما حيينا.

الاعتقال الأول

بدأ الاحتلال بمسلسل جديد من التصفيات والاغتيالات في صفوف سرايا القدس لتزف سرايا القدس أبطالها إلى الجنة، ومنهم الشهيد المجاهد مراد مرشود الذي تم اغتياله في بلدة جبع بمدينة جنين القسام بتاريخ 06/ 08/ 2002م، وتمت ملاحقة النشطاء في حركه الجهاد الإسلامي، وأصيب المجاهد أحمد مرشود بعيار ناري في الرقبة والكتف ليدخل في حالة حرجة، ومكث أكثر من شهرين في العناية المركزة داخل المشفى في مدينة نابلس، وما أن تعافى قليلًا حتى تمكن الشباك الصهيوني من اعتقاله من أمام أحد المشافي في مدينة نابلس، ليبدأ مرحلة جديدة في داخل السجن، وحكم عليه بالسجن لمدة عامين، وفي داخل السجن تعرف على قيادات وكوادر حركة الجهاد الإسلامي عدد كبير منهم كان له شأن عظيم في سرايا القدس وفي أهم العمليات الاستشهادية، ومن هؤلاء المجاهدين لؤي السعدي ومجاهد السبع ونهاد أبو غانم وصالح كركور وزياد ملايشة وعلي أبو خزنة ومعتز أبو خليل، وجميعهم ارتقوا إلى العلا شهداء مقبلين غير مدبرين.

كان الخبر الأصعب الذي تلقاه المجاهد أحمد بتاريخ 14/ 06/ 2004م خلال اعتقاله الأول، وقبل أن يتم الإفراج عنه بعام تقريبًا هو استشهاد أخيه خليل أحد أبرز قادة كتائب شهداء الأقصى في الضفة الغربية، فأخذ على نفسه عهدًا بالانتقام لدماء أخيه خليل رغم أن الرد جاء سريعًا من معظم الفصائل الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبتاريخ 26/ 07/ 2005م أفرج عن المجاهد أحمد، وما أن خرج من السجن حتى بدأ بإعداد العدة وتشكيل مجموعة عسكرية نفذت عملية زرع عبوة ناسفة انفجرت بجيب عسكري صهيوني يقودها ضابط الحملة الأمنية الصهيونية على مخيم بلاطة، وأدى الانفجار إلى بتر ساقي الضابط الصهيوني،

الأسير المجاهد/ أحمد مرشود
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وإصابة كل من كان في ذلك الجيب العسكري الصهيوني، واستمرت هذه المجموعة في العمل العسكري والمقاومة الشرسة ضد قوات الاحتلال الصهيوني، والتنسيق مع قادة سرايا القدس في مدينة نابلس وخاصة مع المجاهد مهند أبو عيشة.

كان العام 2006م، من أصعب وأشد الأعوام على قادة وعناصر حركة الجهاد الإسلامي، وكأن المعركة التي يخوضها الشعب الفلسطيني تم اختزالها في الجهاد الإسلامي فقط، فأصبح الشاباك الصهيوني والجيش الصهيوني على مدار الساعة يعمل ليل نهار لاغتيال قادة الجهاد الإسلامي أو اعتقالهم، وتعالت أصوات منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية تطالب حركة الجهاد الإسلامي بإلقاء السلاح وخوض التجربة الديمقراطية المزعومة، متهمة الجهاد الإسلامي بأنه ضد المصلحة الوطنية وبالانغلاق، وبأنها تتلقى أوامرها من ايران وسوريا وعلى ما يبدو أنهم تناسوا ما حدث في انتفاضة الأقصى من مجازر بحق الشعب الفلسطيني، فأخذ المجاهد أحمد مرشود وكل قادة الحركة بالرد على تلك الادعاءات بأننا لسنا منغلقين ولا متقوقعين، فنحن في الجهاد الإسلامي أصحاب رسالة نعيش هموم وآلام وآمال شعبنا ونسعى لتحقيق مصالحه، وأن كل ما يعانيه شعبنا من مفاسد وآلام وشرور هي بالدرجة الأولى نتاج لواقع الاحتلال الصهيوني، وأنه لا يمر وقت طويل حتى يكتشف الجميع أنهم هم المحرجون وأن هذا الإجماع على الوهم حول الديمقراطية الفلسطينية تحت الحراب الصهيونية هو أكبر كذبة في حياتنا، بل هو آخر طلقة في الجعبة لتحويل الكذبة التي بدأت في أوسلو عام 1993م إلى حقيقة يجب أن يصدقها الجميع ويصفق لها.

أدرك المجاهد أحمد مرشود خطورة ما تتعرض له القضية الفلسطينية من محاولة لتصفيتها وإنهائها عبر إقحام الشعب بكذبة الديمقراطية والانفتاح على العالم والنضال السياسي، فكان لابد من تصحيح البوصلة أو إعادة توجيهها من جديد، وأعد العُدّة لذلك وهيأ الظروف للتخطيط لعملية استشهادية، وبالفعل أحضر المجاهد حمزة الحج محمد من سكان مدينة نابلس الاستشهادي سامي عنتر الطالب في جامعة النجاح الوطنية، والذي أصر على الشهادة في سبيل الله، ليكون السهم الأول في

إعادة البوصلة إلى مكانها الطبيعي ولافتقار المجاهد أحمد مرشود للمتفجرات، استعان بأحد قادة حركة فتح في مخيم بلاطة، وهو المجاهد إياد مسيمي، الذي استطاع تجهيز الحزام الناسف حيث قام المجاهد أحمد مرشود بإرسال الاستشهادي سامي عنتر إلى مدينة "تل أبيب" الصهيونية، بقصد ضرب العاصمة الأمنية والاقتصادية للكيان الصهيوني.

نجح المجاهدان محمود مهرة وعلي أبو طوب بتوصيل الاستشهادي سامي عنتر إلى موقع العملية يوم الخميس الموافق 19/ 01/ 2006م، وما أن حصل المجاهد أحمد مرشود على إشارة الوصول إلى الهدف حتى أجرى اتصالًا مع أحد قادة سرايا القدس في قطاع غزة، وهو المجاهد خالد منصور ليخبره بأن حدثًا هامًا سيحدث بعد قليل، وما أن سمع دوي الانفجار حتى تناثرت لحوم الصهاينة في كل مكان ليوقع الشهيد البطل سامي عنتر ما يزيد عن 36 إصابة معظمها في حال الخطر.

توجه المجاهد أحمد مرشود مرة أخرى إلى القائد خالد منصور وطلب منه الإعلان عن هذه العملية، وأن من يقف وراءها هو سرية الشهيد محمد الشيخ خليل، فبكى المجاهد خالد منصور تواضعًا لله وفرحًا برؤية الصهاينة مجندلين، وترحم على شهداء فلسطين، فكان لهذه العملية البطولية التي أشبه ما تكون بعملية العسرة حيث جاءت في الوقت المناسب لتؤكد لهؤلاء المتخاذلين، ولكل أحرار وشرفاء فلسطين بأن الشهداء هم وحدهم القادرون على المحافظة على صورة الوطن، وأن الجهاد الإسلامي حين يرسم الوطن وشمًا على جبين أبطاله وينثر لحمهم في الخضيرة نشيدًا لحسن أبو زيد وعرسًا للؤي السعدي ووفاءً لفتحي الشقاقي ومهرًا لفلسطين؛ فإننا حينها نتشبث بهذا الخيار لنجمع شتات أرواحنا وشتات الأمة على الإسلام وفلسطين والجهاد، وإلا فليأخذ الجميع مكانه في طابور الانتظار على باب محكمة التاريخ.

اعتقاله والحكم عليه

اشتدت الحملة الأمنية الصهيونية بحق قادة وكوادر سرايا القدس في الضفة وقطاع غزة، ولكن الثورة لن تخمد وتحرك المجاهد أحمد مرشود جانب إخوانه من أبطال سرايا القدس أحمد أبو شرخ وهاني عويجان وأحمد رداد لتوسيع نشاط سرايا القدس،

وتجنيد أكبر عدد ممكن من المجاهدين القادرين على حمل السلاح، وتعرضوا إلى حصار مُحكم لمدة أربعة أيام، مما جعلهم يغادرون مخيم بلاطة باتجاه مدينة نابلس، ودارت الاشتباكات العنيفة في شوارع البلدة القديمة في نابلس ليرتقي الشهيد أحمد أبو شرخ بتاريخ 20/ 02/ 2006م، ومن قبله المجاهد أحمد رداد بتاريخ 07/ 02/ 2006م، وأما المجاهد أحمد فكان مصيره بالإضافة إلى البطل إياد مسيمي الاعتقال بتاريخ 20/ 02/ 2006م.

الأسير المجاهد/ أحمد مشرود
برفقة والدته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

بدأت مرحلة جديدة للمجاهد أحمد مرشود، الذي وبكل فخر استطاع أن يفرح قلوب أمهات وآباء الأسرى والشهداء، يوم أن أرسل المجاهد سامي عنتر لتنفيذ العملية الاستشهادية في "تل أبيب" بتاريخ 19/ 01/ 2006م؛ ليدور الحديث والحوار بين المجاهد أحمد أثناء اعتقاله مع قادة جهاز الشاباك الصهيوني، فدار الحديث مع الكابتن الصهيوني "مور" الذي وقف أمام أحمد مرشود وقال له: "توقعنا يا أحمد أنك سوف تستشهد؛ لأننا نعلم أن أبناء الجهاد الإسلامي لا يستسلمون"، فقال له المجاهد أحمد: "في المرة القادمة إن شاء الله سيكون معي ذخيرة كبيرة، ولن أستسلم سوف أستشهد"، وأجابه الضابط الصهيوني باستهزاء: "نعم صحيح! فأنت سوف تذهب إلى السجن وستحكم مؤبدًا وستحفظ القرآن، وبعد قضاء المؤبد الذي ينتظرك يمكن أن تستشهد"، فأجابه المجاهد أحمد: "انتظروا أيها الصهاينة فإن سرايا القدس بأبطالها ومجاهديها في الضفة الغربية، أراهم أمامي يفتحون أبواب السجون ويحملوننا على الأكتاف، وأصوات تكبيراتهم تدوي في كل مكان، وأراكم أمامي أيها الجبناء وأنتم تقبلون أقدام مجاهدي سرايا القدس ليعفوا عنكم"، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: 51].

الأسير المجاهد

محمد خالد حسن عامودي

المجاهد المثابر على الهدف، الصابر على البلاء

تاريخ الميلاد: 1980/05/15م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة برقين - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 8

تاريخ الاعتقال: 2006/04/17م

الحكم: 11 مؤبد و20 عاماً

نقف اليوم للحديث عن أحد بطال وفرسان مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي في سرايا القدس في فلسطين، تلك المجموعة التي كتبت بدماء شهدائها حكاية شعب مظلوم، فخطت بسواعدها حدود الوطن، من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، ومن بحره إلى نهره، ليكون الحساب النهائي هو 27 ألف كيلو متر مربع، فبأعمالهم البطولية وبتضحياتهم أحيوا أشجارًا للحرية في كل محافظة ومدينة وبلدة وقرية ومخيم وشارع وحارة، ومن فوق سماء الوطن الذبيح كان يرتفع قمر، بل نجم يضيء للأجيال القادمة طريق الجهاد والحرية، فبالرغم من الدماء الغزيرة والدموع الحارة والمعاناة اليومية فإن مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي قد أقسمت اليمين على أن تسير على درب الشهداء والأسرى والمطاردين، فبطلنا الذي نتحدث عنه هو المجاهد محمد خالد العامودي، ذلك البطل الذي له الفضل بعد الله _عز وجل_ في أن تكون آخر عملية استشهادية في مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي على يديه، فكان هو وإخوانه في المجموعة في ذلك الوقت شوكة في حلق الاحتلال الصهيوني، وأما اليوم فإننا نرى الصهاينة يستأسدون في زمن غياب الأسود، الذين غيبتهم الحياة ليكونوا إما شهداء وإما أسرى في غياهب السجون.

الميلاد والنشأة

في بلدة برقين الصمود، بلدة الشهداء والأسرى والاستشهاديون، وُلد المجاهد محمد ليعيش وسط أسرة متدينة ملتزمة مناضلة، وأُشرب منذ صغره حب الوطن وكراهيته للعدو الصهيوني، فمنذ سنوات عمره الأولى كان المجاهد محمد ينتمي إلى ذلك الجيل العظيم، جيل أطفال الحجارة في الانتفاضة الكانونية الأولى، فكان من ضمن أشبال هذه الانتفاضة الباسلة، الذين أهانوا وأذلوا الجيش الصهيوني الذي ادعى بأنه لا يقهر، فقهروه بحجارتهم وبمقلاعهم وبمتاريسهم وبأقنعتهم وشعاراتهم، وتمرس مجاهدنا البطل محمد في ميادين المواجهة منذ نعومة أظفاره، فكان لعائلة المجاهد محمد نصيب من اعتداء الجيش عليهم، واقتحام منزلهم والعبث بمحتوياته، والاعتداء على العائلة بحثًا عن ابن خاله، ابن حركة فتح المعروف بـ(المليكي)، وكان مطلوبًا للعدو الصهيوني، وكذلك تم الاعتداء على أخيه المجاهد بالضرب الشديد لا لشيء سوى أنه يرفض وجود الاحتلال على أرضه، فتم اعتقال أخيه الأكبر منذر، وعاشت عائلة المجاهد محمد أسوأ أيامها ولياليها بسبب الاعتداءات المتكررة من قبل الجيش الصهيوني، واللحظات الأصعب في حياة المجاهد محمد كانت عندما شاهد منظر الجنود الصهاينة وهم يطلقون الرصاص على البطل محمد الجابر من سكان بلدة برقين، مما أدى إلى استشهاده أمام منزل العائلة، فسارعت هذه العائلة الكريمة إلى سحبه من أمام جيش الاحتلال وإدخاله إلى المنزل، حتى لا يتمكن الجيش الصهيوني من أخذ جثمان الشهيد إلى مقبرة الأرقام.

حلمٌ لم يتحقق

كل تلك الأحداث جعلت من المجاهد محمد أكثر وعيًا وإدراكًا لحقيقة المحتل، وأدرك أن ما قامت به منظمة التحرير الفلسطينية من المشاركة في مؤتمر مدريد للسلام ومن بعده التوصل إلى اتفاق أوسلو المشئوم، والذي بموجبه سيتم عودة السلطة الفلسطينية إلى المدن والقرى التي ينسحب منها العدو لبسط سلطتها وسيطرتها عليها، وسيكون تعظيمًا وإكرامًا لما قدمه الشعب من تضحيات جسام، عبر مراحل الزمن المختلفة، وخاصة ما قدمه في الانتفاضة الأولى، ليتفاجأ حينها المجاهد محمد وخاصة في العام 1996م أن ما كان يتطلع إليه وما قد رسمه في مخيلته للسلطة الفلسطينية لم يكن إلا سرابًا وأوهامًا، وقرر حينها أن يخرج من المدرسة لمساعدة أسرته في تأمين مستلزمات الحياة، ومع ذلك أدرك فيما بعد أنه كان لابد من استكمال التعليم الدراسي، والرقي في السلم التعليمي لكشف ما يتعرض له شعبنا من ظلم وتضحيات، ولهذا كان مصير المجاهد محمد هو البحث عن مجال للعمل يمكنه من بناء مستقبله بنفسه، وفي الاعتماد على ذاته، فعمل في كل المجالات وفي أصعب الظروف حتى استطاع العمل في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، واكتسب خبرة كبيرة في كيفية فهم حياة قطعان المستوطنين، واستطاع معرفة كل تفاصيل مدن وبلدات وشوارع الأرض المحتلة، واستمر على هذا النحو عدة سنوات ليكون على موعد جديد في العام 2000م.

أمل يتجدد

ذلك العام الذي غير حال حياة الكثير من أبناء الشعب، وعاد إليهم الأمل بعد الألم، وعاد بالبوصلة الثورية إلى مكانتها الحقيقية والطبيعية في الصراع الفلسطيني الصهيوني، حيث نشطت المفاوضات الفلسطينية الصهيونية في العام 2000م، برعاية أمريكية في قمة كامب ديفيد الثانية، والتي حاول فيها الطرفان الوصول إلى أوساط الحلول، إلا أن مسألة القدس الشريف وخاصة مسألة المسجد الأقصى قد فجرت المفاوضات، وانتهت اجتماعات كامب ديفيد بفشل ذريع لعدم تنازل الصهاينة عن إعطاء الفلسطينيين الحق في إعلان القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين المرتقبة على حدود العام 1967م، وقد مثلت زيارة مجرم الحرب الصهيوني أرئيل شارون بتاريخ 28/ 09/ 2000م للحرم القدسي في القدس الشرقية استفزازًا لمشاعر العرب والمسلمين والفلسطينيين، وكانت عبارة عن الشرارة الأولى لانتفاضة الأقصى المباركة، والتي تداعى لها الفلسطينيون، فبدأت الاشتباكات والمواجهات بين أطفال فلسطين وقوات الجيش الصهيوني، منذ اللحظة الأولى التي دخل بها شارون إلى باحات المسجد الأقصى، وأراد شارون من ذلك حسب ما ذكرته الصحافة الصهيونية أمرين: الأول، هو عقائدي والثاني حزبي داخلي، وأما العقائدي فقد فشل؛ لأنه دخل منطقة الأقصى بحراسة الآلاف من الجنود الصهاينة؛ إذن فهو محتل ولا علاقة له بالمكان، وأما الهدف الحزبي فقد استطاع شارون أن يفوز بالحكومة بذريعة تحقيق الأمن والأمان للصهاينة وبقاء القدس عاصمة للكيان الصهيوني وللأبد.

وما هي إلا أسابيع حتى أصبحت انتفاضة الأقصى نارًا ولظىً في وجه المحتل الصهيوني، وسارع المجاهد محمد إلى المشاركة الكبيرة في كل المظاهرات التي تدعو لها القوى الوطنية والإسلامية في مدينة جنين، بل كان يعمل على نقل المتظاهرين عبر جرار زراعي كان يملكه إلى مكان الاحتكاك والمواجهة مع الجيش الصهيوني على حاجز الجلمة، ليكون العام 2001م من أصعب الأعوام على المجاهد محمد ولاسيما أنه فقد فيه أعز أصدقائه الشهيد معتز صبح الذي استشهد بتاريخ 11/ 04/ 2001م في مواجهات مع العدو الصهيوني على حاجز الألمانية في جنين، وكذلك فقد صديقه المجاهد نضال أبو شادوف من مجاهدي سرايا القدس الذي نفذ عملية استشهادية في محطة "بنيامينا" وأسفرت العملية عن قتل اثنين من الصهاينة وإصابة العشرات بجراح خطيرة،

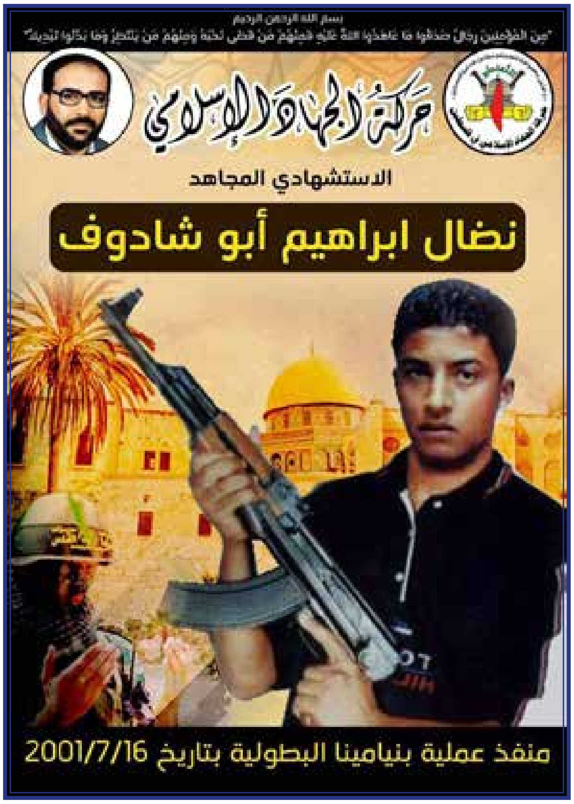

وكان ذلك بتاريخ 16/ 07/ 2001م، وحزن حينها المجاهد محمد حزنًا شديدًا على صاحبيه، لتتطور أحداث الانتفاضة فيما بعد، فما هي إلا أشهر معدودة حتى تم اجتياح الضفة الغربية، وقام الاحتلال الصهيوني بارتكاب المجازر والدمار بحق الشعب الفلسطيني، وأصبحت الدوريات الصهيونية تصول وتجول في شوارع وأزقة وحواري المدن الفلسطينية مما شكل حالة عصيبة للمطلوبين الفلسطينيين بسبب سقوط المخيمات والمدن التي كانوا يتحصنون فيها، ومنها ينطلقون في تنفيذهم للعمليات العسكرية والاستشهادية، ثم يعودون إليها وكأنها نقطة وقاعدة الارتكاز.

ملاذ للمطلوبين

إلا أن المجاهد محمد جعل من منزله وجهة ومقصدًا لكل المطاردين من المجاهدين الفلسطينيين ومن كافة الفصائل الفلسطينية، فكان من الأوائل ممن دخل بيته من المجاهدين: المجاهدون محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي والشهيد عبد الهادي العمري، ولاسيما بعد اجتياح مخيم جنين، وقدم لهم المساعدة الكبيرة، فلم يكن سهلًا ذلك الأمر على الناس في ذلك الوقت، حيث كان الجيش الصهيوني يقوم بهدم المنازل التي يتواجد بها المطاردون، إما عبر قصفهم لتلك المنازل بصواريخ الطائرات، أو عبر استخدام الجرافات الصهيونية، ومع ذلك أصر المجاهد محمد العامودي على تقديم المساعدة للمجاهدين، وكان ذلك يتم بشكل سري، وخاصة أثناء دخول المجاهدين للمنزل والخروج منه، ولهذا شعرت والدة المجاهد محمد العامودي أن هذا الأمر سيؤدي إلى اعتقال ولدها محمد أو استشهاده، ولشدة حرصها الشديد عليه لأنه أصغر أولادها، وأنها متعلقة به كثيرًا ولاسيما بعد زواج أبيه من امرأة أخرى، أصرت على إرسال ولدها محمد إلى مخيم بلاطة في مدينة نابلس حيث يوجد هنالك مشغل خياطة لزوج ابنتها، وطلبت منه العمل على استدراج ابنها محمد للعمل في مجال الخياطة،

الأسير المجاهد/ محمد عامودي
برفقة والدته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

وأنها على استعداد أن تغطي مصاريفه ومعاشه بهدف حمايته، وتحت ضغط الأم الكبير وبرًا بها وافق المجاهد محمد على الانتقال من مدينة جنين إلى مخيم بلاطة في محافظة نابلس، ليمضي هناك نحو 3 سنوات، وقرر في العام 2005م العودة إلى مدينة جنين وإلى بلدته برقين، وما أن عاد إليها حتى بدأ أصدقاؤه والمجاهدون والمطاردون يقصدون منزله لشدة كرمه

وسخائه وتفانيه في خدمة المجاهدين، كما كان يفعل في الماضي، وكما فعل في بلاطة، بعيدًا عن أعين العملاء، وتعرف حينها على ابن بلدته المجاهد القائد في سرايا القدس الشهيد نهاد أبو غانم الذي طلب حينها من المجاهد محمد العامودي الاهتمام بالمجاهدين الذين سيحضرهم للمبيت عنده في المنزل، فما كان من المجاهد محمد العامودي إلا الترحيب بهم، وكان أول من دخل منزله المجاهدون: نضال أبو سعدة، وجميل جعار وهم من محافظة طولكرم، ومن قادة سرايا القدس ومن ضمن مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي، وقام المجاهد محمد العامودي باستقبالهم أفضل استقبال، ونشأت بينهم علاقة طيبة ورائعة لدرجة أن المجاهدين نضال وجميل كانا يحضران الطعام بنفسيهما في منزل المجاهد محمد العامودي، وينتظران عودة المجاهد محمد العامودي إلى المنزل لتناول الطعام معهم.

الالتحاق بسرايا القدس

وبعد تجاذب أطراف الحديث تم ضم المجاهد محمد العامودي رسميًا إلى صفوف سرايا القدس، رغم أن ميوله لحركة الجهاد الإسلامي كانت واضحة منذ بداية أحداث انتفاضة الأقصى.

تعمقت صلة المجاهد محمد العامودي مع أبطال مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي، وتم إحضار كل من المجاهدين معتصم رداد وجميل جعار ومعتصم جعار (الجنجي) ووجيه أبو خليل وأدهم يونس ومعتز أبو خليل، وأحمد طوباسي، وكانوا جميعًا يحبون أن يلجئوا إلى منزل المجاهد محمد لما وجدوه من راحة نفسية وطمأنينة، وفي ظل احتياطات أمنية مشددة، وكانوا يدخلون ويخرجون بسرية تامة، حتى دون أن يشعر بهم أحد من الجيران أو السكان في الحي، ولشدة تعلق المجاهد محمد العامودي بهم كان يشعر بالوحدة والوحشة عندما لا يتواجد منهم أحد في منزله، كيف لا وقد اجتمعت قلوبهم على محبة الله، وذكر الله، والجهاد في سبيل الله، فزاد وعي المجاهد محمد وازداد حبه لحركة الجهاد الإسلامي، والفضل بعد الله عائد إلى الشهيد نضال أبو سعدة، والذي كان ولا يزال المجاهد محمد العامودي يعتبره أخاه بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وبدأ حينها المجاهد نضال أبو سعدة

الشهيد القائد/ نضال أبو سعدة
استشهد بتاريخ 31/ 01/ 2006م

يستعين بالمجاهد محمد حول إمكانيته في المساعدة على تجنيد الاستشهاديين، أو إيصالهم إلى الداخل المحتل، أو المساعدة في أي مجال يمكن فيه إنجاح العمل العسكري ضد المحتل الصهيوني، وعندها أخبر المجاهد محمد العامودي المجاهد نضال أبو سعدة بأن له صديقًا يعيش في مدينة "تل أبيب" الصهيونية، واسمه وسام غانم وهو من سكان الأردن.

البحث عن الهدف

وهنا بادر المجاهد نضال بالطلب من المجاهد محمد بأن يذهب إلى "تل أبيب" لفحص مواقع وأهداف للعملية القادمة، واشترى له شريحة هاتف محمول جديدة للتواصل، وقال له: عندما تصل إلى "تل أبيب" عليك أن تكتب لنا على هذه الشريحة الجديدة رسالة عبارة عن كلمة هي "بحبك"، وعندها أعلم أنك قد وصلت إلى "تل أبيب" بسلام، وهناك ذهب إلى زيارة صديقه وسام، واستطاع التجول في شوارع "تل أبيب"، لفحص المواقع التي يتردد عليها الجنود الصهاينة والتي من الممكن أن تصلح لأن تكون هدفًا للعملية القادمة، وقد كرر المجاهد محمد الذهاب إلى "تل أبيب" مرتين إضافيتين، استطاع خلالهما إحضار مواد خاصة بتصنيع المتفجرات، وكذلك إحضار كمية كبيرة من الرصاص تم وضعها في راديو كبير لتمريرها عبر الحواجز الصهيونية، فأعجب المجاهد نضال أبو سعدة ببسالة وشجاعة محمد العامودي، وبدأ المجاهد نضال يبحث عن الاستشهادي المطلوب لتنفيذ العملية، وأوكل هذه المهمة للمجاهد محمد العامودي، فبذل أكبر جهد في ذلك، ولم يجد أحدًا حيث كانت الظروف الأمنية في ذلك الوقت في غاية الصعوبة، وكانت الملاحقات الأمنية الصهيونية للمجاهدين كبيرة جدًا، فلا يستطيع أي مجاهد التحرك بسهولة ولاسيما لوجود تنسيق أمني مكثف بين السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني، من أجل إنهاء الانتفاضة الفلسطينية والبدء بإجراء مفاوضات سلمية وبرعاية غربية، ولذلك أقدم الجيش الصهيوني على اغتيال المجاهد نضال أبو سعدة بتاريخ 31/ 01/ 2006م، وكان معه أخوه المجاهد أحمد حسام طوباسي، في اشتباك مسلح في بلدة عرابة بمحافظة جنين، وجاء هذا الاغتيال في ظل هرولة الفصائل الفلسطينية للمشاركة في الانتخابات التشريعية والمسقوفة بسقف اتفاق أوسلو الهزيل، وأعلنت حركة الجهاد الإسلامي عن رفضها المشاركة في العملية الانتخابية لاسيما أنها جزء من عملية التسوية مع الكيان الصهيوني، وما يسمى بالمجلس التشريعي، الذي أنشئ بموجب اتفاق أوسلو 2، والذي وقع في واشنطن بالعام 1995م، وكان عدد أعضائه 88 عضوًا، أما الآن فهو يتكون من 132 عضوًا، ويحمل اسم مجلس السلطة، وليس المجلس التشريعي كما أسمته السلطة الفلسطينية، لإبعاد شبهة أوسلو عنه، ولهذا فهو من نتاج أوسلو، ومحكوم بسقفه، ولذلك كان خطاب موت أو انتهاء المقاومة هو من مستلزمات الانخراط في هذه اللعبة، وهو خطاب خطير جدًا، ولهذا عندما تكون المشاركة بهذه الانتخابات على حساب مشروع المقاومة الفلسطينية، أو الانقلاب القادم عليها روحًا وثقافة وسياسة فإن خيار وقرار حركة الجهاد الإسلامي هو المحافظة دومًا على المقاومة، والعض عليها بالنواجذ مهما كانت ظروفها وما عداها قد تم تجريبه ولم يزل الحلم الفلسطيني بعيدًا، بل كاد

الحلم في ظل التسوية أن يتحول إلى كابوس مرعب، لولا أن رحم الله شعبنا بالانتفاضة الفلسطينية.

انتفاضة الأقصى

ولهذا فإن حركة الجهاد الإسلامي قدمت شهادتها على تلك المرحلة من خلال الحرب المفتوحة بينها وبين الكيان الصهيوني، والتي برهنت فيها أن فلسطين ليست سلعة للمقايضة باسم الديمقراطية أو في سوق النخاسة الأمريكية، وأن المقاومة والجهاد المسلح عنوان ورمز حياة الشعب والقضية الفلسطينية، ولا يمكن لحركة الجهاد أن تقايضه إلا بالتحرير أو بمقعد في جنة الرحمن، لا في المجلس التشريعي، كما فعل المجاهدان الشهيدان نضال أبو سعدة وأحمد طوباسي اللذان كتبا بدمهما النازف أن من يملك البندقية يملك القرار، ولهذا كانت حادثة اغتيال المجاهدين نضال وأحمد قاسية جدًا على قادة وأعضاء سرايا القدس في الضفة الغربية، وشعر حينها المجاهد محمد العامودي بحزن شديد، وإكرامًا لصديقه نضال أصبح يكنى بـ (أبو نضال)، وأقسم على أن يثأر لدماء الشهداء،

الشهيد القائد/ إلياس الأشقر
استشهد بتاريخ 14/ 05/ 2006م

وتوجه إلى المجاهد إلياس الأشقر والذي كان يعتبر قائد سرايا القدس في مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي، وطلب منه مسدس المجاهد نضال لكي يحتفظ به كما احتفظ بملابسه لأجل الذكرى، فبادر حينها المجاهد إلياس وطلب من المجاهد محمد العامودي أن يكمل ما بدأه مع الشهيد نضال أبو سعدة من أعمال عسكرية وجهادية.

الباحث عن الشهادة

وتوجه حينها المجاهد محمد إلى أحد أصدقائه من الذين يدرسون في جامعة القدس المفتوحة، وهو المجاهد سامر حماد، من قرية العرقة في مدينة جنين، والذي توجه أكثر من مرة للمجاهدين من أجل تنفيذ عملية استشهادية، وما أن التقى به المجاهد محمد وسأله: يا صديقي سامر هل ما زلت تبحث عمن يساعدك في عملية استشهادية؟ فأجابه على الفور: نعم، وأتمنى أن يكون هذا اليوم قبل الغد، فأجابه محمد: أنا سأساعدك في هذا الأمر وعبر سرايا القدس، وقال حينها المجاهد سامر: أنت يا عامودي ملاك أرسله الله إلي لمساعدتي في هذا الأمر، وقد كنت دومًا أدعو الله أن يرسل إلي من يساعدني في هذا الأمر، فأرسلك أنت. وكان ذلك في تاريخ 16/ 04/ 2006م، أي قبل العملية بيوم واحد، وطلب حينها المجاهد محمد من البطل سامر حماد أن يحضر إلى منزل المجاهد محمد بعد صلاة المغرب في ذلك اليوم لإكمال ما تحدثا به، إلا أن المجاهد سامر تأخر عن الموعد، فبادر المجاهد محمد واتصل بالمجاهد سامر، ليجده منذ فترة يحاول الوصول إلى بلدة برقين ولا يستطيع بسبب تواجد إحدى

الدوريات العسكرية على مدخل قرية كفر قود، فقال له المجاهد محمد العامودي: وأين أنت الآن؟ فقال له: أنا الآن موجود أمام مدرسة الهاشمية، فقال له المجاهد محمد العامودي: لا تتحرك من مكانك وأنا سآتي إليك! واستقل المجاهد محمد سيارته وسار بها إلى ذلك المكان فوجده أمام المدرسة، وما أن ركب معه في السيارة حتى قام بإغلاق جهاز البلفون الخاص به، وفصل البطارية عن الجهاز حتى لا يتم متابعته من قبل الاحتلال الصهيوني، ووصلا إلى بلدة برقين ودخلا إلى منزل المجاهد محمد العامودي، وقام حينها المجاهد القائد إلياس الأشقر بالجلوس مع المجاهد سامر حماد لوحدهما نصف ساعة ليخرج بعدها المجاهد إلياس طالبًا من المجاهد محمد العامودي أن يجهز المجاهد سامر للتصوير، وتم تعليق رايات سرايا القدس على جدران الغرفة، وتجهيز التصوير للاستشهادي سامر، وبدأ المجاهد إلياس بتصويره وكان المجاهد محمد يقف إلى جانب المجاهد إلياس، وقال حينها للمجاهد سامر: لماذا لا تبتسم؟! وكان قد خرج صوته في شريط الفيديو مما اضطر المجاهد إلياس إلى إعادة التصوير للمجاهد سامر مرة أخرى، ولما تمت عملية التصوير غادر المجاهد إلياس من أجل تجهيز شنطة المتفجرات، وقام حينها المجاهد محمد العامودي بإعطاء المجاهد سامر مبلغًا من المال لكي يستأجر سيارة ويعود بها إلى منزله في قرية العرقة طالبًا منه العودة في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي كان المجاهد سامر حماد يقف أمام منزل المجاهد محمد العامودي في تمام الساعة السابعة، أي قبل الموعد بساعة تقريبًا، وتفاجأ المجاهد محمد العامودي من ذلك وقال حينها المجاهد سامر إنه في عجلة من أمره ويريد أن يلقى الله عز وجل بأسرع وقت ممكن وأن شوقه للجنة لا يوصف، وانتظر حينها مجيء المجاهدين معتصم جعار وإلياس الأشقر، وما أن أصبحت الساعة الثامنة صباحًا حتى جاءا ومعهما شنطة المتفجرات، وسأل حينها المجاهد إلياس المجاهد سامر: هل أنت جاهز يا سامر؟

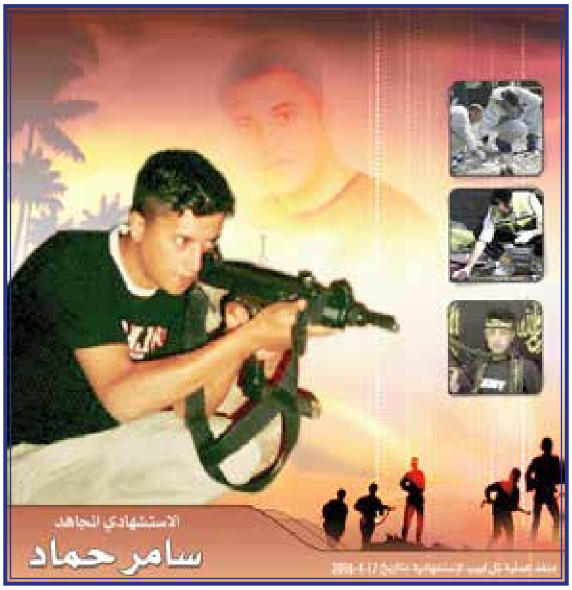

فأجابه بأنه جاهز منذ زمن طويل جدًا، وعندها قام المجاهد محمد العامودي بإسماعهم شريطًا لأنشودة "سرايا القدس انطلقي في التل والجبل"، وخرج حينها المجاهدون الأربعة إلياس ومعتصم وسامر ومحمد العامودي ومعهم شنطة المتفجرات، وهي عبارة عن شنطة مدرسية، وركبوا في سيارة قادها المجاهد محمد العامودي وجلس بجانبه المجاهد إلياس وفي الخلف المجاهدان سامر ومعتصم، وتوجهوا من بلدة برقين إلى مدينة

جنين، ومن ثم توجهوا إلى خلف مستشفى جنين الحكومي، وهناك سلّم المجاهد محمد العامودي شنطة المتفجرات للاستشهادي سامر حتى ينطلق بها إلى موقع العملية في "تل أبيب" كما كان متفقًا على ذلك سابقًا، وطلب حينها المجاهد محمد العامودي من المجاهد إلياس عدم الإعلان عن العملية إلا عندما يعود من "تل أبيب" بسلام.

بدء مراحل العملية

بعدها توجه المجاهد محمد العامودي ومعه المجاهد سامر حماد في صباح يوم 17/ 04/ 2006م إلى محطة كراج السيارات في مدينة جنين، وركبا في إحدى السيارات إلى مدينة رام الله، وكانت شنطة المتفجرات بين يدي المجاهد محمد العامودي؛ لأنه يعرف كيف يتعامل معها بشكل احترافي، وقبل وصولها إلى مشارف مدينة رام الله، فوجئا بوجود حاجز صهيوني، وتم إيقاف سيارتها، وعندها بدأ المجاهد محمد العامودي وسامر حماد يتلُون قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]. وتقدم نحوهم الضابط الصهيوني وطلب هوية سائق السيارة، وبعد فحصها طلب من سائق السيارة مواصلة السير، وعندها قال المجاهدان إن الله قد أعمى بصر الصهاينة عنهما بفضل آية القرآن التي تلواها، وتقدما نحو وسط مدينة رام الله ووصلا بسلام، وما أن نزلا من السيارة حتى قام المجاهد محمد العامودي بحمل شنطة المتفجرات على ظهره، وبدأ يسير مع أخيه المجاهد سامر، وكان المجاهد سامر حينها يرتدي كنزة سوداء مرسومًا عليها قطعة سلاح من نوع (M16)، ثم ذهبا إلى بوتيك ملابس واشترى المجاهد محمد العامودي بلوزة وبنطالًا للمجاهد سامر، وقام المجاهد محمد العامودي بالاحتفاظ بملابس المجاهد سامر كما كان قد احتفظ بملابس أخيه وصديقه الشهيد نضال أبو سعدة، ومن ثم توجه بعدها من رام الله إلى بلدة عناتا في محيط القدس الشريف.

عقبات في الطريق

ولما وصلا هناك بدأت عملية البحث عن سائق سيارة يستطيع إيصالهما إلى مدينة "تل أبيب" وسط دعوات تخرج من صدر وقلب المجاهد سامر حماد بأن يسهل الله دربهم للوصول إلى "تل أبيب"، وتفاجئوا بعدم قبول أحد من سائقي السيارات لإيصالهما وذلك بذريعة أنه يوجد عيد عند العدو الصهيوني وهو عيد "البيسح" أو ما يسمى بعيد الفصح، وقررا أن يأخذا استراحة لفترة من الزمن في أماكن بعيدة عن الناس، وقام حينها المجاهد محمد العامودي بالاتصال بوالده الذي كان يتعالج من مرض السرطان في الأردن، وذلك للاطمئنان عليه، وبالأحرى كان هذا الاتصال بمثابة اتصال الوداع ولا يعلم المجاهد محمد ما أخفي له في الساعات القادمة، وحاول المجاهد سامر حماد أن يقوم بتوديع شقيقته عن طريق الاتصال بها كما فعل المجاهد محمد العامودي، فخشي حينها المجاهد محمد العامودي أن يكون هذا الاتصال سببًا في فشل هذه العملية، وعندما أدرك المجاهد سامر خطورة الأمر قرر عدم الاتصال بشقيقته، ودعا الله أن يجتمع بها في الجنة، فتأثر حينها المجاهد محمد العامودي كثيرًا، وكاد أن

يندم على ذلك، وتوجه بعدها المجاهد محمد واشترى ساندويشات البسطرما والعصير له وللاستشهادي سامر، وبدآ يتناولان الطعام بكل هدوء، ووسط راحة وطمأنينة وسكينة قد نزلت عليهما، فبدأ المجاهد محمد يسترق النظر وهو يشاهد المجاهد سامر حماد كيف يتناول الطعام والشراب، ويقول في نفسه ليتني أتحلى بالشجاعة والبسالة والإيمان اليقيني الذي يتحلى به المجاهد سامر! وبدأ يطعم المجاهد سامر من الساندويش ويسقيه من العصير، وقال حينها المجاهد سامر: يا صديقي يا محمد، لقد انتظرت طويلًا واشتقت كثيرًا إلى الجنة! وكان معه مبلغ مائتا شيقل أراد إعطاءها للمجاهد محمد العامودي، ورفض المجاهد محمد أخذها وقال له: دعها في جيبك! وبدأ المجاهدان في محاولة جديدة للبحث عن سائق سيارة يوصلهما إلى "تل أبيب"، وقال المجاهد محمد العامودي للمجاهد سامر إنه في حال عدم تمكنهما من مواصلة الطريق فإنهما سيعودان إلى رام الله للمبيت في أحد الفنادق، وفي اليوم التالي يكملان طريقهم منذ الصباح الباكر، فوافق حينها المجاهد سامر على الرغم أنه بدت عليه علامات الحزن الشديد لعدم تمكنهما من إيجاد أحد لإيصالهما إلى موقع العملية، وبدأ حينها المجاهدان ببذل مجهود كبير في إقناع السائقين لإيصالهما إلى "تل أبيب"، فوافق أحد السائقين على نقلهما، وركبا معه سيارة الجيمس وكان عدد الركاب اثنا عشر راكبًا، وتحرك حينها سائق السيارة وبدأ بالسير من عناتا إلى طريق "تل أبيب"، وطلب المجاهد محمد العامودي من سائق السيارة إعادته معه إلى الضفة الغربية، حيث ذكر له أنه يريد النزول في مكان محدد في "تل أبيب"، ليذهب إلى أحد المطاعم ويحضر مبلغًا من المال له على صاحب ذلك المطعم، الذي كان يعمل به، ثم يعود إلى الضفة الغربية، فوافق حينها سائق السيارة على ذلك، وأثناء الطريق كان المجاهدان سامر ومحمد يجلسان خلف سائق السيارة مباشرة، وشنطة المتفجرات وضعها المجاهد محمد العامودي بين رجليه، آخذًا الحيطة والحذر في التعامل معها.

الاستشهادي مكمن الخطر

وقبل وصوله إلى "تل أبيب" كان هنالك حاجز للشرطة الصهيونية، يقوم بإيقاف السيارات بشكل عشوائي، فطلب سائق السيارة من الركاب بأن يقوم كل راكب بتفتيش سريع لحقيبة الراكب الذي بجانبه، خوفًا من وجود استشهادي بينهم وهم لا يعرفون، فشعر حينها المجاهدان سامر حماد ومحمد العامودي أن أمرهم قد كشف، فهل يا ترى أصبح الاستشهادي في نظر الناس ورطة لا يمكن قبولها؟ أو لم يعلم هؤلاء الناس أن هؤلاء الأبطال والاستشهاديين قد تقلدوا الموت قلادة مزينة بأروع وأجمل الجواهر الإلهية؟ فهم الأحياء الخالدون الذين لا ينالهم الموت، يشهدون على كل ما يمر من تاريخ الشعب الفلسطيني الذبيح، أولا يعلمون أن هذا اليوم 17/ 04/ 2006م في الوقت الذي يحتفل فيه الصهاينة بعيدهم وسط فرح وسرور يحيي الشعب الفلسطيني ذكرى يوم الأسير الفلسطيني؟ ذلك التاريخ المنسي في سجون الاحتلال الصهيوني منذ عشرات السنين، وبعد كل هذا يصبح الاستشهادي ورطة وعرضة للتفتيش عنه؟ وبدل أن يسندوه ويؤيدوه يخرجونه ويوقعون به قبل الجميع، وشعر حينها المجاهدان

سامر ومحمد بأن الجو أصبح معتمًا، والأفق منكمشًا، والأرض أمامهما شديدة الوعورة من شدة الهول والظلمات، مثقلة الساحات بالمؤامرات، والدسائس التي تحيط بهم وبكل المجاهدين في كل مكان، حتى وصل الأمر بهم للاجتماع في الأردن للتآمر على تصفية القضية الفلسطينية والانتفاضة الفلسطينية، وكأن الانتفاضة أصبح حالها صعبًا جدًا، وكأن لسانها مقطوع، وقلمها مكسور، وشفتيها مطبقتان، ويديها مكبلتان، وأقدامها دامية، وطريقها مسدود، وحملها ثقيل، والعدو يحاصرها ويحاصر المجاهدين من كل مكان، ووسط هذا كله بدأ المجاهدان محمد وسامر يدعوان الله عز وجل أن ينجيهما من كل كرب، ويحقق لهما ما خرجا من أجله، فإذا بالحاجز الصهيوني والذي أرعب الركاب لدرجة أنهم بدأوا بعملية تفتيش الحقائب قد توقف عن إيقاف السيارات للتفتيش، وما هي إلا دقائق حتى وصل الأبطال إلى مدينة "تل أبيب"، إلى محطة الباصات المركزية القديمة، وطلب حينها المجاهد محمد العامودي من سائق السيارة أن يعود إليه بعد دقائق لإعادته إلى الضفة الغربية، كما شرح له سابقًا، وعندها بدأ المجاهدان محمد وسامر بالسير مشيًا على الأقدام في شوارع "تل أبيب" للوصول إلى الهدف المرصود، وكانا ينظران إلى كل زاوية، وإلى كل بناية، وإلى كل شارع، وإلى كل حجر في "تل أبيب"، لأنها ليست "تل أبيب" بل لأنها تل الربيع، هذه المدينة التي اغتصبها الصهاينة في العام 1948م، وحولوا اسمها من تل الربيع إلى "تل أبيب"، تشويهًا لتاريخها الإسلامي والعربي والفلسطيني، ولكن خاب أملهم ورجاؤهم، فلهذه الأرض رائحة الندى وهي فواحة لمن مات على أرضها، وأصبح فوق ترابها كأطياف طاهرة لا يراها البشر.

لحظات حرجة

ولما تحرك المجاهدان في أحد الشوارع إذا بسيارة للشرطة الصهيونية تتقدم باتجاههما وطلب حينها المجاهد محمد العامودي من المجاهد سامر أن يسير وحده، وبعيدًا عنه، وأنه في حال تم اعتقاله عليه أن يقول لهم إنه جاء للبحث عن عمل، فسأل المجاهد سامر المجاهد محمد: وأنت كيف ستتدبر أمورك؟ فقال له: سأبقي شنطة المتفجرات معي ولا تقلق علي، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين، وما أن بدآ بتنفيذ الخطة حتى سارت سيارة الشرطة إلى مكان آخر، فحمدا الله _عز وجل_ على عنايته وحفظه لهما.

وشاهد حينها المجاهد محمد العامودي أمامه مطعمًا صهيونيًا ورأى به الكثير من الصهاينة، ولاسيما أنه قد تم افتتاحه من جديد، وهو نفس المطعم الذي نفذ فيه الاستشهادي سامي عنتر بتاريخ 19/ 01/ 2006م عملية استشهادية باسم سرايا القدس، فأراد المجاهد محمد العامودي أن تكون هذه العملية في نفس المطعم، وطلب حينها من المجاهد سامر حماد أن يحمل شنطة المتفجرات على ظهره وقال له كيف يشغل الدائرة الكهربائية لحدوث الانفجار، وطلب منه عند لحظة التفجير أن يكون اتجاه شنطة المتفجرات إلى داخل المطعم، حتى يتم قتل أكبر عدد ممكن من الصهاينة، وكانت هذه اللحظات من أصعب اللحظات التي

مر بها المجاهد محمد العامودي، واقترب حينها من صديقه وأخيه الاستشهادي سامر وقام بتوديعه وتقبيل جبينه الطاهر، وأوصاه أن يشفع له عند لقاء الله ـ عز وجل ـ، وقال له: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وسأل حينها المجاهد سامر مرة أخرى المجاهد محمد: وكيف ستدبر نفسك الآن؟ فأجابه: لا تقلق علي، المهم أن نعيد لأمهات الشهداء وأبناء الشهداء وعائلات الأسرى البسمة على شفاههم عندما تثلج أنت صدورهم بقتل الصهاينة! وبدأت اللحظات الأخيرة للعملية حيث توجه المجاهد محمد إلى بسطات لبيع الخضرة تقع بالقرب من المطعم، بحيث يمكنه مشاهدة كل من بداخل المطعم، بينما توجه المجاهد سامر حماد إلى هناك إلى موقع العملية، ليؤكد للعالم أجمع أنهم وحدهم شباب فلسطين الذين يدافعون عن كرامة الأمة وجدارها الأخير، ووحدهم أبطال انتفاضة الأقصى يخرجون من بين الأنقاض ومن بين الركام ليستمروا في المقاومة، فوحدها المقاومة في فلسطين تلوح في الأفق هلالًا من نار ونور تضيء ليل فلسطين المظلم، فتقدم فارس الأمة المجاهد سامر، نحو الهدف مبتسمًا، وكيف لا يتبسم؟ وقد اختار الموت بنفسه، فأقدم على الشهادة ليفدي عشقه للحقيقة بعد أن كادت أن تموت، أقدم على الشهادة باعتبارها السلاح الوحيد من أجل القيم السامية، فأدرك أن الشهداء أحياء حاضرون، والشهداء ينظرون ويراقبون بين يدي الله ـ عز وجل ـ، بل بين يدي الناس أيضًا، وفي كل عصر وقرن وأرض وزمان، فقد أثبت الشهداء ويثبتون وعلموا ويعلمون وصرخوا ويصرخون في وجه المتخاذلين قائلين لهم: أيها الواهمون الذين تظنون أن العجز يحني الجهاد ضد الظلم والاحتلال! فالقائلون أن النصر على العدو الصهيوني يجب أن يصحبه شرط التفوق العسكري والتقني، هم في تيه من أمرهم، يعبثون، أتعلمون لماذا؟ لأن الشهيد إنسان ينتصر على العدو الصهيوني في زمن الهزيمة، والعجز ينتصر عليهم وعلى ذواتهم، ويفضح العدو عندما لا يستطيع منعه أو ايقافه، وكما يقول الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي: "الشهيد لا يذهب إلى الموت، بل يذهب إلى الاشتباك المستمر، لا ينهي الانفجار أو الرصاصة دوره في المقاومة، كل ما يحدث أن الروح القلقة الخوافة تتحرر من القلق والخوف، ومن أي شيء وعلى أي شيء، وتبدأ في نقر الأرواح الميتة والنائمة والمتقاعسة لتوقظها وتحررها وتطلقها لتصطف في المعركة".

الأمل يتحقق.. والانفجار يدوي في المكان

وصاح المجاهد سامر حماد في وجه الصهاينة: الله أكبر.. الله أكبر، فاتجهت أسماعهم وأبصارهم وارتعدت فرائصهم قبل أن يفجر نفسه، وما أن فجّر روحه الطاهرة حتى هز الانفجار المكان، وتناثرت الأشلاء في كل مكان وارتفعت ألسنة اللهب مصحوبة بأصوات الصهاينة، انفجار انفجار، أنقذونا أنقذونا! وكل ذلك يحدث أمام عيني المجاهد محمد العامودي، الذي شاهد كل تفاصيل الانفجار وما أن تجمهر الصهاينة في المكان حتى سارع المجاهد محمد العامودي إلى مغادرة مكان العملية، وبدأ يسير إلى مكان بعيد، وكان يرتدي جاكيت أسود قام بإلقائه في الطريق خوفًا من تتبع آثاره عبر الكاميرات الموجودة في داخل الشوارع، وكان أمامه بناية كبيرة فجلس في مدخلها ما يقارب الساعة والنصف،

لا يعلم كيف يغادر المدينة التي أصبحت ثكنة عسكرية، وتذكر حينها صديقه الأردني وسام، وقام بالاتصال به لأخذه إلى منزله، وما هي إلا دقائق فإذا بالمجاهد محمد يدخل منزل صديقه وسام، واستراح قليلًا، ثم قام وتوضأ وصلى لله ركعتين، ودعا الله ـعز وجلـ أن يرحم ويغفر للشهيد، وأن يغفر له إن قصر في شيء، وبدأ صديقه وسام يسأله حول سبب قدومه إلى "تل أبيب" أو إن كان له علاقة بالعملية؟ وقال له المجاهد محمد العامودي إنه لا علاقة له بذلك وأنه جاء للبحث عن عمل ومن أجل شم الهواء فقط، وطلب من صديقه وسام أن يبحث له عمن يوصله إلى مدينة الناصرة المحتلة، فخرج ليجد له من يقوم بذلك، ولكنه عاد دون أن يتمكن من تحقيق هذا الأمر، وقررا حينها أن يجهزا وجبة العشاء حتى يذهبا بعدها إلى البحر.

الاعتقال

وما هي إلا دقائق فإذا بالمنزل محاط بالشرطة الصهيونية من كل مكان، وبدأوا عبر مكبرات الصوت ينادون عليهما بالاستسلام وتسليم نفسيهما، واقتحموا المنزل وتم الإمساك بالمجاهد محمد العامودي وصديقه وسام، ليبدأ بالتعرض للضرب والتحقيق الميداني، ومن ثم تم نقله إلى تحقيق سجن الجلمة، ليحقق معه أحد المحققين الصهاينة واسمه سجيف قائلًا له: "نريد منك يا عامودي أن تحدثنا عن تفاصيل العملية"، فقال لهم: "وما هي علاقتي بهذا الأمر؟!". وقالوا له بعد نقاش طويل إنه سيتم نقله إلى أحد السجون، وإنه إذا تأكدنا أنه ليس لك علاقة سنفرج عنك، وتم نقله إلى أحد السجون، ولكن هذا السجن كان عبارة عن مصيدة، بمعنى أنه سجن للعصافير أي للعملاء، وهم عبارة عن عملاء يتظاهرون أنهم أسرى أمنيون أبطال، فبدأوا باستقبال المجاهد محمد العامودي وقالوا له: إن إخوانه في حركة الجهاد الإسلامي يبعثون له السلام ويريدون منه أن يؤكد لهم أن هذه العملية

هي للجهاد للإسلامي أم لا؟! حتى يتم الإعلان عنها، وأنهم ينتظرون منه اتصالًا، وهناك قد وقع المجاهد محمد العامودي في هذا الفخ، وذكر لهم كل ما يريدون معرفته، وتم إعادته مرة أخرى إلى التحقيق، وحينها قال له المحقق سجيف: "كل هذا الذي ذكرته عند العصافير وتقول إنه لا علاقة لك بالعملية". وأمضى حينها فترة طويلة في التحقيق، وبعدها تم نقله إلى سجن مجدو ليستقبله أبطال الجهاد الإسلامي وباقي الفصائل الفلسطينية، قائلين له: أنت صاحب العملية التي وُصفت بالحقيرة؟ فبدأت عليه علامات الاستغراب، فقالوا له إنه عندما بدأ تنفيذ العملية صّرح رئيس السلطة محمود عباس (أبو مازن) بأنها عملية حقيرة، وأخبروه أن هذا أدى إلى غضب واحتجاج واستنكار واسع من قبل الشعب الفلسطيني، وقال حينها المجاهد محمد العامودي إن من يحقّر الاستشهاديين هو الحقير، وإن الاستشهادي سامر دافع عن كل حر وشريف في العالم، وكان لسان حاله يقول لهم: هلمّوا من ورائي يا كل المجاهدين والشرفاء والأحرار! يا كل التائهين والحيارى! هلمّوا إلى الجهاد في سبيل الله، إلى جنة الرحمن! ونحن نقول يا سيدنا سامر، يا سيد المجاهدين والاستشهاديين رحلت عنا لتهبنا بموتك الحياة، وزرعت في نفوسنا الأمل، واعلم أنهم أرادوا تشويه عمليتك، ولكن الموت يجلدنا جميعًا لننهض ولنصرخ ونشعلها ثورة ولينطلق رصاصنا وصواريخنا وقنابلنا نحو قلب الكيان الصهيوني الغاصب، ولنجعل من دمك الطاهر النازف لعنة على المحتل الصهيوني، فأراد العدو الصهيوني الانتقام من المجاهد محمد وتم محاكمته بتلك المحكمة الصورية، فحكموا عليه بأحد عشر مؤبدًا، فلم يتراجع ولم ينكسر ولم ينهزم، بل وقف شامخًا رافعًا رأسه، لم يندم على ما قدم من جهاد قصد به وجه الله عز وجل، وبدأ معركته الجديدة مع العدو الصهيوني في داخل الأسر عبر قيامه ومشاركته ضد ما يسمى زورًا بمصلحة السجون الصهيونية عبر الإضرابات المتكررة والمتعددة.

حزن يتكرر

وبالرغم من الأوضاع الصعبة التي عاشها البطل محمد العامودي في سجون الاحتلال فقد ابتلاه الله _عز وجل_ فحمد وصبر عندما جاءه خبر وفاة والده بتاريخ 29/ 07/ 2014م، وكان في أول أيام عيد الأضحى المبارك، ليأتيه الخبر الأصعب والذي ما زال متأثرًا به حتى الآن وهو خبر وفاة والدته بتاريخ 01/ 01/ 2016م،

والدة الأسير المجاهد/ محمد عامودي
في وقفة تضامنية مع الأسرى بمحافظة جنين

تلك المرأة المجاهدة الصابرة المحتسبة والتي لقيت

الله _عز وجل_ بعد أن بذلت كل ما بوسعها من أجل التخفيف عن ولدها محمد في سجون الاحتلال، فكانت تزوره كلما سنحت الفرصة إلى ذلك، بل دفعت ثمنًا كبيرًا من أجل ذلك، حيث إنه في العام 2015م عندما كانت في زيارة لولدها محمد في سجن جلبوع الصهيوني وعلى باب السجن تم اعتقال والدته بتهمة تهريب الأجهزة الخلوية لولدها محمد، وتم اقتيادها للتحقيق، وقامت إحدى العائلات الشريفة في أم الفحم بكفالتها إلى حين وقت المحكمة ليتم الحكم عليها بغرامة مالية قدرها 5000 شيقل، ومُنعت من زيارة ابنها المجاهد محمد وتوفاها الله _عز وجل_ دون أن يراها منذ ذلك اليوم، وبالرغم من كل الابتلاءات المتكررة والمحن والمصائب التي أصابت المجاهد محمد إلا أنه ما زال ممسكًا بحبل الله المتين، ومدركًا أن بعد العسر يسرا، وأن فضل الله ورحمته عظيمة، ومدركًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: 10].

الأسير المجاهد

وجيه جلال وجيه أبو خليل

رجل المهمات الصعبة، ونجم الجهاد الساطع

تاريخ الميلاد: 1982/07/12م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة عتيل - محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 13

تاريخ الاعتقال: 2006/05/03م

الحكم: 16 مؤبد و50 عاماً

نكتب اليوم عن مجاهد فذ من مجاهدي سرايا القدس في الضفة الغربية ممن عملوا وجاهدوا في مجموعة هي أم المجموعات العسكرية، وهي مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي أيقونة المقاومة والشهادة في الضفة الغربية، فكان الشرف العظيم لهذا المجاهد أن يكون ضمن هذه المجموعة الربانية الجهادية، ولنا الشرف كل الشرف أن نكتب حياة هذا المجاهد في صفحاتنا ولاسيما أننا نرى في هذا المجاهد الكثير من معاني الصبر والصمود، كيف لا وحاله يقول: ما أشد هذه الأيام الحالكة! إنها كسُلَّم نصبت لي درجاتها من سيوف مسنونة، ففي كل يوم جرح ينفجر بالدم، ولكل يوم عذاب وتقطيع في الجرح نفسه، لا راحة في الصعود ولا في الوقوف ولا في النزول، وكل يوم يقول لي حب الوطن: تعلق بيديك المزعتين على حد هذا السيف، وضع قدميك المزقتين على حد ذلك السيف واصعد نحو العلا! فالدم قانون المرحلة، إذا أُنتهك هذا القانون وخاضت في ذلك الدم مهانة أو مخزاة انتفض أولئك الأموات (الأحياء عند ربهم) العظام، أولئك الشهداء الكرام، واضطربوا كأمواج البحر، وتحولت قطرات الدم العريق إلى لمح باصر، كأن كل قطرة منه تفور على حد سيف مجرد

من غمده، وامتلأت عروق الوطن أحيانًا داوية كصلصلة السلاح في المعركة، وترى حينها هذا الدم الكريم يترقرق، ثم يتعقد ثم يلتف على الجرثومة التي دنسته فينفجر بها انفجارة البركان، فلا يدع الصخر صخرًا ولا الحديد حديدًا ولا التراب ترابًا ولا الخضيرة خضيرة ولا العفولة عفولة ولا "تل أبيب" "تل أبيب" ولا حيفا حيفا ولا "نتانيا" "نتانيا" ولا معسكر "دوتان" "دوتان"، بل إن هذا الدم النازف يذيبها كلها في حميم واحد، يجمع صورها في صورة بغيضة تدمر كل شيء، لذلك فهذا الدم هو قانون المرحلة، وهو قانون أزلي يرثه المجاهدون من جيل إلى جيل آخر. ولذلك فقد قطرت من الدم كلمات ومعاني لأكتب عن هذا المجاهد، ولاسيما أن لا يزال الوطن الحر الأبي الشامخ يقدم شبانًا في عمر الورود تركوا الدنيا وزخارفها ولبسوا لأمة الحرب دفاعًا عن العقيدة ودفاعًا عن الوطن ودفاعًا عن تراب فلسطين المقدس. ماذا يضرك أيها الوطن؟ فقد أقسم مجاهدو سرايا القدس في الوطن السليب أن يرووك من دمائهم الزكية ومن مآقيهم، حتى وإن منعوا عنهم الماء، فإن الدماء تتدفق من عروقهم لتمتزج في جذور الوطن الضاربة في أعماق الأرض، فلا يزال مجاهدنا البطل وجيه أبو خليل على العهد والوعد لدماء الشهداء ولتراب الوطن السليب.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد وجيه في بلدة عتيل في محافظة طولكرم، في تلك القرية الشامخة بجبالها وتلالها المزينة بأشجار الزيتون واللوز وبسهلها الأخضر الممزوج بدماء الشهداء، فهناك وُلد هذا البطل القوي الشخصية، القوي الإيمان والقوي التأثير، ونشأ وترعرع في عائلة مؤمنة ملتزمة تمتاز بالحشمة والمحافظة على القيم والأخلاق الإسلامية، وتعتمد على فلاحة الأرض التي تملكها مما جعلهم من العائلات الميسورة الحال، ومكَّن الأبناء من دخول المدارس وإكمال مشوارهم التعليمي الأساسي، ففي تلك الظروف والأجواء المتنوعة عاش مجاهدنا وجيه الذي تفجرت في نفسه مشاعر وأحاسيس كثيرة عمقتها طبيعة الحياة التي عاشها بين جمال الأرض ومزروعاتها، وبين حب العلم والدراسة وبين واجباته الدينية وارتياد المساجد، ليكون جيل هذا المجاهد من جيل الانتفاضة الفلسطينية الأولى، جيل أطفال الحجارة التي كبر فيها على صوت المقاومة وصوت الانتفاضة وعلى أزيز الرصاص، فشارك أبناء جيله من أشبال الانتفاضة بكل الفعاليات والنشاطات التصعيدية ضد الاحتلال الصهيوني في بلدة عتيل، فتعلم رمي الحجارة والزجاجات الفارغة ورفع الأعلام والهتاف لرفعة الوطن وكرامة المواطن. ولذلك كان الثمن واضحًا بالسياسة الصهيونية التي حاولت تجهيل جيل الانتفاضة عبر إغلاق المدارس وحرمان الأطفال والأشبال من التمتع بطفولتهم وبمدرستهم، فأصبح اهتمام المجاهد وجيه بالدراسة ضعيفًا، فانخفض مستواه العلمي، وهيأ الله له من يساعده وهو الأستاذ المربي القدير فخري الشريف الذي انتبه لتراجع مستوى المجاهد وجيه الذي كان في الماضي من الطلبة المهتمين بالعلم والدراسة، وبدأ الأستاذ يوجهه ويحدثه عن العلم وأهميته في ظل الاحتلال الصهيوني، وأن الوطن لا يمكن أن يتحرر فقط

بالنضال والمقاومة؛ لأن الكفاح والنضال والثورة بحاجة دومًا إلى المتعلمين والواعظين والمرشدين والمفكرين والعلماء والصحفيين والشيوخ جنبًا إلى جنب مع أبطال المقاومة في ميادين القتال.

الكره للمحتل يتنامى ويكبر

بدأ المجاهد وجيه يوائم بين دروسه وبين نشاطاته في الانتفاضة، وبين عمله في زراعة الأرض مع والده وبين المسجد وأداء الصلوات فيه إلا أن شغله الشاغل دومًا ينصب على مواجهة المحتل الذي كان ولا زال المجاهد وجيه يكن له الكره الشديد والحقد اللامحدود، وخاصة عندما كان الجيش الصهيوني يقتحم بلدة عتيل ويمسك بالأطفال في القرية ومن بينهم المجاهد وجيه، ويطلب منهم رغم صغر سنهم الانصياع لأوامر الجيش الصهيوني بأن يقوموا بفتح الطرق وتنظيفها من الحجارة والحواجز والمتاريس التي كان يقيمها أبطال الانتفاضة، وأن عليهم أن ينزلوا الأعلام من على أعمدة الكهرباء أو الهاتف، ويقوموا بمسح الشعارات المكتوبة على جدران المنازل، وكانت هذه المهمات مهمات شاقة جدًا ومذلة جدًا وإلزامية بحيث من يرفض إما أن يعتقل وإما أن يضرب ضربًا مبرحًا، وإما أن يربط على عمود موجود على مقدمة الجيب الصهيوني، ويتم اقتحام المكان الذي يتظاهر فيه أبطال الانتفاضة، وحين تبدأ عملية ضرب الحجارة فإن هذا الشاب المربوط في الجيب الصهيوني يصاب بجميع الحجارة مما يؤدي إلى إصابته بعشرات الإصابات المختلفة، ولا يزال المجاهد وجيه يتذكر ذلك اليوم الذي اقتحم فيه الجيش الصهيوني منزله واعتقلوا أخاه الأكبر، وكان الاقتحام همجيًا وعنجهيًا يدل على مدى الحقد الصهيوني على الإنسان الفلسطيني، والأصعب بالنسبة إليه عندما استشهد شهيدان من بلدة عتيل، فشارك حينها إلى جانب أهالي البلدة في تشييع جثماني الشهيدين وإذا بالجيش الصهيوني يقتحم البلدة ويبدأ بإطلاق النار في الهواء وإطلاق الغاز المسيل للدموع، فما كان من أهالي البلدة إلى أن وضعوا نعشي الشهيدين على الأرض والهروب من المكان إلى أماكن آمنة إلا أن رجال وشيوخ البلدة تقدموا باتجاه العدو الصهيوني، وحملوا النعشين غير آبهين لرصاصهم أو غازهم المسموم، وعندها علم المجاهد وجيه مدى عنجهية وظلم المحتل الصهيوني الذي لا يحارب الأحياء فقط، بل يحارب الأموات، فَوَلَّد ذلك الغضب الشديد في نفسية المجاهد وجيه والذي توعد بني صهيوني بالانتقام منهم حين يكبر في يوم من الأيام.

أوسلو ووأد الانتفاضة

ونتيجة لتصاعد الانتفاضة الفلسطينية ومن أجل إجهاضها ووقف دعمها من أحرار وشعوب العالم تآمرت الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني وعملاء الوطن العربي على القضية الفلسطينية، وجعلوا منظمة التحرير الفلسطينية توقع على اتفاقية أوسلو مع العدو الصهيوني عبر عملية سلام جمعت بين الطرفين أدت إلى عودة القيادة الفلسطينية من الخارج إلى داخل الضفة الغربية وغزة تحت مُسمى السلطة الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات،

مما جعل قادة وكوادر وأعضاء ومؤيدي حركة فتح يخرجون إلى الشوارع والحارات والقرى والمدن والمخيمات ويعبرون عن فرحهم وسرورهم بما حدث، فكان المجاهد وجيه حينها يسير إلى جانبهم في استعراضاتهم اليومية عبر سيرهم في سيارات كثيرة وهم يرفعون الأعلام الفلسطينية وصور القيادة الفلسطينية، ويهتفون ويغنون بهذا الانتصار الذي حققته منظمة التحرير الفلسطينية، وما أن دخلت السلطة الفلسطينية إلى الضفة الغربية وغزة، وبدأت عملية السلام بين الطرفين حتى سمح الكيان الصهيوني للعمال الفلسطينيين بالدخول والخروج منه كيفما يريد العامل، وقرر المجاهد وجيه ترك المدرسة والتوجه إلى العمل في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م إلا أن هذا العمل وإيراداته المالية لم يأت بما اشتهى من ترك الدراسة لأجله حيث تبين للذين احتفلوا بمجيء السلطة الفلسطينية أن كل ذلك عبارة عن وهم وسراب، يحسبه الناس نصرًا فإذا بالعملية السلمية قد انتهت وأعلن عن وفاتها رسميًا الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في قمة كامب ديفيد الثانية، وحمّل حينها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات المسئولية عن فشل المفاوضات، فكان الرد على ذلك ليس ردًا سياسيًا ولا دبلوماسيًا ولا سلطويًا، بل ردًا هو أقوى من كل الردود، وهو رد الشعب الفلسطيني بانتفاضة جديدة أسماها الشعب الفلسطيني بانتفاضة الأقصى ردًا على زيارة المجرم شارون إلى القدس الشريف، ومحاولة اقتحام المقدس الفلسطيني والعربي والإسلامي وهو المسجد الأقصى، فهب الشعب كل الشعب في الضفة والقدس وغزة وأهلنا في عام 1948م دفاعًا عن فلسطين ودفاعًا عن القدس، دفاعًا عن الأقصى الشريف، صارخين في وجه المحتل: "إن القدس لنا لا للظلمة والويل لهم في الملتحمة"، وانتفضت المدن الفلسطينية وانتفضت طولكرم وقراها وانتفضت بلدة عتيل ورجالها، وكان إلى جانبهم المجاهد وجيه الذي ما أن بدأت الانتفاضة في أيلول من العام 2000م حتى قرر التوقف عن العمل والعودة إلى طولكرم، وبدأ يشارك شباب بلدة عتيل الثائر في وجه المحتل الصهيوني، ويسير في المظاهرات ورمي الحجارة على الجيش الصهيوني الذي يتواجد بالقرب من جامعة خضوري، وعندما تذكر قول الأستاذ فخري الشريف حول أهمية الدراسة في ظل الاحتلال، قرر العودة إلى صفوف الدراسة وإعادة التوجيهي مرة أخرى في العام 2001م حيث سجل في مدرسة النهضة في طولكرم، وكان يعمل حينها في مؤسسة أو جهاز الدفاع المدني في طولكرم كعمل بديل عن عمله السابق في الكيان الصهيوني، ولما أنهى فترة شهرين من الدراسة في سنة التوجيهي بجد واجتهاد إذا بخبر يؤكد استشهاد مؤسس سرايا القدس في مدينة طولكرم الشهيد القائد أسعد دقة باشتباك مسلح مع العدو الصهيوني في بلدة عرابة بتاريخ 12/ 09/ 2001م.

التوق إلى العمل المسلح

ولذلك قرر المجاهد وجيه حينها ترك الدراسة والعمل، وعاد إلى صفوف المقاومة وإلى صفوف أبطال الانتفاضة، وكان إلى جانب أبطال حركة فتح التي كانت تعتبر الفصيل الأكبر والأهم في ذلك الوقت في بلدة عتيل، وبدأ معهم في توزيع

البيانات الثورية وإلصاق صور الشهداء وقراءة البيانات الوطنية عبر سماعة المسجد في بلدة عتيل، إلا أن هذا العمل على الرغم من أهميته لم يكن هو العمل الذي يطمح إليه المجاهد وجيه لتحقيق العهد والوعد والقسم الذي أخذه على نفسه منذ الانتفاضة الأولى بالانتقام من العدو الصهيوني عندما يكبر، فلجأ حينها إلى طولكرم وتوجه إلى أحد قادة كتائب شهداء الأقصى، وهو صالح نصار وطلب مساعدته وتمكينه من ممارسة الكفاح المسلح إلا أن المجاهد صالح لم يستجب للمجاهد وجيه في ذلك الوقت لصغر سنه ولقلة الإمكانيات المادية والمعنوية والعسكرية، ولكن من يصدق بنيته مع الله فإن الله يجعل له من أمره يسرًا حيث هيأ الله للمجاهد وجيه أن يأتي إليه المجاهد أسامة أبو خليل وهو أحد أشبال الجهاد الإسلامي في بلدة عتيل، ويعمل في صفوف سرايا القدس، ويعرض عليه العمل العسكري في سرايا القدس، واتفق المجاهدان حينها على أن يقوم المجاهد أسامة بإحضار العبوات الناسفة، ويقوم المجاهد وجيه بتفجيرها وتعلن سرايا القدس المسئولية العملية، وكان ذلك في العام 2002م في شهر أيلول، وتم تتويج هذا الاتفاق بشكل عملي في بداية العام 2003م، عندما قام المجاهد وجيه بزراعة عبوة ناسفة بإحدى الدوريات الصهيونية، وإذا به يتفاجأ بمرور دبابة صهيونية، وأصر حينها على تفجير هذه العبوة عله يرى جثث الجنود متناثرة على الأرض، وتم تفجير العبوة بالدبابة إلا أن شيئًا لم يحدث لها، فعلم حينها أنه لابد من التخطيط الجيد والمحكم والواعي والمدروس لكل عملية حتى يكتب الله لها النجاح، واستمر التعاون بين المجاهدين أسامة ووجيه لفترة من الزمن، وإذا بالمجاهد أسامة يصبح مطاردًا للعدو الصهيوني، وتمكن جهاز الشاباك الصهيوني عبر عملائه من الوصول إليه واغتياله في تاريخ 14/ 03/ 2003م عندما كان بصحبة صديقه المجاهد من سرايا القدس إبراهيم منيزل، وكانا حينها في أحد المنازل في مخيم جنين، وباستشهاده انقطع الاتصال بين المجاهد وجيه وبين سرايا القدس، ولم يعلم حينها إلى أين يتجه بعد استشهاد المجاهد أسامة، وفي أحد الأيام وهو جالس في بيته في بلدة عتيل إذا بشابين ينتميان إلى حركة حماس يهربان من الجيش الصهيوني، ولجآ إلى المجاهد وجيه طالبين المساعدة في إخفائهما عن عيون الصهاينة والعملاء، فوفر لهما الطعام والشراب والمبيت وأصبحت العلاقة بينهم قائمة على الثقة المتبادلة، وجمع بينهم حب الوطن وكراهية اليهود وضرورة العمل المسلح، واتفقوا فيما بينهم على التحضير لعملية استشهادية داخل الكيان الصهيوني، وأثناء الإعداد والتجهيز، وفي المراحل النهائية وبينما هم يجلسون في سيارتهم في طولكرم، إذا بالجيش يقتحم المكان ويبدأ بإطلاق النار، وتم محاصرة المجاهدين إلا أن حفظ الله لهم كان هو الغالب، وتمكنوا من الانسحاب من المكان، وما هي إلا يومان حتى تم اعتقال المجاهدين الحمساويين في مشفى طولكرم، وانتهى

الشهيد المجاهد/
أسامة أبو خليل
استشهد بتاريخ
14/ 03/ 2003م

خيط الجهاد والاستشهاد مع المجاهد وجيه، وبدأ يبحث عن خيط جديد، وشعر حينها أن الدنيا قد أطبقت عليه، وضاقت عليه بما رحبت، وإذا بالجيش الصهيوني يقتحم بلدة عتيل ويعتقل المجاهد وجيه في تاريخ 24/ 04/ 2003م ويقتاده إلى مركز تحقيق (قدوميم) ولمدة ثمانية وأربعون يومًا، ليتم بعد هذه الفترة تحويله إلى الاعتقال الإداري لمدة ستة شهور، وتم نقله إلى سجن النقب الصحراوي، ومنذ اليوم الأول له في ذلك السجن عاش في حضن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وانقضت الشهور الستة، وتم تمديده إلى ستة شهور أخرى، وشعر حينها بالحزن والأسى والغضب الشديد لهذا الظلم القاسي الذي وقع عليه من الاحتلال إلا أن إخوانه من حوله ذكّروه بقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: 216].

وما هي إلا أشهر حتى جمع الله ـعز وجلـ المجاهد وجيه بالمجاهد الأسير لؤي السعدي عندما تم نقله من سجن مجدو إلى سجن النقب، وكان ذلك في شهر 12 من العام 2003م، وتفاجأ المجاهد وجيه بأن صديقه المجاهد لؤي يعلم عنه كل شيء، وكأنه كان يلازمه في أعماله ونشاطاته في بلدة عتيل، وبدأ الحوار والنقاش بينهما حول انتفاضة الأقصى وآلية العمل المناسبة بها، وحول جدوى العمل الشعبي والمؤسساتي ودور السلطة الفلسطينية في الانتفاضة، والأهم أن المجاهد لؤي سأل المجاهد وجيه أنه في حال الخروج من السجن هل يَود العمل في صفوف سرايا القدس؟ وعندما شعر المجاهد وجيه أن هذا السؤال ليس سهلًا والإجابة

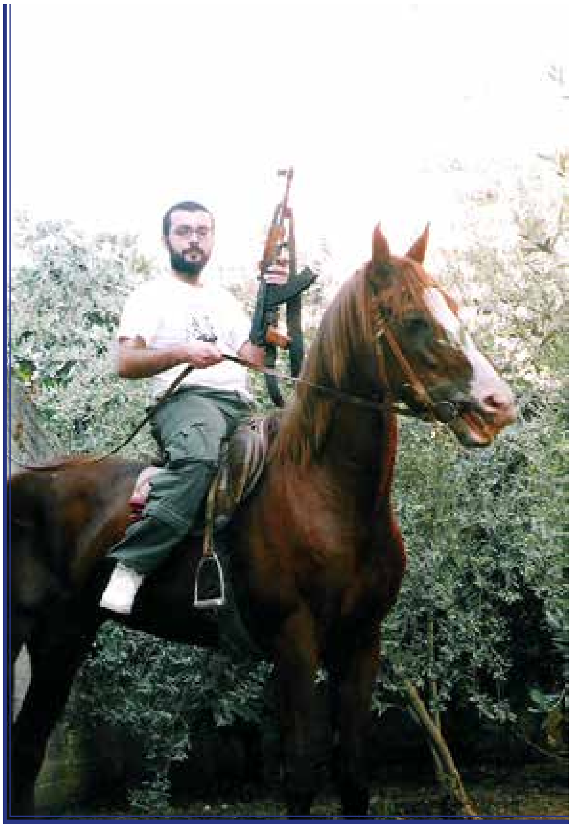

الشهيد القائد/ لؤي السعدي
استشهد بتاريخ 24/ 10/ 2005م

عليه بحاجة إلى وقت، والأهم هو الخروج من السجن وبعدها يتم دراسة هذا الأمر، رغم أنه بقرارة نفسه يؤيد ذلك بكل قوة، ولكن لطبيعة حكمه الإداري يوجد خوف من تمديد الاعتقال له، ولكن دومًا وأبدًا من يصدق الله يصدقه حيث في تاريخ 29/ 01/ 2004م تم الاتفاق بين حزب الله والجانب الصهيوني على صفقة تبادل للأسرى تم بموجبها الافراج عن عدد من الأسرى الفلسطينيين من داخل سجون الاحتلال ممن تبقى لهم فترات قصيرة، وكان للمجاهدين لؤي ووجيه نصيب في الحرية حيث كان قد تبقى من حكم المجاهد وجيه ثلاثة أشهر، وللمجاهد لؤي ستة عشر شهرًا.

بداية المشوار الجهادي

بدأت المرحلة الجهادية للمجاهد لؤي السعدي في مشواره الجهادي والعسكري والاستشهادي منذ اللحظة الأولى للإفراج عنه، فأخذ يجوب مدن وقرى شمال فلسطين، وتحديدًا جنين ونابلس وطولكرم للالتقاء بالمجاهدين من أبناء الجهاد الإسلامي وبالذات مع المجاهدين الذين كانوا معه في سجون الاحتلال، وبدأ بمرحلة الإعداد والاستعداد لتشكيل الخلايا العسكرية المسلحة، وكان لابد من حصول المجاهد لؤي على خط للتواصل مع قيادة حركة الجهاد الإسلامي في الخارج، وقد استطاع المجاهد خالد حسين من داخل سجون الاحتلال فتح خط للتواصل للمجاهد لؤي السعدي مع قيادة الحركة في الخارج عبر سرايا القدس في مدينة رفح في قطاع غزة. وبدأ حينها بتشكيل النواة الأولى لمجموعته العسكرية فكان إلى جانبه المجاهدين معتز أبو خليل ومحمد أبو خليل الملقب بمحمد أبو خزنة ووجيه أبو خليل، وكان يحرص مجاهدنا البطل لؤي على أن يقدم المساعدة العسكرية لأي مجاهد يريد العمل ضد العدو الصهيوني، وأن من يريد العمل ويريد مقابلة المجاهد لؤي عليه أن يخضع لشروط عديدة، وأهمها النقاء الأمني والأخلاقي، وكان المجاهد لؤي يقوم بالعمل اللوجستي للخلية، فمن يريد مقابلته عليه أن يقابله وهو يضع القناع على وجهه ودون أن يضع شروطًا، بل يُوضع عليه شروط، وذلك لضمان سرية العمل، والتخصص به وإنجاحه.

أول العمليات الجهادية

كان المجاهد وجيه يمثل حلقة الوصل بين المجاهدين وبين المجاهد لؤي حيث تُوجت علاقة المجاهدين الجهادية عبر أول عملية عسكرية جهادية جمعت بين المجاهدين لؤي ومعتز ومحمد ووجيه في يوم 27 رمضان 1425هـ الموافق 10/ 11/ 2004م، والهدف من العملية هو زراعة عبوة ناسفة لحافلة صهيونية في مستوطنة "حلميش" بوزن عشرة كيلو غرامات من المتفجرات، وما أن انتهت الاستعدادات لهذه العملية حتى خرج المجاهدون في منتصف الظهيرة في الساعة الثانية عشرة ظهرًا لتنفيذها، والخطة هي أن يتم تفجير العبوة، ثم إمطار الحافلة الصهيونية بالرصاص، وما أن نجحت هذه العملية وانسحب المجاهدون من المكان، وما أن هم المجاهد لؤي حينها للإعلان عنها حتى بادرت كتائب شهداء الأقصى بالإعلان عنها عبر بيان رسمي صدر للإعلام، وعندها جن جنون المجاهدين؛ لأن هذا الإعلان هو كذب وافتراء وتبنٍ لعمل جهادي ليس لهم، فما كان من المجاهد والقائد الكبير والواعي لؤي السعدي أن قال لهم بأنه فرح جدًا لتبني فتح هذه العملية؛ وذلك لأسباب منها أنه يساهم في تنشيط حركة فتح، وأيضًا يبعد الأنظار الصهيونية عن هذه المجموعة الجهادية الجديدة، ويتمكنون بسهولة من إعداد العدة وتجهيز العمليات الاستشهادية بعيدًا عن متابعات العدو الصهيوني وعملائه.

أسس للعمل الجهادي

واستمر المجاهد لؤي إلى جانب المجاهدين معتز ومحمد بالاشتباكات وزرع العبوات، بينما كان دور المجاهد لؤي الدور الهام وهو العمل اللوجستي للخلية، بمعنى أنه عند تلك اللحظة بدأ الاهتمام بالعمل التخصصي بحيث كل مجاهد له مهمة معينة ولا يعلم عن مهمة غيره شيئًا، ولا يعلم من يعمل معه أيضًا، والأصل في هذا العمل هو تطبيق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان". وكان المطلوب من المجاهد جميل جعار إخفاء السيارة التي يتم استخدامها في العملية، ودور المجاهد وجيه إخفاء السلاح، ودور المجاهدين لؤي ومحمد ومعتز رصد الأهداف الصهيونية وخوض الاشتباكات المسلحة معهم، وفي هذه الفترة تمكن المجاهد لؤي من إنشاء تواصل وتنسيق مع عدد كبير من المجاهدين، وخاصة في قرية صيدا مع المجاهدين أحمد رداد ورائد عجاج ومعتصم رداد، والأهم المجاهد شفيق عبد الغني الذي كان ينظر إليه المجاهد لؤي كنصير المجاهدين والمستضعفين، وكان له علاقة خاصة جدًا معه، ويعتبره مثله الأعلى في الجهاد والمقاومة. وامتد التواصل والتنسيق إلى بلدة علار مع المجاهدين جميل جعار ونضال أبو سعدة وتامر جعار، وكانت علاقة المجاهد لؤي مع هؤلاء المجاهدين منذ اليوم الأول لخروجه من السجن وبدون علم أحد، حتى المجاهد وجيه القريب جدًا منه لم يعلم بذلك إلا بعد عملية السابع والعشرين من رمضان، وبدأ المجاهدون بالنشاط العسكري وأشرف المجاهدون معتز ومحمد

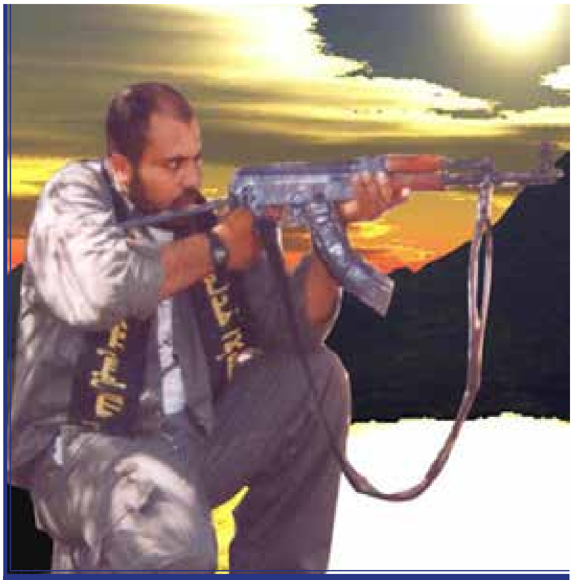

الشهيد القائد/ جميل جعار
استشهد بتاريخ 23/ 09/ 2005م

على تدريب المجاهد وجيه على استخدام السلاح وإطلاق النار في جبال بلدة عتيل بواسطة سلاح من نوع (M16) وكلاشينكوف. وكان عمل المجموعة العسكرية بقيادة القائد لؤي السعدي يتسم بالسرية والكتمان، وقد أمضى أحد عشر شهرًا من الإعداد والتخطيط والتجهيز والتنسيق بين المجاهدين وشراء السلاح والمواد الأولية للسلاح، مع القيام بعدة عمليات مسلحة عبر الاشتباكات وزرع العبوات الناسفة.

الأعباء تزداد والأمانة ثقيلة

وفي هذا الوقت تم كشف أمر المجاهد لؤي وأصبح معروفًا لدى العدو الصهيوني أمر الخلية العسكرية التي شكّلها، وبدأت عملية مطاردته من قبل العدو الصهيوني، وأصبح المجاهدون لؤي ومعتز ومحمد مطاردين للشاباك الصهيوني،

بينما المجاهد وجيه يعمل بشكل سري ولا يعلم أحد عنه شيئًا، وكان بمثابة المنسق لهذه المجموعة وزاد عليه العبء الثقيل أكثر فأكثر ولاسيما بعد كشف أمر المجموعة، وأصبح المجاهد لؤي يعتمد بشكل كلي على المجاهد وجيه في قضاء المهمات الخاصة، وحاول حينها المجاهد وجيه توفير البيوت والمنازل للمجاهدين وتوفير الطعام والشراب لهم، والأهم عملية إيصال المجاهدين من وإلى الأماكن التي يريدونها، واتسع نشاطه ليقدم أيضًا المساعدة اللوجستية للمجاهدين معتصم رداد وشفيق وإلياس الأشقر، وازداد عدد المجاهدين من حول القائد لؤي السعدي وأصبحت قوتهم لا تضاهيها أية قوة، وأصبحت الأمانة ثقيلة على المجاهد وجيه في عملية إيجاد المنازل للمجاهدين، وكذلك واجه صعوبة بالغة في عملية نقل المجاهدين من مكان لآخر وخاصة في مناطق صيدا وعلار وعتيل.

الإصرار على العمل رغم صعوبة الموقف

وبدأت هذه المجموعة أعمالها ونشاطاتها العسكرية والجهادية بعد حالة من الضعف والانهاك والتعب الذي أصاب الفصائل الفلسطينية في ظل سجالات وحوارات لتهدئة مع العدو، وبدأت المجموعة الربانية بقيادة المجاهد القائد العام لسرايا القدس في طولكرم بقراءة سريعة لأحداث الماضي من أجل استخلاص الدروس والعبر في فهم السبب الحقيقي وراء تراجع الفصائل الفلسطينية تنظيميًا وجماهيريًا وعسكريًا، ولاسيما أنه في بداية انتفاضة الأقصى كانت زيارة شارون المجرم إلى القدس وإقدامه على اقتحام المسجد الأقصى السبب في اشتعال الأرض لهيبًا، ونبتت حينها في الأرض المحتلة الحجارة، والتي سرعان ما تحولت إلى قنابل بشرية موقوتة تنفجر ببني صهيون كلما أرادت الفصائل، وبدأت قافلة الشهداء بالسير مسرعة في أتون الانتفاضة، فبدأت الأجنحة العسكرية بعملياتها النوعية ضد العدو الصهيوني، حماس أحرقت الأرض من تحت أقدام الصهاينة، وحولتها لمقبرة للعدو، وأما سرايا الاستقلال التابعة للجبهة الديمقراطية فرفعت شعارها المشهور بـ"عسكر لعسكر"، وكتائب شهداء الأقصى داست بأقدام أبطالها وبأحذية أشبالها في مخيمات الضفة العملية السلمية وودعتها للأبد، ودكت حصون المستوطنات عبر عملياتها المسلحة في الضفة الغربية، وأما سرايانا المظفرة سرايا القدس فقد شوت اللحم الصهيوني وحملت الرعب لكل من يضع على رأسه القبعة الصهيونية، ولكل من يعلق نجمة داود على صدره، فكانت أول من نفذ العمليات الاستشهادية، وأول من فخخ السيارات وأول من نفذ عمليات استشهادية في الحافلات الصهيونية، وشهدت مجدو وكركور على ذلك.

وعلى أثر ذلك تم اجتياح الضفة الغربية وخاصة مدينة جنين ونابلس وبيت لحم إلا أن المقاومة الفلسطينية أذاقت العدو الصهيوني الويلات حين قتل في مخيم جنين أكثر من ثلاثين جنديًا صهيونيًا وأصيب العشرات وأعطب العديد من الدبابات والمجنزرات، وشكل هذا المخيم أجمل آيات الصمود والتحدي في وجه المحتل الصهيوني، مجموعات صغيرة ومقاتلة تواجه جيشًا قويًا يعتبر من أكثر الجيوش تطورًا في العالم.

روح جديدة تواكب العمل الجهادي

واستمر مسلسل الإجرام الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني ومع ذلك استمرت المقاومة الفلسطينية بعملياتها العسكرية والاستشهادية، وإن كان بوتيرة أقل وبعدد أقل من الفصائل، لذلك أيقن المجاهد الكبير لؤي السعدي أن خيار الوحدة الإسلامية والوحدة الوطنية هو الخيار الوحيد للخلاص من المحتل الصهيوني، فآمن بمفهوم الوحدة من خلال التعددية حيث كان في داخل سجون الاحتلال قد ثقف نفسه بأدبيات حركة الجهاد الإسلامي، فأدرك حينها معنى هذا المبدأ، فبدأ يجسد ذلك على أرض الواقع، وقرر المجاهد لؤي أنه بمقدور أبناء مجموعته إعادة العزة والكرامة للمقاومة الفلسطينية عبر سلسلة طويلة من العمليات المسلحة التي ستجعل العدو يتجرع مرارة الألم والمعاناة والذل والهزيمة.

مرحلة العمليات الاستشهادية

المجاهدون لؤي السعدي ومعتز أبو خليل ومحمد أبو خليل وشفيق عبد الغني ونضال أبو سعدة وجميل جعار هم أبطال العمليات الاستشهادية، وبقيادة القائد العام لؤي السعدي، بالإضافة إلى رجل المهمات الصعبة واللوجستية وجيه أبو خليل.

العملية الاستشهادية الأولى

قرر المجاهد القائد العام لسرايا القدس لؤي السعدي التحضير والتجهيز لعملية استشهادية، ولذلك كان لابد من التخصص في العمل وتوزيع الأدوار على المجاهدين، بحيث يقوم كل مجاهد بدوره، وفي المحصلة يكون العمل جماعيًا مما يؤدي إلى إنجاح العملية، ولذلك ساهم المجاهد شفيق عبد الغني من قادة سرايا القدس في قرية صيدا بتجنيد الاستشهادي عبد الله بدران من سكان قرية دير الغصون في طولكرم، وقام المجاهد نضال أبو سعدة بإحضار من سيوصل الاستشهادي إلى موقع العملية في الأرض المحتلة عام 1948م، حيث أحضر البطل أشرف القيسي من سكان باقة الغربية في الداخل المحتل، بينما طلب المجاهد جميل جعار أحد قادة سرايا القدس في بلدة علار من أخيه المجاهد جمال جعار تقديم المساعدة عبر نقل الاستشهادي عبد الله بدران من طولكرم إلى باقة الغربية، وهناك ينتظره المجاهد أشرف القيسي ليكمل مشواره في توصيل الاستشهادي، والأهم في العملية هو المتفجرات حيث أشرف المجاهدون لؤي ومعتز ومحمد على عقد اتفاق مع قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وتحديدًا مع قائد سرايا القدس المجاهد إياد أبو الرب بموجبه يتم التعاون والتنسيق في العمليات الاستشهادية، فتكون سرايا القدس في جنين وظيفتها تصنيع المتفجرات وتجهيز الأحزمة الناسفة، وأما سرايا القدس في طولكرم وظيفتها

تجنيد الاستشهاديين وإرسالهم إلى موقع العملية في الكيان الصهيوني، وبالفعل تمكن المجاهدون من الحصول على حزام ناسف وكان لهم مساهمات فيما بعد بتعلم عملية التصنيع.

وأكمل المجاهد لؤي السعدي الاستعدادات عبر تصوير الاستشهادي عبد الله بدران وهو يتلو وصيته، وتم تحديد الهدف الصهيوني وهو نادي "ستيج" في "تل أبيب"، وتحديد ساعة الصفر من قبل القائد لؤي السعدي وهو يوم 25/ 02/ 2005م، وما أن تم إبلاغ كافة أفراد المجموعة بساعة الصفر حتى بدأ كل مجاهد يقوم بالدور الذي طُلب منه، واستطاع المجاهد أشرف القيسي وضع الاستشهادي في داخل "نادي ستيج" في "تل أبيب"، وتقدم المجاهد عبد الله بدران باتجاه الهدف، ولسان حاله يقول: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]. وفجر نفسه الشريفة وصعدت روحه إلى السماء لتتلقفها أيدي الملائكة وتحملها على أكفها في ظل الفرح والسرور والهتاف الإلهي الخالد: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

وما أن علم المجاهد لؤي وأبناء مجموعته هذا النبأ حتى سجدوا لله شكرًا وحمدوا الله عز وجل، كيف لا؟ وصدق فيهم قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13]. وأعلن العدو الصهيوني عن مقتل خمسة صهاينة وإصابة العشرات بجراح مختلفة. وجاءت هذه العملية في وقت مهم جدًا وفي الزمان والمكان المناسبين كما يقال، حيث جاءت للرد على الاجتماع الدولي في شرم الشيخ في الثامن من شهر شباط في العام 2005م والذي حضره كل من العدو الصهيوني برئاسة شارون المجرم والسلطة الفلسطينية برئاسة عباس وملك الأردن والرئيس المصري حسني مبارك الذي استضاف القمة، واتفق حينها المجتمعون على نقاط عديدة منها العمل على تحقيق السلام والأمن والتنمية الاقتصادية، وعلى إجراءات تؤدي لإعادة الثقة بين الجانب الفلسطيني والصهيوني، ووضع جداول زمنية لبدء العملية السلمية من جديد، ووعدت الحكومة الصهيونية بتخفيف الضغط العسكري على الفلسطينيين، ووعدت السلطة الفلسطينية بوقف التحريض والإرهاب، وكأن الأعمال الجهادية الفلسطينية أصبحت إرهابًا بنظر رئيس السلطة محمود عباس، ولذلك جاءهم الرد المزلزل الذي لم يكونوا ليتوقعوه عبر العملية الاستشهادية المباركة التي نفذها الاستشهادي عبد الله بدران الذي أعاد للمقاومة عزها وكرامتها، وأعاد تصويب المصطلحات، فإن كان جهادنا وعملياتنا الاستشهادية في قلب الكيان الصهيوني إرهابًا فعلى العالم أجمع أن يعلم بأن كل أبناء سرايا القدس إرهابيون، ولهم الشرف في ذلك.

الحيطة والحذر

ولهذا قرر العدو الصهيوني اجتياح المناطق الفلسطينية من جديد وخاصة في مدينة طولكرم وقراها ومخيماتها، وعلى الفور يأتي دور القائد العام لسرايا القدس لؤي السعدي المتابع لتحركات العدو الصهيوني، حيث ما أن بدأ الاجتياح حتى أبلغ جميع أفراد مجموعته بضرورة أخذ الحيطة والحذر وعدم

المبيت في أماكنهم المعتادة، وأن عليهم الاختفاء عن أعين الناس ما أمكن ذلك، واتصل بالمجاهد وجيه أبو خليل وطلب منه الخروج من منزله ومن بلدة عتيل حرصًا وخوفًا عليه من الاعتقال، فما كان من المجاهد وجيه بعد أن اجتاح الجيش الصهيوني بلدة عتيل إلا الخروج منها والصعود إلى الجبال؛ ليكون إلى جانب هؤلاء المجاهدين الأبطال لؤي ومعتز ومحمد وغيرهم من المجاهدين، ونتيجة لتجمعهم الكبير في الجبال كان لابد من إعادة الانتشار من جديد، بحيث يتم تقسيم المجاهدين إلى مجموعتين: الأولى تضم المجاهدين وجيه وشفيق ومعتز، والثانية تضم لؤي ومحمد، وأما باقي المجاهدين فعليهم الاختفاء وأخذ الحيطة والحذر وكل مجاهد في قريته ومكانه، ويقوم بالاهتمام باحتياجاته الخاصة. وفي حال أرادوا الاجتماع فإنهم يعلمون كيف يمكن لهم الالتقاء حيث كان بينهم اتفاق حول مواعيد معينة وفي أماكن معينة، وذلك عبر الوسيط والمنسق بين جميع أفراد المجموعة وهو المجاهد وجيه أبو خليل.

عملية جديدة تواكب الأولى

وقد قررت مجموعة القائد لؤي السعدي أن تقوم بتاريخ 25/ 02/ 2005م بعملية عسكرية ثانية تكون عبر سيارة باص من نوع فلوكس يوضع فيها متفجرات بكمية كبيرة جدًا تزن نحو 300 كجم من مادة الأشلجان، أشرف على صناعتها المجاهدون لؤي وشفيق ومعتز ومحمد ووجيه، وكانت عملية التصنيع قد تمت في جبال بلدة عتيل وفي ظروف بيئية صعبة جدًا، وبعد أن يتم تصنيع كمية معينة من المتفجرات يقوم المجاهد وجيه بمهمة إخفائها إما في الجبال أو في السهول أو البيوت البلاستيكية الزراعية، واستمرت عملية التصنيع لمدة أسبوعين بشكل متواصل، والهدف المرجو للمجموعة هو حافلة صهيونية في معسكر "مابو دوتان" المقام على أرض بلدة عرابة بمحافظة جنين، حيث اجتمعت المجموعة العسكرية بقيادة المجاهد لؤي السعدي،

الأسير المجاهد/ وجيه أبو خليل
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وبدأوا بالاستعدادات النهائية للعملية في يوم 25/ 02/ 2005م، في نفس اليوم الذي حدثت فيه عملية "ستيج" في "تل أبيب"، وتم تحديد ساعة الصفر والانطلاق لتنفيذ العملية في يوم 25/ 02/ 2005م،

وتـم وضـع المتفجـرات في داخـل السـيارة، والتوجـه نحـو مسـتوطنة "دوتـان" الصهيونيـة، ووُضعـت السـيارة المفخخـة عـلى جانـب الطريـق الـذي تمـر منـه الحافلـة الصهيونيـة المليئـة بالجنـود والمسـتوطنين بإيهـام أن هـذه السـيارة قـد أصابهـا العطـل، ولذلـك تـم وضـع إشـارة أمـام السـيارة تفيـد بـأن السـيارة في وضـع التصليـح، وتـم فـك أحـد الإطـارات مـن السـيارة للإيحـاء بـأن إطـار السـيارة بحاجـة إلى تغيـير، ونجـح المجاهـدان لـؤي ومحمـد أبـو خليـل بتفعيـل الدائـرة الكهربائيـة، ووضعـوا اللمسـات الأخـيرة عـلى العمليـة، ولمـا اقتربـوا مـن الانتهـاء فوجئـوا بقـوات صهيونيـة كبـيرة تتجـه نحوهـم، وتبـدأ بمحـاصرة المجاهديـن لـؤي ومحمـد، وبرعايـة مـن الله وتوفيـق منـه، ثـم بحنكـة المجاهديـن تمكنـا مـن الانسـحاب مـن موقـع العمليـة والاتجـاه نحـو بلـدة عرابـة. وأعلـن حينهـا الجيـش الصهيـوني أن منطقـة "دوتـان" منطقـة عسـكرية مغلقـة، وبـدأ الجيـش الصهيـوني بعمليـة بحـث واسـعة النطـاق عـن المجاهديـن، واسـتطاع تفجـير السـيارة المفخخـة، فأحدثـت انفجـارًا ضخـمًا جـدًا جـدًا هـز المنطقـة بأكملهـا حيـث سـمع صـوت الانفجـار في كل القـرى المحيطـة بالمعسـكر لشـدته ولتصاعـد ألسـنة النـيران. وبـدأت وسـائل الإعـلام الصهيونيـة بالحديـث حـول هـذه العمليـة، معلنـين أنـه قـد تـم إحبـاط عمليـة كادت تقتـل عـشرات الصهاينـة، ولـولا التنسـيق الأمنـي مـن السـلطة الفلسـطينية وأجهزتهـا الأمنيـة لم يكـن للجيـش الصهيـوني أن يتمكـن مـن إحبـاط العمليـة.

مهزلة ومأساة التنسيق الأمني

وبـدأت الأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية تعيـد تفعيـل وتنشـيط التنسـيق الأمنـي مـع العـدو الصهيـوني للإيفـاء بالتزاماتهـا وتعهداتهـا في شرم الشـيخ، مما جعـل المجاهديـن عرضـة للمطـاردة والملاحقـة، وبـدأت الأصـوات الفلسـطينية تتحـدث عـن القبـول بالعـرض الأمريكـي والـدولي مـع العـدو الصهيـوني بخصـوص التهدئـة المطروحـة، حيـث في المشـهد الفلسـطيني جـرى تحـولات مهمـة حـول إعـلان التهدئـة مـن جانـب السـلطة الفلسـطينية ومعهـا بعـض الفصائـل مقابـل وقـف مؤقـت للأعـمال العسـكرية مـن قبـل الكيـان الصهيـوني، واتخـذت مجموعـة المجاهـد لـؤي حينهـا القـرار بالاختفـاء عـن العيـون بحيـث كل مجاهديـن يكونـان معًـا في مـكان آمـن، وعـلى تواصـل وتنسـيق دائـم بـين كافـة المجاهديـن عـبر المجاهـد وجيـه أبـو خليـل الـذي فيـما بعـد ذهـب لوحـده إلى إحـدى الشـقق في مدينـة طولكـرم.

الاتفاق بين المجاهدين والسلطة الفلسطينية

وفي تاريـخ 12/ 04/ 2005م حـدث تطـور خطـير في مجموعـة القائـد لـؤي السـعدي حـين حصـل المجاهـدان رائـد عجـاج ونضـال أبـو سـعدة عـلى صفقـة مـع السـلطة الفلسـطينية يلتـزم فيهـا المجاهـدان بالتواجـد في مقـر جهـاز الوحـدات الخاصـة مقابـل عـدم مطاردتهـما مـن قبـل الجيـش الصهيـوني، وبنفـس الوقـت يكـون مسـموحًا لهـما بحريـة الحركـة في طولكـرم، ولكـن المبيـت يجـب أن يكـون في المقـر، وتطـور الأمـر فيـما بعـد، وحصـل اتفـاق بـين السـلطة الفلسـطينية وأجهزتهـا الأمنيـة مـع الجيـش الصهيـوني بعـدم اجتيـاح واقتحـام مدينـة طولكـرم، وهـذا الأمـر خفـف الأعبـاء عـن المجاهديـن في طولكـرم إلا أن هـذا الاتفـاق الـذي يشـمل كلًا مـن المجاهديـن رائـد عجـاج ونضـال أبـو

سعدة ووجيه أبو خليل وتامر جعار لم يكن بعلم القائد لؤي السعدي، وأغضبه كثيرًا تصرف أبناء مجموعته على هذا الشكل، وكان يرفض الاقتراب من أي شيء يتعلق بالسلطة الفلسطينية، ويتهمها بأنها الشرطي الحارس على المستوطنة الصهيونية، لذلك تم عقد اجتماع بقيادته ضم كافة أفراد مجموعته لنقاش هذا الاتفاق وتداعياته على أعمال المجموعة، وبعد حوار ونقاش طويل خرجت المجموعة بقرار مفاده الإبقاء على الاتفاق الموقع مع السلطة الفلسطينية وبين وجيه ونضال ورائد وتامر، ولكن بشرط أن يبذلوا جهدهم في مساعدة باقي أفراد الخلية لسهولة تحركاتهم في طولكرم، فقاموا باستئجار العديد من الشقق السكنية مما خفف الضغط على المجموعة كلها، وأضافوا إلى المجموعة المجاهد معتصم جعار الملقب بـ(الجنجي) من سكان بلدة علار في طولكرم.

الكيان الصهيوني لم يلتزم باتفاق التهدئة

وكانت الأوضاع السياسية في هذه الفترة متناغمة مع مخرجات قمة شرم الشيخ إلا أن ما حدث هو الذي يحدث في كل جولات المفاوضات السابقة، حيث لم تستطع ولن تستطيع السلطة الفلسطينية نزع سلاح المقاومة كما وعدت، واستمر الجيش الصهيوني بحملاته الأمنية ضد المقاومين الفلسطينيين، ولم تسحب الحكومة الصهيونية وحدات جيشها من المدن الفلسطينية، والأهم أنها لم تتوقف عن عمليات الاغتيال ولم تسهل حركة المواطنين الفلسطينيين كما تعهدت بذلك، وبدأ كل طرف يحمل الطرف الآخر المسئولية عن العملية، وهنا قرر المجاهدون في خلية المجاهد لؤي السعدي تفعيل العمليات العسكرية والاستشهادية ضد العدو الصهيوني، حيث قرر المجاهدون وجيه وعلي أبو خليل ومعتصم جعار وإلياس الأشقر في 20/ 06/ 2005م تنفيذ عملية إطلاق نار في منطقة باقة الشرقية تستهدف دورية صهيونية، وتوجهوا إلى منطقة العملية وانتظروا هناك لفترة من الزمن مرور الدوريات الصهيونية، وفي تمام الساعة الخامسة والنصف فجرًا اقتربت منهم سيارة فيها مستوطنون يرتدون لباس جنود صهاينة، ولما تم تحديد الهدف أخذ الأبطال قرارهم بإطلاق النار، وأمطروا سيارة المستوطنين بزخات من الرصاص،

الشهيد القائد/ لؤي السعدي (يمين)
برفقة الشهداء (علي أبو خليل، معتصم جعار، إلياس الأشقر)

مما أدى إلى مقتل جندي صهيوني، وكان هو سائق السيارة وإصابة آخر بشلل دائم، وتم استخدام سلاح من نوع كلاشينكوف في هذه العملية، ولما تأكدوا من إصابة الهدف بدقة بادروا بالانسحاب من موقع العملية باتجاه مدينة طولكرم، وتوجه حينها المجاهدون علي ومعتصم جعار وإلياس الأشقر إلى شقة المجاهد لؤي السعدي، بينما توجه المجاهد وجيه لتبني العملية على قناة الجزيرة، وعاد بعدها وكأن شيئًا لم يكن إلى مقر السلطة الفلسطينية، وقد جاءت هذه العملية في سياقها الطبيعي للرد على

جريمة العدو الصهيوني باستهداف أفراد مجموعتهم حيث تم اغتيال المجاهد محمد أبو خليل بتاريخ 10/ 03/ 2005م، وكان من أكثر المجاهدين قربًا وصداقة للمجاهد لؤي الذي ذرف دموعه الغالية على رفيقه فترة من الزمن، وما أن جف دمعه حتى جاءه الخبر الأصعب وهو اغتيال المجاهد والقائد الكبير في سرايا القدس الشهيد شفيق عبد الغني من قرية صيدا بتاريخ 02/ 05/ 2005م.

عملية استشهادية لم تتم

لذلك لم تكتف المجموعة بعملية باقة الشرقية، وإنما سعت لعملية نوعية جديدة حيث تمكن القائد لؤي السعدي من الإعداد والتخطيط لعملية استشهادية في قلب مدينة القدس المحتلة، حيث سينفذها الاستشهاديان سائد مكحول وأمجد ياسين من سكان طولكرم، وسيقوم المجاهد محمد رداد من قرية صيدا بإيصال الاستشهاديين إلى موقع العملية، وكان في هذه العملية دور بارز لقائد سرايا القدس في جنين نهاد أبو غانم حيث تم تزويد الاستشهاديين بالأحزمة الناسفة، وكان من المفروض أن تمر السيارة التي تنقل الاستشهاديين من مدينة بيت لحم باتجاه القدس إلا أنه حدث خلل فني في اللحظات الأخيرة أدى إلى كشف العملية، مما جعل المجاهدين محمد رداد وسائد مكحول وأمجد ياسين يقومون بالانسحاب من بيت لحم والعودة إلى مدينة طولكرم، ولو حدثت هذه العملية لكان من المفروض أن يقوم المجاهد وجيه أبو خليل بدوره السري؛ فقد كان قد سلمه المجاهد لؤي السعدي أشرطة فيديو وطلب منه في حال حدوث العملية خلال 48 ساعة أن يتبنى العملية باسم سرايا القدس، وأنه عليه عدم رؤية ماذا يوجد بداخل هذه الأشرطة إلا بعد حدوث العملية. وما هي إلا 24 ساعة حتى طلب المجاهد لؤي من المجاهد وجيه إعادة الأشرطة إليه، وقام بإتلافها بعد أن أخبره أن العملية قد كشفت أمرها، ولهذا تم إلغاؤها، وكان ذلك في شهر يونيو (حزيران) من العام 2005م، وبالرغم من عدم نجاح هذه العملية التي استغرق التحضير والتجهيز والإعداد لها طويلًا في ظروف بيئية شاقة في جبال بلدة عتيل لإنتاج أكبر كمية ممكنة من المتفجرات كانت معنويات المجاهدين مرتفعة جدًا، ومؤمنين بقضاء الله، ومتشوقين لمقاومة الأعداء ومنازلتهم في ساحات الوغى، كيف لا وقائدهم لؤي هو الذي أُشرب حب الجهاد والاستشهاد في قلبه، فأصبح جزءًا من كيانه وكيان أفراد مجموعته، ولسان حال المجاهد فيهم يقول:

قل لمن يحسب أنا أمة
أنكرت أمجاد سعد والوليد

نحن شعب لم يعد يخشى الردى
أو يبالى برصاص أو حديد

كلما أطفئ منا قبس
أشرق القرآن بالفجر الجديد

قد رجعنا راية زاحفة فتى
بعد أيام ضياع وشرود

ومضينا نحو آفاق العلا
نسلم الرايات جدًا لحفيد

إنها الجنات تبغي ثمنًا
عز إلا من شرايين الشهيد

ولذلك أصبح المجاهد لؤي وإخوانه في الخلية أكثر إصرارًا وأقوى إرادة وعزيمة على تنفيذ عملية استشهادية في قلب الكيان الصهيوني.

العملية الاستشهادية الثانية

أصدر قائد سرايا القدس قرارًا لأفراد مجموعته بالتهيؤ والإعداد والاستعداد لعملية استشهادية جديدة في شهر يوليو (تموز) من العام 2005م، وقد طلب المجاهد لؤي من رجل المهمات الصعبة واللوجستية إحضار الاستشهادي أحمد سامي أبو خليل من بلدة عتيل من محافظة طولكرم،

وكان يوجد اتفاق سابق بين الاستشهادي أحمد وبين القائد لؤي أنه في حال توفرت الإمكانية لإنزاله عملية استشهادية بناءً على طلبه فإنه سيرسل له وسيطًا ويكون اللقاء في أحد المساجد، وبالفعل توجه المجاهد إلى بلدة عتيل واجتمع مع الاستشهادي أحمد في أحد المساجد في وقت صلاة الظهر، وما أن أحضر المجاهد وجيه الاستشهادي أحمد إلى المجاهدين معتز أبو خليل وعلي أبو خليل من أجل التأكد من عزمه على تنفيذ العملية بدون تراجع أو تردد، وما أن علموا أن هذا البطل الاستشهادي يملك إرادة فولاذية لا يملكونها هم أنفسهم حتى اطمأنت نفوسهم، وعلموا أن الله عز وجل سينصرهم على عدوهم في هذه العملية، وقام حينها المجاهدون لؤي ومعتز وعلي بتصوير الاستشهادي أحمد، وبدأ كل مجاهد يقوم بالدور المطلوب منه حيث تمكن المجاهد نضال أبو سعدة من إحضار من يستطيع إيصال الاستشهادي إلى مكان العملية في الداخل المحتل عام 1948م، وهو البطل عساف زهران من بلدة علار، وتمكن المجاهدان وجيه أبو خليل ونضال أبو سعدة من تجهيز هويات "إسرائيلية" مزورة واحدة للاستشهادي أحمد سامي، والأخرى لمن سيقوم بعملية التوصيل، وهو المجاهد عساف زهران، وما أن جاء صباح يوم 12/ 07/ 2005م في تمام الساعة الثامنة حتى بادر المجاهد لؤي لتوديع الاستشهادي أحمد الذي كان يتواجد مع المجاهد لؤي في الشقة، وخرج المجاهدون وجيه والاستشهادي أحمد ومعتز وتوجهوا إلى أحد الجبال القريبة من طولكرم، وتم إيقاف السيارة هناك فنزل منها المجاهد معتز، ثم صلى ركعتين لله ـ عز وجل ـ ونطق بالشهادتين وأحسن الظن بالله ـ عز وجل ـ، وابتعد عن المجاهدين وبدأ بإيصال الدائرة الكهربائية للحزام الناسف وشبك البطارية، وهذه تعتبر من أهم وأصعب وأخطر المهمات الجهادية لأن أي خطأ ولو صغير جدًا يؤدي إلى الانفجار، وما أن نجحت هذه المهمة حتى عاد المجاهدون مرة أخرى إلى الشقة التي يتواجد بها القائد لؤي، ونزل بعدها المجاهد وجيه والمجاهد معتز والاستشهادي

أحمد، وهنا قام المجاهد لؤي بتسليم المجاهد وجيه شريط الفيديو الخاص بتصوير الاستشهادي وهو يتلو وصيته ومن ورائه رايات الجهاد الإسلامي، إضافة إلى رقم قناة الجزيرة ومراسليها في طولكرم، وكذلك رقم مديرها في الضفة الغربية وليد العمري، وأيضًا بيان سرايا القدس حول هذه العملية حتى يقوم بعملية تبني هذه العملية في حال حدوثها، وفي تلك الأثناء كان يتواجد المجاهد وجيه أبو خليل مع الاستشهادي أحمد سامي في إحدى السيارات منتظرًا اتصالًا من المجاهد نضال أبو سعدة، ولما أصبحت الساعة الواحدة والنصف ظهرًا إذا بالمجاهد وجيه يتلقى الاتصال المنتظر من المجاهد نضال حيث ذهب المجاهدان وجيه وأحمد إلى متنزه بلدية طولكرم، وكان بانتظارهم هناك المجاهد عساف زهران، وهنا كانت الدقائق واللحظات الأخيرة والأصعب وهي لحظات الوداع، حيث ودع المجاهد وجيه الاستشهادي أحمد وعانقه العناق الأخير قبل ذهابه لتنفيذ العملية، وفي هذا اليوم الذي سينفذها الاستشهادي أحمد بتاريخ 12/ 07/ 2005م خرجت نتائج التوجيهي، وكان الاستشهادي أحمد من ضمن الطلبة الذين تقدموا لامتحان التوجيهي، وأراد الاستشهادي أحمد حينها معرفة نتيجة التوجيهي، وهو يتمنى أن يكون من الناجحين حتى لا يقال عنه في حال لا سمح الله رسب في التوجيهي أنه ما أن علم أنه راسب حتى ذهب وفجر نفسه، وكأنه يعلم ماذا يوجد في عقول الناس وكيف يفكرون وماذا سيقولون، واستطاع حينها رجل المهمات الصعبة وجيه أبو خليل معرفة معدل المجاهد أحمد، وما أن أخبره أنه قد حصل على معدل 72٪ حتى قال: "الحمد لله أنني حصلت على معدل 72 في الدنيا، وسأحصل بإذنه تعالى على 72 حورية في الجنة"؛ لأنه أدرك بعقله وروحه ماذا تعني الجنة وماذا تعني الحور العين.

وتحرك المجاهد عساف زهران ومعه الاستشهادي أحمد إلى مكان موقع تنفيذ العملية، وما أن همّ للدخول إلى قلب المجمع التجاري في "نتانيا" حتى كشف أمره من قبل حراس المجمع، فتوجه إلى مكان قريب من مدخل المجمع يتجمع فيه عدد كبير من الصهاينة، وبدأ يلاحقهم كالأسد الهصور، وما أن دخل في صفوفهم حتى فجر نفسه الشريفة، وتم ملاحقة المجاهد عساف زهران الذي قام بتوصيل الاستشهادي أحمد، واعتقاله في مدينة الناصرة المحتلة، وعاد المجاهد وجيه إلى أحدى الشقق السرية وانتظر أمام التلفاز حدوث العملية، وإذا بالانفجار يهز مدينة "نتانيا" الصهيونية حيث أقدم الاستشهادي أحمد سامي أبو خليل على تفجير نفسه في حوالي الساعة الرابعة عصرًا ولسان حاله يقول: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: 84]. وقد أدت هذه العملية لمقتل خمسة صهاينة وإصابة العشرات بجراح، وعندها بدأ المجاهد وجيه يجري اتصالاته مع مراسلي قناة الجزيرة من أجل تبني العملية والإعلان عن اسم الاستشهادي، وقام المجاهد وجيه بتسليم شريط الفيديو وبيان العملية لمراسل الجزيرة واتصل على مدير القناة وليد العمري ليؤكد مسئولية سرايا القدس عن هذه العملية، وفي هذا اليوم 12/ 07/ 2005م والذي كان يوم نتائج التوجيهي، ويوم تنفيذ الاستشهادي أحمد للعملية هو يوم ذكرى ميلاد المجاهد وجيه

أبـو خليـل فـأي مصادفـة هـذه؟ إنـه القـدر ومـا أن أنهى المجاهـد وجيـه أبـو خليـل مهمتـه حتى عـاد إلى مقر السـلطة الفلسـطينية وجمـع أغراضـه هـو وأبنـاء مجموعتـه وغـادروا المـكان إلى منطقـة آمنـة وسريـة، خوفًـا مـن ردود الأفعـال الصهيونيـة عـلى عمليـة الاستشـهادي أحمـد أبـو خليـل.

الملاحقات مستمرة والعمليات مستمرة

وتتابعـت الملاحقـات لقـادة وكـوادر سرايـا القـدس، وتمكـن الجيـش الصهيـوني ووحـدات المسـتعربين مـن اعتقـال المجاهـد محمـد رداد مـن قريـة صيـدا وحكـم عليـه ثلاثـين عامًـا، كـما تـم اعتقـال المجاهـد الـذي كان استشـهاديًا وهـو سـائد مكحـول الـذي كان طالبًـا في جامعـة بيرزيـت في رام الله، وفشـل الجيش الصهيوني بالوصـول إلى المجاهـد أمجد ياسين، وانضـم حينهـا إلى مجموعـة القائـد لـؤي السـعدي، واسـتمرت مجموعـة القائـد لـؤي السـعدي في القيـام بنشـاطاتها العسـكرية والجهاديـة ضـد الاحتـلال الصهيـوني، وكانـت هـذه المجموعـة بالعـادة تقـوم بتجهيـز أكثـر مـن عمليـة واحـدة خـلال فـترة زمنيـة قصـيرة، بحيـث تكـون الاسـتعدادات والتجهيـزات لأي عمليـة شـبه مكتملـة، ويبقـى تحديـد سـاعة الصفـر واللمسـات الأخـيرة، وأثنـاء التجهيـز لعمليـة الاستشـهادي أحمـد سـامي غـاوي والتـي نفذهـا في 12/ 07/ 2005م كان يتـم الإعـداد قبلهـا لعمليـة مهمـة جـدًا حيـث بعـد استشـهاد أحـد أهـم وأبـرز قـادة سرايـا القـدس في طولكـرم الشـهيد شـفيق عبـد الغنـي بتاريـخ 02/ 05/ 2005م بـدأت المجموعـة بالتجهيـز لعمليـة نوعيـة عـبر جيـب مفخـخ، وأشرف عـلى تجهيـزه وإعـداده المجاهديـن معتـز أبـو خليـل وإليـاس الأشـقر ومعتصـم جعـار وجميـل جعـار ورائـد عجـاج وعـادل أبـو خليـل (الغـاوي)، والتطـور الـذي حـدث هنـا هـو أن المجاهـد وجيـه أبـو خليـل الـذي يعتـبر رجـل المهـمات الصعبـة والمسـتحيلة ودينامـو المجموعـة أصر عـلى أن يكـون هـو الاستشـهادي الـذي سـيقود هـذا الجيـب المفخـخ باتجـاه الهـدف الصهيـوني، وبعـد نقـاش طويـل وافـق المجاهـد لـؤي عـلى هـذا الأمـر.

التطهير للعملاء والخونة

في منتصـف حزيـران مـن العـام 2005م كان مجاهـدو المجموعـة يتابعـون ملفًـا أمنيًـا معقـدًا يتعلـق بشـخص اسـمه أبـو جهـل كان متابعًـا بشـكل جيـد مـن قبـل المجموعـة، لاسـيما بعـد اغتيـال المجاهـد محمـد أبـو خليـل في 10/ 03/ 2005م، فأصـدر المجاهـد القائـد لـؤي تعليماتـه وقـراره بالتحقيـق مـع هـذا العميـل أبـو جهـل، وحـاول حينهـا المجاهـد لـؤي الحصـول عـلى قـرار بذلـك مـن قيـادة الحركـة إلا أنـه فشـل في ذلـك، فأخـذ عـلى عاتقـه المسـئولية الكاملـة، وطلـب مـن المجاهـد وجيـه أبـو خليـل أن يتـولى المسـئولية عـن إحضـار العميـل للشـقة التـي يتواجـد بهـا القائـد لـؤي وأفـراد المجموعـة، وتـم وضـع خطـة مـن أجـل ذلـك، فتواصـل المجاهـد وجيـه مـع العميـل أبـو جهـل، وطلـب منـه أن يسـاعده في دهـان إحـدى الشـقق في طولكـرم كونـه يعمـل كدهـان، وأخـبره أن هـذه الشـقة التـي سـيقوم بدهنهـا سـيأتي للعيـش فيهـا القائـد لـؤي السـعدي ومجموعتـه، ووافـق العميـل عـلى هـذا الطلـب، وبذلـك يكـون قـد نجـح المجاهـد وجيـه بعمليـة اسـتدراجه إلى طولكـرم، ومـا أن تـم إدخالـه

إلى داخل الشقة تفاجأ بوجود القائد لؤي السعدي وأفراد مجموعته، وبدأت عملية التحقيق معه، وهنا انتهى دور المجاهد وجيه الذي عاد إلى مقر السلطة الفلسطينية كونه موقوفًا عندهم، بينما تكفل القائد لؤي وأفراد المجموعة باستكمال التحقيق معه، فاعترف بكل شيء، وتبين أنه ارتبط مع الشاباك الصهيوني منذ العام 1988م وكان حينها في حركة فتح، وطلب منه الشاباك الصهيوني أن يجدد نشاطه وأن ينتمي إلى الجهاد الإسلامي في عام 1999م وكان ملفه لدى حركة الجهاد الإسلامي كبيرًا، ومما اعترف به هو قيامه بإرشاد الشاباك الصهيوني عن مكان وجود المجاهد محمد أبو خزنة مما أدى إلى اغتياله، وفي هذه الأثناء كان من المفروض أن يقوم المجاهد وجيه بتنفيذ العملية الاستشهادية المتفق عليها سابقًا عبر الجيب المفخخ، والهدف الصهيوني هو تجمع لجنود العدو على مدخل مستوطنة "شمرون" بالقرب من مدينة نابلس، وكان حينها المجاهد البطل باهر حدرب من سكان بلدة عتيل قد تم تجنيده للعمل في هذه العملية عبر المجاهد وجيه أبو خليل، وكان المجاهد باهر ينتمي إلى حركة فتح ويعمل في جهاز أمن الرئاسة الفلسطينية في رام الله، ومع ذلك لم يطلب المجاهد لؤي من البطل باهر بأن يغير تنظيمه ويحول إلى حركة الجهاد الإسلامي؛ لإيمان المجاهد لؤي العميق بضرورة تضافر الجهود من أجل مقاومة المحتل الصهيوني، وبدون النظر إلى الحالة الفصائلية والحزبية، حيث كانت حينها مهمة المجاهد باهر حدرب رصد الهدف في مستوطنة "شمرون"، فتمكن من الذهاب إلى ذلك الموقع لرصد تحركات الجنود الصهاينة أكثر من ست عشر مرة، واستطاع معرفة متى وكيف وأين يجتمع الجنود الصهاينة، وهنا حدث التغيير الاستراتيجي في هذه العملية فقد استطاع المجاهد علي أبو خليل إقناع المجاهد القائد لؤي بإلغاء نزول المجاهد وجيه أبو خليل في العملية استشهادية؛ للحاجة الكبيرة له ولمواهبه المتعددة ومهماته التي كان دومًا ينجح بها، وامتلاكه الخبرة العامة في العمل اللوجستي والعسكري؛ لذلك تم التعديل في الخطة بحيث يصبح الاستشهادي هو العميل أبو جهل الذي أراد أن يتوب إلى الله عز وجل، وطلب من مجاهدي سرايا القدس أن يسامحوه على أخطائه، وأنه يشكر المجاهدين بعدم قتله والسماح له بأن يلقى الله شهيدًا؛ عله يغفر له كل أخطائه الماضية، وتم حسم الأمر من قبل قائد المجموعة المجاهد لؤي بأن يكون الاستشهادي هو العميل أبو جهل، وينفذ العملية بواسطة الجيب المفخخ، والذي يحمل أكثر من 350 كغم من المتفجرات، والهدف أصبح واضحًا وهو مستوطنة "شمرون"، وأصبحت الاستعدادات كلها جاهزة، وأعلن المجاهد لؤي ساعة الصفر بحيث تكون هذه العملية في نفس اليوم الذي تحدث فيه عملية الاستشهادي أحمد سامي غاوي أي في 12/ 07/ 2005م، ولما خرج الاستشهادي من مدينة طولكرم عبر المجاهد عساف زهران عاد المجاهدون إلى شقة المجاهد لؤي ومعه حينها المجاهدان ماجد الأشقر ومعتز أبو خليل؛ مصطحبين العميل أبو جهل، بينما كان المجاهدان باهر ورائد عجاج بسيارة أخرى في منتصف طولكرم، والمجاهد وجيه تمكن من قيادة

الجيب المفخخ، وذهب جميع المجاهدين إلى منطقة تقع بين بلدتي بلعا وسيلة الظهر.

العميل المخادع

وهناك تم إنزال العميل من السيارة ووضعه داخل الجيب المفخخ، وبدأ حينها مرة أخرى يشكر قادة سرايا القدس أن أعطوه هذه الفرصة؛ ليطهر نفسه من العمالة، وقام حينها المجاهدان وجيه ومعتز بشبك العبوات الناسفة في الجيب وإيصالها بجهاز البلفون من أجل تفجيره عن بعد في حال تراجع العميل أبو جهل عن تفجير نفسه، ولذلك قام المجاهدون بإجلاس العميل أبو جهل على الكرسي الأمامي في الجيب، والمجاهد الذي سيقوم بتفجير الجيب المفخخ عن بعد هو المجاهد باهر حدرب.

الأسير المجاهد/ وجيه أبو خليل (يسار)
برفقة الأسير المجاهد/ باهر حدرب (المحكوم 21 عاماً)

واستمر المجاهدون بالتقدم نحو المستوطنة، وما أن اقتربوا من الهدف حتى قام هذا العميل أبو جهل باقتحام مجموعة من الجنود الصهاينة في مدخل مستوطنة "شمرون"، وكان المجاهد باهر حينها يسير خلف هذا العميل، ولما رأى المجاهد باهر أن الجيب لم ينفجر، علم حينها أن العميل قد غدر بهم، فأسرع إلى تفجير الجيب المفخخ عن بعد، واشتعلت السيارة دون أن يخرج صوت انفجار حيث حدث خلل غير معروف وغير متوقع، وتزامن موعد تفجير هذا الجيب في يوم 12/ 07/ 2005م مع موعد قيام الاستشهادي أحمد سامي غاوي بتفجير نفسه في "نتانيا"، وكان ذلك ما بين الساعة الرابعة عصرًا والرابعة وخمس دقائق، ليقوم المجاهد وجيه أبو خليل إضافة لتبني عملية "نتانيا" بأن يتبنى عملية "شومرون"، وتم التأكيد في بيان العملية أن منفذ عملية "شومرون" هو العميل أبو جهل الذي تاب إلى الله _عز وجل_، ولكن الحقيقة كل الحقيقة أن هذا العميل أبو جهل لم يقم بتفجير نفسه في صفوف الجنود الصهاينة، وقام الجيش الصهيوني بإنقاذه وفك قيوده، وبحسب مصادر سرايا القدس تم الإفادة أن هذا العميل موجود في داخل الكيان الصهيوني على قيد الحياة، وأنه حتى الآن لا يزال يحاول العودة إلى مدينة طولكرم، ويطالب ببيان من أجل تبرئته من العمالة، وأنه تاب إلى الله _عز وجل_، ولا يزال هذ الملف الأمني حتى هذه اللحظة قيد المتابعة لدى قيادة سرايا القدس في الضفة الغربية، وأن الحساب مع هذا العميل لم يغلق بعد.

التخفي بصعوبة

وساءت الأوضاع الأمنية في ذلك الوقت، وأصبح التعاون والتنسيق الأمني بين السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية وبين الجيش الصهيوني علنًا قويًا، ولذلك حرص المجاهدون بعد هاتين العمليتين على أن يتفرقوا عن بعضهم

بعضًا في أماكن متعددة حتى لا يقعوا جميعًا في قبضة الجيش الصهيوني، وتمكن المجاهد وجيه حينها من الاختفاء عند أحد ضباط السلطة الفلسطينية في طولكرم، وبعد أقل من شهر تمكن الشاباك الصهيوني من اعتقال المجاهد باهر حدرب أثناء خروجه من مدينة رام الله حيث كان يعمل في جهاز أمن الرئاسة الفلسطينية، وتم اكتشاف مكان تواجد المجاهد وجيه عند ضابط السلطة، وتمكن بصعوبة بالغة وشاقة جدًا من الانسحاب من المكان واللجوء إلى مكان آمن، وحاول حينها بخبرته إعادة التواصل والتنسيق بين أفراد المجموعة بعد انقطاع دام فترة من الزمن، فبدأ الاتصال بالمجاهد عادل الغاوي وكان موجودًا حينها في طولكرم، وأخذ منه موعدًا للقائه في طولكرم إلا أنه قبل هذا الموعد بيومين وبتاريخ 25/ 08/ 2005م تم اغتيال المجاهد عادل في مخيم طولكرم، وبينما كان المجاهد وجيه يبحث عن المجاهد لؤي تفاجأ في بداية شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2005م أن القائد لؤي السعدي قد علم بمكان تواجده، وأرسل له سيارة لنقله إلى مكان تجمع المجاهدين، واستطاع القائد لؤي من إعادة تجميع أفراد مجموعته من جديد لمدة ليلة واحدة فقط، وبعدها خرج المجاهدون إلى مدينة جنين، وهنالك تمكن المجاهد وجيه من التعرف على قادة وكوادر سرايا القدس أمثال المجاهدين مجاهد السبع، ونهاد أبو غانم، وأشرف السعدي وأحمد طوباسي وإياد أبو الرب ومحمد نصري أبو الرب وأرشد كميل وجهاد السحو.

العودة للعمل من جديد

بدأ المجاهدون بإعادة ترتيب صفوفهم من جديد وتقسيم العمل والمهمات الجهادية، وكانت البداية صعبة جدًا، وتم البحث عن مواد أولوية تدخل في عملية تصنيع المتفجرات رغم أن بعض أفراد هذه المجموعة وخاصة المجاهدين لؤي ومعتز كانوا قد حضروا في الماضي إلى بلدة قباطية، واجتمعوا مع المجاهد إياد أبو الرب قائد سرايا القدس في جنين، وتعلموا منه عملية تصنيع المتفجرات وآلية صناعة الأحزمة الناسفة إلا أنهم في هذه المرة قاموا بتطوير عملية التصنيع وبإشراف مباشر من قبل المجاهد معتز أبو خليل، وتمكنوا من الحصول على أسطوانات كمبيوتر تحتوي داخلها طرق تصنيع المتفجرات وبشكل خاص مادة (فلمونات الزئبق)، وفي تلك الفترة حدث تعارف ما بين المجاهدين وجيه ونهاد أبو غانم، وبدأت الحملة الأمنية الفلسطينية والصهيونية تشتد على مجاهدي سرايا القدس حيث قامت السلطة الفلسطينية باعتقال المجاهد أمجد ياسين واقتياده إلى سجن أريحا، ومن شدة الضغط الأمني في جنين قرر المجاهدون رائد عجاج وجميل جعار وسعيد الأشقر الخروج من جنين والتوجه إلى بلدة علار في طولكرم، وكانوا في أحد البيوت هناك، وتم حصارهم من قبل الجيش الصهيوني ووحداته الخاصة ودارت الاشتباكات المسلحة بين المجاهدين وبين الجيش الصهيوني، واستشهد المجاهدان جميل جعار وسعيد الأشقر، وتمكن في البداية المجاهد رائد عجاج من الانسحاب من الموقع والتوجه نحو قرية

صيدا إلا أن الجيش الصهيوني لاحق هذا المجاهد، فاشتبك معهم اشتباك الأبطال لتدخل رصاصة صهيونية في جبينه الطاهر ليرتقي شهيدًا ويلحق بصاحبيه جميل وسعيد في 23/ 09/ 2005م.

تواصل الإعداد لعملية استشهادية

ساءت الأوضاع أكثر وأكثر على المجاهدين، وضاقت عليهم الدنيا بما رحبت وبلغت قلوبهم الحناجر، إلا أنهم كانوا شديدي الثقة بنصر الله وتمكينه، ورغم صعوبة قيامهم بالإعداد لعملية استشهادية جديدة إلا أن سواعد المجاهدين معتز وإلياس الأشقر ومعتصم جعار لم تتوقف عن تصنيع المتفجرات وتطوير عملية التصنيع وتحسين جودتها وفعاليتها. وهنا حدث تغيير في تكتيك الجيش الصهيوني، فقام بتخفيف القبضة الأمنية على المجاهدين في طولكرم، وكثف بنفس الوقت الهجمة الصهيونية الأمنية على المجاهدين في مدينة جنين؛ ونتيجة لذلك تم إعادة توزيع المجاهدين بين مدينتي جنين وطولكرم حيث كان ذلك في شهر أكتوبر (تشرين أول) من العام 2005م، فتوجه المجاهد لؤي ومعه المجاهد ماجد الأشقر وهو من قرية صيدا، ويعمل في جهاز الأمن الوقائي، وتمت مطاردته على خلفية مساعدته للجهاد الإسلامي وإيواء المجاهد لؤي السعدي، وبذلك أصبح مطلوبًا لمشاركته في معظم عمليات الجهاد الإسلامي. وفي هذا الشهر تلقت سرايا القدس في مدينة جنين ضربة قوية باغتيال قائد سرايا القدس في مدينة جنين المجاهد نهاد أبو غانم بتاريخ 16/ 10/ 2005م عندما كان خارجًا بسيارته

من بلدة قباطية، وعلى مفرق مثلث الشهداء تعرض لكمين صهيوني محكم، ومن خلفه المجاهد مجاهد السبع الذي تمكن من الانسحاب من الموقع، حيث كانوا في تلك الفترة يخططون لتنفيذ عملية استشهادية إلا أن استشهاد المجاهد نهاد أدى إلى تأخيرها. وكان المجاهد وجيه حينها في بلدة قباطية في مدينة جنين، وخرج بصحبة المجاهد إلياس الأشقر إلى مدينة طولكرم للقاء القائد العام لؤي السعدي في مخيم طولكرم، وكان معه المجاهدون معتز أبو خليل وعلي أبو خليل وماجد الأشقر، وكان لديهم حينها عدة أحزمة ناسفة جاهزة لأي عملية مقبلة. وبدأ التخطيط والإعداد لعملية استشهادية جديدة، ولكن بقي السؤال حول من الذي سينفذ هذه العملية؟ في ذلك الوقت ازداد الخلاف القائم بين المجاهدين ماجد الأشقر

وبين رجال السلطة الفلسطينية وحدثت أكثر من مشكلة بينهم، وفي يوم 23/ 10/ 2005م في شهر رمضان وقد خرج المجاهدون معتز وعلي وإلياس من داخل الشقة التي يتواجد بها كافة المجاهدين، وكان ذلك في وقت العصر بعد أن وضعوا اللمسات الأخيرة على العملية، والتي من المفروض أن تتم في يوم 24/ 10/ 2005م، ومن المفترض في هذا اليوم أن يتوجه المجاهدان وجيه أبو خليل ولؤي وماجد إلى مدينة جنين لتصوير الاستشهادي حسن أبو زيد من سكان بلدة قباطية، ولكن حدث تطور خطير في ليلة 24/ 10/ 2005م؛ إذ بعد صلاة التراويح طلب المجاهد لؤي من المجاهد وجيه أبو خليل أن يذهب إلى استشهادي معين بناءً على اتفاق سابق بينه وبين القائد لؤي ليجهز نفسه لعملية استشهادية، وبنفس الوقت ذهب المجاهدان لؤي وماجد لمقابلة أحد الشباب من أجل أن يقدم لهم المساعدة في إدخال الاستشهاديين إلى داخل الكيان الصهيوني لتكون عملية استشهادية مزدوجة، وهذا ليس كالعمليات السابقة وإنما عبر إطلاق النار، وبعد أن أنهى المجاهد وجيه مهمته عاد إلى البيت الموجود فيه القائد لؤي في طولكرم حيث التقى أمام العمارة التي توجد بها الشقة بالمجاهد ماجد الأشقر داخل سيارته، وصعد المجاهد وجيه إلى الشقة لمقابلة المجاهد لؤي وأخبره حينها بما حدث بينه وبين الاستشهادي، وطلب المجاهد لؤي منه مرة أخرى أن يعود لمقابلة هذا الاستشهادي وإبلاغه أن يكون جاهزًا خلال أسبوعين، وخرج مرة أخرى المجاهد وجيه من الشقة لتنفيذ هذه المهمة.

نهاية رجل شجاع.. مجاهد صنع التاريخ

ولما ركب في سيارته وبدأ بالمسير إذا بالمجاهد ماجد الأشقر ينادي عليه بصوت مرتفع طالبًا منه أن يتوقف حتى يتحدث معه، واستجاب له وتوقف بسيارته بالقرب منه، وطلب منه المجاهد ماجد بألا يتأخر في مشواره حتى يدخلا معًا إلى داخل الشقة حتى لا يثير الشكوك أو الشبهات لهذه الشقة السرية، وأثناء حديثهما إذا بأعداد ضخمة جدًا من الجيش الصهيوني والوحدات الخاصة تنتشر في كل مكان، وبدأوا بإطلاق النار بشكل مباشر على المجاهد ماجد الأشقر المتواجد في سيارته حيث أطلقوا عليه مئات الرصاصات التي اخترقت سيارته واستقرت في جسده الطاهر،

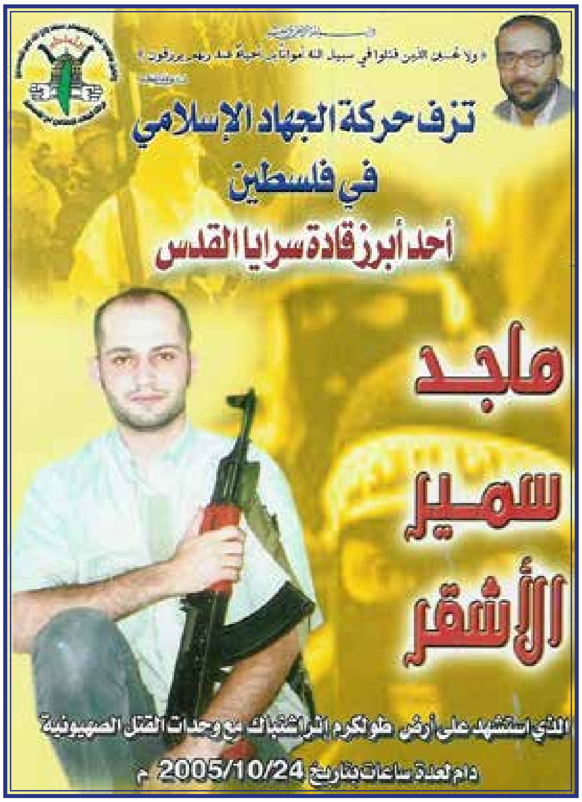

ومـا رأى المجاهـد وجيـه هـذا المنظـر حتـى انطلـق بسيارته بسرعة البرق متجهًا نحو مخيم نـور شـمس، وتمت ملاحقته من قبل الجيش الصهيوني من بيت لآخر فدار اشتباك مسلح بينه وبين الجيش الصهيوني ووجهًا لوجه، واستخدم الجيش الصهيوني إضافة إلى الرصـاص قذائـف الأنيرجـا المتفجـرة والحارقـة، ولذلـك تـم حـرق ثلاثـة منازل في مخيـم نـور شـمس، وبفضـل الله تمكـن المجاهـد وجيـه مـن الاختبـاء في أحد البيوت في منطقة المنشية، أعمى الله ـ عز وجل ـ عيون الجيش الصهيوني عنه، ولم يتمكنوا من العثور على مكانه، وما أن هدأت الأوضاع من حوله حتى أسرع ليرى نشرة الأخبار في التلفاز ليعلم حينها نبأ استشـهاد المجاهـد ماجـد الأشـقر، وذكـرت الأخبـار أن هنـاك اشـتباكًا مسـلحًا عنيفًـا في طولكـرم اسـتمر مـن بعـد صـلاة التراويـح في ليلـة 24/ 10/ 2005م وحتـى سـاعات الفجـر الأولى وتحديـدًا حتـى السـاعة الرابعـة والنصـف فجـرًا، وحسـب مـا ذكـره المجاهـد وجيـه أن القائـد العـام لـؤي السـعدي كان بحوزتـه في تلك الشقة أكثر من 1000 رصاصة إضافة للقنابل اليدويـة، ولـما طلـع الصبـاح بـدأ الجيـش الصهيـوني ينسـحب بشـكل تدريجـي مـن المنطقـة وأبقـى عـلى نقاط معينة، وكان في المنزل القريب منه شاب يعمل في جهـاز المخابـرات الفلسـطينية، وقـدم المسـاعدة للمجاهـد وجيـه وبصعوبـة كبيرة اسـتطاع إيصالـه إلى مدينة طولكرم، وتأكد وقتها من استشهاد المجاهدين لـؤي وماجـد، وأن الجيـش الصهيـوني قـد انسـحب من طولكـرم ومعـه جثامـين الشـهداء لـؤي وماجـد، وتـم إعادة جثـمان الشـهيد ماجـد بنفـس اليـوم لعائلتـه، بينـما تـم إعـادة جثـمان قائـد سرايـا القـدس في طولكـرم في اليـوم الثـاني، وتـم تسـليمه إلى عائلتـه ليكـون يـوم 24/ 10/ 2005م هـو يـوم نهايـة رجـل شـجاع، نهايـة مجاهـد صنـع التاريـخ بأعمالـه الجهاديـة، نهايـة رجـل هـو أيقونـة الجهـاد والاستشـهاد في فلسـطين، مجاهـد أمضى سـنوات عمـره إمـا في سـجون الاحتـلال وإمـا في ميادين القتـال والمواجهـة، فسـلام الله عليـك يـا سـيد المجاهدين يوم ولـدت ويـوم سـجنت ويـوم جاهـدت ويـوم استشـهدت، وبكـت عليـه حينهـا ملائكـة السـماء ونسـاء فلسـطين ورجـال فلسـطين وشـبان فلسـطين، بكـت عليـه السـموات السـبع والأرضـين السـبع، كيـف لا وقـد واجـه العـدو القريـب والعـدو البعيـد، كيـف لا وقـد جعـل شـارون يتحـدث في الإعـلام أثنـاء عملياتـه الاستشـهادية بـأن الحكومـة الصهيونيـة عليهـا أن تتفـاوض مـع الجنـرال لـؤي السـعدي وليـس مـع رئيـس السـلطة محمـود عبـاس؛ لأن القائـد لـؤي بيـده وحـده القرار بتنفيـذ العمليات الاستشـهادية أو وقفهـا،

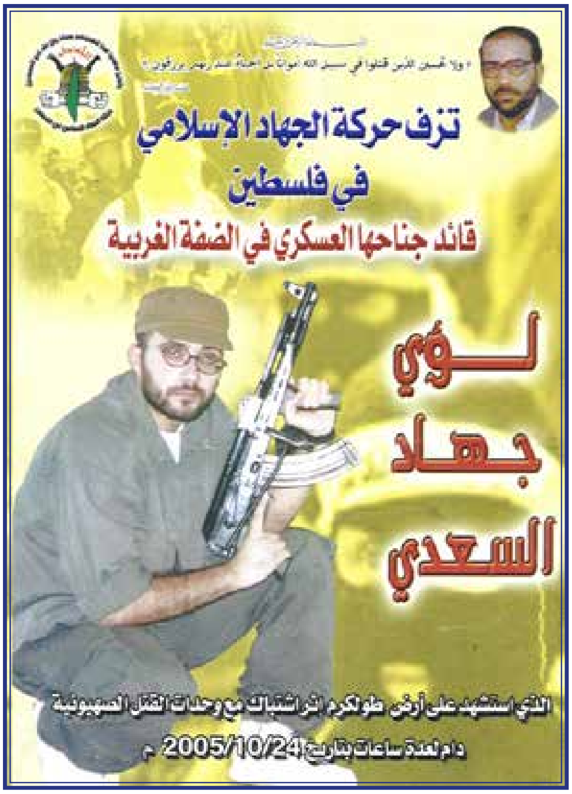

وكيف لا وقد واجه الهزيمة النفسية التي أصابت البعض في فلسطين حيث سمع الكثير من الكلام حول عدم المقدرة على النصر، وأن هذا العدو الصهيوني يمتلك أقوى قوة عسكرية في الشرق الأوسط، ومع ذلك لم يلتفت إليهم وإلى مكرهم، بل أجابهم بثقة راسخة وبإيمان عميق بالله ـ عز وجل ـ بأن سرايا القدس تأمل من الله نصرًا فيما هو أبعد من فلسطين والقسطنطينية وروما والبيت الأبيض والكرملين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور: 55].

فيأتي من يقول باستهزاء وسخرية: متى سيكون ذلك؟ نقول لهم إن هذه ليست مهمة المجاهدين في سبيل الله فلم يكلفنا الله بها، وإنما كلفنا بالعمل للدين والذود عن شريعته وبذل أقصى جهد ممكن، أما التاريخ والموعد فهو إلى الله ـ عز وجل ـ:

فعليك بذر الحب لا قطف الجنى
والله للساعين خير معين

لذلك فإننا رغم الألم ورغم الشدائد نجد ريح النصر والفرح والتمكين. وتوجه في ذلك اليوم المجاهد وجيه إلى مدينة جنين وإلى بلدة قباطية واجتمع هناك مع المجاهد جهاد السحو، وساعده في الوصول إلى مكان تواجد أبناء مجموعته، وما أن وصل إليهم حتى وجدهم في حالة مأساوية جدًا والأحزان قد سيطرت عليهم، ولا يعرفون ماذا يفعلون بعد استشهاد قائدهم المجاهد لؤي السعدي، وإذا المجاهد وجيه يخبرهم بتفاصيل ما حدث خلال اليومين الماضيين، وأقسم حينها المجاهد معتز أبو خليل على كتاب الله بالانتقام من العدو الصهيوني ومن عملائهم، ولسان حاله يقول لهم: "أنصح كل مخبر ينبح بعد اليوم في أعقابي أن يرتدي دبابة لأنني سوف أدك رأسه إن دق يومًا بابي".

القائد الجديد للسرايا

وكان لابد من وجود القائد الجديد لهذه المجموعة بعد استشهاد قائدهم لؤي، وكأن روح المجاهد لؤي تنادي روح المجاهد معتز قائلة:

أنا إن سقطت على التراب

مسربلًا بك يا جراحي

وتدفقت منك الدماء

ومال في جنبي سلاحي

وتخطفت جسدي الطيور

الحائمات على البطاح

هذا طريقي في الكفاح

فيا أخي أكمل كفاحي

وأصبح حينها القائد العام لسرايا القدس لهذه المجموعة الربانية المجاهدة المجاهد معتز أبو خليل، وكان إلى جانبه المجاهدين علي وإلياس ومعتصم جعار ونضال أبو سعدة ومعهم آخرون. وكان لابد حينها من الرد المزلزل على جريمة اغتيال القائد الكبير لؤي السعدي، وقام المجاهد معتز

بإصدار قراره إلى كافة أبناء المجموعة بالاستعداد التام للتجهيز لعملية الرد السريع.

العملية الاستشهادية الثالثة (عملية الثأر لدماء القائد لؤي)

أصر القائد الجديد للمجموعة المجاهد معتز على إكمال المشوار الجهادي والاستشهادي الذي بدأه الشهيد القائد لؤي، وإتمام ما كان قد بدأه في تجهيز العملية الاستشهادية، وأرادها أن تكون الرد الأولي والسريع على استشهاد القائد لؤي، وتم تجهيز العملية حيث جرى تجهيز الحزام الناسف، وإحضار المجاهد محمد قشوع من سكان بلدة علار في طولكرم من أجل إيصال الاستشهادي إلى موقع العملية في الكيان الصهيوني، وتم إبلاغ الاستشهادي حسن أبو زيد بأن يكون جاهزًا لتنفيذها،

الاستشهادي: حسن أحمد أبو زيد

وأعلن القائد معتز أبو خليل عن موعدها وحدد ساعة الصفر، وبدأ كل مجاهد بالقيام بدوره المطلوب منه، واستطاع المجاهد محمد قشوع إيصال الاستشهادي إلى سوق الخضار في مدينة الخضيرة المحتلة؛ ليفجر نفسه الصائمة في اليوم الرمضاني في يوم 26/ 10/ 2005م حيث رفض الاستشهادي حسن الانتظار لموعد الإفطار، وأصر على التعجيل في الشهادة ليفطر مع الحور العين في جنان الرحمن، وعندما قام القائد معتز بتقسيم أفراد المجموعة مرة أخرى لعدة أماكن، فكان المجاهد وجيه ومعتز وعلي معًا وتوجهوا إلى قرية صيدا، وأثناء الطريق أجرى المجاهد القائد معتز اتصالًا مع قيادة الحركة لمدة خمس ثوان وأعطاهم رمزًا مفاده أن هناك عملية لسرايا القدس في الطريق، وبذلك تكون سرايا القدس قد أوفت بوعدها وعهدها بالانتقام لدماء قائدهم الشهيد لؤي، وما هي إلا ساعات حتى قام الجيش الصهيوني باقتحام مدينة طولكرم، واختبأ المجاهدون في جبال قرية صيدا لمدة أربعة أيام، وفي أيام العيد قام أحد المجاهدين من قرية صيدا وهو المجاهد أحمد الأشقر باستضافتهم في منزله لمدة أربعة أيام، وبدأ المجاهدون في التفكير والتخطيط لعمليات استشهادية جديدة. وفي هذه الأثناء قام العدو الصهيوني بتاريخ 31/ 10/ 2005م باغتيال المجاهد أرشد كميل وجهاد السحو من قادة سرايا القدس في بلدة قباطية على خلفية العملية الاستشهادية الثالثة، لذلك كان لابد من لملمة الجراح وإعادة ترتيب الصفوف من جديد وتوجه المجاهدون إلى مدينة طولكرم وجنين لإحياء العمل الاستشهادي.

العملية الاستشهادية الرابعة

بدأ العمل الجدي للإعداد والاستعداد لتجهيز عملية استشهادية، وتم تقسيم الأدوار والمهمات كل بحسب تخصصه ومقدرته ولقاءاته حيث استطاع المجاهد نضال أبو سعدة إحضار

الاستشهادي والشخص الذي سيقوم بتوصيله إلى داخل الكيان الصهيوني، وكان الاستشهادي هو ابن عم المجاهد نضال أبو سعدة الذي استطاع المجاهد أن يقابله في أحد مصانع الطوب الذي يعمل به في قرية زيتا بطولكرم، وأحضره إلى السيارة التي يتواجد بها بالقرب من المصنع ابن عمه المجاهد نضال أبو سعدة، وتم الاتفاق معه على العملية الاستشهادية، وفي اليوم الثاني توجه المجاهد وجيه إلى بلدة علار خارجًا من مدينة جنين وأحضر من هناك المجاهد الاستشهادي لطفي أبو سعدة ليتم تصويره، وكان حاضرًا معهم المجاهدون القائد معتز وإلياس ونضال ومعتصم جعار، وقبل موعد العملية بيومين كان المجاهد وجيه متواجدًا في جنين، وطلب منه القائد معتز التوجه إلى منطقة تقع بين جبال علار وصيدا، وبصحبته المجاهد علي أبو خليل، والمطلوب هو أن ينتظرا هناك حتى يأتي إليهم المجاهدون معتز ونضال أبو سعدة، ومن سيقوم بإيصال الاستشهادي لطفي أبو سعدة وهو المجاهد أدهم يونس من بلدة علار، وكان قد تلقى الاستشهادي لطفي أبو سعدة إشارة بأن يتوجه في يوم 05/ 12/ 2005م إلى الموقع الذي يتواجد به المجاهدان وجيه وعلي في الجبال، وجاء إليهما في وقت الفجر في حوالي الساعة الرابعة والنصف، وجلسا معه وبدأ المجاهد علي يذكره بالله ـ عز وجل ـ ويحدثه عن الآخرة والجنة، وفضل الشهادة في سبيل الله. وبحلول الساعة الخامسة والنصف صباحًا جاء المجاهدون معتز ونضال وأدهم يونس وسلموا الاستشهادي لطفي الحزام الناسف وألبسوه إياه، وتمكن القائد المجاهد معتز من شبك أسلاك البطارية في الحزام الناسف، وتوجه المجاهدون نضال وأدهم ولطفي باتجاه طولكرم، بينما توجه وجيه ومعتز وعلي إلى مدينة جنين، واستطاع حينها المجاهد أدهم يونس إيصال الاستشهادي لطفي في يوم 05/ 12/ 2005م إلى قلب مدينة "نتانيا"، وأدت العملية لمقتل ستة صهاينة وجرح العشرات جراحًا مختلفة، وأعلنت سرايا القدس مسئوليتها عن هذه العملية، وبذلك يكون قد خاب ظن العدو الصهيوني الذي اعتقد بأنه باغتياله للقائد لؤي السعدي فإنه سينهي سرايا القدس، وإذا بالمجاهد معتز أبو خليل رفيق درب الشهيد لؤي قد حمل الراية من بعده، وتقدم بمجموعته الصفوف وقبل التحدي مع الشاباك الصهيوني، فحينها أدرك العدو الصهيوني أنه لا يمكن اجتثاث سرايا القدس من الجذور؛ لأنها شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

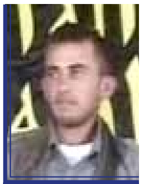
الإستشهادي
لطفي أبوسعدة
استشهد بتاريخ
05/ 12/ 2005م

اجتياح مدينة جنين بحثًا عن المجاهدين

وبدأ الجيش الصهيوني في اجتياح جديد لمدينة جنين أطلق عليه اسم اجتياح الشهيد إياد صوالحة الثاني؛ لشدة الهجمة الأمنية الصهيونية على المواطنين الفلسطينيين، وتم إحضار سيارات كبيرة متخصصة بالاتصالات ومن أجل تحديد مواقع المجاهدين عبر متابعة تحركاتهم واتصالاتهم، إلا أن المجاهدين كانوا قد أخذوا الحيطة والحذر واستطاعوا الاختفاء عن عيون العملاء، وفشل الجيش الصهيوني حينها في الوصول إلى الأبطال في سرايا القدس، وما أن هدأت الأوضاع الأمنية

حتى أخذ القائد معتز ومجموعته القرار بالإعداد والتجهيز لعملية استشهادية جديدة.

العملية الاستشهادية الخامسة

كانت الخطة في هذه العملية أن تكون عملية استشهادية مزدوجة ينفذها الاستشهاديان علاء السعدي من مخيم جنين وصهيب ياسين من بلدة عتيل في طولكرم، وبدأت المجموعة في تكثيف جهودها لتصنيع حزامين ناسفين، بينما استطاع المجاهدان معتز وعلي مقابلة الاستشهادي صهيب في بلدة عتيل، وأنهيا معه كافة الاستعدادات للعملية، وتمكن المجاهد نضال أبو سعدة من إحضار الشخص الذي سيقوم بعملية إيصال الاستشهاديين إلى مكان العملية في مدينة القدس المحتلة، وهذا الشخص هو المجاهد أيمن جعار الذي توجه لاستلام الاستشهاديين في منطقة جبلية تقع بين جبال بلدتي علار وعتيل،

الاستشهاديان/ صهيب ياسين (يمين) وعلاء السعدي
استشهدا معاً بتاريخ 29/ 12/ 2005م

بينما أقام المجاهدون معتز وعلي وإلياس ومعتصم جعار ومعهم الاستشهادي صهيب في بلدة عتيل، واستطاع المجاهد نضال أبو سعدة اللحاق بالمجاهد أيمن للوصول إلى المكان الذي فيه سيتم استلام الاستشهاديين علاء وصهيب، وهناك ألبسوهما الأحزمة الناسفة بالجبال وأركبوهما بصحبة من سيوصلهما المجاهد أيمن في إحدى سيارات التاكسي الصفراء ومعهما ركاب آخرون، وبينما هم يسيرون بالسيارة للخروج من طولكرم لإتمام المسير نحو القدس إذا بحاجز صهيوني في منتصف الطريق وهو حاجز جبارة، وطلبوا من سائق السيارة التوقف وقامت إحدى الدوريات الصهيونية بمحاصرتهم، وطلبوا من جميع الركاب النزول من السيارة، فنزل الجميع باستثناء الاستشهاديين علاء وصهيب وبدأ الجنود الصهاينة ينادون عليهما بمكبرات الصوت بالنزول من السيارة، وتقدم نحوهما أحد الضباط الصهاينة وما أن اقترب منهما حتى قاما بتفجير نفسيهما مما أدى إلى مقتل هذا الضابط الصهيوني وذلك في تاريخ 29/ 12/ 2005م.

الاستدراج

وكما كل مرة وبعد كل عملية لابد من أخذ الاحتياطات الأمنية لضمان سلامة أمن المجاهدين، فكان لابد من تقسيم المجموعة إلى عدة مجموعات بحيث تكون المجموعة الأولى مكونة من وجيه وإلياس ومعتصم جعار، وسيكون في أحد الأماكن في مدينة جنين، بينما معتز ومعتصم رداد سيكونان معًا في إحدى الشقق السكنية في جنين بالقرب من المنطقة الصناعية في جنين وفي هذه الفترة حدث تطور أمني خطير جدًا؛ إذ تمكن الشاباك الصهيوني من كشف أمر أحد السائقين الذي تربطه علاقة بمجاهدين من سرايا القدس وكان يعلم حينها المكان الذي يتواجد بها المجاهدون في مخيم جنين

حيث كان له تواصل مع المجاهدين في مخيم جنين أحمد طوباسي وأشرف السعدي ومجاهد السبع لذلك تم استدراج هذا السائق عبر الشاباك الصهيوني بذريعة أن هناك عائلة بحاجة إلى سيارة لنقلها من عرابة إلى قرية أخرى، ولما توجه إلى عرابة إذا بالقوات الخاصة الصهيونية المتواجدة في أطراف عرابة تقوم باعتقاله، وبدأ معه التحقيق الميداني العنيف وحاول الصمود دون جدوى لشدة الضرب والتعذيب، وطلب منه "الشاباك" الصهيوني بأن يقوم بالاتصال بالمجاهدين أحمد ومجاهد وأشرف ويقول لهم بأنه يوجد عليهم مبلغ من المال، وأنه بحاجة إليه ويريد لقاءهم خارج مخيم جنين، وبالفعل قام هذا السائق بالاتصال بهم ونفذ طلب الشاباك، وعندما سمع منه المجاهدون هذا الكلام علموا أن هناك مؤامرة أو عملية استدراج لهم لخارج مخيم جنين من أجل اعتقالهم أو اغتيالهم، وفشلت المحاولة الأولى للعدو الصهيوني، وقام حينها بالضغط الشديد على هذا السائق للحصول منه على أي معلومة، وإذا بهذا السائق يعترف على مكان تواجد المجاهدين معتز أبو خليل وعلي أبو خليل ومعتصم رداد الذين يتواجدون في أحد المنازل على طريق شارع جنين الناصرة بالقرب من المنطقة الصناعية.

استشهاد القادة

وعلى الفور تحرك الشاباك الصهيوني ومعه قوات كبيرة جدًا من الوحدات الخاصة وتعزيزات من الجيش الصهيوني، وانتشروا في المنطقة التي يتواجد بها الأبطال معتز وعلي ومعتصم، وكان ذلك في الساعة الثانية عشرة ظهرًا، ودارت الاشتباكات المسلحة والعنيفة جدًا بين المجاهدين والعدو الصهيوني واستبسل الأبطال في هذه المعركة، وهنا جاء دور القائد معتز حينما طلب من رفيق دربه المجاهد علي أبو خليل الانسحاب من المكان فرفض هذا المجاهد، وأصر عليه قائده معتز مرة أخرى من أجل الانسحاب من المكان حتى تعود المجموعة من بعده لما لديه من خبرة أمنية وعسكرية، ووضعوا الخطة لذلك بحيث عند انسحاب علي من المكان يبدأ المجاهدان معتز ومعتصم رداد بالتغطية عليه بخوضهما الاشتباك العنيف مع الجيش الصهيوني، ونجحت هذه الخطة في البداية،

الشهيد القائد/ لؤي السعدي (وسط)
برفقة الشهيد المجاهد/ علي أبو خليل والأسير المجاهد/ معتصم رداد

وتمكن المجاهد علي من الخروج من المكان ووصل إلى مكان آخر إلا أن الوحدات الخاصة كانت منتشرة في كل بيت وشارع وأطلقوا عليه النار من كل جانب، وجعلوا جسده أشبه بالمنخل لكثرة الرصاص الذي اخترق جسده، وكل هذا جرى أمام عيون القائد معتز والمجاهد معتصم، فما كان منهما إلا الترحم على هذا الشهيد وخوض الاشتباكات تلو الاشتباك

مع هذا العدو الصهيوني المجرم، وإذا برصاصات صهيونية تخترق جبهة القائد معتز، وبدأ دمه ينزف بغزارة وملأ وجهه الشريف وملابسه وسلاحه، وبدأ يذكر الله -عز وجل- في هذا الوقت العصيب فكان إيمانه قويًا كالجبال لا يتزعزع خاصة في أيامه الأخيرة، وكان يكثر من تلاوة القرآن، وقيام الليل ويطيل في صلاته، وكان دومًا يتمنى الشهادة، محبًا للخير ويمقت الظلم وأهله، ويتصدى للمنافقين والعملاء غير آبه، لا يخشى في الله لومة لائم، واستجمع قواه من جديد وارتدى الحزام الناسف الذي كان قد جهزه لأحد الاستشهاديين، وودع صديقه معتصم واقتحم تجمع الجنود الصهاينة وفجر نفسه في وسطهم؛ ليوقع فيهم الإصابات المحققة، وانطلق المجاهد معتصم رداد يطلق النار على هؤلاء الجنود من كل مكان مرددًا: الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! وبدأ الجيش الصهيوني ينادي عبر مكبرات الصوت على المجاهد معتصم حتى يستسلم إلا أنه رفض الاستسلام رغم أن ذخيرته قد نفدت، وقام الجيش الصهيوني حينها بهدم المنزل على المجاهد معتصم وتم سحبه من تحت الأنقاض، وكان جسده ينزف من كل مكان وشظايا الرصاص تملؤه، وفي تلك الأثناء حاول أبطال سرايا القدس والمقاومون في جنين نصرة إخوانهم المجاهدين، واحتشد عشرات المسلحين وخاضوا الاشتباكات القوية جدًا مع الجيش الصهيوني لفك الحصار عنهم حتى إن المجاهد أشرف السعدي قاتل في ذلك اليوم قتال الأسود وجهًا لوجه مما أدى إلى إصابته، وما أن انتهت مهمة الجيش الصهيوني وانسحبوا من جنين، وكان حينها المجاهدون وجيه ومعتصم جعار وإلياس الأشقر في قرية قريبة من جنين، وعلموا بما حدث لإخوانهم حيث إن الجيش الصهيوني في ذلك الوقت لم يعلن عن اعتقال أو اغتيال المجاهد معتصم رداد، وأبلغوا السلطة الفلسطينية بوجود جثة لأحد المقاتلين تحت الأنقاض فهب المجاهدون والطواقم الطبية وأهالي جنين لرفع الأنقاض لمعرفة هوية هذا الشهيد إلا أنهم لم يجدوا أي جثة، وكان هذا الأمر عبارة عن تكتيك أمني صهيوني من أجل أن يبقى المجاهدون وجيه ومعتصم وإلياس في مكانهم حين يطمئنون إلى عدم حصول الجيش الصهيوني على معلومة عن مكانهم، وبنفس الوقت يتم التحقيق الميداني مع المجاهد معتصم رداد للحصول منه على معلومة عن مكان المجاهدين إلا أن هذا العدو الصهيوني وجد نفسه أمام مجاهد بل أمام صخرة من الصبر والصمود، فرغم الدماء التي نزفت منه ورغم الإصابات التي في جسده، ورغم حزنه الشديد على رفاقه إلا أنه بقي صامدًا في التحقيق مما أفشل لهم مخططاتهم الماكرة، فخابوا وخسروا.

قائد جديد يحمل الراية

كان يوم استشهاد الأبطال في 12/ 01/ 2006م يومًا عصيبًا على المجاهدين في سرايا القدس، فماذا يفعلون وقد رحل عنهم القائد نهاد أبو غانم والقادة لؤي ومعتز؟ وتم اعتقال قائد سرايا القدس في حينه المجاهد إياد أبو الرب، وأصبح حال من تبقى من المجموعة كمن أصبح يتيمًا، لذلك بدأ المجاهدون وجيه أبو خليل وإلياس الأشقر ومعتصم جعار بلملمة الجراح وإعادة ترتيب الصفوف من جديد في ظروف مأساوية جدًا، وزاد الحزن أكثر عندما

تم اغتيال المجاهدين أحمد طوباسي ونضال أبو سعدة في بلدة عرابة بتاريخ 31/ 01/ 2006م،

وكان حينها لابد من رد مميز وقاس جدًا على جرائم هذا العدو الصهيوني المجرم، وحمل الراية من بعد القائد الشهيد معتز المجاهد إلياس الأشقر وتم تفعيل خط التواصل مع قيادة الحركة في الخارج، وكان لابد من ابتكارات جديدة لتوسيع نشاط سرايا القدس في جنين وطولكرم ونقل المعركة إلى مناطق أخرى في الضفة الغربية، ولذلك قام رجل المهمات المستحيلة وجيه بطرح فكرته على المجاهد إلياس حول أن يذهب إلى مدينة نابلس من أجل الحصول على المتفجرات وكان ذلك في شهر شباط من العام 2006م؛ إلا أن استشهاد المجاهد أحمد رداد في مدينة نابلس في 07/ 02/ 2006م والذي لم يكن أحد يعلم عن وجوده في نابلس، وحصول العملية الاستشهادية التي نفذها الاستشهادي سامي عنتر في 19/ 01/ 2006م من سرايا القدس أدى إلى تأخير وتأجيل الذهاب إلى مدينة نابلس للظروف الأمنية التي يعانيها المجاهدون هناك.

ومع ذلك في آخر شهر شباط وبداية شهر آذار تمكن المجاهدون من الحصول على كمية قليلة من حامض النيتريك، وتم تصنيع حزام ناسف وبنفس الوقت طلب المجاهد إلياس الأشقر الذهاب إلى رام الله من أجل السعي لفتح خطوط جديدة مع مجاهدين جدد ومع مناطق معينة خاصة مع مجاهدين من مدينة القدس ليقوموا بإيصال الاستشهاديين إلى داخل مدينة القدس، وفي هذه الفترة أخبر المجاهد وجيه القائد الجديد للمجموعة إلياس الأشقر بأن هناك عملية ستحصل في مدينة القدس، ولم يكن حينها المجاهد وجيه طرفًا بها، ففي اللحظات الأخيرة لهذه العملية تم اعتقال الاستشهادي كفاح نواهضة من سكان بلدة اليامون في جنين أثناء توجهه إلى تنفيذ العملية وحُكم عليه خمسة وعشرين عامًا (تم الافراج عنه في صفقة شاليط بتاريخ 18/ 10/ 2011م واستمر التواصل السري والمكتوب بين القائد إلياس والمجاهد وجيه من أجل توسيع نشاط سرايا القدس في رام الله والقدس وأبلغ القائد إلياس المجاهد وجيه بأنه قد جند أحد الأشخاص من الذين يعملون في "تل أبيب" منذ سنوات طويلة، وهذا الشخص عمل على استئجار شقة في "تل أبيب"، وطرح القائد إلياس على المجاهد وجيه خطة تفصيلية للعمل من جديد عبر نقل العمل العسكري والاستشهادي إلى قلب العاصمة الاقتصادية الصهيونية "تل أبيب" ويقومون

هناك بتصنيع المتفجرات وتجهيز الأحزمة الناسفة، بينما يحل مكان القائد إلياس في قيادة المجموعة في الضفة المجاهد وجيه أبو خليل ويقوم بتجنيد الاستشهاديين وإرسالهم للقائد إلياس الأشقر من أجل تجهيزهم هناك؛ لتنفيذ العمليات الاستشهادية، وأثناء الإعداد والاستعداد لتنفيذ هذه الخطة وبنفس الوقت استطاع المجاهد وجيه التواصل مع عدد من المجاهدين في القدس ومناطق أخرى.

العملية الاستشهادية السادسة

وفي 15/ 04/ 2006م جاءت رسالة مكتوبة للمجاهد وجيه من قبل المجاهد إلياس مفادها أن حدثًا ما سيحدث خلال يومين، فعلم حينها المجاهد وجيه أن القائد إلياس قد جهز لعملية استشهادية جديدة؛ للرد على جرائم العدو الصهيوني بحق قادة وكوادر سرايا القدس في الضفة الغربية، وكان إلى جانبه المجاهدان معتصم جعار ومحمد العامودي من بلدة برقين في جنين الذي كان له الفضل الكبير على قادة وكوادر ومجاهدي سرايا القدس حيث كان قد وضع منزله تحت تصرفهم، وكان مقصد كل المطاردين والمطلوبين للعدو الصهيوني. وتم إنهاء كافة الاستعدادات والتجهيزات للعملية الاستشهادية السادسة لمجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي، وتمت العملية الاستشهادية بتاريخ 17/ 04/ 2006م، ونفذها الاستشهادي البطل سامر حماد من قرية العرقة في جنين، وكان المجاهد محمد العامودي هو الذي أشرف على توصيل الاستشهادي إلى المحطة المركزية في "تل أبيب"، وأدت هذه العملية البطولية لمقتل أحد عشر صهيونيًا وإصابة العشرات

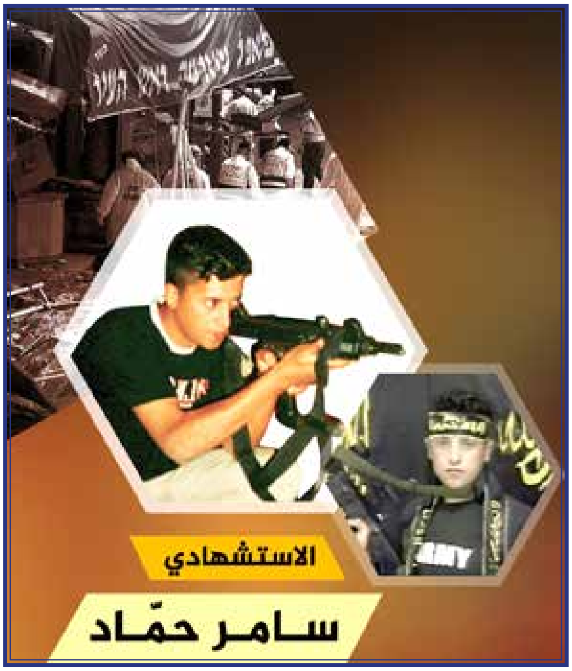

بجراح خطيرة، وتم إلقاء القبض على المجاهد محمد العامودي بعد ساعتين من توصيله للاستشهادي بعد ملاحقة من قبل الأجهزة الأمنية الصهيونية، والجدير ذكره أن موعد هذه العملية قد تزامن مع موعد اجتماع رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس بالجانب الصهيوني في العقبة، وما أن أعلنت سرايا القدس عن هذه العملية وعن اسم الاستشهادي حتى سارع محمود عباس واصفًا العملية بأنها حقيرة، ما أثار حفيظة واستنكار أبناء شعبنا الفلسطيني رافضين هذا الكلام الإجرامي الذي جرّم العمليات الاستشهادية واصفًا إياها بألفاظ سيئة، وحتى إن من كان يؤمن بالعملية السلمية رفض تصريحات محمود عباس، فالشعب الفلسطيني بكل أطيافه وفصائله الإسلامية والوطنية يقدرون العمل الاستشهادي ويفخرون بالشهيد الذي ضحى بدمه وروحه دفاعًا عن كرامة وعزة وشرف الشعب الفلسطيني، وأعلنت

سرايا القدس أنها لن تتوقف عن تنفيذ العمليات الاستشهادية طالما هناك صهيوني واحد جاثم على الأرض الفلسطينية، وبدأت السلطة الفلسطينية حملة أمنية واسعة لملاحقة المجاهدين في الضفة الغربية، مما أدى إلى أن يقوم المجاهد القائد إلياس الأشقر بإلغاء الخطة الموضوعية لنقل العمل الجهادي والعسكري في "تل أبيب"، واشتدت الحملة الصهيونية على مجاهدي سرايا القدس بالتعاون والتنسيق مع السلطة الفلسطينية، وتمت متابعة المجاهد محمد هلسة من سكان القدس الذي كان على علاقة مع المجاهد إلياس الأشقر، وكان المجاهد إلياس حينها هو الوسيط ما بين المجاهد وجيه والمجاهد محمد هلسة.

اعتقال المجاهد وجيه وشريط الذكريات الجميلة

وحين كان التعاون بينهما يتطور إلى بدء العمل الجهادي والعسكري والاستشهادي في القدس إذا بالوحدات الخاصة الصهيونية التي كانت متابعة لتحركات المجاهد محمد هلسة تقوم بنصب كمين له أثناء خروجه من شقة المجاهد وجيه، وكان ذلك تقريبًا في حوالي الساعة التاسعة مساءً وتم اعتقاله، وأثناء التحقيق الميداني معه يبدو أنهم إما حصلوا منه على معلومة عن مكان المجاهد وجيه أو تم مراقبته أثناء خروجه من شقة المجاهد وجيه، وإذا بالوحدات الخاصة الصهيونية وقوات كبيرة جدًا من الجيش الصهيوني تحاصر المجاهد وجيه أبو خليل حوالي الساعة الثانية والنصف ليلًا، وكان يوم 03/ 05/ 2006م هو اليوم الأصعب في حياة المجاهد الكبير، والذي ما أن تم اعتقاله حتى بدأ يعيد شريط الأحداث الماضية عبر سنوات عمره، فبدأ يتذكر طفولته والانتفاضة الأولى واعتقاله الأول وتعرفه على المجاهد لؤي السعدي، وما أن تذكر المجاهدين من أبناء مجموعته الشهداء منهم والأحياء حتى اختلطت في قلبه مشاعر الحزن والأسى مع مشاعر الفرح والسرور لطبيعة الذكريات، فتذكر الشهيد محمد أبو خليل الملقب أبو خزنة عندما ذهب المجاهد وجيه لرؤية المجاهدين لؤي ومحمد ومعتز في آخر شهر 12 من العام 2004م حيث كانوا يقومون بعملية تصنيع المتفجرات في منطقة جبلية شمال بلدة عتيل، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة حين أراد أن يرسل لهم الطعام والشراب وما أن وصل إلى المكان لم يجد أحدًا ورأى بقعًا من الدماء على الأرض، وقطع قماش مخضبة بالدم، فشعر بالخوف الشديد على حياة المجاهدين، وبدأ يبحث عنهم في كل مكان كالطفل الضائع الذي يبحث عن أمه فوجد أحد الأشخاص ممن شاهد ما حدث وأخبره بالحقيقة بأن المجاهد محمد أبو خليل أراد تجريب عينة من المادة التي قام بتصنيعها، فانفجرت في يده وبترت ثلاثة أصابع له، وتعرض وجهه إلى بعض الحروق، وقام حينها المجاهدان لؤي ومعتز بنقله إلى مشفى الزكاة في طولكرم، وتم علاجه وإعادته إلى بلدة عتيل، ووضعه في أحد المنازل غير المسكونة حتى يتعافى، وجلس معه المجاهد الكبير وجيه لمدة ثلاثة أيام؛ ليقوم بخدمته والاهتمام والاعتناء به. وما أن تذكر هذه الحادثة حتى قال في نفسه: وددت أني اعتنيت به أكثر من ذلك علّه يشفع لي يوم القيامة. وتذكره قبل استشهاده بعدة أيام عندما ذهب إلى منزل عائلة زوجته في منطقة

النزلة الوسطى في طولكرم، وطلب رؤية مولوده الجديد عبد الله، ووقف في منطقة قريبة من المنزل بين الشجر، وجاء والد زوجته يحمل ابنه عبد الله، وما أن حمله حتى شعر أنه قد ملك الدنيا بما فيها، وشعر بأنه ربما يكون هذا اللقاء الأخير، وأراد أن يقوم بعمل يذكره به الناس فقام بوضع رصاصة على لسان طفله ليتذوق طعم البارود قبل طعم الحليب، وقام المجاهد لؤي بإخراج رصاصة من مسدسه ووضعها في ملابسه كهدية له في ميلاده، فأي ذكريات هذه؟ والله إنها لجميلة جدًا حين يتذكرها المجاهد وجيه ولاسيما حين يتذكر الشهداء ويتذكر معاناة عائلاتهم، وخاصة عندما تم اقتحام منزل المجاهد القائد لؤي السعدي في شهر مايو (أيار) من عام 2005م من قبل الجيش الصهيوني، وتم اعتقال شقيقة المجاهد لؤي السعدي ورفض والد لؤي السماح للجنود باعتقالها وقاتل قتال الأبطال لمنعهم من اعتقالها، وعندما رأوا إصراره اللامحدود قاموا باعتقاله معها وأفرجوا عنهما بعد 24 ساعة، ولم يكن المجاهد وجيه لينسى هذا الحدث، ولم يكن لينسى فضل العائلات الفلسطينية التي احتضنته واحتضنت المقاومة الفلسطينية، وخاصة أبطال سرايا القدس في مدينة جنين، وتحديدًا في بلدة قباطية كعائلة السحو وأبو الرب وكميل ونزال وزكارنة...إلخ. وما أن تذكر بلدة قباطية حتى شعر بالراحة والفرح عندما تذكر يوم أن كان مع المجاهدين لؤي السعدي وأرشد كميل ومعتز ونهاد أبو غانم ومعتصم جعار وإلياس الأشقر في بيت المجاهد مروح كميل، وناموا ليلتهم هناك واستيقظوا من النوم وقت الظهيرة، وكانوا قد تأخروا في نومهم وبدأوا يجهزوا أنفسهم حتى يخرجوا من المنزل لأداء بعض الواجبات الجهادية، وما أن طلب المجاهد لؤي الإذن من الحاجة أم مروح كميل للخروج من المنزل حتى رفضت ذلك قبل أن يتناولوا طعام الغداء، وأصر المجاهد لؤي حينها على الخروج، وبدأ يأتي بالذرائع والحجج لتسمح له ولمجموعته بالخروج، وما أن قالت له إنها منذ الصباح وهي تجهز الطعام، وعلم أن الطعام هو أكلة الكوسا المحشية باللبن حتى قال لها: لا مشكلة يا حاجة أم مروح لو انتظرنا حتى نأكل، ثم نذهب في مهامنا وهناك وقت طويل معنا. والحقيقة هنا أن المجاهد لؤي يعشق هذا الطعام لدرجة أنه مستعد أن يبذل كل شيء من أجله، فضحكت الحاجة أم مروح وضحك حينها جميع أبناء المجموعة، وما أن ضحك قليلًا حتى بكى عندما تذكر المجاهد معتز ذلك البطل الذي يحب الانطواء والعزلة، فهو دائم الذكر والتسبيح والتهليل ولا يتكلم إلا عند الضرورة، وتذكر المجاهد معتصم جعار ذلك الرجل الأشقر الملقب بـ(الجنجي) ذا الإرادة الصلبة جدًا والذي يعشق التحدي والصعاب، وتذكر المجاهد معتصم رداد عندما كان في شهر رمضان في شقة المجاهد لؤي السعدي، وقبل يوم من استشهاد لؤي حين وجد لؤي قد رسم شمعة وكتب عليها: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]، وعلق حينها المجاهد معتصم رداد قائلًا للقائد لؤي: "هل أنت شاعر أنك سوف تستشهد؟". فقال القائد لؤي: "نعم أنا لدي شعور أني سألقى الله شهيدًا في رمضان، إما هذا الشهر وإما في رمضان من العام القادم". فصدق الله فصدقه الله بعد أقل من

24 ساعة، وهنا حاول الجنود الصهاينة وهم في طريقهم إلى مركز التحقيق الصهيوني طرح الأسئلة على المجاهد وجيه، ولكن دون جدوى، وكان حينها لا يزال في عالم الشهداء والشهادة، ولا يزال شريط الأحداث مسترسلًا إلى أن وصل إلى ذلك اليوم الذي تمت فيه عملية الاستشهادي سامر حماد في 17/ 04/ 2006م حين اعتقل الجيش الصهيوني والدة المجاهد إلياس الأشقر ووالدة المجاهد معتصم جعار، وحاولوا اعتقال والدة المجاهد وجيه أبو خليل، ولكن عندما قام الطبيب الصهيوني بفحصها وجدها مريضة جدًا، وتم اعتقال والده حينها بدلًا من والدته وأمضى في التحقيق مدة 23 يومًا، فهكذا هو الاحتلال الصهيوني لا يفرق بين رجل وامرأة وبين طفل وشيخ حتى إن والدة المجاهد معتز أبو خليل لم تسلم هي الأخرى من الاعتقال بعد عملية الاستشهادي حسين أبو زيد، واستمر اعتقالها لمدة أربعة وخمسين يومًا في ظروف قاسية جدًا. وما هي إلا سويعات وإذا بالمجاهد وجيه يخضع لتحقيق صهيوني مكثف في مركز الجلمة، للتحقيق واستخدم الشاباك الصهيوني معه كافة أساليب التعذيب والإجرام، فأمضى في زنازين التحقيق أكثر من 93 يومًا ليخرج بعدها إلى سجون العدو الصهيوني ليعلم حينها نبأ استشهاد القائد إلياس الأشقر والمجاهد معتصم جعار بتاريخ 14/ 05/ 2006م بعد محاصرتهما في أحد المنازل في بلدة قباطية، وبعد أن تم قتلهما تم هدم المنزل فوقهما، وأخرجوا جسديهما من تحت الأنقاض وبدأوا يمزقونهما بأسنان الجرافة الصهيونية، ولقد كان هذان المجاهدان حقًا فارسين للوطن وجنديين

من جنود الله ومجاهدين في سبيل الله، وسيفرح أكلة الأكباد دائمًا بمقتل حمزة كلما مرت بنا أُحُد، ولكن أيام المسلمين وأيام الشعب الفلسطيني الحزين تعرف معرفة اليقين بأن النصر والفتح المبين قد اقترب وهذا هو (الحتم) الوحيد الذي نؤمن به؛ لأنه وعد الله ما دمنا لن ننسى أمره القرآني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: 65].

السجن مدرسة الرجال

وما هي إلا فترة من الزمن حتى تم الحكم على المجاهد وجيه لمدة ستة عشر مؤبدًا، تنقل خلالها من سجن لآخر، ومن عزل انفرادي لآخر، يتابع أخبار من تبقى من أبناء مجموعة القائد لؤي

السعدي؛ ليجد أن المجاهد أمجد ياسين بقي مطاردًا لوحده يجوب الجبال والشوارع والسهول والوديان بلا رفيق درب أو سند وبلا مجموعة؛ ليلقى الله شهيدًا في تاريخ 09/ 08/ 2006م، وكانت هذه المجموعة الجهادية الربانية والتي أسسها القائد المجاهد لؤي السعدي من أهم المجموعات العسكرية في تاريخ سرايا القدس والضفة الغربية، ومعظم أبطال هذه المجموعة هم شهداء عند الله أحياء يرزقون، ومنهم أسرى محكومون بالأحكام العالية والمؤبدات، وفي مقدمتهم المجاهد البطل الأسير وجيه جلال أبو خليل والذي منذ اليوم الأول لاعتقاله لم ولن ينسى الشهداء، ولم يتخل عن دربهم وطريقهم ونهجهم وإن تغيرت الأساليب، ولجأ إلى طريق جديد متسلح بالعلم حين تمكن من الحصول على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة القدس أبو ديس، ولا يزال عاكفًا على متابعة أحداث الانتفاضة الفلسطينية في ظل استعداد القرصنة الصهيونية على أبناء الشعب الفلسطيني،

الأسير المجاهد/ وجيه أبو خليل
برفقة والده الصابر خلال زيارته له في السجن

فلا يكاد يمر يوم إلا ويرتقي الشهداء ويعتقل العشرات، وضباط "الشاباك" الصهيوني لم يتوقفوا يومًا عن تعذيب المجاهدين منذ زمن طويل، فلم يتركوا طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا ولا شابًا إلا ونال منهم قسطًا من العذاب، لذلك أيها المجاهدون في الضفة الغربية! أيها الشباب المسلم! هذا نحن فمن أنتم؟ اعلموا يرحمكم الله أنه في ذلك العذاب الصهيوني في أقبية التحقيق قد أجهضت الأخوات المجاهدات وضربن في التحقيق وتم إذلالهن وشتمهن وتركن ينمن على أرضية الزنازين في برد الشتاء القارس، وتم تعذيب الأطفال والأشبال تعذيبًا شديدًا، وبعضهم ترك من غير طعام وشراب لأيام عديدة، وهم ملقون في زنازين عبارة عن ثلاجات في الشتاء، وأفران في الصيف، ولا يجدون طعامًا ولا شرابًا ولا كِساءً ولا غطاء، بل ولا هواءً يكفي للتنفس، وكل ذلك بلاءً فوق ابتلاء يحتاج إلى الثبات والصبر، فطوبى للشهداء وطوبى للأسرى والمعتقلين، وطوبى للمجاهدين الذين لا يزالون ضاغطين على الزناد، وطوبى لمن ألقى السمع وهو شهيد!

الأسير المجاهد

أيهم فؤاد نايف كمامجي

قصة جهاد بطولي في حب الوطن

تاريخ الميلاد: 1986/06/06م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: قرية كفر دان - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 8

تاريخ الاعتقال: 2006/07/04م

الحكم: مؤبدان

مجاهدٌ عشق الوطن، وأراد الجهاد في سبيل الله، واختار أن يكون فارسًا من فرسان سرايا القدس؛ ليدافع عن فلسطين المحتلة، والتي كانت ولا تزال بالنسبة إليه هي أم البدايات وأم النهايات، فهي الليل والنهار، وهي صدر بيت الشعر وعجزه، وهي الصوت ورجعه، ومنها بدأ الحديث وعنها تواصل وتشعب وبها ينتهي، لذلك فإن فلسطين كانت ولا زالت هي ذاكرته وأحلامه وأفراحه وأحزانه، فكان لزامًا علينا الاستماع إلى رواياته التي لا تنتهي عن فلسطين.

لأن فلسطين هي كلمة السر ومفتاح شخصية هذا المجاهد الكبير أيهم فؤاد كمامجي، والذي ولد في العام 1986م لأسرة فلسطينية ملتزمة بتعاليم الإسلام الرسالي العظيم؛ لينشأ ويترعرع في قرية كفر دان بمحافظة جنين التي عاش فيها طفولته في ظل اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى، ليأخذ عن أبيه حب الوطن، وضرورة الدفاع عنه، وبذل الغالي والرخيص لأجل حريته وحرية الشعب الفلسطيني.

وما أن كبر مجاهدنا قليلًا حتى قام العدو الصهيوني باعتقال والده لعدة شهور، فكان حينها لزامًا عليه أن يتعلم من أبيه مفاهيم جديدة وصعبة، كالاعتقال والصراع والجيش الصهيوني

والنكبة والانتفاضة والشهادة والثورة، والأهم التضحية والوفاء للشهداء، وليطبق هذه الدروس عمليًا عندما استشهد البطل باسم صبيحات أحد قادة الفهد الأسود التابعة لحركة فتح من قرية رمانة في جنين، وكان من الأصدقاء المقربين من والد المجاهد أيهم، فأهدى حينها والد أيهم صورة صديقه الشهيد باسم لابنه أيهم كي يحفر بذاكرته ما حدث وما جرى لهذا الشهيد، مما ولَّد لدى المجاهد أيهم رغم صغر سنه حب الجهاد والمقاومة من أجل الانتقام لدماء الشهيد حيث تأثر بصورته لحظة استشهاده والتي بدت عليها علامات وآثار التعذيب والكدمات واضحة في جسده، كما ظهرت فيها الثقوب التي أحدثتها الرصاصات التي اخترقت جسده الملون بالدم فأصبح دمه النازف مصدر الإرادة والإصرار على الإقدام والتضحية للمجاهد أيهم من أجل رفعة الوطن. وكان لا يمر يوم على هذا المجاهد في مدرسته إلا ويرسم صورة الشهيد باسل على كراس المدرسة، أو على حائط المدرسة، أو حتى على اللوحة في داخل الصف، وكان الشهيد بمثابة البوصلة التي توجهه دومًا نحو الهدف، وهو مقاومة المحتل الصهيوني، كيف لا والشهيد يشهد له الله بالجنة، والناس يشهدون له بالبلاء، وعليه شهود بشهادته ومشهود له بالأمان من النار، والأرض تشهد له والأهم أن الله يشهد له بالصدق، وتشهد له الملائكة ويشهد له الناس.

ذكريات لا تنسى

وشهيد فلسطين هو كل من استشهد من أجل الدفاع عن فلسطين وتحريرها من دنس الاحتلال الصهيوني، وإن لم يمت على أرض فلسطين، وعلى هذا شهداء فلسطين كثيرون، لذلك أصبح الوطن وهم فلسطين وشهداء فلسطين يسيطر على تفكير وأعمال المجاهد أيهم، فأبدع في فن الرسم والتمثيل، وأبدع في الإنشاد، وكرس كل مواهبه لأجل الوطن على الرغم من امتلاك عائلته لشركة الأيهم للحج والعمرة واستديو تصوير، ورغم أوضاعهم المالية الجيدة إلا أن كل ذلك لم يكن ضمن اهتماماته، فلم تعن له الدنيا وملذاتها وشهواتها وأموالها شيئًا فكان دومًا يستمع إلى أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى، ولا يزال يعلق بذهنه ذلك الحدث الكبير يوم أن استشهدت البطلة "لطفية شولي"، ويوم أن استشهد قادة الفهد الأسود محمد الزرعيني والإبراهيمان الفرقع والزريقي، ولا يزال محفورًا بعقله منظر اقتحام العدو الصهيوني لقرية كفر دان بحثًا عن المناضل المطارد ابن الفهد الأسود نعمان عابد وأبناء عائلته الشهداء مجدي شحادة كماجي، وبهجت نايف كماجي إضافة إلى العديد من الأسرى والمعتقلين والمطاردين.

بداية المشوار الجهادي

كانت طفولة وفتوة المجاهد أيهم مليئة ومفعمة بالأمل وحب العلم والتعلم ليكون من الطلبة المميزين في دراسته حتى اندلعت انتفاضة الأقصى في شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2000م، ليكون المجاهد أيهم من أوائل الشبان والفتيان الذين شاركوا في أحداثها، والتي تصاعدت أحداثها في تطور متسارع من طور العمل الجماهيري إلى مرحله عسكرة الانتفاضة، لتبدأ سرايا القدس عملياتها العسكرية

المسلحة، ولاسيما بعد استشهاد المؤسس في سرايا القدس في مدينة جنين الشهيد القائد إياد حردان،

من تشييع جثمان الشهيد القائد/ إياد حردان
استشهد اغتيالاً بتاريخ 05/ 04/ 2001م

حيث ردَّت سرايا القدس على هذه الجريمة عبر عملية استشهادية مزدوجة في قلب مدينة الخضيرة المحتلة نفذها الاستشهاديان علاء الصباح وأسامة أبو الهيجا بتاريخ 25/ 05/ 2001م، فما أن سمع المجاهد أيهم بتلك العملية وأسماء الشهداء حتى تعلق قلبه بحب الجهاد الإسلامي وشهداء الجهاد الإسلامي، فبدأ يجمع كل كبيرة وصغيرة عن هذه الحركة الربانية المباركة من كراسات وكتيبات وصور الشهداء والاستشهاديين، بالإضافة إلى جمع البيانات الصادرة عن الحركة، فكان يحرص دائمًا على أن يوائم ما بين مدرسته وما بين مشاركته في أحداث الانتفاضة عبر مشاركته في المسيرات الجماهيرية ورمي الحجارة على الجنود الصهاينة على حاجز الجلمة في مدينة جنين إلى السير في مسيرة تشييع الشهداء، ليتعمق حبه لحركه الجهاد أكثر فأكثر ولا سيما بعد اجتياح العدو الصهيوني مخيم جنين، واستشهاد قادة المقاومة وقادة سرايا القدس وفي مقدمتهم الجنرال محمود طوالبة.

وهذا ما دفع المجاهد أيهم لأن يقوم بطباعة صور الشهيد محمود وإلصاقها في كل مكان في قرية كفر دان، وقد كان المجاهد أيهم في ذلك الوقت يعتبر من أهم نشطاء الجماعة الإسلامية (الإطار الطلابي لحركه الجهاد الإسلامي) في المدارس والمساجد، فكان المجاهد أيهم حينها المسئول المباشر عن الجماعة الإسلامية في قريته رغم أنه لم يتجاوز من عمره خمسة عشر عامًا، وكان إلى جانبه صديقه المجاهد سالم، وعلى الرغم من صغر سنه إلا أنه بأخلاقه وأدبه استطاع أن ينظم عددًا من المجاهدين من أبناء قريته، ومنهم من استشهد فيما بعد كالشهيد خالد عاشور درويش، ومنهم من أصبح أسيرًا للعدو الصهيوني كالمجاهدين علاء درويش وبهاء درويش وأدهم تيسير الجمل ومحمد صلاح. فكانت هذه المرحلة مهمة للجهاد الإسلامي في كفر دان ولاسيما أن الجهاد الإسلامي كان شبه غائب في القرية، وأن حركة فتح هي التي كانت تسيطر على المشهد فيها، وبدأ نشاط المجاهدين أيهم وسالم ومن معهم بالاتساع شيئًا فشيئًا إلى أن أصبح هناك حضور قوي ومهم للجهاد الإسلامي في قرية كفر دان، وما هي إلا فترة من الزمن حتى جمعه الله مع المجاهد بلال ياسين من قرية عانين في جنين وهو أحد قادة سرايا القدس في جنين، وكان قد نفذ عملية هروب من داخل سجن "عوفر" الصهيوني، ومعه المجاهد مهنا زيود ابن بلدة سيلة الحارثية في مدينة جنين، وتمكن المجاهد سالم كساب من قرية كفر دان من العمل على عقد اجتماع ضم

بلال وأيهم بالإضافة إليه، حيث بدأ المجاهد بلال يحدثهم عن حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري سرايا القدس، ونتيجة لتطور العلاقة بين المجاهدين تقدم المجاهد أيهم إلى المجاهد بلال ياسين طالبًا منه مساعدته في تنفيذ عملية استشهادية مع صديقه سالم في أواخر العام 2002م.

رغم بروز المجاهد أيهم ونشاطه في العمل الدعوي والجماهيري والطلابي إلا أن ذلك وبالرغم من أهميته فإنه كان يطمح إلى ما هو أكبر بكثير، وهو الشهادة في سبيل الله. وفي تاريخ 07/ 01/ 2003م طلب من المجاهد بلال ياسين المساعدة في تنفيذ عملية استشهادية مزدوجة مع صديقه المجاهد سالم كساب، في بداية الأمر رفض المجاهد بلال هذا الطلب ورفض تقديم المساعدة، ولكن بعزيمة وإصرار المجاهدين أيهم وسالم طلب المجاهد بلال حينها إعطاءه فرصة للتفكير في هذا الأمر ولاسيما أن المجاهد أيهم كان على استعداد أن يكتب كتابًا لسرايا القدس يتحمل فيه المسؤولية بالكامل عما سيقوم به، وبعد اطلاع المجاهد بلال ياسين وقادة سرايا القدس على هذا الأمر جاءت الموافقة بعد فترة طويلة جدًا وذلك لصعوبة الأوضاع الأمنية في ذلك الوقت وما بين تقدم في هذا الموضوع وتأخر حُسم هذا الموضوع في شهر مايو (أيار) من العام 2003م، ولكن الموافقة على العملية الاستشهادية لا تشمل المجاهدين أيهم وسالم، بل كانت الحاجة إلى استشهادي واحد فقط والمجاهد الثاني يأتي دوره بعد أسبوع من تاريخ العملية الأولى. وتم إجراء قرعة بين المجاهدين أيهم وسالم فكانت العملية من نصيب المجاهد سالم

وحدث اجتماع بعدها مهد له المجاهد بلال جمع بين المجاهد أيهم وبين المجاهد محمد حسين جرادات في أحد المساجد في جنين، وتناقشا كثيرًا حول موضوع العملية، وأكد المجاهد محمد على أن سرايا القدس في حاجة إلى استشهادي واحد فقط للعملية.

وتبع هذا الاجتماع عدة اجتماعات أخرى جمعت بين أيهم ومحمد حتى حصل المجاهد أيهم في اجتماعه الأخير مع المجاهد محمد على مبلغ من المال تمكن من خلاله من شراء ملابس لتصوير الاستشهادي سالم كساب ليكون جاهزًا للعملية في حال تم تحديد ساعة الصفر من قبل قائدي سرايا القدس محمد جرادات وأنس جرادات، وهنا كان قد ظهر تردد من قبلهما في بداية الأمر حول هذه العملية وذلك لأسباب منطقية منها أن المجاهدين أيهم وسالم صغيران ولم يبلغا بعد سن الثامنة عشرة، بالإضافة إلى صعوبة توفير المتفجرات والمواد الأولية من أجل تصنيعها، والأهم أنه عندما يأتي القدر الإلهي لا يمكن رده حيث قام الجيش الصهيوني بتاريخ 11/ 05/ 2003م، باعتقال قادة سرايا القدس في جنين أنس جرادات ومحمد جرادات وإياد جرادات، وبذلك تكون كل الاستعدادات والتجهيزات لهذه العملية قد ذهبت أدراج الرياح، ولم يعلم حينها المجاهدان أيهم وسالم ماذا يصنعان وكيف لهما أن يحققا الحلم بالشهادة؟! هل يقومون بعملية طعن؟! أم هل يتوجهان إلى جناح عسكري آخر؟! وهذا لم يكن متوفرًا في جنين، وإذا بالمجاهد بلال ياسين يقوم بإخبار المجاهد أيهم أن هناك من يستطيع المساعدة في

هذا الموضوع، وهو المجاهد عبد الله فريحات من بلدة اليامون في جنين، وهو من كوادر سرايا القدس.

تجدد الأمل

وهنا بدأت المرحلة الجهادية الثانية للمجاهد أيهم حيث بتاريخ 25/ 05/ 2003م، وبينما كان لا يزال على مقاعد الدراسة في الصف الحادي عشر يتجاوز عمره ستة عشر عامًا، وحينما كان متوجهًا إلى المدرسة في الصباح الباكر لتقديم امتحان اللغة العربية وهو الرابع من بين تسع مواد مطلوب تقديمها من أجل النجاح. وما أن انتهى المجاهد أيهم من الامتحان حتى خرج من مدرسته التي كان يعشق فيها كل حجر وكل ذرة رمل، عشق جدرانها وصوت الجرس، عشق الإذاعة الصباحية ورفع العلم، عشق صوت من يتلو القرآن الكريم، عشق وقت الصباح لما فيه من خير، فكان دومًا يقول: صباح الخير يا وطني! صباح الخير يا شعبي! صباح الخير أيها الأبطال المقاومين! وما أن خرج من مدرسته في الساعة الحادية عشرة ظهرًا حتى التقى بالمجاهد عبد الله فريحات الذي كان يقف بسيارته أمام المدرسة، فسأله: هل أنت جاهز يا شيخ أيهم؟ فأجابه من قبل أن أعرفك وأنا جاهز. وتوجهوا إلى بلدة اليامون بمحافظة جنين، وانتظروا فترة من الزمن في منزل المجاهد عبد الله حتى جاء المجاهد الكبير أحد أبرز قادة سرايا القدس في جنين أمجد عبيدي والذي عرف عن نفسه باسم أبو علي، وأنه سيكون مسؤولًا عن توصيله إلى بيسان لينفذ العملية الاستشهادية وسيكون برفقته أثناء العملية إلى أن يصلا إلى نقطة معينة قريبة من مكان تنفيذها، وبعدها يتم الافتراق، فكان لابد في ذلك الوقت من إنهاء كافة الاستعدادات للعملية، فتم تصوير المجاهد أيهم وهو يتلو وصيته للأمة والشعب الفلسطيني ويتوعد الاحتلال الصهيوني بعملية مزلزلة. وكان هذا التصوير الأغرب من نوعه في تاريخ العمليات حيث تم تصوير الاستشهادي أيهم في قلب إحدى المغارات في بلدة اليامون.

وصية الاستشهادي أيهم

وقد بدأت وصيته بقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: 5].

وبيَّن في وصيته فضل الجهاد في سبيل الله، وضرورة العلم الذي به تسود أمم وتباد أخرى، وما أن تم الانتهاء من مراسم التصوير حتى صلى المجاهد صلاه الظهر متوجهًا بعدها مع المجاهد أمجد العبيدي إلى بيسان، وسار في طريقه من بلدة اليامون إلى قرية كفر دان وكانت المتفجرات تزن 250 كيلو جرامًا، وكانت كل التوقعات في حينها أن هذه العملية ستكون من أضخم العمليات الاستشهادية في ذلك الوقت، وكان الهدف هو إحدى الحافلات الصهيونية التي بها العشرات من الجنود الصهاينة، وقد قام المجاهد أيهم بتوديع المجاهد عبد الله فريحات وقال له إنه قريبًا سيلتحق به إن شاء الله، وشاء القدر مرورهما من قرية كفر دان بجانب منزل المجاهد سالم كساب، وما أن رآه المجاهد أيهم حتى أوقف السيارة وسلم عليه وودعه، ولم يعلم حينها المجاهد سالم كساب أن أيهم ذاهب لتنفيذ العملية،

الأسير المجاهد/ أيهم كمامجي
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

بل يعلم أنه خلال الأيام القادمة، وتم الخروج من مدينة جنين إلى قرية المغير، ومنها إلى وادي شوباش وفي هذا الوادي كان الطريق والسير فيه صعبًا جدًا به الكثير من المطبات والعديد من الحفر ولاسيما أن السيارة محملة بكمية كبيرة من المتفجرات. وما أن اقترب من منطقة قريبة من الهدف، ونتيجة لكثرة الحفر والمطبات تعطلت السيارة في منتصف الطريق حيث تعطل وانكسر سلك "الكلتش"، فكان من الصعب جدًا العمل على إصلاحه، ولابد من أخذ القرار النهائي وهو إلغاء العملية والعودة إلى مدينة جنين، فعاد المجاهدين أمجد وأيهم مع المجاهد علي القيسي الذي كان لهم بمثابه المرشد والدليل في تحركاتهم، وقد شرح كامل التفاصيل للمجاهد أيهم حول مكان العملية.

حدث مفاجئ

حدث أمر هام أثناء محاولة المجاهدين إصلاح السيارة حيث اقترب منهم أثناء تصليحها جيب صهيوني عسكري، وتم الاتفاق بين المجاهدين أنه في حال اقترابه لمسافة قصيرة يقوم المجاهدان أمجد وعلي بالابتعاد عن المكان، ويقوم المجاهد أيهم بتفجير السيارة المفخخة وبالفعل اقترب هذا الجيب من المكان، واختبأ المجاهدان أمجد وعلي في مكان بعيد خلف الصخور بينما جلس المجاهد أيهم في داخل السيارة المفخخة ينتظر، واقترب حينها الجيب الصهيوني من المكان بالقرب من الطريق التي تعلو السيارة التي كانت في أسفل الوادي، وكان أمام المجاهد طريق يبدأ بالارتفاع شيئا فشيئا للوصول إلى القمة، وهذه المسافة تقدر بحوالي من 15 إلى 20 مترًا، واقترب الجيب الصهيوني أكثر فأكثر، فقام المجاهد أيهم حينها بالضغط على الكبسة الأولى للتفجير وهي ما قبل التفجير النهائي، فكانت كصمام أمان وجهز نفسه للتفجير النهائي، فأمسك بزره منتظرًا قدوم الصهاينة إليه، وكان يردد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]، فإذا بالجيب الصهيوني يعود من حيث أتى حيث تدخلت في هذا الحدث القدرة الإلهية بعدم حدوث التفجير، وتبين فيما بعد أنه لو حدث الانفجار فما كان يؤدي إلى أضرار في هذا الجيب الذي كان مصفحًا. ومن جهة أخرى كان اتجاه براميل التفجير في عكس اتجاه الجيب مما يقلل من قوة الإصابة فيه.

وغادر جميع المجاهدين المكان وعادوا إلى مدينة جنين على اتفاق بينهم أن يعود المجاهد أيهم في اليوم الثاني بحزام ناسف لتنفيذ العملية الاستشهادية في بيسان حيث كان المجاهدون قد قاموا بإنزال براميل المتفجرات من السيارة المعطلة، ووضعوها تحت شجرة كبيرة اسمها السويدة كانت على طرف الطريق، وبذلوا جهدًا كبيرًا في دفع السيارة مسافة معينة إلى أن وصلت إلى طريق رئيسي عند مدخل بلدة المغير، وكانت هذه السيارة من نوع ميتسوبيشي لانسر وتم وضعها على جانب الطريق.

وما أن عاد المجاهدون إلى جنين حتى قرر المجاهد أيهم المكوث في بيت المجاهد علي القيسي حتى يخرج في اليوم الثاني لتنفيذ العملية بالحزام الناسف، وما أن دخل البيت حتى سمع صوت الطفل مجد ابن المجاهد علي بيكي، وحسب ما ذكرته والدة الطفل أنه منذ ساعات لم يتوقف عن البكاء، ولما قام المجاهد أيهم بحمله توقف عن البكاء ونام نومًا عميقًا، فقالت له والدة الطفل: هل أعطيته منومًا؟

الاستشهادي لم يستشهد

وفي هذه الأثناء بدأ الجيش الصهيوني باجتياح قرى مدينة المجاهد أيهم بحثًا عنه، وتم اقتحام بلدة سيلة الحارثية وزبوبة واليامون، وخاصة في اليوم التالي حيث استمر الجيش بالبحث عن المجاهدين أمجد وعلي وانتهى البحث بالفشل، ويقول المجاهد أيهم إن هناك أسبابًا لما حدث، وهي أنه تم كشف العملية، لسببين الأول: الاتصالات التي أجراها المجاهدون في جنين حول خروج العملية لحيز التنفيذ، والسبب الآخر أن عائلته قد علمت بأن أيهم توجه لتنفيذ عملية، وما أن سمع الناس عن انفجار في العفولة، حتى بدأوا يتداولون اسم الاستشهادي أيهم، وتبين في ما بعد أن هذا الانفجار في مدينة العفولة ناجم عن انفجار جرة غاز فقط.

المجاهد أيهم في الأسر

وما أن عاد المجاهد أيهم إلى قرية كفر دان والتقى بعائلته حتى تم اعتقاله على يد جهاز الأمن الوقائي، وتم سجنه في أريحا لمدة سنة ونصف تنقل خلالها ما بين سجن الأمن الوقائي وبين مبنى المقاطعة في أريحا، وتمكن بطريقة سرية من الهروب من سجن أريحا مع الأبطال من أبناء الجهاد الإسلامي، وكانت عملية الهروب قد تمت على مرحلتين وبمجموعتين، ومنهم الشهيد المجاهد محمود كميل الملقب بـ"الدبعي" من بلدة قباطية في جنين، والشهيد مروح كميل وزياد سمارة ومحمد هصيص وعلاء سمارة، وغيرهم من المجاهدين. وعاد المجاهد أيهم مرة أخرى إلى مدينة جنين ليمارس نشاطه العسكري في صفوف سرايا القدس، وقد تمكن من النجاة من عدة محاولات للاعتقال أو الاغتيال وخاصة عندما تمت محاصرته مع مجموعة من المجاهدين في منزل خليل الليرة في جنين، ولما انسحب المجاهدون من هذا البيت وهم أيهم وزياد سمارة وسائد فهمي توجهوا بعدها إلى بلدة اليامون للالتقاء بقادة سرايا القدس هناك وخاصة مع المجاهد باجس حمدية الذي كان على علاقة سابقة بالمجاهد أيهم في أثناء وجوده في سجن أريحا، وتم

الاتفاق بين المجاهدين على تخفيف عملية التواصل والتنسيق من أجل القيام بعدة عمليات عسكرية ضد العدو الصهيوني. والتقى في بلدة اليامون المجاهد أيهم مع المجاهد مروح كميل وأصر الأخير على أن يكون المجاهد أيهم ضمن أفراد خليته.

مرحلة جديدة:

وما أن بدأ العمل العسكري لهذه الخلايا حتى وقع المجاهد أيهم في قبضة جهاز الوحدات الخاصة التابعة للسلطة الفلسطينية بقيادة بشير نافع، لكن هذه المرة لم يكن الاعتقال مثل ما حدث في أريحا، بل كان باتفاق واضح وصريح بين جميع الأطراف، وتم توفير كل الظروف المناسبة للمجاهدين في ذلك الوقت وخاصه حرية الحركة في رام الله، وهناك تم تقديم مساعدات كثيرة للمجاهدين من أبناء الأجهزة الأمنية مثل أحمد الشوربجي من سكان قطاع غزة، ومنهم من أساء التعامل مع المجاهدين، بل وكان يتناول المسكرات في المقر، وكان عادة يحاول إطلاق النار على المجاهدين، ونتيجة لما قدمه المجاهد أحمد الشوربجي من مساعدة للمجاهدين تعرض للقتل على يد أحد رجالات السلطة بالضفة الغربية داخل السجن وذلك بتاريخ 29/ 05/ 2004م.

وكانت فترة رام الله هامة جدًا في حياة المجاهد أيهم الذي تمكن من التعرف على عدد كبير من قادة حركه فتح مثل المناضلين رمزي عبيد أحد أهم قادة حركة فتح في رام الله، وحمزة الطقطوق وبسام اكتيع. وحينها بدأ المجاهدون يحصلون على كثير من التسهيلات من قبل السلطة الفلسطينية في مقر احتجازهم، وكانت هذه الفترة من العام 2004م عصيبة على قادة سرايا القدس وكوادر المقاومة الفلسطينية وخاصة السرايا التي تعرض قادتها وكوادرها لملاحقات الأجهزة الأمنية الصهيونية مما أدى إلى اعتقال العشرات واغتيال العديد من القادة حيث بتاريخ 03/ 12/ 2004م، تم اغتيال أحد قادة سرايا القدس في بلدة قباطية في مدينة جنين المجاهد محمود عبد الرحمن كميل، وكان المجاهد أيهم من المجاهدين المقربين من الشهيد، ولذلك قرر الرد على هذه الجريمة في رام الله حيث قام وصديقه المقرب حمزة الطقطوق بالتوجه نحو مستوطنة جبل الطويل وتسمى بـ"سيجوت" وأطلقوا رصاصهم لقتل الصهاينة باتجاه الحافلات الصهيونية، وأعلن الجيش الصهيوني أن حافلة صهيونية قد تعرضت لإطلاق نار وأن هناك إصابات، وأعلنت سرايا القدس مسئوليتها عن العملية البطولية في رام الله، وأنها جاءت كرد أولي طبيعي على اغتيال القائد في سرايا القدس محمود كميل، وكانت هذه العملية الأولى للمجاهد أيهم في مدينة رام الله، واستمر في نشاطاته العسكرية عبر خوض الاشتباكات المسلحة بشكل شبه يومي ضد قطعان المستوطنين ودوريات الجيش الصهيوني التي كانت تجوب شوارع وأزقة ومخيمات مدينة رام الله دون أن تقوم السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية بإطلاق النار عليهم.

تقدم المجاهد أيهم وحمل راية الجهاد الإسلامي وسطر أروع صفحات المجد والعزة

والفخار لتأتي العملية التالية المزلزلة وهي الرد على جريمة اغتيال المجاهد القائد في سرايا القدس مروح كميل الذي استشهد في مدينة جنين بتاريخ 07/ 06/ 2005م حيث بادر المجاهد أيهم وأطلق النار من سلاحه مرتين على برج عسكري صهيوني في منطقه رام الله "أم الشرايط"، وكان إلى جانبه في هذه العملية المجاهد بسام اكتيع والمجاهد حمزة الطقطوق،

الشهيد القائد/ مروح كميل
استشهد بتاريخ 07/ 06/ 2005م

وفي ذلك الوقت جاء خبر يؤكد استشهاد أحد قاده كتائب شهداء الأقصى في مخيم بلاطة في مدينة نابلس، وهو الشهيد المجاهد محمود اشتيوي، فسارع الأبطال أيهم وبسام وحمزة بالقيام بعملية اطلاق نار تجاه حاجز بيت إيل العسكري في رام الله.

وبعد استشهاد القادة في سرايا القدس في جنين وخاصة الشهيد محمود كميل ومروح كميل بدأ الاتصال بين المجاهد أيهم وسرايا القدس يتقطع شيئًا فشيئًا، فحاول حينها التواصل مع سرايا القدس في قطاع غزة من أجل الاستمرار في العمليات العسكرية في رام الله، ولكن دون جدوى.

عملية خطف المستوطن "إلياهو"

وفي إحدى الليالي وبينما كان يجلس المجاهد أيهم مع أصدقائه المجاهدين بسام اكتيع وحمزة الطقطوق وليلي أبو رجيلة اقترح عليهم المجاهد ليلي أنه يستطيع خطف صهيوني، وبدأ كل واحد يضع سيناريو لعملية الخطف وكل هذا يحدث في داخل مقر السلطة الفلسطينية في رام الله "أم الشرايط"، وشعر المجاهدون أن المجاهد ليلي جاد في طرحه وخطته وأقسم على ذلك، وقام حينها المجاهد ليلي بمتابعة الموضوع مع المجاهد بسام اكتيع الذي بعد فترة من الزمن استطاع أن يجهز الترتيبات الأساسية اللازمة للعملية، وحاول القيام بها إلا أن المسدس الذي كان معهم تعطل منه الديك مما أدى إلى إلغاء العملية،

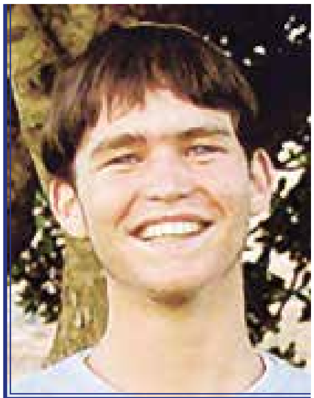
القتيل الصهيوني
المستوطن "إلياهو آشري"

وجرت محاولة أخرى قام بها المجاهد ليلي أبو رجيلة، وكانت الخطة أن الأخ خير أبو ارجيله يقود السيارة التي مهمتها المراقبة والسير أمام سيارة الخطف لكشف الطريق ويتم التواصل والتنسيق بين السيارتين على البلفون، والمجاهد ليلي أبو رجيلة يسوق السيارة الخاصة بالخطف والتي سوف يصعد إليها المستوطن لاحقًا، وبعد أن يصعد في السيارة يقوم المجاهد نور بالصعود بعد فترة إلى السيارة التي بها المستوطن، ويعرف على نفسه على أساس أنه مواسرجي لإصلاح تسرب المياه في شقة المجاهد ليلي، وهنا كان لابد من توضيحها عبر الحديث عن طريق البلفون المفتوح على نور في السيارة الثانية، وعندها

يطمئن هذا المستوطن للشخص الثالث الذي صعد معه في السيارة وهو المجاهد نور ولاسيما أنه سمع هذه القصة عبر الحديث الذي دار بين ليلي ونور، وهكذا تكون الخطة قد اكتملت، وبالفعل صعد المستوطن والذي اسمه "إلياهو" إلى السيارة مع ليلي أبو رجيلة، وكان في الخطة الثانية ينتظر هناك المجاهد نور، وأشار للسيارة بالوقوف وصعد نور إليها، وكان المستوطن "إلياهو" يجلس في المقعد الأمامي، وما أن جلس المجاهد نور في المقعد الخلفي حتى نظر المجاهد ليلي بالمرآة وأخذ الإشارة المتفق عليها مع نور، فقام المجاهد بسحب المسدس من أسفل الكرسي الذي يجلس عليه "إلياهو" وصوبه إلى رأسه من الخلف، وقال له: ألا يفعل أي حركة وإلا سيقتل فانصدم المستوطن الصهيوني للوهلة الأولى، وبعد قليل وباللغة العبرية أفهموه أنهم حرامية ولا يريدون إيذاءه وأنهم يريدون فقط الشنطة وما بداخلها من نقود، وبذلك تمكن المجاهد ليلي من تهدئته، وعندما شعر المجاهدون أن هذا المستوطن قد اطمأن أنزلوا مسدساتهم حيث كان ليلي أيضًا قد سحب مسدسه على هذا المستوطن، وعندما وصلوا بالسيارة مفترق بين طريقين الأولى تؤدي إلى مستوطنه "عطروت"، والثانية إلى مدينة رام الله قام المجاهدون بالدخول باتجاه مدينة رام الله، فتفاجأ حينها هذا المستوطن من الأمر وهجم على مقود السيارة من أجل أن يقلب السيارة للحصول على المساعدة، مما جعل المجاهدين يضربونه بقوة فشجوا له رأسه وسال الدم بغزارة.

في هذه الأثناء كان المجاهد أيهم وحمزة الطقطوق يجلسان داخل مقر الوحدات الخاصة بأم الشرايط، فجاءهم الاتصال من بسام اكتيع يقول لهم بأن يتجهزا؛ لأنه سيذهب إليهما لاصطحابهما؛ لأن الشباب سيحضرون العصفور أي المستوطن، وبالفعل تجهز المجاهدان، ومع حلول المغرب جاء المجاهد بسام إليهما، فقال لهما إن الأمور جيدة والعصفور أصبح في القفص، وتوجه حينها المجاهدون بسام وأيهم وحمزة إلى منطقة الطيرة، فوجدوا "إلياهو" في داخل السيارة مربوطًا بشكل جيد،

الأسير المجاهد/ حمزة الطقطوق
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 04/ 07/ 2006م

فكانت مفاجأة عظيمة جدًا للمجاهدين، منظر لا يمكن لذاكرة المجاهد أيهم من نسيانه، فقام المجاهد ليلي بفك وثاقه وسأله المجاهد أيهم: هل أنت يهودي؟! لأن منظره كان يشبه الرومانيين فقال له المستوطن الغبي: لو بالعبري، فلطمه أيهم، وقال له: كيف "لو" وأنت تتحدث العبري!!

فضحك حينها المجاهدون كثيرًا، وكان حينها المجاهدان أيهم وحمزة يرتديان اللباس العسكري مع الجعب مما جعل المستوطن يشعر بالخوف الشديد عندما أمسك المجاهد أيهم يده فوجدها ترتجف بشكل كبير، وتم اقتياده فيما بعد إلى إحدى الشقق التي جهزها المجاهد بسام اكتيع (أبو فادي)؛ لأنه هو المشرف الأول على هذه العملية،

الأسير المجاهد/ بسام اكتيع
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 04/ 07/ 2006م

وهو المسؤول عن التنسيق بين أفراد هذه المجموعة والتي كان اسمها مجموعة (فرسان الغضب) وبين قطاع غزة مع قادة الألوية في لجان المقاومة الشعبية، حيث كان في البداية يحاول المجاهد أيهم الوصول إلى سرايا القدس في الضفة الغربية من أجل التهيئة لهذه العملية لتكون باسم الجهاد الإسلامي إلا أنه لم ينجح في ذلك، وتواصل مع سرايا القدس في قطاع غزة، وكذلك فعل المجاهد بسام اكتيع الذي تواصل شخصيًا مع أحد قادة سرايا القدس في مدينة غزة في ذلك اليوم، وكان اسمه المجاهد (أبو خميس)، فحدثوه عن عملية خطف لجنود صهاينة، فرفض ذلك، وطلب منهم إن أرادوا أن يحصلوا على خط عسكري ودعم مالي ولوجستي القيام بعملية استشهادية في مدينة القدس المحتلة، فكان حينها أبناء هذه المجموعة غير جاهزين لمثل هذا الطلب، فتوجه المجاهد بسام اكتيع إلى قيادة لجان المقاومة الشعبية والذين تلقفوا هذه المكالمة بكل سرور وبكل مسئولية، وأرسلوا لهم مبلغ خمسة آلاف دولار وبشكل عاجل لتنفيذ هذه المهمة، وكانوا مستعدين لكل طلباتهم؛ لأنهم كانوا يدركون حينها معنى أن يتم خطف جندي لما له من أثر كبير على الشعب الفلسطيني وعلى الحركة الأسيرة بشكل عام، وأصبح المسئول المباشر عن هذه العملية وعن التنسيق مع قادة اللجان في قطاع غزة هو المجاهد بسام اكتيع، وهو من سكان قطاع غزة ويتواجد في الضفة الغربية ويعمل في أجهزة السلطة الفلسطينية منذ سنوات طويلة، وكان له خبرة طويلة في مواجهة الاحتلال، ولقد تعرض في الماضي لعدد من مرات الاعتقال في الانتفاضة الأولى، ويمتاز بصلابته وقوة إرادته وإصراره على كل مهمة مستحيلة تُعرض عليه، فكان نعم القائد ونعم المنسق لهذه المجموعة، وما أن وصل المبلغ ليتم تنفيذ ما تم التخطيط له بخطف المستوطن "إلياهو" حتى تم بالفعل تنفيذ هذه المهمة، وبعد أن تم وضع هذا الصهيوني "إلياهو" في داخل الشقة التي جرى استئجارها من قبل المجاهد بسام اكتيع حتى بادر واتصل بقيادة اللجان وأعلمهم بما حدث، وأرسلوا على الفاكس بياناته من أجل استخدامها في وسائل الإعلام

المختلفة، وكان الاتفاق مع هذه المجموعة أي مجموعة (فرسان الغضب) أنه في حال تم اجتياح قطاع غزة من قبل العدو الصهيوني فلابد من قتل المستوطن الصهيوني، وقد أشار قادة اللجان في بيانهم إلى ذلك حيث كان هناك في نفس اليوم تزامن مع خطف الجندي الصهيوني "جلعاد شاليط" في قطاع غزة، وما أن بدأ الاجتياح لقطاع غزة حتى قرر فرسان الغضب قتل هذا المستوطن كما تم الاتفاق مع الألوية في غزة، وتوجه الأبطال أيهم وبسام وحمزة الطقطوق إلى الشقة التي يحتجزون بها "إلياهو" وكان ذلك في حوالي الساعة الثالثة فجرًا، وأخرجوه من المنزل وبدأ المجاهد أيهم يجره مثل الكلب، وتوجهوا إلى منطقة الطيرة في قلب مدينة رام الله، ووصلوا إلى تلك المنطقة، وهي عبارة عن مساحة من الأرض واسعة جدًا، وشبه مهجورة وبها بعض البنايات والسكان، وبها أيضًا بعض البنايات قيد الإنشاء، وبدأ المجاهد أيهم يجره وبدأ الأبطال حفر قبر هناك لهذا المستوطن، فأحس بهم بعض السكان، فتركوا المكان وبدأوا يبحثون عن موقع آخر، وشاهد حينها المجاهد أيهم أنه يوجد بناء جديد وبه أعمدة قيد الإنشاء، ويوجد مكان محفور لأحد الأعمدة ويستطيع إدخال هذا المستوطن به دون أن يشعر بهم أحد.

لحظة قتل المستوطن "إلياهو"

قرر أبطال فرسان الغضب قتل هذا المستوطن ووضع المجاهد ليلي أبو ارجيلة طلقة في بيت النار بالمسدس وقال لأيهم إن السلاح الآن أصبح جاهزًا، وكان عبارة عن مسدس 14 بلجيكي

الأسير المجاهد/ ليلي أبو ارجيلة
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 28/ 06/ 2006م

والرصاصة كانت من نوع دمدم متفجر، فقام البطل أيهم وأجلس "إلياهو" على حجر ووضع قطعة من القماش على فوهة المسدس، وما أن رفع مسدسه وصوبه على رأس هذا المجرم الصهيوني فإذا به يغمض عينيه مرتعبًا خائفًا، متوسلًا، ولكن لكل شيء حقيقة، والحقيقة أنه لابد من قتله ثأرًا لدماء كل فلسطيني سال دمه على أرض فلسطين المحتلة، فكان الوقت هو وقت أذان الفجر، وقال حينها المجاهد أيهم للمستوطن "إلياهو" وهو يسمع آذان الفجر إن الله أراد لك أن يمد في عمرك بعض الوقت، وبدأ المجاهد أيهم يردد وراء المؤذن، وشعر المجاهد أيهم حينها أنه قد صبر على عدم قتله دهرًا، فلما قال المؤذن حي على الفلاح حي على الفلاح قال حينها: اللهم

إني أتيتك بفلاح وليس بعده فلاح، ودعا المجاهد أيهم ثلاث دعوات، وهي الأولى أن يشمت بالمجرم الصهيوني إيهود أولمرت الذي كان يهدد ويتوعد ويتبجح على وسائل الإعلام، والثانية أن يهدي الله عز وجل هذا العمل لروح قائده ابن سرايا القدس الشهيد محمود كميل الملقب بـ (الدبعي)، والثالثة لم تتحقق بعد وهي حرية كل الأسرى والمعتقلين، وحان موعد التنفيذ وأطلق المجاهد أيهم الطلقة فوق عين المستوطن "إلياهو" اليسرى،

الأسير المجاهد/ أيهم كمامجي
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وخرجت من وراء رأسه وأصبح هنالك نزيف وسقط على الأرض، ولم يفارق الحياة بعد وجلس على صدره، وقال له نحن لسنا قتلة ولسنا مجرمين، وإنما قتلناك؛ لأن حكومتك وعلى رأسها أولمرت قد أوغل في قتل أبناء الشعب الفلسطيني، ولم يفرقوا بين صغير وكبير، فقتلتم الأطفال وهم في أحضان أمهاتهم، فكيف لنا أن نرحمك؟ وما أن لفظ أنفاسه الأخيرة حتى تم دفنه وإخفاء معالم العملية، وخرجوا من الموقع فإذا بهم يلتقون مع سيارة سلطة لجهاز المخابرات الفلسطينية طلبوا منهم إيصالهم إلى رام الله بحجة أنهم كانوا في زيارة لأصدقائهم وتأخر الوقت ولا يوجد من يوصلهم، وبعضهم كان يعرفهم من الذين كانوا يعملون في أجهزة السلطة، فركبوا معهم إلى مدينة رام الله، ولما نزلوا من السيارة ورآهم الناس لم يشك أحد بهم كونهم نزلوا من سيارة تابعة لجهاز المخابرات الفلسطينية، وتوجه المجاهدان أيهم وحمزة الطقطوق إلى مقر المخابرات الفلسطينية في أم الشرايط، واغتسلا وبدلا ملابسهما وأحرقا الملابس القديمة، وتصرفا وكأن شيئًا لم يحدث، وكان قد مر على دفن المستوطن نحو 6 إلى 8 أيام، وحاولا الاتصال بالمجاهد بسام اكتيع، ولكنه لم يجبهما فعلما أنه معتقل لدى جهاز المخابرات الفلسطينية، وكانوا يحققون مع المجاهد بسام اكتيع وعلموا أن ليلي أبو ارجيلة قد تم اعتقاله من قبل العدو الصهيوني في ثاني يوم من قتل المجرم "إلياهو"، وحاول حينها المجاهد ليلي التمويه حول مكان وجود جثة "إلياهو" حتى يتمكن من تبقى من أبناء المجموعة من نقل جثمانه إلى مكان آخر، فلم يتمكن أحد من التوجه إلى مكان الدفن لصعوبة الأوضاع الأمنية في رام الله.

دور السلطة الفلسطينية

بلغ جهاز الشاباك الصهيوني السلطة الفلسطينية حول تفاصيل موضوع قتل المستوطن "إلياهو" تبعًا للمعلومات التي حصلوا عليها من التحقيق مع المجاهد ليلي أبو ارجيلة، وذكروا لهم عن مكان وجود الجثة، وأنها مدفونة بالطيرة في رام الله، فبدأ كمال حمايل مسئول الوحدات الخاصة بالسلطة الفلسطينية يسأل الأبطال أيهم وحمزة

الطقطوق عن تفاصيل العملية، وقال لهما: إن عليهما اعترافات من قبل ليلي أبو ارجيلة، وكذلك إن بسام اكتيع قد اعترف أيضًا، وهنا حدث خطأ جسيم حيث قال المجاهد حمزة الطقطوق للعقيد كمال حمايل: "هل تطلقون سراح بسام اكتيع في حال أخبرناكم التفاصيل؟" فقال لهم: "نعم وعلى الفور"، وعندها تأكدت السلطة أن المجاهدين أيهم وحمزة لهما علاقة مباشرة في عملية الخطف، وكان قد تم الإعلان عن اسميهما كمطلوبين للعدو الصهيوني.

العثور على جثة المستوطن

اجتاح الجيش الصهيوني وبمساعدة السلطة الفلسطينية مدينة رام الله، وحاصروا منطقة الطيرة ومعهم الأسير المجاهد ليلي أبو ارجيلة وذهبوا إلى مكان دفن المستوطن "إلياهو"، وحاول إرباكهم وإرشادهم إلى أماكن كثيرة ومتعددة حتى يوهمهم أن الجثة لم تعد موجودة في مكانها إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل، وتم إخراج جثة "إلياهو" من القبر. وبعد 12 ساعة من الوصول إلى جثة "إلياهو" تعرض المجاهدان حمزة وأيهم إلى ملاحقات ومضايقات من قبل السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية، حيث كانا قد غادرا مقر المخابرات الفلسطينية، وساعدهما العديد من الشباب في عملية الاختفاء في مدينة رام الله، ومنهم الأبطال كمال أبو شبك، وكمال أبو سفاقة، وإياد الفروخ، ورافقهما عصام البغدادي، وبعد يومين من الاختفاء تم نقلهما إلى عمارة طنوس في رام الله، وجلسا عند حارس العمارة الذي كان صديقًا لهما هناك، وله محلات تجارية، وطلبا منه تقديم المساعدة، فأعطاهما مبلغًا من المال وقدم لهم المساعدة، وبعدها أبلغ السلطة الفلسطينية عن مكان تواجدهما، وحدث تنسيق أمني مع الاحتلال فداهموا العمارة التي استطاعا مغادرتها قبل وصول الجيش الصهيوني، وساءت أوضاعهما كثيرًا ولاسيما بعد مرور 12 يومًا من العملية، وأصبحا يفترشون الأرض ويلتحفن السماء بلا مأوى ولا مال ولا ملابس ولا طعام ولا شراب، واستمرا في هذه المعاناة إلى أن جاءهما صديقهما عصام البغدادي وأخبرهما أن الأخ رمزي عبيد (أبو الليث) وكان يعتبر من أهم قادة فتح وقادة السلطة الفلسطينية يريد رؤية أيهم وحمزة، وكان بينهم في الماضي تعاون كبير، ولشدة حاجتهما للراحة والمال توجها إليه، وقال لهما إن الصهاينة يبحثون عنكما في كل مكان، وإنه على استعداد أن ينقلهما إلى جنين أو نابلس بنفسه، أو أن يذهبا إلى مقر المقاطعة، وهو غير ضامن هناك لهم تمامًا، فرفضا ذلك العرض؛ لأنهم كانا يخافان على رمزي عبيد كونه له الفضل عليهم بإيوائهما ومساعدتهما في الماضي، وهو قائد كتائب شهداء الأقصى بالضفة الغربية ذلك الوقت، ولم يكونا يريدان أن يسببا له مزيدًا من العداء، والسبب الأهم أن السلطة الفلسطينية أثبتت أنها شريكة للاحتلال الصهيوني في ملاحقة أبطال الانتفاضة حيث حاولت أكثر من مرة قتل المجاهدين حمزة وأيهم الطقطوق عبر إطلاق النار عليهما حيث أعطوا أوامر لعساكرهم أن حمزة وأيهم يتبعان

لتنفيذية حماس، ويريدان تخريب الضفة الغربية، وهذا تحريض عليهما بالقتل، وهنا سأل المجاهد حمزة الطقطوق المجاهد رمزي عبيد: ماذا بالضبط طلبوا منك؟ فقال لهم أن تذهبا برفقتي إلى المقاطعة بشرط أن يكون إلى جانبهما أبو الليث، وظنا حينها أنه لا يمكن للسلطة أن تغدر برمزي عبيد، فجاء مسئولو السلطة ومنهم مروان أبو فضة ونائبه في جهاز الاستخبارات العامة للسلطة الفلسطينية وكان يتواجد أيضًا في مقر السلطة محمود دمرة (أبو العوض)، ورجال أمن سلطة من كافة الأجهزة، فتم إدخالهما إلى إحدى الغرف وأغلقوا الباب وقالوا لهما أنتم مسجونان على ذمة الرئيس، وعندها أدرك رمزي عبيد أنه قد وقع في فخ السلطة الفلسطينية، وقام برفع سلاحه على أحد العساكر في المقر، وخطف أحد العساكر وتوجه به إلى مكان آمن، وبدأ يطالب بإطلاق سراح المجاهدين أيهم وحمزة، وتم إنزال المجاهدين حينها إلى زنازين التحقيق في البالوع في رام الله، ثم طلبوا من المجاهد أيهم الخروج من المقر لمسألة ما، فما أن خرج حتى سارع العساكر ودخلوا المقر وتركوه في الخارج وكان جيش الاحتلال يبعد عنه عشرات الأمتار فقط، فعلم حينها أنهم يريدون أن يسلموه للعدو الصهيوني، وأن هنالك قرارًا في ذلك، وعند الفجر من يوم 04/ 07/ 2006م تم محاصرة المقر، وتم اعتقال الأبطال بسام اكتيع وحمزة الطقطوق وأيهم كممنجي، والتحقيق معهم ميدانيًا، وما هي إلا ساعات حتى وجدوا أنفسهم في تحقيق المسكوبية،

وكان ذلك اليوم هو يوم نهاية صفحة مشرقة من صفحات المقاومة والجهاد، صفحة سيخلدها التاريخ ولا سيما أن بها جزءًا كبيرًا يتحدث عن أسر مستوطن صهيوني لتحرير الأسرى، ولكن عبثًا أن ينتهي جهاد المجاهد في سبيل الله.

نهاية مشرقة ومرحلة جهادية مشرقة

فمنذ اليوم الأول لاعتقال المجاهد أيهم، ومنذ أن حكم عليه بالمؤبدين أقسم على أن يبقى دومًا يسير على درب المجاهدين ودرب الشهداء ودرب الأنبياء ودرب أحرار العالم والشرفاء والطامحين للحرية والانعتاق من المحتل،

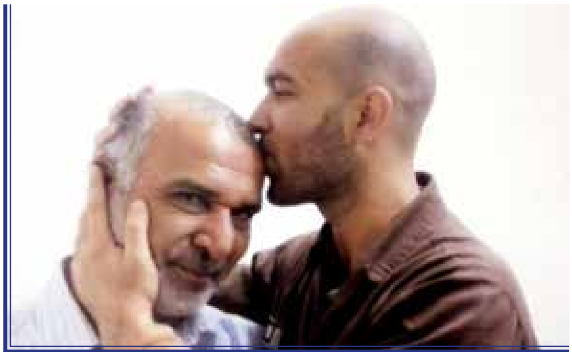

الأسير المجاهد/ أيهم كممجي
برفقة والده الصابر خلال زيارته له في السجن

واستطاع هذا المجاهد البطل أن يحول حياته في سجون العدو إلى حياة مفعمة بالأمل رغم الألم، ومفعمة بالعلم رغم سياسة التجهيل؛ حيث تمكن من الاجتهاد والمثابرة، فحصل على بكالوريوس في علم التاريخ ولا يزال يدرس في جامعه القدس المفتوحة بتخصص آخر وقد حصل على العديد من الشهادات الهامة والمتنوعة في داخل سجون الاحتلال، وبنفس الوقت لم يكن يبخل على

إخوانه في الأسر بمشاركتهم خطواتهم النضالية عبر الإضرابات المفتوحة عن الطعام وغيرها من الخطوات.

وشاء القدر أن يجتمع بأخيه عهد الذي تركه صغيرًا فإذا به يقف أمامه في سجن ريمون في العام 2018م شابًا قويًا صلبًا عنيدًا، فكان هذا اللقاء كما يسميه الأسرى هو بمثابة اللقاء التراجيدي والكوميدي في آن معًا، فاجتمع النقيضان الفرح والحزن في نفس الوقت ولا يزال المجاهد أيهم على قناعة راسخة كما جمعه الله مع أخيه داخل السجن بعد سنوات طويلة من البعد والفراق سيجمعه مع عائلته وأهله في جنين القسام بعد طول غياب إن شاء الله.

STATE OF PALESTINE
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA
دولة فلسطين
وزارة التربية و التعليم العالي
جامعة الأقصى غزة
CERTIFICATE
شهادة

الأسير المجاهد
عمر أحمد عبد الرحمن أبو الرب

دفعته روحه المؤمنة إلى الجهاد لتحرير وطنه وشعبه

تاريخ الميلاد: 1983/02/23م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: قرية جلبون - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 12

تاريخ الاعتقال: 2007/02/20م

الحكم: مؤبد

سلام عليك أيها المجاهد وقد بلغت البطولة وليس قبل الأوان، ولكن قبل فوات الأوان، جاهدت حين عز الجهاد وندر الرجال، فطابت معك أحلام النصر والتمكين، وتطاولت الأعناق واشرأبت، وفاضت الأجواء بالأريج والشذى، سلام عليك أيها المجاهد، كنت في زمن قل فيه الفعل وندرت فيه الرجولة، وتقاصرت النيات والهمم وتطأطأت الجباه والقمم. فسلام الله عليك أيها المجاهد عمر أبو الرب.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد البطل عمر أبو الرب في قرية جلبون في مدينة جنين لعائلة فلسطينية لاجئة من قرى مدينة بيسان المحتلة لتسكن في قرية جلبون بالقرب من أبناء عائلتهم أبو الرب. عاش عمر طفولته المعذبة في ظل أسرة بسيطة متواضعة، لا تملك من الدنيا سوى غرفة واحدة تجمع أفراد العائلة تحت سقفها لتقيهم البرد والحر، فالأب بالكاد يستطيع توفير مصروف البيت بعد جهد كبير يبذله في عمله في زراعة الأرض، وكان الوضع المأساوي لهذه العائلة قد انعكس على حياة المجاهد عمر منذ طفولته، فعلى الرغم من أنه لم ينهِ المرحلة الابتدائية في المدرسة إلا أنه أصر على مساعدة عائلته

الفقيرة والتخلي عن عالم الطفولة الذي لم يذق طعمه يومًا، فتوجه إلى أحد أقربائه ويدعى إبراهيم ليعمل معه في ورشة ميكانيك سيارات.

أصبح عمر من المميزين والمهرة في ميكانيك السيارات، وأراد أن يطور أداءه في العمل فتوجه إلى مدرسة الصناعة في جنين، ومنها إلى معهد قلنديا ليدرس علم الميكانيك بشكل مهني وممنهج، وهذا كله من أجل مساعدة عائلته الفقيرة، ولاسيما في الفترة التي تم فيها اعتقال والده في سجون الاحتلال الصهيوني لمدة ثلاث سنوات، وحينما بلغ من عمره سبعة عشر عامًا أدرك جيدًا أن السبب الحقيقي في مأساته ومأساة عائلته هو الاحتلال الصهيوني، فقرر الانتقام منه على طريقته الخاصة عبر الاستيلاء على السيارات الصهيونية وإحضارها إلى مدينة جنين وبيعها بثمن رخيص ليتمكن بهذا المال من المساعدة في تحسين الظروف الحياتية والمعيشية لعائلته. وفي أحد الأيام من العام 1999م عندما قام بالاستيلاء على إحدى السيارات كان بداخلها أكثر من قطعة سلاح من نوع (M16)، وبعد ملاحقة ومطاردة لهذا المجاهد تم اعتقاله وإعادة السيارة المسروقة، وبعد تحقيق عنيف معه من قبل الشرطة الصهيونية أنكر وجود سلاح في السيارة، ونتيجة لذلك حُكم عليه لمدة خمس سنوات في سجون الاحتلال الصهيوني بما يسمى بالسجن المدني الجنائي.

انضمامه إلى حركة الجهاد الإسلامي

اهتم عمر بنفسه داخل السجن وسط ألم وحزن شديد لما كان يراه على شاشات التلفاز من قيام الجيش الصهيوني بقمع الشعب الفلسطيني؛ بكافة الوسائل ليخرج إلى الحرية في العام 2004م، وبدأ مشواره الجديد في ظل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وتم تنظيمه عبر أقرباء له في بلدة قباطية بمحافظة جنين، وانضم بعدها إلى صفوف سرايا القدس ليكون من ضمن مجموعة المجاهد أشرف السعدي ومساعديه محمود إجليل ومحمود أبو الجحيم،

الشهيد القائد/ أشرف السعدي
استشهد بتاريخ 28/ 02/ 2007م

وبدأ معهم مشواره العسكري والجهادي مؤمنًا بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69] مدركًا مفهوم الجهاد والهداية والإحسان في هذه الآية، وجسد ذلك عمليًا عندما قام بزرع عبوة ناسفة شديدة الانفجار على طريق قباطية الزبابدة في مدينة

جنين لأحد الجيبات العسكرية الصهيونية الذي يسير في هذا الطريق، وما أن تم تفجيرها بالهدف المرصود حتى انقلب هذا الجيب لشدة الانفجار، وتم إصابة معظم أفراده بجراح، وأعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن العملية في العام 2004م.

استمر عمل المجاهد عمر في كل الاتجاهات عبر زراعته للعبوات الناسفة وخوضه للاشتباكات المسلحة، وفي أغلب الأحيان كان يُفضل خوض الاشتباكات المسلحة لوحده دون مساندة من أحد، وما أن سمع خبرًا على وسائل الإعلام في العام 2005م، مفاده وضع الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي على قائمة الإرهاب، وعلى قائمة الأسماء المطلوبة للتصفية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية، ووضعوا جائزة مالية لمن يساعد في اغتياله؛ توجه إلى قرية جلبون، وقام بزراعة عبوة ناسفة كبيرة الحجم على أحد الشوارع التي تسير عليها المركبات الصهيونية، وقام بتفجيرها بإحدى الدوريات الصهيونية ما أدى لإصابة جنديين صهيونيين، وأعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن العملية التي أتت كرسالة تهديد للعدو الصهيوني في حال قيامه بإيذاء أو اغتيال الأمين العام للجهاد الإسلامي. ولإيمان المجاهد عمر بالعمل الفردي والسري قرر الذهاب في العام 2006م إلى مدينة رام الله ليمكث في منزل صديقه جهاد أبو هنية أحد قادة كتائب شهداء الأقصى، ليتمكن عبر مساعدة أصحابه من الخروج من المنزل لتنفيذ عملية إطلاق نار على عدد من الجنود الصهاينة على حاجز صهيوني يسمى بحاجز الجيب العسكري، وما أن اقترب منهم مسافة خمسة إلى سبعة أمتار حتى فتح نيران سلاحه باتجاههم، مما جعلهم يصرخون ويبكون ويستغيثون، وأدى ذلك لمقتل جندي صهيوني وإصابة آخر بجراح خطيرة.

ضاقت الدنيا على المجاهد عمر، فقرر العودة إلى مدينة جنين ليعلم حينها أنه لا بديل عن العمل الجماعي، وأن يد الله مع الجماعة فلزم المجموعة الجهادية المكونة من المجاهدين أشرف السعدي ومحمود إجليل ومحمود أبو الجحيم، وقاموا بزرع عبوة ناسفة على شارع جنين الناصرة لإحدى الدوريات الصهيونية، وما أن انفجرت العبوة الناسفة بالدورية العسكرية حتى أتبعها المجاهدون بسلسلة من إطلاق النار باتجاه الجنود الصهاينة، فأوقعوا بهم العديد من الإصابات إضافة إلى أضرار بالدورية، ولنجاح أعمال هذه المجموعة الجهادية العسكرية التي لا يخلو يوم إلا وخاضت اشتباكًا مسلحًا مع العدو الصهيوني؛ قرر على إثر ذلك جهاز الشاباك الصهيوني اعتقال أو اغتيال المجاهدين أشرف وعمر ومحمود إجليل ومحمود أبو الجحيم، وطلبوا من عملائهم ملاحقة ومتابعة المجاهدين.

في أحد الأيام من العام 2006م قرر المجاهدون عمر أبو الرب ومحمود إجليل ومحمود أبو الجحيم زرع عبوة ناسفة لإحدى الدوريات الصهيونية المتواجدة في منطقة الجابريات في مدينة جنين، وما أن تم رصد الهدف وزرع العبوة وتفجيرها، والتي أدت إلى إصابة ضابط صهيوني

بجراح خطيرة، ودار اشتباك عنيف بين المجاهدين وبين قوات الجيش الصهيوني؛ حتى تفاجأ المجاهدون بقيام طائرات الأباتشي بإطلاق النار بكثافة تجاههم ما أدى لإصابة المجاهد محمود أبو الجحيم في رجله، وبصعوبة بالغة تمكن المجاهدون من الانسحاب من مكان العملية، ونقل المجاهد المصاب إلى أحد البيوت في مخيم جنين ليتم إحضار طبيب خاص لمعالجته من إصابته، ولازمه المجاهد عمر طيلة فترة العلاج ليخفف عنه ألمه ومصابه، فكان نعم الأخ ونعم الصديق ونعم المجاهد، فهذه هي أخلاق المجاهدين الذين عرفوا معنى الإيمان والوعي والالتزام، فثاروا على الظلم والعدوان.

وما هي إلا أشهر، وتحديدًا في شهر فبراير (شباط) من العام 2007م حتى قرر المجاهد عمر أبو الرب أن ينهي مشواره الجهادي والنضالي بالشهادة في سبيل الله، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، ولاسيما أنه عشق قول الحبيب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا فِي الْحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ".

قيامه بعملية استشهادية

ومع ازدياد تعمق فهم المجاهد البطل عمر أكثر فأكثر حول الصراع مع العدو الصهيوني؛ ما كان منه إلا أن يأخذ قراره الشجاع بإعداد العدة لتنفيذ عملية استشهادية في مدينة تل الربيع المحتلة العاصمة الأمنية والاقتصادية للكيان الصهيوني، وتم تجهيز شنطة متفجرات من بقايا تصنيع المجاهدين في مجموعة الشهيد لؤي السعدي، وقام المجاهد محمود إجليل بتصوير المجاهد عمر بالفيديو وأصبح جاهزًا للعملية الاستشهادية، وفي هذه الأثناء تقدم الجيش الصهيوني إلى مخيم جنين،

وبدأ يقتحم المنازل وسط إطلاق كثيف للرصاص، فما كان من المجاهدين المحمودين وعمر إلا الخروج من المنزل، والتصدي لهذا العدو الصهيوني، وبعد اشتباكات عنيفة مع العدو الصهيوني قاموا بالانسحاب من مخيم جنين، وعندما أيقن المجاهد عمر أن موعد العملية قد حان واقترب تجهز للعملية وأعد العدة، وانطلق من مدينة جنين باتجاه مدينة "تل أبيب" الصهيونية في 20/ 02/ 2007م، حيث

كان لديه الخبرة الكبيرة في معرفة كل تفاصيل الحياة اليومية في تل الربيع التي عمل فيها كثيرًا سابقًا.

اختار المجاهد عمر هدفه بدقة وكان عبارة عن حافلة صهيونية تحمل 110 راكبًا ونوع الحافلة "زمبرك" حيث صعد المجاهد عمر إلى الحافلة الصهيونية الكبيرة، ووقف في منتصفها وقوف الأشجار التي لا تنحني أبدًا وذكر الله عز وجل، وأقسم أن يجعل من جسده شظايا يقتل بها كل من بالحافلة الصهيونية وصاح: الله أكبر! الله أكبر! وضغط على زر التفجير، فلم تنفجر الحقيبة، ثم عاود الكرة فلم تنفجر، ثم عاود مرة أخرة بإرادة وإصرار وعزيمة لا توصف، فعلم حينها أن هناك خللًا ما قد أصاب الحقيبة، وما أن قام سائق الحافلة بالوقوف وفتح أبواب الحافلة حتى أسرع ونزل من بالحافلة، وهو يصيح بأعلى صوته مخرب مخرب (محبيل محبيل باللغة العبرية)، فدب الرعب في قلوب الصهاينة المتواجدين في الحافلة بناءً على صراخ المجاهد عمر بأن في الحافلة يوجد "محبيل" أي مخرب وأصبح عامة الصهاينة، يرددون نفس الكلمة، وهكذا استطاع المجاهد عمر الواثق بالله ـ عز وجل ـ والذي شعر حينها أن هناك من يرشده من الملائكة للخلاص من قبضة العدو الصهيوني.

تذكر المجاهد عمر وجود صديق له في "تل أبيب" من عائلة أبو خضير، فاتصل به وطلب منه أن يرسل له سيارة لتأخذه إليه وجلس معه في منزله لعدة ساعات، وما أن علم هذا الشاب بأن المجاهد عمر كان ينوي القيام بعملية استشهادية حتى غافله وأبلغ عنه الشرطة الصهيونية التي قامت بمحاصرة المنزل، واعتقل ليعلم بعدها أن الخلل الذي حدث في العملية، هو قيام أحد العملاء بالدخول إلى المنزل الذي كان يتواجد به المجاهدون في مخيم جنين أثناء اقتحام الجيش الصهيوني للمخيم، وما أن خرجوا منه للتصدي للجيش الصهيوني حتى دخل العميل، وأحدث خللًا في حقيبة المتفجرات، وقد اعتقل هذا العميل لدى الأجهزة الأمنية الفلسطينية، واعترف بهذا الموضوع بكل التفاصيل، فما كان من المجاهد عمر إلا القول: الحمد لله رب العالمين وقدر الله وما شاء فعل.

اعتقاله والحكم عليه

وعلى ما يبدو أن يوم 20/ 02/ 2007م لم يكن لينتهي باستشهاده، وإنما انتهى ذلك اليوم باعتقاله، وقد حكم عليه بالسجن المؤبد، وهذا الحكم الظالم والجائر لم يكن ليفت من عضد المجاهد عمر، ولم يكن ليجعله يتراجع أو يتخلى عن واجبه الجهادي المقدس، ولا يزال المجاهد البطل عمر يعيش داخل سجون العدو الصهيوني، وقلبه مليء بالحقد والكراهية لبني صهيون، منتظرًا ساعة الحرية مهما طال الزمن أو قصر.

وكان السجن للمجاهد عمر محطة استطاع من خلالها أن يحفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ، وأن يرتقي بنفسه وعلمه ليحصل على شهادة التوجيهي، بالإضافة إلى شهادة البكالوريوس في علم التاريخ من جامعة الأقصى بغزة، فأضاء عقله بالعلم وأنار قلبه وزينه بنور الله وكتابه المبين الذي يضيء له طريق الظلام، وبه سيهيء الله من يخرجه من ظلمات السجون إلى فجر الحرية والانعتاق من سجون العدو الصهيوني المجرم إن شاء الله.

الأسير المجاهد

أدهم محمد عبد العزيز يونس

المجاهد الجريء القلب

تاريخ الميلاد: 1984/12/18م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة علار - محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 8

تاريخ الاعتقال: 2007/07/26م

الحكم: 5مؤبدات و20 عاماً

حديثنا اليوم عن فارس من فرسان فلسطين انتمى لصفوف سرايا القدس ليكون أحد أعضاء مجموعة الشهيد القائد لؤي السعدي، حمل الأمانة بكل إخلاص، وسار في بلدة علار وطولكرم وجنين ومخيمها، يحمل بيده عدته وعتاده الذي لا يفارقه وهي سلاحه وذخيرته، ويهاجم المحتل الصهيوني ليريه كيف يكون السلاح بيد المؤمن، فكان سلاحه وتكبيره يفزعهم ويرعبهم وكان بإذن الله شوكة في حلوقهم، وضرب للناس مثالًا في الصبر والشجاعة والإقدام. ففارسنا هو الأسير المجاهد أدهم محمد يونس ابن سرايا القدس.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد أدهم بتاريخ 18/ 12/ 1984م في بلدة علار الصمود بمحافظة طولكرم، ودرس في مدارسها الابتدائية وأنهى الصف السابع الأساسي، ولم يكن اجتهاده المدرسي كما يجب أن يكون، فاتجه إلى سوق العمل وأصبح عاملًا يكد بيده ويتعب من أجل أن يعيش حياة كريمة، تربى في أسرة جمعت أربعة من الأولاد واثنتين من البنات، وعاش أجمل أيامه في بلدته علار تلك البلدة الجميلة بمناظر جبالها الخلابة، البلدة التي خرجت المجاهدين والثائرين، وقدمت ولاتزال عشرات الشهداء والأسرى من

خيرة شبابها ورجالها سواء في الانتفاضة الأولى 1987م أو في انتفاضة الأقصى 2000م.

الميلاد والنشأة

عاش مجاهدنا البطل أدهم مشاهد شراسة وعنجهية ظلم الاحتلال الصهيوني الذي لا يفهم سوى لغة الإجرام والدمار والفساد، وكان منزل المجاهد أدهم عرضة لاقتحامات الجيش الصهيوني الذي اعتقل والده أكثر من مرة، بالإضافة إلى البحث عن خاله، وهو المجاهد صقر كتانة الذي تم اغتياله في 25/ 09/ 1994م، وعاشت والدته كابوسًا لا يزال يطاردها حتى اليوم مما أدى إلى تعرضها لأمراض عديدة حزنًا على أخيها الشهيد صقر، وامتلأ مجاهدنا حبًا وإخلاصًا للوطن، وامتلأت ذاكرته بأحداث لا يمكن نسيانها، وكان على موعد طالما انتظره عبر مشاركته الواسعة في انتفاضة الأقصى رغم أنه لم يتجاوز عمره 16 عامًا، ومع ذلك فقد كان أسدًا هصورًا في ميادين الاشتباك مع العدو، يشارك شباب ورجال طولكرم في رمي جنود الاحتلال الصهيوني بالحجارة والزجاجات الحارقة، ولشجاعته وبسالته في المواجهات مع العدو كان يطلب منه أبطال الانتفاضة تقديم المساعدة في قص الأسلاك الشائكة بين طولكرم والداخل المحتل، وتمكن حينها المجاهدون من تنفيذ عمليات إطلاق النار على قطعان المستوطنين والعودة بسلام، فكان يُضرب به المثل في جرأته بإلقاء الحجارة والزجاجات الحارقة على الدوريات الصهيونية والتي في الأغلب كانت تصيب الهدف بنجاح.

وما أن جاء العام 2003م حتى أصبح قلبه وعقله متعلقًا بحب حركة الجهاد الإسلامي لكثرة عملياتها العسكرية والاستشهادية ضد المحتل الصهيوني، وتأثره بمجاهديها، ومنهم القادة جميل جعار ورائد عجاج وسعيد الأشقر ومعتصم جعار ونضال أبو سعدة وزاهر الأشقر والقائد الكبير لؤي السعدي، فكان دائم المساعدة لهؤلاء المجاهدين، وتركزت مساعدته لقادة وكوادر سرايا القدس على بعض الأعمال اللوجستية والضرورية إلى أن تم اغتيال المجاهد جميل جعار بتاريخ 23/ 09/ 2005م، وكان حينها أبطال سرايا القدس متواجدين في منزل المجاهد أدهم يونس في بلدة علار عندما جاءهم نبأ استشهاد المجاهدين جميل وسعيد الأشقر ورائد عجاج؛

الشهيد القائد/ جميل جعار
استشهد بتاريخ 23/ 09/ 2005م

ليعيش هؤلاء الأبطال يومًا حزينًا على فراق أحبتهم، وتم إحضار جثمان الشهيد جميل إلى بلدة علار، ووضعه في أحد المساجد لإلقاء نظرات الوداع الأخيرة عليه، وتوقف حينها المجاهد أدهم ووضع يده على صدر الشهيد جميل، وأقسم بالله أن يثأر لدمه عاجلًا أو آجلًا، وما أن تم دفن الشهيد والانتهاء من مراسم العزاء حتى بدأ المجاهدون نضال أبو سعدة ومعتصم جعار بالبحث عن المجاهد أدهم، والهدف هو تقديم المساعدة المطلوبة لعملية استشهادية.

عملية "نتانيا" البطولية

بعد اجتماع المجاهدين نضال أبو سعدة ومعتصم جعار ووجيه أبو خليل مع المجاهد أدهم في بلدة علار تم التوجه إلى مدينة جنين، ليحدث الاجتماع الثاني الذي ضم الأبطال أدهم يونس ونضال أبو سعدة ومعتصم جعار ومعتز أبو خليل وقالوا حينها إنه قد جاء موعد الثأر لدماء الشهداء، واستعد المجاهد أدهم ليبذل كل جهد ممكن لتحقيق هذا الأمر، وذكر حينها المجاهدان نضال أبو سعدة ومعتصم جعار أن الاستشهادي لهذه العملية جاهز، وبقي اختيار موقع العملية، وقال المجاهد أدهم بأن هناك ثلاثة مواقع مهمة في الكيان الصهيوني يعرفها جيدًا تصلح لأن تكون هدفًا للعملية القادمة، وذكر لهم هذه المواقع وهي "تل أبيب" و"بنيامينا" و"نتانيا" واتفق الجميع على أن تكون مدينة "نتانيا" الصهيونية هي الهدف القادم لسرايا القدس، وفي تلك الفترة كان الجيش الصهيوني منتشرًا في الضفة الغربية، وخاصة في شمال الضفة في مدينتي جنين وطولكرم، وكانوا يتوقعون أن يكون هناك رد مزلزل من سرايا القدس، وأن جهاز الشاباك الصهيوني كان متأكدًا بأن سرايا القدس لا يمكن أن تسكت عن جريمة اغتيال شهدائها، وحاولوا بكل قوتهم نشر جنودهم في كل مكان، وكانت طائرات الاستطلاع فوق سماء طولكرم وجنين حتى إن الشعب الفلسطيني بكل أطيافه كان يطالب بالرد القاسي على جرائم الاغتيال.

أحداث يوم العملية

بعد أن تجهز أبطال سرايا القدس لهذه العملية خرج المجاهدون أدهم يونس ونضال أبو سعدة ومعتصم جعار ومعتز أبو خليل في فجر يوم 05/ 12/ 2005م من بلدة برقين بمحافظة جنين إلى بلدة علار بطولكرم؛ للالتقاء بالاستشهادي لطفي أبو سعدة وهو ابن عم المجاهد نضال أبو سعدة الذي كان يعمل في أحد معامل الطوب،

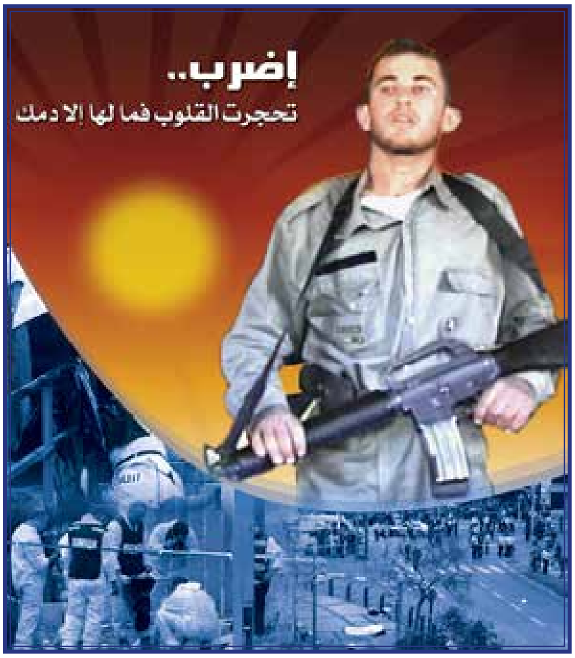

وما أن رآه المجاهد أدهم حتى قام باحتضانه وتقبيل جبينه الطاهر، وقال حينها الاستشهادي لطفي أمام المجاهدين: "أسأل الله أن يوفقني بالعملية، وأن تكون عملية مزلزلة إن شاء الله". ثم بدأ المجاهدان أدهم ولطفي بتغيير ملابسهما وارتداء ملابس جديدة تناسب هذه العملية، وفي تلك الأثناء كان المجاهدون نضال أبو سعدة ومعتز أبو خليل ومعتصم جعار يجهزون شنطة المتفجرات اللازمة لهذه العملية، وكانت عبارة عن شنطة سوداء كبيرة الحجم تزن 16 كيلو جرامًا من المتفجرات، وتوجه بعدها المجاهدون أدهم ونضال والاستشهادي لطفي من بلدة علار إلى ضاحية شويكة بمحافظة طولكرم، وأوقفوا سيارتهم هناك وقام المجاهد نضال بوداع المجاهد أدهم وابن عمه الاستشهادي لطفي، وتم تسليم المجاهد أدهم بلفونًا صغيرًا من أجل أن يرسل عبره ثلاث رسائل، الأولى عندما يصل إلى مدينة طولكرم ويكتب بالرسالة كلمة "مرحبًا"، والثانية عندما يصل إلى مدينة القدس المحتلة ويكتب بالرسالة "السلام عليكم"، والثالثة عندما يصل إلى مدينة "نتانيا" المحتلة ويكتب "مع السلامة"، وأوصى حينها المجاهد نضال أن تبقى شنطة المتفجرات مع المجاهد أدهم يونس إلى حين الوصول إلى الهدف في "نتانيا".

الانطلاق لتنفيذ العملية

بعد أن أصبحت كافة تفاصيل العملية الاستشهادية جاهزة، تحرك المجاهدان أدهم يونس والاستشهادي لطفي أبو سعدة من ضاحية شويكة إلى مدينة طولكرم، ومن هناك ركبا في إحدى السيارات المتجهة إلى مدينة رام الله، وأثناء الطريق عند حاجز جبارة العسكري تم إيقاف سيارتهما، وكان هناك العديد من السيارات التي تتعرض للتفتيش من قبل الجيش الصهيوني، وطلب الجنود الصهاينة من ركاب السيارة النزول منها من أجل إجراء عملية التفتيش، ونزل جميع الركاب من السيارة، وقال حينها المجاهد أدهم للاستشهادي لطفي في حال تم العثور على شنطة المتفجرات عليه أن ينفي أية علاقة له بذلك، وأنه ذاهب إلى الداخل المحتل من أجل الحصول على عمل، وبدأ المجاهدان يدعوان الله _عز وجل_ أن يحفظهما ويبعد أنظار العدو الصهيوني عن شنطة المتفجرات، وما هي إلا دقائق فإذا بالجنود الصهاينة ينتهون من عملية تفتيش السيارة ويطلبون من الركاب مواصلة سيرهم، ووصلوا بعد جهد كبير إلى حاجز حوارة بمدينة نابلس، وكان الجنود الذين يقفون على الحاجز الصهيوني يقومون بتفتيش السيارات بشكل عشوائي بحيث من بين كل ثلاث أو أربع سيارات يتم إيقاف سيارة واحدة، ولما وصلوا إلى هناك تم الإشارة إلى السيارة بالتوقف، وما أن توقفت حتى نظر الضابط الصهيوني إلى داخل السيارة، وإلى من بداخلها نظرة سريعة، ثم طلب منهما مواصلة التحرك، وكأن ملائكة الرحمن تساعد المجاهدين في فتح الطريق، وما كادا يسيرا حتى تعرضا إلى حاجز صهيوني آخر في منطقة وادي الحرامية قرب مدينة رام الله، وتم تجاوز هذا الحاجز بكل يسر وسهولة؛ ليكون أمامهما أهم وأخطر حاجز صهيوني في الضفة الغربية وهو حاجز قلنديا، وهناك نزل المجاهدان من السيارة وكان الجيش الصهيوني يجري تفتيشات مكثفة في سيارات المواطنين

الفلسطينيين، وقرر حينها المجاهدان أدهم ولطفي أخذ استراحة بعد سفرهم الطويل، فجلسا في مكان قريب من الحاجز الصهيوني وكانت الساعة هي العاشرة صباحًا، وقررا حينها تناول طعام الإفطار، وكان عبارة عن ساندويشات شاورما بالإضافة إلى زجاجات السبرايت، وبدآ يتجاذبان أطراف الحديث فطلب المجاهد أدهم من المجاهد لطفي في حال تنفيذه العملية الاستشهادية أن يسلم على الشهيد جميل جعار كثيرًا، ويخبره أن أدهم سيلحق به قريبًا إن شاء الله، وبدأ المجاهد أدهم بإضحاك المجاهد لطفي عبر حديثه الشيق والمضحك في نفس الوقت، وما أن رأى المجاهد أدهم البطل لطفي وهو يضحك حتى شعر المجاهد أدهم أنه سيبكي؛ لأن هذه الضحكات لن يسمعها بعد ساعات عندما يغادر المجاهد لطفي هذه الدنيا إلى عالم الآخرة عالم الشهادة.

ولما انتهيا من طعام الفطور، بدأ المجاهد أدهم يبحث عمن يساعدهما في الوصول إلى مدينة "نتانيا" ووافق أحد السائقين على إيصالهما إلى مدينة "نتانيا" بشرط أن يعطياه ألف شيكل، وقال له المجاهد أدهم: لك ما تريد ولكن بشرط أن تقوم بإيصالنا إلى مدينة "نتانيا" دون أن تمر عبر الحواجز الصهيونية ودون التوقف أثناء الطريق، فما أن وافق سائق السيارة حتى صعدا معه إلى السيارة، وانطلق بهما من معبر قلنديا في رام الله إلى مدينة "نتانيا" دون أن يصادفهما في الطريق أي عائق يذكر، وما هي إلا ساعة من الزمن حتى وصلا إلى قلب مدينة "نتانيا"، وسألهما سائق السيارة عن المكان الذي يريدان النزول فيه فأشار إليه المجاهد أدهم أن يوصلهما إلى مكان قريب من المجمع التجاري في مدينة "نتانيا"، وما أن نزلا من السيارة قبل المجمع حتى قام المجاهد أدهم بإعطاء شنطة المتفجرات للمجاهد لطفي، وما أن وضعها على كتفه حتى مال كتفه من شدة ثقلها ولاسيما أنها تزن 16 كيلو جرامًا من المتفجرات، وطلب حينها المجاهد أدهم من المجاهد لطفي أن يجعل ظهره مستقيمًا عندما يتوجه إلى مدخل المجمع التجاري حتى لا يشك أحد فيه، وجاءت اللحظات الأخيرة للعملية، وودع المجاهد أدهم أخاه الاستشهادي لطفي وسلم عليه بحرارة، وحضنه وقبَّل رأسه، ودعا له بالتوفيق، وطلب منه قبل أن يقوم بتفجير نفسه أن يعطي المجاهد أدهم خمسة دقائق لمغادرة المكان، ونظر حينها المجاهد أدهم إلى وجه الاستشهادي لطفي فإذا به كالقمر الساطع، وتغيرت ملامح وجهه وازدادت جمالًا ونورًا وبهاءً، كان وجهه يوحي بقدر ما به من فرح وسعادة وسرور، كيف لا وهو سيقابل الرحمن بعد لحظات معدودة، وسيجتمع مع الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين، وستزفه الحور العين، وكان في عجلة من أمره، وتوجه إلى مدخل المجمع التجاري، وهناك قام أحد الضباط الصهاينة من حراس المدخل بالشك به لثقل شنطة المتفجرات التي كانت على ظهره، وكان عدد كبير من الصهاينة يجتمعون أمام المدخل، ففجر نفسه الشريفة بهم محدثًا انفجارًا ضخمًا جدًا ومزلزلا كما كان يتمنى؛ ليوقع خمسة قتلى وعشرات الإصابات ليكون يوم 05/ 12/ 2005م هو يومًا خالدًا في بطولات المقاومة في فلسطين، يوم أن انتصرت سرايا القدس لدماء شهدائها رغم الظروف الأمنية التي اتخذها العدو الصهيوني.

القتلى الصهاينة في عملية "نتانيا" الاستشهادية
بتاريخ 05/ 12/ 2005م

تمكن المجاهد أدهم من مغادرة المكان، وتعرف حينها على أحد سكان المثلث في الداخل المحتل، وقرر مغادرة مدينة "نتانيا" معه، وأعطى المجاهد أدهم ذلك الشاب مبلغ 100 شيكل؛ ليدفع عنهما أجرة الحافلة التي ستنقلهما من مدينة "نتانيا" إلى مدينة الخضيرة، ولذلك الشاب سيارته الخاصة هناك فاستقلاها وتوجها إلى بلدة جَت في الداخل المحتل، ولما وصلا إلى البلدة تابع المجاهد أدهم طريقه إلى مكان العمل الذي يعمل به في السابق، وما أن وصل إليه حتى وجد أن معظم العمال الفلسطينيين الذي يعملون هناك من مدينة طولكرم، وقالوا للمجاهد أدهم إن هناك عملية استشهادية وإن من نفذها يُحتمل أن يكون من بلدة علار في طولكرم، وطلب حينها المجاهد أدهم من العمال عدم المبيت في ذلك المكان، ونام ليلته في مكان قريب من ذلك الموقع، وفي ساعات الليل إذا بالجيش الصهيوني مدعومًا بطائرات الاستطلاع يقوم بتفتيش المنطقة، واعتقلوا مئات العمال الفلسطينيين، وما أن شاهد المجاهد أدهم الجيش الصهيوني حتى سارع واختبأ في أشجار الزيتون، وبقي مختبئًا ليلة كاملة إلى أن تم انسحاب الجيش الصهيوني من المكان في ساعات الصباح الباكر، وتوجه إلى أحد سائقي السيارات وطلب منه إيصاله إلى طولكرم؛ ليكون على موعد غير متوقع مع الأمن الوقائي الفلسطيني الذي كان يحاصر منزل المجاهد أدهم يونس في بلدة علار، وما أن تمكن حينها من دخول المنزل حتى حاول أفراد الأمن الوقائي اعتقال المجاهد أدهم الذي تعرض لأسئلة كثيرة من أبيه وأمه وزوجة أبيه وأفراد عائلته حول علاقته بهذه العملية، وهو كان لا يزال مصرًا على عدم معرفته بما يتحدثون عنه، ولما جاء إليه ضباط الأمن الوقائي خرج إليهم من المنزل ورفع قميصه مشيرًا إليهم أنه يحمل مسدسًا، ولما وضع يده على خصره وصاح: الله أكبر! هرب ضباط وأفراد الأمن الوقائي الذين ظنوا أن المجاهد أدهم سيطلق عليهم الرصاص، فرجع إلى عائلته، وخرج من المنزل وتوجه إلى منزل صديق له في البلدة لينام عنده، وفي نفس هذه الليلة اقتحم الجيش الصهيوني منزل عائلة المجاهد أدهم يونس وتم اعتقال والده وأخيه، وتم تهديد والدته وقالوا لها إن لم يقم بتسليم نفسه فإن الجيش الصهيوني سوف يحضره في كيس أسود كما حدث مع أخيها في العام 1994م.

وفي صباح اليوم التالي توجه المجاهد أدهم إلى مخيم جنين، والتقى هناك بالمجاهد أشرف السعدي من قادة سرايا القدس، وكان يعرفه في الماضي فقام على الفور المجاهد أشرف السعدي بإعطائه مسدسه الشخصي، ومبلغًا من المال كي يحمي نفسه من الجيش الصهيوني، وأوصله لمجموعة الشهيد لؤي السعدي، وما أن وصل إليهم حتى بدأ المجاهدون يعانقونه،

الأسير المجاهد/ أدهم يونس (وسط)
برفقة الشهيدين المجاهدين حسام جرادات وأشرف السعدي

ولم يكونوا يصدقون أنه قد استطاع أن يعود بعد عملية التوصيل للاستشهادي لطفي، وتم منحه في اليوم التالي سلاح كلاشنكوف وذخيرة ومبلغًا من المال، وأصبح من ذلك اليوم أي من تاريخ 07/ 12/ 2005م أحد أعضاء سرايا القدس وأحد أبناء مجموعة الشهيد لؤي السعدي، وبشكل رسمي.

بداية المشوار الجديد

بعد نجاح المجاهد أدهم في إيصال الاستشهادي لطفي أبو سعدة إلى مدينة "نتانيا" الصهيونية أصبح مطلوبًا للعدو الصهيوني، وكان سيواجه صعوبة بالغة في حال قيامه بإيصال استشهادي آخر، ولشدة حاجة قادة سرايا القدس إلى من يوصل الاستشهاديين، قام المجاهد أدهم بإخبارهم أنه يستطيع أن يوصل لهم الاستشهاديين، وأحضر لهم حينها المجاهد أيمن جعار من سكان بلدة علار بمحافظة طولكرم، ووافق على مساعدة قادة سرايا القدس في توصيل الاستشهاديين، وكان قد تم تجهيز استشهاديين لعملية مزدوجة هما الاستشهادي علاء السعدي من مخيم جنين والاستشهادي صهيب ياسين (العجمي) من سكان بلدة عتيل بمحافظة طولكرم، وقام المجاهد أيمن جعار باصطحاب الاستشهاديين صهيب وعلاء من طولكرم لإيصالهما إلى موقع العملية في مدينة القدس المحتلة، وأثناء الطريق فوجئوا بوجود حاجز صهيوني أوقف سيارتهم وطلبوا من جميع الركاب النزول من السيارة ورفض حينها الاستشهاديان النزول، ولما جاء إليهما الجنود والضباط لإخراجهما من السيارة فجرا نفسيهما بالجنود الصهاينة وكان ذلك بتاريخ 29/ 12/ 2005م، وكانت هذه العملية للرد على جرائم العدو الصهيوني لاغتياله قادة سرايا القدس في الضفة الغربية وقطاع غزة.

بدأت أحوال المجاهدين تسوء يومًا بعد يوم بسبب التشديد الصهيوني على الضفة الغربية عبر منع التجوال ونشر الحواجز الصهيونية، وهدم المنازل، وملاحقة المجاهدين، واعتقال المئات يوميًا، بالإضافة إلى قوة التنسيق الأمني بين السلطة الفلسطينية والأجهزة الأمنية الصهيونية، وبالرغم من ذلك تمكن قائد سرايا القدس المجاهد إلياس الأشقر مع مساعديه المجاهدين (معتصم جعار، محمد العامودي، أدهم يونس) من التخطيط لإعادة ترتيب صفوف سرايا القدس، وتجنيد أكبر عدد ممكن من الشباب في صفوفها، وبدأ المجاهد إلياس الأشقر بالتحضير لعملية استشهادية

جديدة التي نفذها الاستشهادي سامر حماد بتاريخ 17/ 04/ 2006م وقتل بها أحد عشر صهيونيًا وأصاب العشرات، وكانت تلك العملية آخر عملية استشهادية لمجموعة الشهيد لؤي السعدي، وهي من أقوى العمليات الاستشهادية لسرايا القدس مما جعل السلطة الفلسطينية وعلى لسان رئيسها محمود عباس تصف العملية بأنها حقيرة حيث كان في اجتماعات ضمت السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني وباستضافة الأردنيين من أجل إعادة إحياء عملية السلام من جديد، وكان رد سرايا القدس رسالة واضحة للعدو الصهيوني بأنه لا مجال لإحياء العملية السلمية، وأن سرايا القدس لا تزال قادرة على قيادة الانتفاضة وردع العدو الصهيوني عبر عملياتها العسكرية والاستشهادية، وأصبح الشعب الفلسطيني وكل أحرار العالم يقفون إلى جانب سرايا القدس مستنكرين تصريحات محمود عباس حول هذه العملية، وبدأت أجهزة الأمن الفلسطينية تفعل كل ما بوسعها لضرب المقاومة الفلسطينية، فما كان من أبطال سرايا القدس إلا أخذ الحيطة والحذر الشديد؛ لأنهم أصبحوا يتعرضون لملاحقات أمنية صهيونية فلسطينية مشتركة، وبالرغم من الاحتياطات الأمنية التي اتخذها أبطال سرايا القدس تمكن جهاز الشاباك من تحديد مكان المجاهدين القائدين إلياس الأشقر ومعتصم جعار في أحد البيوت في بلدة قباطية الصمود، وتم محاصرة البلدة والإحاطة بالمنزل من كل جانب، وبدأ المجاهدان إلياس ومعتصم يمطران الجنود الصهاينة بالرصاص، واستخدم الجيش الصهيوني القنابل وقام بقصف المنزل بعدة صواريخ، مما أدى

الشهيدان المجاهدان/ إلياس الأشقر (يمين) ومعتصم جعار استشهدا معاً بتاريخ 14/ 05/ 2006م

إلى استشهاد القائد إلياس الأشقر واستمر المجاهد معتصم بإطلاق النار رافضًا الاستسلام أو الهزيمة أو التراجع، فكيف يستسلم ويرفع الراية وصديقه ورفيق دربه قد سبقه إلى الجنة؟! وكيف يستسلم في هذا اليوم وهو 14/ 05/ 2006م الذي يصادف الذكرى الثامنة والخمسين لنكبة فلسطين؟! ذلك اليوم الأسود في تاريخ الشعب الفلسطيني والذي قال عنه الدكتور رمضان شلح (الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي): "اليوم هو يوم الذكرى الكبرى، ذكرى نكبة فلسطين الأليمة عام 1948م. ذكرى أكبر جريمة سطو مسلح وعملية تطهير عرقي في تاريخ الإنسانية، حين تم اغتصاب أرض فلسطين، وقتل وإرهاب وتشريد أهلها الأصليين وأصحابها الشرعيين، بقوة السلاح وبالمجازر الصهيونية، وتم اختراع شعب آخر من أتباع الديانة اليهودية المنتشرين في أنحاء العالم، الذين جلبتهم الحركة الصهيونية ليستوطنوا فلسطين تحت حراب الاحتلال البريطاني، وليعلنوا في مثل هذا اليوم، قيام دولة يهودية صهيونية على أرض وطننا، فلسطين، الذي لا نملك ولا نعرف لنا وطنًا سواه".

فكيف للمجاهد معتصم أن يرفع راية الاستسلام والتراجع؟ وماذا سيقول لرفاق دربه الشهداء؟ وماذا سيقول لأمهاتهم وآبائهم؟ وماذا سيقول لمسرى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فما كان منه إلا أن استجمع قوته وما تبقى معه من رصاص ليطلقه على الجنود الصهاينة، ما أدى إلى تعرضه لقصف عنيف من قبل الجيش الصهيوني أصيب على بعده إصابة بالغة ونزف دمه الطاهر على الأرض، وكتب بدمه على جدار الغرفة الذي تحصن بها عبارات (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والله أكبر)، ثم استشهد ليلحق برفاق دربه ليصدق فيه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

وما أن تأكد الجيش الصهيوني من استشهاد المجاهدين إلياس ومعتصم حتى قامت جرافات صهيونية بهدم المنزل عليهما، والتنكيل بجثماني الشهيدين البطلين، وعلم حينها المجاهد أدهم الذي كان متواجدًا في بلدة اليامون بمحافظة جنين خبر استشهاد القائدين، وشعر بأنه قد بقي وحيدًا في مجموعة الشهيد لؤي السعدي وأن حمله أصبح ثقيلًا جدًا.

مرحلة جديدة في العمل العسكري

بعد استشهاد البطلين إلياس ومعتصم توجه المجاهد أدهم إلى قلعة الأبطال مخيم جنين؛ ليكون إلى جانب المجاهدين أشرف السعدي وحسام جرادات ووليد العبيدي الذين أخبروه أن قيادة الحركة تعزيه باستشهاد القائدين البطلين، وتطلب بقية أفراد العائلة كناية عن استفسارهم عن اسم المجاهد الذي أصبح مسؤولًا عن مجموعة الشهيد لؤي السعدي بعد استشهاد القائدين إلياس ومعتصم، فتم إرسال رسالة لها تفيد بأن المجاهد أدهم هو الذي أصبح المسؤول عن هذه المجموعة، وبدأ حينها بالعمل على إعادة ترتيب صفوف سرايا القدس، وحاول مرارًا الحصول على المواد الأولية التي تدخل في صناعة المتفجرات، ولكن معظم المحاولات باءت بالفشل، وكل ما تم تحقيقه تجهيز عدد بسيط من العبوات الناسفة فقط، ولذلك قرر التركيز في العمل الجهادي على خوض الاشتباكات المسلحة وزرع العبوات ضد الدوريات الصهيونية، وأصبحت له علاقات مميزة مع قادة وكوادر سرايا القدس ومنهم المجاهدون (حسام عيسة، صلاح صوافطة، زياد ملايشة، محمود نزال، خالد حسين، صالح كركور، وليد العبيدي، راشد العمري، حسام جرادات، أشرف السعدي).

الأسير المجاهد/ أدهم يونس
برفقة مجموعة من الشهداء والمجاهدين في مخيم جنين

ونتيجة لقوة الاشتباكات المسلحة التي كان يخوضها المجاهد أدهم ضد قوات الاحتلال

الصهيوني تعرض لعدة محاولات اغتيال، ومن تلك المرات ما حدث معه في حارة الدمج في مخيم جنين حيث كان قد تم الاتفاق بين قادة وكوادر سرايا القدس بتقسيم أنفسهم لمجموعات صغيرة يتم توزيعها على كافة محاور مخيم جنين من أجل منع الجيش الصهيوني من اقتحام المخيم والوصول إلى الأماكن التي يتواجد بها المطلوبون، وفي أحد الأيام شعر حينها المجاهد أدهم بالتعب الشديد، وكانت الساعة الثانية عشرة ليلًا، وذهب لأحد المنازل لكي يرتاح قليلًا، وترك المجاهدين أشرف السعدي ووليد العبيدي وحسام جرادات ومحمود سرحان يحرسون حارة الدمج، وما هي إلا فترة زمنية قصيرة حتى قام المجاهدون صلاح صوافطة وزياد ملايشة وحسام عيسة بالطلب من المجاهد أدهم بالخروج فورًا من مكانه حيث إن الجيش الصهيوني بدأ يتقدم من منطقة الجابريات إلى حارة الدمج، ولما جهز المجاهد أدهم نفسه وحمل سلاحه وخرج من الباب الخلفي للمنزل الذي كان يتواجد فيه إذا به يرى جموعًا من الجنود الصهاينة في الزقاق القريب من المنزل يوجهون فوهات بنادقهم إلى الغرفة التي كان ينام بها، فقام بإمطارهم بزخات من الرصاص، وأوقع بهم أربع إصابات، وقام الجنود الآخرون بالهروب من المكان كالجرذان، واستمر حينها الاشتباك مع الجنود الصهاينة لمدة ثلاث ساعات متقطعة، وحاول أبطال سرايا القدس فك الحصار عنه، عبر خوضهم لاشتباك مسلح عنيف مع الجنود الصهاينة؛ ليتمكن المجاهد أدهم من الانسحاب من المكان متوجهًا إلى أحد الأفران واختبأ به طيلة الليل.

ولما طلع الصباح إذا بالجيش الصهيوني قد انسحب من مخيم جنين، وكان الاعتقاد الذي ساد في مخيم جنين أنه قد تم استشهاد المجاهد أدهم يونس، فما أن خرج إليهم حتى تفاجأ المجاهدون ولاسيما أن الاشتباك الذي خاضه المجاهد أدهم من مسافة الصفر، وتم تغيير ملابسه وإعطاؤه كمية كبيرة من الرصاص، وطلب منه قادة سرايا القدس مغادرة مخيم جنين حتى لا يعود الجيش الصهيوني مرة أخرى لاقتحام المخيم لاسيما أنه المكان الوحيد الذي تبقى للمجاهدين من حيث الحاضنة الاجتماعية والثورية، وبالفعل توجه المجاهد أدهم إلى مدينة طولكرم ليمضي هناك عشرة أيام، ثم قرر العودة إلى مخيم جنين مرة أخرى، وكان العدو الصهيوني قد فشل أكثر من مرة في محاولاته لاغتيال أو اعتقال المجاهد أدهم يونس،

الأسير المجاهد/ أدهم يونس (وسط)
برفقة الشهيد المجاهد/ محمود نزال والشهيد المجاهد/ حسام صوافطة

وعلى ما يبدو قرر الشاباك الصهيوني استخدام طريقة جديدة للقضاء على المجاهد كونه آخر حلقة في مجموعة الشهيد لؤي السعدي، والمطلوب الأول

للجيش الصهيوني في ذلك الوقت، وكانت الطريقة الجديدة هي استخدام العملاء، ففي بداية العام 2007م كان المجاهد أدهم يونس في مخيم جنين، وأرسل إليه الشاباك الصهيوني أحد العملاء الذي طلب منه السماح له بالعمل في صفوف سرايا القدس، وأنه يريد أن يستشهد وبدأ المجاهدون باختبار هذا الشاب واسمه صدقي، وطُلب منه حينها الذهاب إلى مدينة "تل أبيب" لجلب مادة النيتريك التي تدخل في صناعة المتفجرات، وعاد هذا العميل بعد نصف يوم وزعم أنه ذهب إلى "تل أبيب" ولم يجد تلك المادة، وأحضر بدلًا منها مادة متفجرات من نوع الأشلجان، وكانت الكمية قليلة جدًا، وغير صالحة للاستخدام، فبدأ المجاهدون أدهم يونس وزياد ملايشة وإبراهيم عابد من كتائب شهداء الأقصى يشكون في العميل صدقي، وتحدث حينها المجاهد أدهم مع والد أحد الشهداء، وفي سياق الحديث قال له إن العميل صدقي يريد العمل مع سرايا القدس، فما أن سمع هذا الكلام حتى طلب والد الشهيد من المجاهد أدهم ومن معه من المجاهدين الخروج من مكانهم فورًا، وأخبرهم أن هذا الشاب عميل ولديه أدلة دامغة على ذلك، وتوجه المجاهد أدهم حينها إلى هذا الشاب صدقي وأخذ هاتفه الشخصي وكل ما بحوزته وتم ربطه بالحبال، ولما بدؤوا يحققون معه تفاجأ المجاهدون أدهم وزياد وإبراهيم بوجود القوات الخاصة الصهيونية في المكان، ودارت الاشتباكات فيما بينهم، وما أن انسحبوا من المكان حتى نجح ذلك العميل بالهروب إلى مكان وجود القوات الخاصة، ولم يتم إغلاق الملف حتى هذه اللحظة، وكل المعلومات تشير إلى أن هذا العميل يعمل في مساعدة الشاباك الصهيوني، وتعرض بعدها المجاهد أدهم للعديد من مثل هذه الحالات وكان آخرها قصة العميل فادي كتانة.

قصة العميل فادي

عندما فشلت المخابرات الصهيونية في الوصول إلى المجاهد أدهم يونس سواء عبر اعتقاله أو اغتياله أو إرسال عميل لتصفيته تم حبك قصة جديدة يتم من خلالها زرع أحد العملاء بطريقة ذكية جدًا ومتقدمة، ومن الصعب على أحد الشك بها في ذلك الوقت، وتم تجنيد أحد العملاء وهو العميل فادي من سكان طولكرم، وكان مسجونًا في سجون الاحتلال الصهيوني، وتم تجنيده لصالح الشاباك الصهيوني وتدريبه بشكل جيد، وقبل الإفراج عنه تم إرساله إلى سجن مجدو ليقوم بالتعرف على والد المجاهد أدهم يونس الذي تم اعتقاله عند الاحتلال، وحاول حينها التقرب من والد المجاهد أدهم كثيرًا، وقبل الإفراج عنه طلب العميل فادي كتانة من والد المجاهد أدهم أن يساعده في الوصول إلى ابنه المطارد أدهم يونس، وما أن خرج هذا العميل من السجن حتى بدأ يبحث عن المجاهد أدهم فلم يجده، وفي أحد الأيام احتاج المجاهد أدهم كمية من الذخيرة فاتصل بوالده الذي تم الإفراج عنه من سجون الاحتلال، وطلب منه أن يوصل له الذخيرة، فما كان من والد المجاهد أدهم إلا الوثوق بذلك العميل الذي تعرف عليه في السجن حتى يقوم بإيصال هذه الذخيرة إلى المجاهد أدهم، ونجح هذا العميل بنقل

هذه الذخيرة من طولكرم إلى مخيم جنين، وكان قد وضعها في أحد أبواب سيارته، وطلب حينها هذا العميل العمل مع المجاهد أدهم، فرفض طلبه كون هذا العميل متزوجًا ولديه أبناء وقد خرج من السجن قبل فترة قصيرة، وبعد إصرار كبير من قبل العميل فادي كتانة وافق المجاهد أدهم على تشغيله في صفوف سرايا القدس، وما هي إلا أيام حتى تم اعتقال والد المجاهد أدهم وحكم عليه لمدة ثلاثة شهور بتهمة مساعدة ابنه المجاهد أدهم بتوفير الذخيرة له، وهنا كان الخطأ الأول.

وفي تلك الأثناء كان العميل يحاول البحث للمجاهد أدهم عن مكان للاختباء بمدينة طولكرم، فجاء هذا العميل إلى مخيم جنين واجتمع مع المجاهد أدهم، وقال له إنه قد وجد له مكانًا في بلدة قفين بمحافظة طولكرم، فذهبا إلى ذلك المكان، وكان قريبًا من الأراضي المحتلة عام 1948م، وقرر حينها المجاهد أدهم النوم في ذلك المكان تلك الليلة، ولاحظ وجود نشاط مكثف للدوريات الصهيونية، وقال للعميل فادي: هل بالعادة يكون الجيش الصهيوني في هذه المنطقة؟ فأجابه العميل فادي بأنه في العادة تمر الدوريات الصهيونية من هذا المكان، وطلب المجاهد أدهم من هذا العميل الاستعداد لتنفيذ عملية في المكان، وعادا في اليوم التالي إلى مخيم جنين، وبدأ المجاهدون أدهم وزياد ملايشة ومحمود سرحان تجهيز العبوة الناسفة، وخدع حينها المجاهد أدهم العميل فادي كتانة وسلمه العبوة الناسفة وأعطاه مسدسين له ولصديقه الذي سيساعده في ذلك كي يقوما بحماية نفسيهما، وفي نفس الليلة تم تفجير العبوة الناسفة، واعترف العدو الصهيوني بإصابة ثلاثة جنود صهاينة، واقتحمت القوات الخاصة الصهيونية بلدة علار بحثًا عن المجاهد أدهم، وبعد ذلك جاء هذا العميل فادي إلى مخيم جنين، وذكر لهم أنه تعرض إلى محاولة اغتيال عبر إطلاق القوات الخاصة الصهيونية الرصاص على سيارته، ونظر حينها المجاهدون إلى السيارة فوجدوها قد تعرضت لإطلاق نار كثيف والزجاج محطم فلم يشك حتى ذلك الوقت في هذا العميل، وقال حينها المجاهد أدهم لهذا العميل بأن يبقى في مخيم جنين وعدم الخروج إلا بقرار منه، وأنه أصبح تحت مسؤولية وحماية المجاهد أدهم يونس، وتم تأمين سلاح كلاشنكوف وذخيرة له، وشارك مع المجاهد أدهم في معظم الاشتباكات المسلحة ضد الجيش الصهيوني، وبعدها بفترة قصيرة رصد المجاهد أدهم موقعًا صهيونيًا في بلدة يعبد، وطلب من العميل فادي ومعه شاب آخر في وقت الظهيرة التوجه إلى ذلك الهدف، وإطلاق النار على الحافلة الصهيونية التي تقل عادة قطعان المستوطنين، وعاد بعدها العميل فادي إلى مخيم جنين وأخبر المجاهد أدهم بتفاصيل هذه العملية، واختبأ المجاهد أدهم يونس ومعه العميل فادي وآخرون في أحد المنازل في مخيم جنين مدة ثلاثة أيام، وكان هذا العميل قد علم بمراسلة المجاهد أدهم لقيادة حركة الجهاد الإسلامي العسكرية عن طريق الإنترنت، وطلب المجاهد أدهم من العميل فادي كتانة أن يذهب إلى مقهى الإنترنت ويرسل له الرسائل إلى قيادة الحركة العسكرية، وبعد فترة بسيطة أرسل الإخوة في قيادة الحركة العسكرية رسالة مشفرة إلى المجاهد صلاح صوافطة بأن يخبر المجاهد أدهم بأن الخط الذي يتواصل به مع قيادة

الحركة العسكرية يوجد به خلل، ويتمنون عليه أخذ الحيطة والحذر الشديد، فقام المجاهد أدهم على الفور بمراسلة قيادة الحركة العسكرية بنفسه من جديد، ومنع العميل فادي من التواصل معهم، وشعر حينها المجاهد أدهم أن هناك أمورًا غير مفهومة تحدث معه ومع قادة وكوادر سرايا القدس ولا سيما بعد استشهاد المجاهدين صلاح صوافطة وحسام عيسة وزياد ملايشة وأشرف السعدي ومهدي أبو الخير وخالد درويش ومحمود نزال، والأهم أن المكان الذي يذهب إليه المجاهد أدهم يصبح ثكنة عسكرية بعد ذلك.

ففي أحد الأيام كان متواجدًا في قرية كفر دان بمحافظة جنين لتشييع أحد الشهداء، وكان هناك محاولة لاغتيال المجاهد أدهم عبر استخدام قناص، واستطاع الخروج من كفر دان إلى مخيم جنين، وكانت الوحدات الخاصة الصهيونية منتشرة في ذلك الوقت داخل المخيم، ودارت الاشتباكات العنيفة بين أبطال سرايا القدس والجيش الصهيوني والوحدات الخاصة، واستشهد المجاهد محمود سرحان والفتاة بشرى برجيس بتاريخ 21/ 04/ 2007م، وكان الضغط كبيرًا على المجاهد أدهم، فما أن يخرج من كمين صهيوني حتى يقع في آخر، فأبلغ قادة وكوادر سرايا القدس أن هناك شيئًا غريبًا يحدث معه، وبدأت الشكوك تراود المجاهد أدهم وباقي المجاهدين.

اعتقاله والحكم عليه

في أحد الأيام كان المجاهد أدهم متواجدًا مع المجاهد محمد الطويل ابن كتائب شهداء الأقصى في مخيم جنين، وكانت الوحدات الخاصة قد دخلت المخيم من ثلاثة محاور، الأول من شرق مستشفى جنين والثاني من حارة الدمج والثالث من مدخل ساحة مخيم جنين،

الأسير المجاهد/ أدهم يونس
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وقال حينها المجاهد أدهم للمجاهد محمد أنه يشعر بأن الوحدات الخاصة تحيط به من كل مكان، وفي لحظة معينة تعرضوا لوابل من الرصاص أدى لاستشهاد البطل محمد الطويل، وإصابة المجاهد أدهم يونس بشظايا، وتمكن من الانسحاب من الموقع بصعوبة بالغة، وكان ذلك بتاريخ 25/ 07/ 2007م، وفي اليوم التالي كان المجاهد أدهم نائمًا في أحد المنازل ومعه عدد من المجاهدين، من بينهم العميل فادي كتانة، وطلب العميل فادي من المجاهد أدهم مسدسه من أجل الخروج لقضاء حاجة له، وكان قد شاهد المجاهد وليد العبيدي قد استعار من المجاهد أدهم مسدسه، ولذلك

كان متأكدًا من أن المجاهد أدهم سيعطيه مسدسه، ثم خرج وعاد بعد أربع ساعات، وأعاد المسدس للمجاهد أدهم، وفي صباح يوم 26/ 07/ 2007م جاء اتصال من قيادة الحركة العسكرية أن هنالك رسائل هامة لابد من الرد عليها، وكان لزامًا عليه الخروج إلى مقهى الإنترنت، فأخذ مسدسه وترك قطعة السلاح من نوع (M16) في المنزل مع العميل فادي، وأخذ منه مفاتيح السيارة وخرج من المنزل، وكانت طائرات الاستطلاع الصهيونية فوق سماء مخيم جنين، ونزل حينها من السيارة فغادرت الطائرات سماء مخيم جنين، ثم ركب في السيارة مرة أخرى في الساعة الحادية عشرة والنصف من مخيم جنين متوجهًا إلى مقهى الإنترنت في مدينة جنين، وإذا بالوحدات الخاصة الصهيونية منتشرة في كل مكان في شوارع مخيم جنين دون أن يعلم المجاهد أدهم بها، ولما سار بسيارته يريد الخروج من المخيم إذا به يقع في كمين محكم بحيث كانت سيارة الوحدات الخاصة وراءه وسيارة أخرى من أمامه وأخرى على جانبيه بالإضافة لوجود القناصة وعدد من الجيبات الصهيونية التي جاءت إلى المكان وبسرعة كبيرة، فما أن رآهم المجاهد أدهم حتى بدأ بالتشهد، وأدرك أنه ميت لا محال، وبدأ الجيش الصهيونية بالمناداة على المجاهد أدهم بالنزول من السيارة وتسليم نفسه، إلا أنه رفض ذلك، وجهز مسدسه ووضع الحبة في بيت النار، وتم إطلاق النار على إطارات السيارة التي يركبها حتى لا يستطيع الحركة، وتوجه ضابط الحملة الصهيونية مشيًا على الأقدام باتجاه سيارة المجاهد أدهم الذي كان قد تجهز لإطلاق النار على هذا الضابط، وما أن اقترب الضابط الصهيوني من المجاهد أدهم من مسافة صفر حتى رفع مسدسه وأشار به إلى رأس الضابط الصهيوني وكبس على ديك المسدس إلا أن الرصاصة لم تخرج، وحاول مرة أخرى إلا أنها لم تخرج، وقال له حينها الضابط الصهيوني لا تحاول مرة أخرى فذلك عبث، إنك لن تستطيع أن تطلق النار لأن مسدسك لا يوجد به الإبرة الضرورية لإطلاق الرصاصة، وأدرك حينها أنه قد وقع في مصيدة الشاباك الصهيوني، وأن فادي كتانة هو عميل ودرب جيدًا وأنه هو الذي كسب ثقة أبطال وقادة سرايا القدس، وتم حينها اعتقاله واقتياده إلى منطقة حرش السعادة في مخيم جنين، وقال له الضابط الصهيوني: يقول عنا الناس إننا مجرمون وها نحن تركناك حيًا، وتم اقتياده بعدها إلى تحقيق الجلمة، وقام ضباط الشاباك الصهيوني بالدخول على المجاهد أدهم في غرفة التحقيق، وقاموا بعمل احتفال بسبب اعتقاله، وقالوا له: الآن نجح الشاباك بإغلاق ملف مجموعة لؤي السعدي، وقال لهم المجاهد أدهم: إنه لولا ذلك العميل فادي لما استطعتم الإمساك بي، فقالوا له: من قال لك بأن فادي عميل؟ وأمضى حينها المجاهد أدهم نحو 76 يومًا في التحقيق، وما أن خرج من التحقيق حتى حاول الاتصال بقيادة الحركة العسكرية من أجل إخبارهم بما حدث معه، إلا أن التشديد الأمني عليه عبر منعه من التواجد في سجن يوجد به أجهزة خلوية مهربة منعه من التواصل، وما هي إلا أشهر حتى اختفى العميل فادي عن المشهد بعد أن اكتشف أمره.

لقد تسبب هذا العميل في اغتيال قادة وكوادر سرايا القدس، وكانت غلطة كبيرة جدًا من قبل المجاهد أدهم وقادة سرايا القدس في عدم قيامهم بالاستفسار جيدًا عنه، ولاسيما أن بعض الأعمال التي قام بها كانت محل شكوك، فكان يوم 26/ 07/ 2007م هو اليوم الذي تمكن فيه جهاز الشاباك الصهيوني من القضاء على مجموعة الشهيد لؤي السعدي، تلك المجموعة التي كتبت بدماء شهدائها أروع وأجمل حكاية في تاريخ الشعب الفلسطيني، فلكم المجد والفخار أيها الأبطال، بدءًا من الشهيد القائد لؤي السعدي مؤسس هذه المجموعة إلى الشهيد المجاهد محمد أبو خليل وأخيه الشهيد المجاهد علي أبو خليل والشهيد المجاهد إلياس الأشقر والشهيد المجاهد معتز أبو خليل والشهيد المجاهد عادل الغاوي والشهيد المجاهد وجيه أبو خليل والشهيد المجاهد جميل جعار والشهيد المجاهد نضال أبو سعدة والشهيد المجاهد معتصم جعار والأسير المجاهد معتصم رداد والشهيد المجاهد رائد عجاج والشهيد المجاهد شفيق عبد الغني، وكلهم من مدينة طولكرم، أما المجاهدون من مدينة جنين فهم الشهيد المجاهد نهاد أبو غانم والأسير المجاهد إياد أبو الرب والشهيد المجاهد أشرف السعدي والأسير المجاهد أحمد صبح والشهيد المجاهد أحمد طوباسي والشهيد المجاهد مجاهد السبع والشهيد المجاهد جهاد السحو والشهيد المجاهد أرشد كميل والأسير المحرر محمود أبو الرب، بالإضافة إلى من قدم المساعدة لإيصال الاستشهاديين وأصبح جزءًا من المجموعة وهم الأسير المجاهد أدهم يونس والأسير المجاهد جمال جعار والأسير المجاهد محمد رداد والأسير المجاهد محمد قشوع والأسير المجاهد أيمن جعار والأسير المجاهد عساف زهران، بالإضافة للأسير المجاهد محمد العامودي الذي كان له الفضل الكبير ليس فقط في إيصال الاستشهادي سامر حماد بل كان جزءًا أساسيًا في هذه العملية وفي عمليات أخرى، وبذلك تكون هذه الصفحة المشرقة في تاريخ الشعب الفلسطيني قد اكتملت، سائلين المولى عز وجل أن يكون هناك من يحمل الراية بعدهم ليواصل ما بدأوه وعسى أن يكون ذلك قريبًا.

ولا يزال المجاهد أدهم يونس يقبع في سجون الاحتلال الصهيوني، وقد حكم عليه بالمؤبد خمس مرات بالإضافة إلى عشرين عامًا، واستطاع أن يستغل وقته الطويل في داخل السجون عبر الدراسة في جامعة القدس المفتوحة في تخصص الاجتماعيات، بالإضافة إلى حصوله على العديد من الدورات الثقافية المختلفة، ولا يزال العدو الصهيوني يمنعه بين فترة وأخرى من زيارة والدته المريضة جدًا، وكذلك يمنع أخاه إيهاب المريض بالقلب والصدفية، والأهم لا يزال المجاهد أدهم يحاول مرارًا وتكرارًا تعليم الأجيال القادمة بأنه لابد من معرفة العدو الصهيوني جيدًا وفهمه بشكل جيد قبل الإقدام على مواجهته، متخذًا مما حدث معه في قصة العميل فادي، منطلقًا لدعوة الفصائل الفلسطينية في تعليم وتدريب أبنائها المسائل الأمنية والعسكرية وكيفية اختيار الأعضاء، وكيفية فحصهم أمنيًا وأخلاقيًا وضرورة تعليمهم أساليب التحقيق والعصافير حتى يكونوا أكثر وعيًا ويقظة لأساليب الشاباك الصهيوني التي تتجدد يومًا بعد يوم.

الأسير المجاهد
لؤي عبد الجبار عبد الحميد أبو نجمة

أصلحه الإيمان، وجعل منه مجاهدًا

تاريخ الميلاد: 1985/01/17م

الحالة الاجتماعية: متزوج وله ولدان

مكان السكن: مخيم شعفاط - محافظة القدس

عدد أفراد العائلة: 10

تاريخ الاعتقال: 2008/08/20م

الحكم: 25 عاماً

تميز بروح وطنية عالية، تنتابه نخوة وشهامة وصلابة جبلية متينة، شعر بالظلم والإذلال نتيجة ممارسات الاحتلال الغاشم من تنكيل للمواطنين المقدسيين وتدنيس لحرمة المقدسات، والتضييق عليهم من خلال فرض قوانين عنصرية بهدف طردهم وهدم بيوتهم ومصادرة أرضهم، مما دفعه أن يريهم قوة بأسه خاصة أنه لا يطأطئ رأسه للظلم والظالمين، ويمتلك روحًا رياضية عالية ظهرت بقوة جسده وصلابته وخفة حركته.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد لؤي أبو نجمة في مخيم شعفاط بمحافظة القدس بتاريخ 17/ 01/ 1985م، ذلك المخيم الذي شكل حاضنة لنضالات شعبنا، وكان ومازال أحد العناوين البارزة في الانتفاضات المتلاحقة والهبات الشعبية، وينحدر مجاهدنا البطل من أسرة تعود أصولها إلى حارة الشرف في القدس الشريف التي سارعت قوات الاحتلال إلى هدمها مع حارة المغاربة لمجاورتها للمسجد الأقصى المبارك منذ اللحظة الأولى لاحتلال الجزء الشرقي من بيت المقدس مستخدمة الجرافة التي تمثل القوة الدينية الأسطورية في إعادة رسم الحيز الجغرافي والديمغرافي بتشويه وتقبيح الطابع العربي والإسلامي التليد الضارب في

أعماق التاريخ، والشاهد على عروبة وإسلامية المدينة المقدسة ليحل مكانهم مستعمرون غرباء، واستبدلوا باسم الحي العربي اسمًا يهوديًا يُدعى بحارة اليهود.

تزوج والد المجاهد لؤي من امرأة قبل أمه، وأنجب منها ابنًا واحدًا، ثم توفاها الله، وبعد ثماني سنوات تزوج أمه التي أنجبته، وقاموا بتربيته بين كنفات المسجد الأقصى المبارك، منذ نعومة أظفاره حتى إن والده كان يتعامل أحيانًا معه بصرامة وبشدة ليصنع منه رجلًا فذًا وسويًا يتحلى بأخلاق الإسلام، ويواظب على أداء الصلوات في المساجد، فكانت طفولته مليئة بالأحداث بحكم طبيعة المخيم الذي يسكن فيه من حيث الازدحام السكاني، فعدم وجود حدائق ومنتزهات خاصة بالأطفال كي يلعبوا ويمرحوا ويعبروا عن براءة طفولتهم؛ سبب له مشاكل كثيرة، وصدرت منه تصرفات وسلوك لا يروق للأهل، فأزعجهم كثيرًا لكثرة شكاوي الجيران من غلظته في التعامل معهم رغم صغر سنه.

يستذكر المجاهد لؤي أحد الأيام في طفولته حين اصطحبه والده مع أخيه علاء الأصغر منه بعام واحد إلى المسجد الأقصى المبارك لصلاة الفجر، وآثروا البقاء في المسجد المبارك حتى صلاة الضحى، حين ذهبوا إلى مسجد قبة الصخرة المشرفة، وبينما والده يصلي مع شيخه ركعتين صلاة الضحى استغل المجاهد لؤي وأخوه علاء انشغال والدهم بالعبادة، ليجدوا فرصتهما باللعب والمرح داخل قبة الصخرة المشرفة، ما أدى إلى التشويش على المصلين وصدور صوت ضجيج عال، واما فرغ والده من الصلاة بدأ يبحث عن مصدر الإزعاج، فإذا به يتفاجأ بأن ولديه هما اللذان قاما بذلك فشعر بالحرج وقام بضربهما أمام الناس لتعليمهما الانضباط والأدب في المساجد، لكن المجاهد لؤي انتابه الغضب، وبدأ يتهرب من الصلاة في المساجد دون أن يدرك بأن والده يتابعه ويراقبه عن قرب، فما أن يعود من المسجد حتى يسأله عن تأدية الصلاة، فإن قال له بأنه أداها، سأله السؤال الذي يليه في أي مسجد أديت الصلاة؟ ومن هو الإمام؟ ولسوء حظه أو ربما لحسنه يكتشف والده بأنه غير صادق، فالمسجد الذي وصفه له كان والده يصلي به، فلم يكن أمامه مفر من المواظبة على الصلاة أمام والده وفي نفس المسجد الذي يصلي فيه، حتى يشعر والده بصدقه وحسن التزامه وطاعته له. وقد كان والده ميسور الحال، يُغدق عليهم مما أنعم الله عليه من مال، مما جعل المجاهد لؤي يعيش في بحبوحة ورغد في العيش، ونتيجة قوة بأس والده الذي كان الناس يخشونه لكونه مدربًا محترفًا للكاراتيه، رغم عدم أذيته أو تعرضه لأي إنسان؛ لأنه كان يخشى الله تعالى، ويحافظ على دينه إلا أن المجاهد لؤي كان يخشاه ظنًا منه بأنه قاسٍ عليه.

ما أن كبر لؤي ونضج عقله حتى تبين له بأن والده كان يهدف من معاملته بصرامة لأجل استقامته، فتغيرت نظرته لوالده إلى أجمل وأبهى صورة حتى امتلأ قلبه حبًا له، وبدأ يطيعه في كل صغيرة وكبيرة، وفي المنشط والمكره مما يرضي الله ـ عز وجل ـ وتعلق قلبه بالمساجد، نتيجة تربية والده له، وقد كان والده يصطحبه معه إلى مركز تدريب الكاراتيه راضيًا أو مُكرهًا بهدف أن يصقل شخصيته ويصبح رياضيًا وليصنع منه رجلًا شديد المراس.

الأسير المجاهد/ لؤي أبو نجمة
برفقة والده الصابر خلال زيارته له في السجن

وما أن كبر المجاهد لؤي حتى بدأ يمتلك روحًا رياضية عالية، لكن الغرور قد أخذه بتلك القوة الجسدية التي وهبه الله إياها، فلجأ إلى افتعال المشاكل مع الناس من دون مبرر، ولم يكن في حالة نضوج عقلي ووعي لتصرفاته وتداعياتها، نتيجة صغر سنه، فمهما كبر فهو لم يصل إلى السن الذي يؤهله كي يكون منضبطا ومسؤولًا عن تصرفاته تجاه الناس، فهو مازال في الثانية عشرة من عمره، ثم شيئًا فشيئًا تحولت تلك الطاقة السلبية إلى طاقة إيجابية بتحول مسار سلوكه من التعرض للعرب إلى رشق الحجارة تجاه سيارات المستوطنين الذين كانوا يمرون بجانب المخيم، بل قام بالذهاب إلى المناطق التي يسكنون بها ليضربهم في عقر دارهم، ومن القصص المثيرة للدهشة إقدامه على ضرب امرأة في العيد كانت تحاول الإيقاع بالشباب في قضية تحرش، وقد كانت تلك المرأة تعمل مع الشرطة الصهيونية فانقض عليهم المستعربون، وتم اعتقاله الأول مع صديق له، وأُفرج عنه بعد ساعات معدودة، لكن المجاهد لؤي اقتادوه إلى سجن المسكوبية الذي أقام فيه ليلة واحدة مع شباب أكبر منه سنًا، وكان يرتدي ملابس جديدة، وحاول هؤلاء الشباب أخذها منه إلا أنه لم يكن بالطفل السهل، فأبى أن يعطيهم شيئًا، فقام أحدهم برش الماء الساخن عليه من الغرفة المجاورة، وحين حضر السجان ليسأله عمن سكب الماء على الأرض بعد تنظيفها أشار إلى الأشخاص الذين قاموا برشه بالماء دون أن يدرك أعراف السجن؛ لأنه كان طفلًا غير مؤهل لدخول ذلك السجن، فقام السجان بنقلهم جميعًا ووضع بعضهم في الزنازين، وعند الصباح في اليوم التالي سأله أحد الأسرى قائلًا له: لماذا فعلت هذا يا لؤي؟ فأجابه بعدم معرفته أعراف السجون، ثم جاء أخوه الأكبر إلى المسكوبية وكفله، فأطلقوا سراحه بعد أربع وعشرين ساعة من الاحتجاز، وكان عمره لا يتجاوز اثنى عشر عامًا.

دوره في انتفاضة الأقصى

وبعد عامين ونصف اندلعت شرارة انتفاضة الأقصى في 28/ 09/ 2000م، إثر تدنيس السفاح الصهيوني الهالك أرئيل شارون وجنوده للمسجد الأقصى المبارك، وكان المجاهد لؤي مولعًا بحب الأقصى، فتأججت نار الثورة في نفسه وجرت في دمائه وشرايينه، فانتفض في وجه الأعداء صابًا جام غضبه نحوهم دفاعًا عن عقيدة المسلمين وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى

الحبيب محمد _صلى الله عليه وسلم_ وأخذ يرشقهم بالحجارة والزجاجات الحارقة متحديًا جبروتهم وآلتهم التدميرية التي تزرع الدمار والخراب في كل شبر من أرض فلسطين، وتستهدف البشر والشجر والحجر والمقدسات، فكان الاعتقال الثاني من قبل الاحتلال الصهيوني بتاريخ 14/ 11/ 2000م، وتوجيه الاتهام له برشق الحجارة على جنود العدو وقطعان مستوطنيه، فتم اقتياده إلى سجن مدني لعدم وجود متسع له بين الأسرى الأشبال الذين تم اعتقالهم على قضايا تتعلق بمقاومة الاحتلال، وكان وقتها عمره لا يتجاوز ستة عشر عامًا، فلم يهدأ له بال بينهم لعدم انسجامه معهم، وبدأ بافتعال المشاكل مع المجرمين طيلة فترة مكوثه في السجن التي استمرت أربعة أشهر، ثم أفرج عنه ليكون المسجد الأقصى المبارك أول محطة له قبل الذهاب إلى أهله، وهناك التقاه والده وشيخه واحتضناه بحرارة مما ولد له شعورًا غريبًا اجتاح جسده، وشعر بنشوة عالية، وارتفعت روحه المعنوية حتى بلغت أوجها وكأن والده يقول له: يا لؤي إن ما فعلته هو مصدر فخر واعتزاز، فامض بطريق الحق والصواب، والذود والدفاع عن المقدسات، وهذا الأمر كان له أثر إيجابي في حياته، ثم عاد إلى عمله كالمعتاد في مهنة تصليح السيارات في قلنديا التي تعلمها بعد أن خرج من المدرسة في الصف الثامن، فأتقنها أيما إتقان، ولكنه لم يستمر في عمله في تلك المنطقة لشدة عنفوان الانتفاضة وإغلاق المحلات حدادًا على الشهداء الذين يسقطون على أيدي الاحتلال، مما سبب له ضائقة مادية فانتقل إلى مكان آخر.

عمل لؤي في منطقة وادي الجوز قرب المسجد الأقصى لمدة سبعة أشهر، من أجل تحسين وضعه المادي، ثم انتقل للعمل في المخيم، أي مخيم شعفاط وكان يتقاضى مبلغ 1200 شيكل، وهذا غير كاف لمواطن مقدسي يتعرض لظلم الاحتلال وقهره، ففرض الضرائب الباهظة عليه التي ترهقه وتجعله دائمًا مدينًا دون أن يتطلع إلى بناء مستقبله ليبقى يراوح مكانه، وضاق صدره من الدنيا لذلك قرر الخروج من العمل، فجن جنون والده؛ لأنه كان شديد الحرص على تعلمه إتقان المهنة بعد خروجه من المدرسة، وحاول الضغط عليه بإعطائه جزءًا من المال زيادة على معاشه لترغيبه في الاستمرار في العمل، لكن دون جدوى، فلم يعدل عن قراره وذهب للعمل في البناء وتصليح البيوت وتقاضى فيه معاشًا أفضل بكثير من السابق، ولم ينصع المجاهد لؤي لنصيحة والده بتوفير المال، والأخذ منه بقدر حاجته، ودارت الأيام ومر عليه عام كامل دون عمل مما سبب له مشاكل في حياته بسبب الضائقة الاقتصادية التي عانى منها نتيجة عدم قبول نصيحة والده، فهذا العناد وصل به إلى هذا الحال من السوء، وهنا وجد أصحاب السوء ضالتهم، فالتفوا عليه شيئا فشيئًا وضاقت عليه الدنيا من كثرة المشاكل مع الناس، فكان لذلك الأثر السلبي على نفسية والديه. وحين بلغ الثامنة عشرة صاحب رفيقًا له من المخيم، وكان هذا الشاب شديد البأس يبطش بالناس دون تمييز بين يهودي وعربي.

اشترى والد ذلك الشاب جيبًا من طراز حديث لابنه مما زاد كبرياءهما، أي لؤي وصديقه حتى

إنهما ذات مرة وبينما هما ذاهبان للعمل في يوم يسوده البرد القارس، وتهطل فيه الأمطار الكثيرة والثلوج التي تكسو المكان بحلتها البيضاء؛ قاما باستغلال الظروف الجوية السيئة للنيل من اليهود لكون الناس متواجدة في بيوتها، ونتيجة لذلك وخشية على حياتهما بدآ برسم خطة يقومان من خلالها بضرب عدد من اليهود الذين يقطنون بأحد الأحياء الخاصة بهم، ثم يختفيان بسرعة، وقاما بابتكار أسلوب خدعة لتحقيق أمنيتهما وذلك من أجل الاستمتاع بضرب قطعان المستوطنين الجاثمين على أرضهما، والذين يعيثون في الأرض فسادًا ويدنسون المقدسات، وكانا يناديان على أحد المستوطنين فيأتي إليهم فيقولان له: هل تعرف من صاحب هذه الصورة التي بيدهما وهما داخل السيارة فيدخل ذلك المستوطن أو اليهودي رأسه قليلًا من الشباك ليراها، فيقوم المجاهد لؤي بصفعه كفًا على وجهه بكل ما أوتي من قوة ويلوذان بالفرار من المكان، قبل أن يراهما أحد، وكررا هذا الأمر عدة مرات.

لسوء الحظ نال نصيبه من هذا الأسلوب شاب عربي، ولاذ المجاهد لؤي مسرعًا من المكان والضحكات تملأ شفتيه، فعاقبه الله أثناء سيرهما في التلة الفرنسية بأن لقيا رجلًا يهوديًا أستراليًا يتعلم في الجامعة العبرية، فنزل المجاهد لؤي من الجيب وقام بضربه ضربًا مبرحًا وصعد إلى الجيب بسرعة، قبل أن يراه أحد، ودخل المخيم على حين غفلة من أمره ثم ذهب إلى البيت، وبعد دقائق معدودة اتصل به صديقه ليخرجا من المخيم، وكان على أطراف المخيم حاجز عسكري صهيوني، وحين اقتربا منه أمرهما الجنود بإحضار هويتيهما وتفقدوا رقم الجيب وقاموا مباشرة باعتقالهما، وحين سألا الضابط عن سبب الاعتقال قال الجنود لهما: حينما تذهبان إلى مركز تحقيق المسكوبية ستعرفان ما هو الموضوع، وتم بالفعل اقتيادهما إلى تحقيق المسكوبية، وكان محور التحقيق يدور حول ضرب الطالب اليهودي مع نفيهما أي علاقة لهما بهذا الموضوع إلا أنه تبين أن هذا المستوطن قد سجل رقم الجيب، وقام بالإبلاغ عنهما فورًا، وبدأت مباشرة قوات الاحتلال تتبعهما، ونتيجة لتضارب الإفادات بين المجاهد لؤي وصديقه تبنى المجاهد لؤي حينها هذا الأمر برمته وأخرج صديقه منه، وتم تقديمهما إلى المحكمة بتاريخ 27/ 02/ 2003م، وتم الإفراج عن صديقه بكفالة مالية، وحبسه حبسًا منزليًا.

أما المجاهد لؤي فقد أُدين بذلك وحكم عليه بالسجن المدني عشرة أشهر، ومكث في السجن ستة أشهر وأفرج عنه في محكمة "شليش"، أي بعد قضائه ثلثي المدة في السجن، وكان هذا الاعتقال الثالث له. وبعد خروجه من السجن حدثت معه عدة مشاكل مع الناس، لكن هذه المرة هم من بادروا باستفزازه دون أن يقدروا ردة فعله عليهم، وكاد ذلك أن يتسبب له بارتكاب جريمة قتل أحدهم لا سمح الله، وحينها بدأ والده يبحث عن طريقة لتصحيح مساره في هذه الحياة حتى لا يجلب عليه مزيدًا من المشاكل، فاقترح عليه الزواج من ابنة عمته، وفعلًا غيرت هذه الخطوة مسار حياته، فهداه الله _عز وجل_ إلى طريق الرشاد والصواب، وأعلن توبة نصوحة إلى الله خاصة أنه يعلم الكثير عن مبادئ الإسلام، والأخلاق التي تربى عليها

في المسجد ورباه عليها والده في سن مبكرة، لكن ظروف الحياة وقسوتها حرفته عن مساره الصحيح، فلم يطبقها إلا في فترات متفاوتة، وحان الآن موعد التطبيق، فأعلن توبته إلى الله عز وجل بالعقلانية والوعي في التعامل مع الناس.

ورغم ذلك لم تخلُ حياة المجاهد لؤي من المشاكل والاستثناءات، ففي أثناء خطبته أغضب أباه كثيرًا مما أثاره عليه، وانتابه شيء من الغضب، فذهب مسرعًا إلى والدي زوجته قائلًا لهما: "أنا لا أريد تزويج ابني لؤي لأنني لا أضمنه لكم"، وهذا المشهد أثّر في نفسيته كثيرًا فحزن حزنًا شديدًا، حتى فاضت عيناه من الحزن على والده صاحب الفضل الكبير في تربيته وهدايته، وعانى كثيرًا من تصرفاته غير المسؤولة لعدم نضجه في هذه السن المبكرة، فجلس مع نفسه في خلوة يسألها: لماذا لا أطيع والدي؟ لماذا لا أصاحبه وهو من تعب وعانى من أجلي ورباني فأحسن تربيتي، ووفر لي سبل العيش الكريم؟ وما الذي يريده أبي مني؟ إنه يريد أن يراني بجانبه في الزاوية الصوفية، وأن أكون رجلًا صالحًا مواظبًا على صلاتي في المسجد.

عقد المجاهد لؤي العزم أن يطيع والده ويلبي طموحاته ويمحو عنه آثار الهم والحزن الذي أصابه بسببه. وذات يوم رآه والده بجانبه في الزاوية الصوفية، فسأله متعجبًا: ما الذي أتى بك إلى هنا يا بني؟ فقال له: يا أبتي قد أعلنت توبتي وبإذن الله لن أفارقك أبدًا ما دمت حيًا، وسأبقى طائعًا لك وبارًا بك، فشعر المجاهد لؤي بالسرور يملأ وجنات وجه أبيه الوضاء، فكأنه ملك مفاتيح كنوز الدنيا بعودته إلى الله، حينها انتاب المجاهد لؤي شعور بالارتياح، وغمرت السكينة والطمأنينة قلبه، وكان عمره في ذلك الحين تسعة عشر عامًا فأجابه والده قائلًا: كل من يقصد هذه الزاوية يأخذ الله بيده، ويعطيه ما يريد بإذنه، وضمه إلى صدره لشدة حبه له ودعا الله له بالتوفيق والرضا، وكذلك لقي من الشيخ ترحيبًا كبيرًا، ومنذ ذلك الحين فتحت أمامه أبواب الدنيا، وتيسرت أموره وبدأ يشعر بالراحة والسعادة في حياته، وتزوج بعد ثلاثة شهور من توبته الصادقة ووهبه الله بابنه البكر (محمد) في العام الأول من زواجه، ثم بدأ يعمل في تهريب العمال من الضفة الغربية إلى داخل الكيان الصهيوني للحصول على لقمة العيش لإطعام أطفالهم وأسرهم، فألقي القبض عليه ثلاث مرات، وتم إيداعه السجن المدني للمرة الرابعة لمدة شهرين، وخرج من السجن أشد صلابة وتمسكًا في دينه ومواظبة على صلاته.

وفي تلك الفترة حملت زوجة المجاهد لؤي بابنه الثاني (عبد الله) وظل بجانبها حتى الشهر السابع من الحمل وهي تدعوه بأن لا يتركها وحدها أثناء الولادة، كما حصل مع ابنها البكر الذي أنجبته وهو في السجن، ووعدها بذلك، لكن لا أحد يعلم كيف تسير الأمور وظروف الحياة وأين سيحط به القدر، فقد أتاه رفيقه في الزاوية الصوفية المجاهد محمد عدنان أبو سنينة حيث كانت تراوده نفسه بالجهاد في سبيل الله، لكنه لم يعرف كيف يصل إلى هدفه، فكان المجاهد محمد بمثابة الأخ له، فقد تربى معه منذ نعومة أظفارهما على يد أحد مشايخ المسجد الأقصى

المبارك، وتتلمذا على يده لاتباعه طريقة صوفية معتدلة تسير على نهج النبوة بعيدة كل البعد عن البدع والخزعبلات، فنما حب الله -عز وجل- وحب الجهاد في قلبيهما، إلى أن نضجت الظروف ويسر الله له وللمجاهد محمد أبو سنينة ما تصبو إليه نفساهما.

الأسير المجاهد/ محمد أبو سنينة
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 20/ 08/ 2008م

كان المجاهد محمد أبو سنينة قد نفذ عملية رأس خميس في مخيم شعفاط التي صرع فيها جنديًا من حرس الحدود الصهيوني، وأصاب مجندة أخرى واستولى على بندقية من نوع (M16)، فوجد المجاهد لؤي في تلك العملية النوعية والجريئة التي شاهدها عن قرب بأم عينيه بأدق تفاصيلها من نافذة البيت دون أن يعرف بأن من نفذها هو صديق عمره الذي تربى معه بين جنبات المسجد الأقصى المبارك، وهذا الأمر أثر في نفسه بشكل إيجابي، وتمنى لو أنه كان هذا الصنديد الذي تميز بفن المباغتة للعدو والاختفاء بعد أن دك حصونهم من حيث لم يحتسبوا، فدفعت قوات الاحتلال حينها بمئات الجنود لاقتحام البيوت والمساجد بحثًا عن المنفذ الذي أصابهم في مقتل دون أن تعثر على أي أثر يؤدي للوصول إليه، وتمكن من الانسحاب بنجاح بفضل الله تعالى بعد أن أظفره الله بهم، وزاد من شغفه للجهاد في سبيل الله للنيل من العدو الغاصب الإحلالي، لكنه لا يملك السلاح ولا يعرف وسيلة لامتلاكه بالإضافة إلى خشيته من العمل الجماعي الذي يرى بأن أمره قصير ولا ينجح في كل مرة، وهذا الأمر دفعه إلى عدم الركون والعيش على التمنيات، بل بذل أقصى جهوده لامتلاك قطعة سلاح رشاش، وذلك بعد رصده موقعًا لقطعان المستوطنين يعتبر مركزًا لتجمع محطة باصات صغيرة جدًا تقع على مفرق طرق يكون المستوطنون فيه ملتصقين ببعضهم بعضًا من شدة الازدحام، ويقدر عددهم مائة وخمسين أو بمائتين، وبالتالي سيكونون فريسة سهلة لأي عملية تضر بهم وتصرع منهم عددًا كبيرًا سيكون له تداعياته عليهم بعدم الاستمرار بالاستيطان بالضفة الغربية أو مواصلة تعدياتهم باهلاك الحرث والنسل، وهذا الأمر بحاجة إلى قطعة سلاح تفعل فعلها بهم، وتقطع دابرهم في تلك المنطقة، ولكن الأقدار حالت بينه وبين هذه العملية بعدم امتلاكه وسيلة يغيظ بها أعداء الله وأعداء الدين.

زاد تصميم المجاهد لؤي على الانتقام من العدو الصهيوني ردًا على المضايقات التي كان يتعرض لها المسلمون على أبواب المسجد الأقصى المبارك من تفتيشات مهينة أحيانًا يصحبها بعض الاعتداءات على المصلين الذي يعمرون المسجد الأقصى لعبادة ربهم، ويستذكر المجاهد لؤي في يوم الخميس من ذلك الشهر بينما كان يهم بالذهاب إلى الزاوية الصوفية فإذا بالمجاهد محمد أبو سنينة يتصل به لإصلاح سيارته التي قطعته في الطريق وأطفأ محركها، وقد كان هذا في مجال مهنة المجاهد لؤي كميكانيكي سيارات، فاستجاب له مباشرة ووصل

إليه في فترة زمنية وجيزة إلى كراج في باب الأسباط يدعى كراج بحر نسبة إلى صاحبه الذي يعمل فيه، وكان الوقت متأخرًا والليل أسدل ستاره وحين قام بفحص السيارة لم يظهر له أي خلل فيها، فقال له: نذهب إلى الزاوية وبعدها نفحصها بتأنٍ، وفعلًا قاما بذلك، وبينما هما في الطريق قال له المجاهد محمد: يا إلهي كم أنا بحاجة إلى السيارة في هذه الليلة! لضرورة الأمر، فأجابه بتقديم سيارته له، وليذهب بها حيث شاء، فقال المجاهد محمد: أريد الذهاب إلى الخليل لجلب بعض البضائع، ولم يدرك المجاهد لؤي مغزى حديثه أو السر في ذلك، فكانت الأمور غامضة بالنسبة له، فكشف له المجاهد محمد سر عملية راس خميس، فظن أنه يمازحه ولم يصدق أن المجاهد محمد هو الذي نفذها بسبب الاحترافية العالية في تنفيذها لولا أنه يعلم بصدقه من خلال صداقته له منذ الصغر والتجارب التي خاضها معه في الحياة، لكنه سأله عن مغزى البوح له بسر العملية، فقال له بأنه يرغب في تنفيذ عملية نوعية أخرى ويستولي فيها على سلاحهم. وكان المجاهد لؤي ينتظر من زمن بعيد تلك الفرصة التي يحصل فيها على سلاح ليلبي رغبته في الجهاد في سبيل الله وطلب من المجاهد محمد إعطاءه فرصة ليستخير ربه، بعد أن عرض عليه المشاركة معه فيها، وبعد أن استخار ربه في الزاوية الصوفية.

مشاركته في عملية جهادية

رد المجاهد لؤي بشكل إيجابي بأنه لا مانع لديه من المشاركة مع محمد في الجهاد في سبيل الله، وبدآ يتدارسا مع بعضهما بعضًا الوضع والخطط فيما يخص آليات الرصد والمتابعة والتنبيه، واتفقا على أن مهمة المجاهد لؤي تتلخص في مراقبة ورصد تحركات الجنود في الموقع المستهدف، وانتظارهم حتى لحظة جلوسهم، لأنه كان في الموقع مكعب إسمنتي يجلسون عليه، ومن خلفه سور لا يكشف الذي يأتي من خلفهم، فبدأ المجاهد لؤي برصد الموقع من على تلة تقابلهم من داخل سيارته، فهو يراهم ولا يرونه؛ لأنه في مكان مرتفع وأعلى منهم، وكان ذلك في ليلة الخميس حيث تزدحم فيها حركة المركبات بسبب كثرة الأعراس، فقررا تأجيل العملية وذهبا إلى سيارة المجاهد محمد عدنان أبو سنينة لفحصها وتخبئة السلاح في داخلها، وقد تم تشغيلها من غير مصباح لها، وقدَّر الله للسلك الذي كان يُهرب الكهرباء أن يتصل بالبطارية وتشتغل السيارة، فأودعا السيارة في مكانها، وعادا إلى البيت في سيارة المجاهد لؤي على أن يرجعا في اليوم التالي، وفعلًا في يوم الجمعة التقيا في الزاوية الصوفية، وانطلقا بعد صلاة العشاء إلى الهدف المرصود، واستعدا لتنفيذ العملية، وارتدى المجاهد محمد القناع وتفقد السلاح، وسار المجاهد محمد بسيارته حتى وضعها في مكان يبعد عن موقع العملية مسافة ثلاثمائة متر تقريبًا، وسار المجاهد لؤي بسيارته إلى المكان المحدد له للمراقبة، ونزل كل منهما في موقعه، وقد اختار المجاهد محمد المرور من المقبرة القريبة من موقع العملية، وانتظرا نصف ساعة، وكانت الأمور كما خططا لها، وحين جلس الجنود في المكان الذي يجب أن يجلسوا به، أعطى المجاهد لؤي المجاهد محمد الإشارة المتفق عليها، وقام على الفور بمباغتتهم من نقطة الصفر.

أطلق المجاهد محمد النار على الجندي فأرداه قتيلًا على الفور، ثم أعاد الكرَّة مرة أخرى بتصويب المسدس على الشرطي الصهيوني الآخر، ولكن

لسوء الحظ حدث خلل ما في المسدس وهرب الشرطي من المكان ترتعد فرائصه، لكن المجاهد محمد لم ييأس، وحاول مرة أخرى فنجح في إصابته بخاصرته، فرد الشرطي بإطلاق النار على المجاهد محمد وهو منسحب من المكان، وفي انتظاره المجاهد لؤي إلى أن وصل المجاهد محمد إلى نقطة الانطلاق مع لؤي، وانسحبا من المكان بسيارتهما بسلام فإذا بالتعزيزات الصهيونية تحاصر المكان وتباشر بإطلاق النار على سيارة المجاهد لؤي بعد أن انتبهوا إليه، وسارا عبر الطريق المؤدية إلى جبل الطور، ومن هناك افترق ان كل منهما في طريق معين، فذهب المجاهد لؤي إلى جبل المكبر، والمجاهد محمد إلى مخيم شعفاط، وقاما بالاطمئنان على بعضهما بعد أن تمت العملية بسلام وفق المخطط المرسوم لها.

اعتقاله والحكم عليه

لم يتمكن المجاهد محمد من الاستيلاء على سلاح الجنود، ونتيجة لذلك تأجلت العملية التالية التي كان مخططًا لها بعد هذه العملية بأيام معدودة، لقد عاد كل واحد منهما إلى ممارسة حياته الطبيعية حتى يتسنى لهما الحصول على سلاح لتنفيذ العملية الثانية، لكن شاءت الأقدار أن يكشف أمرهما من قبل العدو الصهيوني نتيجة الاتصالات التي جرت بينهما، فقامت قوات الاحتلال باقتحام بيت المجاهد محمد أبو اسنينة بتاريخ 20/ 08/ 2008م، وتم اعتقاله والعثور على السلاح في بيته، وكان هذا الخلل الثاني فأجروا معه مباشرة تحقيقًا ميدانيًا عنيفًا، وفي نفس الليلة تم اعتقال المجاهد لؤي من بيت نسيبه من جبل المكبر، وأجروا معه تحقيقًا ميدانيًا حول مكان بيته، وفي أي طابق وغير ذلك من المعلومات التي تساعدهم على تحقيق الهدف الذي يسعون إليه، ثم تم اقتياده إلى مركز تحقيق المسكوبية، وجرى التحقيق معه حول تنفيذ عدة عمليات جرت في القدس الشريف، فقام بنفي التهم المنسوبة إليه، ثم بدأ المحقق يسأله عن علاقته مع المجاهد محمد أبو اسنينة، فأدرك أن الموضوع قد كشف رغم محاولته نفي أي علاقة معه سوى أنه صديقه في المسجد، وزبون لديه كونه يعمل ميكانيكيًا للسيارات إلا أن ذلك لم يسعفه نتيجة عثور رجال المخابرات الصهيونية على السلاح المستخدم في تنفيذ العملية في بيت المجاهد محمد أبو اسنينة، فلم يكن خيار أمام المجاهد محمد سوى الاعتراف عليه وإلا سيوجه أصابع الاتهام إلى والده الذي تحرر في صفقة أحمد جبريل لتبادل الأسرى عام 1985م.

تم اقتياد المجاهدين إلى غرف العصافير أي العملاء، فاعترف بتفاصيل العملية لأنه لم يكن مؤهلًا لدخول السجن، ولم يكن لديه الخبرة الكافية والوافية عن معنى العصافير، أي العملاء، ففي السجن صراع أدمغة وإرادات بين المعتقلين ورجال المخابرات الصهيونية، وللأسف الشديد فمعظم الأسرى يدخلون السجون غير مؤهلين لذلك، ولا يوجد لديهم خلفية عن أساليب التحقيق وكيفية التعامل معها لعدم وجود جهات أو مؤسسات تقوم بتوعيتهم حتى لا يدفعوا ثمن حياتهم في السجون وحياة آخرين، وقد صُدم الأهل والزوجة للوهلة الأولى حين علموا سبب اعتقال المجاهد لؤي، لكنهم استوعبوا الأمر فهم مؤمنون بالله، وشعروا بأن ابنهم مصدر فخر واعتزاز لهم، وقاموا بدعمه معنويًا ومساندته في محنته، فنعم الزوجة والأهل هم وقد طلبوا منه حفظ القرآن الكريم واستغلال وقته فيما يرضي الله ـ عز وجل ـ.

حكم بالسجن ٢٥ عاما على الأسير المقدسي لؤي أبو نجمة

القدس - مراسل الشرق - حكمت المحكمة المركزية في القدس أمس الأول على الأسير المقدسي لؤي عبد الجبار أبو نجمة بالسجن الفعلي لمدة ٢٥ عاما.

وذلك بعد توجيه تهمة المشاركة في عملية باب الأسباط التي وقعت العام الماضي، وقتل فيها شرطي إسرائيلي وأصيب آخر بجراح خطيرة نتيجة لإطلاق النار عليهما من مسافة قصيرة.

يذكر أن الأسير لؤي يبلغ من العمر ٢٤ عاما، وهو متزوج وأب لطفلين؛ محمد ٣ سنوات وعبد الله ٩ أشهر.. و معتقل منذ حوالي عام، وهو من سكان مخيم شعفاط.

تمديد الاعتقال الإداري لرئيس بلدية الس

استجاب الأسير المجاهد لؤي لعائلته، وأصبح من حفظة كتاب الله -عز وجل-، وقد حكم عليه بالسجن المؤبد، ثم استأنف حكمه، فاستقر على 25 عامًا، وقد كانت مرحلة السجن من أهم محطات حياته فبالإضافة إلى حفظه كتاب الله كرس جهده في التعلم بمختلف المجالات دينيًا وسياسيًا وثقافيًا، وحصل على عدة شهادات وأنهى عدة دورات تعليمية، وزاد إيمانه بالله -تبارك وتعالى-، وهو مؤمن أن الله لن يضيعه وأهله وأنه سبحانه لن يضيع من خرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله، ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت أو السجن أو الجراح فقد وقع أجره على الله -عز وجل-، فلا تخشى الردى أو السجن، وكن جنديًا من جنود الله فالأرزاق بيد الله والآجال عند الله، كما قال تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، وقال عليه الصلاة والسلام: "لا ينقص أجل ابن آدم حتى يستكمل رزقه"، فلم يتوانَ الأخ المجاهد لؤي عن خدمة إخوانه المجاهدين من خلال انخراطه في العمل التنظيمي في حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال التي انتمى إليها منذ اللحظة الأولى لدخوله السجن، مؤمنًا بفكرها ونهجها القويم مع رفيق دربه المجاهد محمد أبو اسنينة، وخاض عدة إضرابات عن الطعام مع إخوانه الأسرى، وقد وهبه الله ابنه الثاني عبد الله وهو في السجن حيث كانت زوجته حاملًا به قبل اعتقاله، فأصبح لديه طفلان مقدسيان هما محمد وعبد الله، فنعم المجاهد لؤي، وهو مدرسة كاملة في الأخلاق والانضباط وتنظيم الوقت، ومازال الأمل يحدوه بالحرية القريبة بإذن الله للقاء الأهل والزوجة والأبناء والأحبة، فلم يتسرب اليأس إلى نفسه؛ لأنه يمتلك مخزونًا كبيرًا من المعنويات العالية التي يستمدها من إيمانه اليقيني بالله -عز وجل-.

جامعة القاهرة

شهادة الماجستير المهني

0170907

تشهد كلية - التجارة - جامعة القاهرة بأن:

الطالب/ لؤي عبدالجبار عبدالحميد أبو نجمة

الجنسية: فلسطيني

قد حصل على درجة: الماجستير المهني في إدارة الأعمال (MPA) تخصص: إدارة مؤسسات

وحصل على المشروع بتقدير: // جيد جدا //

في دورة: يونيو ... بتقدير عام: // جيد جدا //

النسبة المئوية: ...

وقد اعتمد مجلس الكلية النتيجة منتحنة في ...

ومجلس الجامعة رئيس الجامعة في ...

وقد أعطيت له هذه الشهادة لتقديمها إلى من يهمه الأمر

الموظف المسئول | المراجع | رئيس قسم الخريجين | مدير عام التعليم

عميد الكلية

أ.د/ إيهاب محمد أبو عيش

الأسير المجاهد
(محمد خليل عدنان داود أبو اسنينة)

بطل جهادي فريد صنعه إيمانه القوي

تاريخ الميلاد: 1987/08/02م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة سلوان - محافظة القدس

عدد أفراد العائلة: 9

تاريخ الاعتقال: 2008/08/20م

الحكم: مؤبدان و40 عاماً

رجل ظهر حبه للجهاد في عمر الطفولة، وكانت تحدثه نفسه به، أسكن القدس والأقصى في عقله وقلبه، وعاشت في ضميره؛ لأنها جزء من عقيدته وعقيدة مليار وسبعمائة مليون مسلم حول العالم، وهبَّ للدفاع عنها وافتدائها بروحه وماله، وكانت ممارسات الاحتلال ضد المسجد الأقصى المبارك وغطرسته وبطشه وغلظته في التعامل مع المواطنين المقدسيين منبهة وموقظة له، تهزه من الداخل في وقت غرقت الأمة في سباتها، وهم في غفلة معرضون، وفي أحسن الأحوال يعبرون عن دفاعهم ووفائهم للقدس والمسجد الأقصى، بالشعارات الرنانة والمؤتمرات الجوفاء والتصريحات الفارغة التي لا تحمي قدسًا ولا تنقذ أقصى ولا تحرر وطنًا ولا تعيد كرامة مسلوبة.

الميلاد والنشأة

فبعث الله من هذه الأمة رجلًا بألف رجل لبى نداء المسجد الأقصى والقدس الشريف عندما سمع صراخها: أن يا مسلمون كفى كلامًا! كفى ظلمًا! كفى ألمًا! كفى تدنيسًا! فإن أردتم حمايتي فأنقذوني بأفعالكم لا بأقوالكم، وإن لم تحموا المسجد الأقصى والقدس بدمائكم وأرواحكم وأموالكم سيرتفع هيكلهم المزعوم على أنقاضي،

وسيسلب منكم ما تبقى من كرامة، وسيتعرض السكان الأصليون في بيت المقدس إلى مزيد من السحق والطحن والإبادة على يد العدو الصهيوني الذي تفوق بإجرامه على كل مدارس الإجرام عبر التاريخ، ففي القدس الشريف أبصر الأسير المجاهد محمد أبو اسنينة النور بتاريخ 02/ 08/ 1987م ذلك العام الذي تفجرت فيه الانتفاضة الأولى حين تفتحت عيناه على الحياة بسبب عنجهية وغطرسة الاحتلال الصهيوني ليتنفس منها عبق دماء الشهداء الذي سرى في دمه منذ أن كان طفلًا رضيعًا وعاش وسط عائلة متدينة مجاهدة مرتبطة بالأرض والمسجد الأقصى المبارك، ربت أبناءها على الدين والصلاح والانتماء للوطن.

حمل المجاهد محمد راية الجهاد على درب والده الذي أفرج عنه في صفقة تبادل الأسرى عام 1985م التي تمت بين الجبهة الشعبية (القيادة العامة) بزعامة أحمد جبريل وبين العدو الصهيوني في يوم عزة وعيد شهد الكون بفرحته وأحيا الأمل في النفوس، في نفوس آلاف عائلات الأسرى الفلسطينيين الذين عانوا عقودًا طويلة من ظلم وقهر وجبروت الاحتلال بعد أن سرق السجن أجمل سنين أعمار آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وأمهاتهم وزوجاتهم وأخواتهم، وسار على نهج خاله داود دنديس الذي ارتبطت قضيته مع الشيخ المجاهد المحرر فؤاد الرازم وموسى عودة، وتعلق قلبه بشقيق جدته الذي خطف الطائرة في مطار اللد عام 1972م، من نوع بوينج 707 وكانت متجهة من بروكسل إلى تل الربيع وعلى متنها 100 راكب وملاح، حيث نفذ العملية رجلان وامرأتان (علي طه، تيريزا هلسه، ريما عيسى، عبد الرؤوف الأطرش) من ضمنهما شقيق جدته، واتجهوا بالطائرة إلى مطار اللد الصهيوني، وكان الهدف من العملية هو إطلاق سراح 100 من المعتقلين الفلسطينيين داخل سجون العدو الصهيوني، وانتهت العملية باستشهاد الفدائيين وأسر الفدائيتين وإصابة إحداهما بجراح، وإصابة عدد من جنود الكوماندوز الصهيوني، فكثيرًا ما كان يتردد على مسامعه من والديه وجدته والناس عن شجاعتهم النادرة وبطولتهم، فيشعر بفخر واعتزاز بسبب رابطة الدم، بينهم فتمنى أن يرثهم في الجهاد في سبيل الله.

أسرى محررون في صفقة تبادل الأسرى
مع العدو الصهيوني (1985م)

وبعد خروج والده من السجن عام 1985م تزوج أمه التي أنجبته، وبدأ يعمل كسائق لإعالة أسرته التي تميزت بوضع اقتصادي متوسط الحال، واضطر والده إلى تغيير مكان السكن عدة مرات؛ لأن المنزل الرئيسي موجود في بلدة عناتا وهم من حملة هوية الضفة الغربية، ولأنهم من حملة الهوية الزرقاء (حق المواطنة في القدس)، ويحظر عليهم الإقامة في غير القدس أو في منطقة خارج صلاحية

بلدية الاحتلال وإلا سيتم سحب بطاقات الهوية الزرقاء وطردهم من العيش في أرضهم الأصلية، فقد سكنوا سنة في منطقة عين اللوزة، وستة شهور في بيت حنينا، وعشر سنوات في منطقة رأس خميس التي نفذ فيها عمليته الجريئة، والملاصقة لمخيم شعفاط، وقاموا بشراء بيت جدهم في سلوان في منطقة بئر أيوب، وهو منزل صغير جدًا في حي مكتظ بالسكان، وتحتاج للصعود عبر درج كبير حتى تصله في سفح جبل جنوب المسجد الأقصى المبارك، وكان الدافع لشرائه التشبث بالأرض، وتثبيت وجودهم على أطهر وأقدس بقعة في العالم التي لا تقدر بأي ثمن، فالمواطن المقدسي في صراع مع العدو على كل شبر من أرضه ومقدساته، أما منزلهم في عناتا فقد كانت تستغله العائلة في أوقات الإجازات للذهاب إليه لرحابته والتواصل مع أعمامه وأبنائهم الذين يجاورونهم في بيوتهم.

بلغ المجاهد محمد الخامسة من عمره، وكانت أجواء الانتفاضة الأولى تطغى على الأحداث وفي أوج عنفوانها، بدأ مشواره الدراسي بالتحاقه في مدرسة داخلية يشرف عليها رجال الدعوة في منطقة بيت عور التحتا بمحافظة رام الله ليتعلم مخارج الحروف وحفظ ما تيسر من كتاب الله، وتعلم فن الخطابة، وكان يعود يومًا واحدًا إلى المنزل من كل أسبوع، وهذه المدرسة كان لها الأثر الكبير في بداية صقل شخصيته الإيمانية، وقد ترجم ما تعلمه واقعيًا من خلال إلقاء الخطب الدينية في المناسبات كذكرى الإسراء والمعرج والمولد النبوي الشريف والهجرة النبوية الشريفة في المسجد الأقصى المبارك، وفي الزاوية الأفغانية التي كان والده يصطحبه معه إليها، وهي زاوية صوفية معتدلة يشرف عليها الشيخ عبد الكريم الأفغاني في جوار المسجد الأقصى المبارك.

فقد كان عقله سابقًا لسنه حيث كان يقوم بذلك في السادسة وأحيانًا من دون إذن من أحد، وفي أوقات الإجازات المدرسية يساعد والده وعمه في التجارة، وبالبيع للسائحين في منطقة باب المغاربة في القدس الشريف، ومساعدة عمه الآخر في بيع الحلويات ليجني بعض المال ليكون مصدرًا لرزقه، يصرف منه أثناء دراسته على ما ينقصه من احتياجات، فقد رباه والداه على الاعتماد على الذات، وبينما يقوم بمساعدة والده وأعمامه في البيع، يقوم الاحتلال بمطاردة الباعة المتجولين، ويصادر بضاعتهم التي هي مصدر رزقهم، ويفرض عليهم غرامات باهظة تصل إلى آلاف الشواكل غير آبه بمعاناة التاجر المسكين الذي يقضي يومه في الحصول على قوته، فيتم محاربته في لقمة عيشه. هذا الإجراء التعسفي ترك آثارًا قاسية على نفسية المواطن المقدسي وكبده خسائر مادية فادحة أثرت على ظروف حياة أطفاله، لكن المجاهد محمد كان يستغل صغر سنه وخفة حركته للنجاة ببضائع والده وعمه وحملها، والتملص من دوريات الاحتلال الصهيوني التي تلاحقهم في كل مكان.

ومما ساعده على ذلك عدم حيازته هوية؛ لأنه لم يكمل السن القانوني، وبالتالي لم يكن باستطاعتهم مخالفته، ثم تابع دراسته الابتدائية بدخول الصف الأول في مدرسة عناتا الحكومية، وكان الأول على الصف، وبهر المعلمين بذكائه

بفضل ما اكتسبه من معرفة في مدرسة رجال الدعوة ونتيجة التزامه بالصلاة في وقتها. وبينما كان الأستاذ خارج الصف سمع المجاهد أذان الظهر، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي الفلاح، حي الفلاح، فوضع له لوحة كرتونية على الأرض وصلى عليها، فدخل الأستاذ وهو يصلي، وحاول إيقافه ظنًا منه أنه يلعب، لكنه لم يلقِ بالًا لمحاولات الأستاذ وأكمل صلاته خاشعًا لله _عز وجل_ حينها أدرك الأستاذ جديته، وأنه يصلي، فتركه وبعد الانتهاء من صلاته أثنى عليه، وذهب به إلى مدير المدرسة وقدم له هدية، وأخبر ابن عمه عن الحادثة، ونصحهم بإدخاله إلى مدرسة خاصة لتنمية مواهبه وذكائه، فتم نقله إلى مدرسة سيرين المختلطة لإكمال المرحلة الابتدائية، وهو غير راضٍ عن نظام الاختلاط فيها؛ لأنها تناقض مبادئه وأخلاقه التي تربى عليها حتى أصبح مستشارًا لزملائه الطلاب وكمرجعية لهم، يلجؤون إليه لأخذ النصائح والإرشادات، وينتقدون أمامه بعض تصرفات زملائهم بشأن الاختلاط.

تأثير الصراع مع العدو على نفسه

في تلك الفترة عاش أحداثًا متتالية، كان لها أثر في صقل شخصيته الجهادية، والدافع الأساسي بالنسبة له للجهاد في سبيل الله، ومنها مجزرة المسجد الإبراهيمي في الخليل بتاريخ 25/ 02/ 1994م الموافق 15 رمضان 1414هـ، وما تلاها من عمليات استشهادية، وخاصة عملية بيت ليد الشهيرة التي نفذها المجاهدان أنور سكر وصلاح شاكر في تاريخ 22/ 01/ 1995م وصرعا خلالها 22 ضابطًا وجنديًا صهيونيًا، وأصابا العشرات بجراح مختلفة، وتبنتها حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين،

وعملية اغتيال الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي الأمين العام لحركة الجهاد في فلسطين في مالطا في 26/ 10/ 1995م على يد الموساد الصهيوني، وانتفاضة النفق في سبتمبر (أيلول) 1996م، وعمليات حزب الله الجريئة في جنوب لبنان، بالإضافة إلى أحاديث جدته له عن بطولات مجموعة والده وأخيها التي عززت لديه فكرة الجهاد الإسلامي، وجعلته يتطلع إلى ترجمة هذه الفكرة على أرض الواقع، وكان ذلك محور حديثه مع زملائه منذ المرحلة الابتدائية، والتطلع إلى مستقبل يكونون فيه رموزًا للجهاد والمقاومة حتى إنهم أسسوا مجموعة مرادفة لاسم حزب الله، استمدوا اسمها من القرآن الكريم وهو (جند الله) فاتفقوا على حفظ سورة الصف، وقد استمر هذا الحلم يراودهم ويتعاهدون عليه ويحافظون على سريته، وينمو معهم حتى فرقتهم الدنيا، لكن المجاهد محمد ظلت مخططات المقاومة تطغى على أغلب تفكيره، يتحين الفرصة لخطة العمل ضد الاحتلال، ثم تابع مشواره التعليمي في مدرسة ثانوية الأقصى الشرعية داخل المسجد الأقصى المبارك، بين باب

الأسباط وباب حطة، ودار محور دراسته حول العلوم الشرعية والدراسات الأدبية، وحصل منها على شهادتين للثانوية العامة، الأولى أدبي والثانية شرعي من وزارة الأوقاف الأردنية بمعدل 70٪، أما الأولى فمن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، وكان لهذه المدرسة دور كبير في تعزيز المفاهيم الإسلامية الصحيحة في نفسه، وفهم مقاصد الإسلام العظيم، ورفع التحديات التي تواجهه.

دوره في انتفاضة الأقصى

اندلعت شرارة انتفاضة الأقصى المباركة بتاريخ 28/ 09/ 2000م، وسعى المجاهد محمد ليكون أصغر استشهادي فيها، من خلال التواصل مع الشهيد أمجد العجلوني جاره في إحدى بسطات البيع عند أبواب المسجد الأقصى، وحاول الحصول على سلاح من خلال ترصد بعض المستوطنين الذين يمرون من الوادي الشرقي للمسجد الأقصى المبارك عند بعض المعالم الأثرية، فمكث فترة طويلة يترصدهم إلى أن ظفر بأحدهم وقام بمهاجمته على رأسه بماسورة مظلة كان قد ملأها بالتراب لتصبح ثقيلة لزيادة قوة الضربة في القضاء عليه، وبعد أن وجه له عدة ضربات متتالية انسحب من المكان مسرعًا قبل أن يكشف أمره من قبل الشرطة الصهيونية، وسار مسافة جبل الطور وجبلين بعده مشيًا على الأقدام حتى وصل إلى منزله في عناتا، وواصل مقاومته للمحتل الصهيوني، بإلقاء الحجارة على جنود الاحتلال، في منطقة مطار قلنديا، برفقة صديقه الشهيد علي خليفة، وذلك بعد دوام المدرسة، حتى غافله إحدى الجنود في أحد المرات بصعوده فوق مبنى مجاور، وأطلق النار باتجاه رأسه، لكنه نجا بفضل من الله، ثم وجه مقاومته وصب جام غضبه تجاه سيارات المستوطنين، بإلقاء الحجارة والزجاجات الحارقة عليهم في الشارع الواقع بين حزما وعناتا، ثم ابتكر أسلوبًا نوعيًا متقدمًا في العمل المقاوم للاحتلال الصهيوني، أعاد للأذهان مظاهر وبطولة وإبداع الانتفاضة الأولى عام 1987م في العام الذي ولد فيه، وهو استهداف بعض الصهاينة بالشعبة وتعرض للإصابة بالرصاص المطاطي، في المسجد الأقصى المبارك في يوم جمعة، فأخذها واقسم بالله أن يصيب صهيونيًا بها بالشعبة، وقد نجح بذلك، بإصابته بها عبر نافذة الباص أثناء ذهابه إلى المدرسة، وفي إحدى أيام الجمعة صعد على سطح منطقة باب الأسباط، ولم يكن معه حينها قناع ليخفي وجهه به، فوضع كيسًا من النايلون على رأسه بعد أن فتح ثقوبًا مكان العينين للنظر وللتنفس، وكان يحمل مقلاعًا فحاول أحد أفراد الشرطة الصهيونية إطلاق الغاز عليه، فباغته بحجر فولى الشرطي مذعورًا مدحورًا دون أن يصاب المجاهد محمد بأذى منه، فلم يشفِ غليله ما قام به من عمل مقاوم، فبدأ يبحث عن وسيلة بارعة تحقق ما يصبو إليه بالإثخان بالعدو الصهيوني، فلجأ إلى العمل العسكري بمفرده، بعد أن تهيأت الظروف لذلك، فاستطاع الحصول على رخصة لقيادة السيارة، وشراء سيارة ومسدس لاستخدامها في عملياته، فجمع الأموال التي اشترى بها السيارة والمسدس من خلال عمله ضمن مجموعات متحف (روكفيلر) في حفريات الآثار بالإضافة إلى عمله كسائق لنقل العمال

والتجار، وبعد نجاحه في الحصول على الأدوات المادية التي تستخدم في العمل العسكري قال في نفسه: لم يبق لك عذر يا محمد، فالحرب تستعر على القدس والمسجد الأقصى المبارك، فقد دقت ساعة الثأر فلن يستطيعوا تركيعنا وتطويعنا وإذلالنا.

تطور أدائه الجهادي

اتخذ محمد قراره المصيري الذي طالما انتظره منذ طفولته بمنازلة العدو الصهيوني، والظفر بما يستطيع منهم، ففي بداية عام 2008م انطلقت شرارة عمله العسكري، فقام برصد الهدف الأول وهو حاجز صهيوني للمشاة عند المدخل الثاني لمخيم شعفاط في منطقة رأس خميس يتواجد فيه جنديان صهيونيان يتفننان في التنكيل بالمارة والعمال والفلسطينيين، وإذلالهم، وكان المكان مصممًا بشكل أمني حذر يوجد فيه تحصينات كبيرة وغرفة لفحص الهويات، ومقابلها على بعد مسافة بضعة أمتار منصة يقف فيها الجندي الآخر، ويقوم كل من الجنديين بتوفير الحماية للآخر في حال تعرض أي منهما للخطر، لكن لكثرة شعورهما بالأمان كانا يجتمعان مع بعضهم بعضًا وكان المجاهد محمد يمر من عندهما باستمرار، ويتفحص كل نقاط الضعف، بالإضافة إلى أنه يعرف الموقع بدقة متناهية، والطرق المؤدية إليه مما جعل هذا الموقع يقع تحت اختياره، وقد عاش المجاهد محمد متواريًا عن الأنظار إلى وقت الفعل الصاعق ضد العدو الصهيوني. وفي ليلة باردة من يوم الأربعاء الموافق 23/01/2008م جلس على سفح الجبل خلف الحاجز العسكري الصهيوني مدة ساعة ينتظر أن يجتمع الجنديان في الغرفة ويتركا المنصة التي ستكون مسرحًا للعملية وهما فيها غير آمنين خصوصًا أنهما في مكان مظلم رغم التحصينات التي تحيط بهما من كل جانب، وكان المجاهد محمد يمتلك مسدسًا من عيار (9 ملم)، من نوع "باربيلو" ألمانيًا، قديمًا ومليئًا بالخدوش، وأحيانًا تسقط منه بعض القطع، اشتراه بـ 1200 دينار أردني من ماله الشخصي، واختاره بالذات؛ لأن له سبطانة طويلة تتيح له المجال لمحاولة تركيب كاتم صوت عليه، وبعد أن اتخذ قراره بتنفيذ العملية واستعد لها تم إلغاؤها في اليوم الأول، لعدم اكتمال الإجراءات اللازمة.

في اليوم التالي أدى محمد صلاة العشاء في المسجد الأقصى، وحضر الدرس الديني الذي تمحور الحديث فيه عن نعم الله. وفي إحدى البيوت المجاورة للمسجد الأقصى، وبعد أن انتهى من حلقة الذكر والدعاء، انطلق إلى سيارته المركونة عند باب المغاربة حيث كان يجني بعض المال من بيع السياح. ولما وصل الحاجز العسكري الصهيوني إذا بالجنود يقفون الوقفة التي انتظرها عند الغرفة التي يتم فيها فحص بطاقات هويات المواطنين الفلسطينيين، فسارع على الفور بالذهاب إلى البيت وأحضر المسدس، وأقسم على نفسه ألا يترك تنفيذ العملية طالما كانت الفرصة مواتية لذلك، وقال في نفسه ثلاث مرات: يغضب علي ربي إن تركت تنفيذ العملية، طالما كان هنالك مجال لتنفيذها، وقد برَّ قسمه وتجسدت مقولته بالفعل، وانطلق باتجاه الحاجز، وأوقف سيارته قبل الحاجز بحوالي 30 مترًا، ونزل متجهًا إليهم يحمل مسدسه وسكينًا

اسبانيًا احتياطيًا، وكان الجو باردًا جدًا ولبس ملابس شتوية ثقيلة لتحميه من برد الشتاء، وما أن وصل إلى الحاجز حتى طلب منه الجندي إظهار بطاقة هويته، فأظهرها له، فهز الجندي رأسه، وكان رأسه ووجهه بلون القرعة الصفراء، فعلم المجاهد محمد بأن ملك الموت بانتظار هذا الوغد الذي طالما تفنن في إذلال أبناء شعبه.

الحاجز الصهيوني للمشاة
في منطقة راس خميس بالقرب من مخيم شعفاط بالقدس

وقف المجاهد محمد على الشارع خلفه دون أن يتسلل الخوف إلى نفسه، وحزم أمره بعد انتظار مرور بعض المارة والسيارات حتى لا يصاب أحد بأي أذى، وفي هذه الأثناء مرت دورية عسكرية صهيونية، من المكان فتركها تمر دون التعرض لها، لأنها ليست هدفه، وكان يضع رصاصة جاهزة للإطلاق، وتأكد من أن زر الأمان مفتوح وتوجه إلى الجندي الصهيوني من خلفه وهو يسير ببطء، ووضع المسدس في منتصف رأسه، وبالتحديد بين أذنيه من الخلف، وكان يقف على باب الغرفة وأمامه مجندة صهيونية تجلس على الكرسي وتبادله أطراف الحديث، وما هي إلا لحظات حتى أطلق الرصاص عليه وهو يكبر فأرداه قتيلًا، وانقلب على ظهره إلى الخلف، وقد اخترقت الرصاصة رأسه وخرجت من جبينه، ثم استمر بإطلاق النار على المجندة الصهيونية التي كانت تلبس درعًا واقيًا من الرصاص ورفعت سلاحها مصوبة عليه إلا أنه تقدم نحوها وهو يطلق الرصاص بجرأة قل نظيرها فهوت على الأرض دون الإجهاز عليها بالكامل؛ لأنه لم يتبق معه سوى رصاصتين ادخرهما لأي طارئ قد يحدث معه لا قدر الله، ونجح في الاستيلاء على سلاح الضابط الصهيوني وهو من نوع (M16). ورأى شلال الدم يتدفق من جبينه بغزارة، ثم انسحب من المكان بسرعة، وحاول الاستيلاء على سلاح المجندة، لكنه لم ينجح في ذلك، وآثر الانسحاب بأقصى سرعة قبل وصول التعزيزات الصهيونية متجهًا بسيارته إلى المنزل، ليأخذ منه كل ما له علاقة بإثارة الشبهات حوله، ثم انطلق مسرعًا باتجاه حاجز حزما.

ولما وصل الحاجز بعد حوالي ثلث ساعة إذا بالجنود قد أتاهم خبر العملية الجريئة، فسارعوا إلى ارتداء دروعهم وقد ظهر على وجوههم الارتباك، وكان هذا في يوم الخميس ليلة الجمعة في 24/ 01/ 2008م، وقد نجاه الله منهم أثناء مروره على الحاجز؛ لأن سيارته تشبه سيارات المستوطنين الذين يمرون من المكان، بالإضافة إلى ارتباك الجنود حيث كانت فرائصهم ترتعد من شدة الخوف خشية أن يصيبهم ما أصاب زميليها في موقع العملية، وكل ذلك بتوفيق من الله ورعايته. وبعد أن اجتاز الحاجز وصل الدوار الأول في مستوطنة "جفعات

زئيف"، فقامت سيارة الشرطة الصهيونية بنصب حاجز طيار في الاتجاه المقابل، وتم تجاوزه بسلام، وكذلك جرى الأمر في الحاجز الثاني، فعلم بأن عين الله ترعاه، وواصل مسيره نحو مدينة الخليل. وفي منتصف الطريق أصابه شيء من الخوف بعد مشاهدته حركة مركبات صهيونية غير اعتيادية قرب مفرق "عتصيون"، معتقدًا أنه كمين له، لكن تبين فيما بعد أن مجاهدين من قرية بيت أمر بالخليل قاما بتنفيذ عملية طعن ضد المستوطنين في نفس الليلة واستشهدا في هذه العملية. وما أن وصل الخليل حتى خرَّ ساجدًا شاكرًا لله، وقام بتفقد السلاح وتفكيكه خشية أن يحتوي على جهاز تعقب أو ترصد، فطلب من ابن عمته بيع السلاح لحاجته للمال لشراء كاتم صوت للمسدس ليتمكن من تنفيذ عمليات أخرى أكثر جرأة ودون ملاحظة أحد له.

الجندي الصهيوني "رومي زواري" قتل في عملية راس خميس بتاريخ 24/01/2008م

ندم مجاهدنا محمد ندمًا شديدًا على بيع ذلك السلاح (M16)، وبعد أربعة شهور من محاولات شراء كاتم للصوت اشترى مسدسًا من نوع "بيريتا" مع كاتم صوت، لكنه كان غير صالح لتنفيذ عمليات حيث تتفلت منه بعض القطع أثناء التدرب عليه، ولم يكن بالإمكان إرجاعه، فاضطر إلى استثنائه من العمل إلا في حالة إصلاحه وإجراء تعديلات عليه، وأن يتم إطلاق النار منه وهو مغطى بكيس نايلون أو قطعة قماش حتى لا تظهر عليه أي بصمة تؤدي إلى كشف أمره، وقد حاول تركيب كاتم الصوت على مسدس "الباربلو" الألماني، لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب ضياع قطعة منه لم يكن يعلم بضياعها.

بدأ المجاهد محمد بالتخطيط لتنفيذ عملية أخرى، واختار موقعًا مناسبًا لها، وبينما هو يصلي الظهر في المسجد الأقصى حضر إلى ذهنه تنفيذها عند باب الأسباط، فقام بتبييت سيارته بجانب باب الأسباط لرصد تحركات الجنود الصهاينة من خلالها. وبعد قرابة أسبوعين من الرصد، حدد هدفه الذي كان جنديًا وشرطيًا صهيونيين ينكلان بالمواطنين المقدسيين. وفي يوم 10/ 07/ 2008م، وصل إلى قرب الموقف على طرف السور الشرقي للبلدة القديمة فإذا بسيارته تتعطل، فقام بعض المارة بمساعدته، ثم قام بالاتصال بصديقه العزيز الذي تربى معه في المسجد المجاهد لؤي أبو نجمة، لخبرته في تصليح السيارات وعند فحصها لم يتبين له سبب العطل، وحين نادى المؤذن لصلاة المغرب آثرا أن يصليا صلاة الجماعة في المسجد، ويعالجا الخلل في اليوم التالي في وضح النهار، وأثناء الطريق ذكر له المجاهد محمد عن مدى ضرورة حاجته للسيارة، فعرض عليه سيارته قائلًا له: اذهب بها إلى حيث شئت! فأعجب بكرمه ونخوته وشهامته، فحدثته نفسه أن يعرض عليه الانضمام للعمل العسكري معه، كونه بحاجة إلى رجل آخر يقود السيارة أثناء تنفيذ العملية والرصد، وبدأ يقدر عواقب الأمر، فالمجاهد لؤي متزوج ولديه ولد وزوجة حامل، والديون متراكمة عليه بعد شرائه منزلًا، لكن سرعان ما تجرأ وعرض عليه الأمر، فسأله عن المطلوب منه، فقال له: لا شيء سوى

رصد تحركات الجنود الصهاينة المفاجئة أثناء عملية التنفيذ فوافق على الأمر، وحاولا في الليلة الأولى شراء بطاقة شريحة للاتصال كي لا يتم التواصل من أرقامهما المعروفة.

الأسير المجاهد/ لؤي أبو نجمة محكوم 25 عاماً، واعتقل بتاريخ 20/ 08/ 2008م

لم يكن محمد ولؤي على معرفة بأنه يمكن تحديد هوية المتحدث من خلال بصمة الصوت رغم أنهما اعتقدا أن التواصل عبر الرموز للضرورة القصوى لا يكشف أمرهما، وبعد قيامهما برصد الهدف عند باب مقبرة الرحمة، أجلا تنفيذ العملية لكثرة تحركات الدوريات الصهيونية. وفي اليوم التالي وهو يوم الجمعة 11/ 07/ 2008م، موعد تنفيذ العملية، وبعد صلاة العشاء خرجا إلى جوار المسجد الأقصى المبارك حيث التنفيذ، وأحضرا معهما شرائح جديدة للتواصل، وبعد حوالي ساعتين من الانتظار والرصد والدعاء إلى الله بأن يأخذ من دمائهما وأعمارهما وأموالهما حتى يرضى، وبعد مغادرة دورية للاحتلال الصهيوني أوصلت الطعام للجندي والشرطي المتواجدين في الموقع المستهدف؛ حصل اتصال بينه وبين المجاهد لؤي شعر خلاله بأن الرموز غير آمنة، وخطر بباله تأجيل العملية، لكنه دعا الله عز وجل أن لا يصلوا لهذه المكالمة ويتنصتوا عليهما، ولم يكن يدري أو ضمن حساباته أن هناك فرقًا كاملة متخصصة في رصد المكالمات ومنها الوحدة (8200) حتى لو بين آلاف المكالمات يتم كشفها وتحليلها ومتابعة أصحابها والقبض عليهم.

توكل على الله وتوجه إلى المقبرة اليوسفية بجوار باب الأسباط، وتقدم نحو نقطة جلوس الجنود عند باب مقبرة الرحمة، وما أن قفز بجانبهم وبشكل فجائي حتى أطلق رصاصته الأولى من مسافة صفر، فالتفتوا إليه حيث كانوا يلعبون بالجهاز الخلوي فرأى الرعب والموت في عيون الذي كُتب عليه الموت، فسدد له رصاصة ثانية لتخترق رأسه مباشرة، فارتخت يداه وتدلى رأسه وأرداه قتيلًا واسمه دافيد شريكي فقام زميله الشرطي الصهيوني أيمن غدير برمي جهاز الخلوي على المجاهد محمد، وهو في حالة صدمة ورعب شديد، وصرخ من شدة الخوف الذي انتابه، وأفقده أعصابه وتفكيره، فباغته المجاهد محمد برصاصة نحو رأسه، لكنها أصابت صدره، وكان يرتدي حينها درعًا واقيًا فولى مدبرًا ولم يعقب فسدد إليه مباشرة رصاصة في ظهره، وحاول إفراغ بضع رصاصات في رأسه إلا أن المسدس تعطل.

شاهد الشرطي الصهيوني المصاب يقف خلف سيارة في المكان ويخرج سلاحه، ويقوم بالاتصال مع قاعدته فبادر حينها المجاهد محمد بالانسحاب الفوري متداركًا الموقف ومتذكرًا أيام الهروب من شرطة السياحة وبلدية الاحتلال في القدس في أيام طفولته، فسارع الشرطي الصهيوني وبشكل سريع باتجاهه إلا أن رعاية الله له مكنته من الانسحاب بسلام من المكان دون أن ينال العدو منه رغم مشاهدته الرصاص وهو يتفتت تحت قدميه ويسمع صوته وهو يمر بجانب رأسه

وحوله ومن كل اتجاه. وعاد من حيث أتى إلى المقبرة اليوسفية ثم إلى سيارته، واتصل بالمجاهد لؤي الذي أخبره بأن يتدبر أمره وبسرعة؛ لأنه أيضًا يتعرض لوابل من الرصاص من القوات الصهيونية التي حضرت إلى المكان بعد أن أبلغهم الشرطي الصهيوني المصاب عن هذه العملية.

رغم الخلل في سيارة المجاهد محمد بسبب العطل الذي أصاب سلك البطارية؛ قدر الله له وللمجاهد لؤي النجاة، ومن شدة السرعة اضطر إلى تجاوز شارة المرور الحمراء رغم وجود سيارة للشرطة الصهيونية في الطرف المقابل إلى أن وصل لجبل الطور، فتعطلت السيارة فتدبر أمره وعاد إلى البيت بسلام، فرغم الإمكانيات المتواضعة التي امتلكها المجاهد محمد أبو اسنينة، وبساطة مسدسه الذي اشتراه من ماله الشخصي إلا أنه أذهل العدو الصهيوني وصدمه، لكن لسان حاله يقول لهم وهو يسدد إليهم بضعة رصاصات امتلكها بعد جهد مضنٍ: أيها الأوغاد! أنتم غير محصنين فتلك الرصاصات القليلة هي التي ستحد من عنجهيتكم وتوقف صلفكم وتماديكم في العدوان على شعبنا وعلى مقدساتنا، وهي التي تحمي القدس والأقصى من ظلمكم وجبروتكم وطغيانكم، وهي رسالة قوية إلى دعاة الشعارات الرنانة والمؤتمرات الجوفاء والتصريحات الفارغة والثرثرات الإعلامية؛ لأن القدس والأقصى بحاجة إلى أفعال وليس إلى أقوال.

اعتقاله والحكم عليه

وبعد أقل من شهر على عملية باب الأسباط النوعية استيقظ المجاهد محمد على صوت طرقات على الباب، ومن ثم تفجيره في بلدة عناتا، وهم ينادون عليه بمكبرات الصوت بتسليم نفسه؛ لأن البيت محاصر، وكان في حالة صراع مع النفس، هل يخوض معهم اشتباك أم لا؟ فقد كان البيت يعج بالأطفال الصغار الذين حضروا لحفل زفاف ابن عمته في اليوم التالي، بالإضافة إلى أن المسدس لم يكن محشوًا بالرصاص، فاضطر إلى تسليم نفسه، متيقنًا بالله بأنه عائد مهما طال الأسر، ومهما طال الزمن، وكان ذلك في 20/ 08/ 2008م، وقد تعرض لتحقيق ميداني، ونتيجة جهله بالتحقيق وأساليبه وتقديره بعدم قدرة جسده على التحمل، وخشيته من تكرار ما حدث مع والده المحرر في صفقة تبادل الأسرى عام 1985م حيث مكث شهرين لا يمكنه التحرك إلا على الكرسي النقال من شدة التعذيب الذي تعرض له، ثم أدين بإقراره على اعترافات غيره، ولأجل كل هذا، وللعثور على سلاحه في البيت، قرر الاعتراف بأنه لا مفر له من ذلك، ثم أنكر وتراجع عن اعترافه أمام محققي الشرطة والمحكمة، ولكن دون جدوى، وقد نسبوا له تهمة التخطيط لاغتيال ضابط شرطي صهيوني في المسجد الأقصى كان يغادر بسيارته إلى بيته من أمامه في منطقة باب المغاربة بمعرفته بمكانه ومكان سكنه وملاحقته، وكذلك امتلاك ثلاثة مسدسات مع كاتم صوت تم مصادرتها من المنزل مع دراجة نارية وعدد من الطلقات بالإضافة إلى التهم الرئيسية

وهي عملية رأس خميس قرب مخيم شعفاط التي قتل فيها ضابط صهيوني وأصيبت مجندة صهيونية، وخطف سلاح الضابط، وعملية باب الأسباط التي قتل فيها جندي وأصيب آخر، وقد اعتقل معه في ملحقات قضيته حوالي سبعة عشر شخصًا معظمهم تم توقيفه أو حكم عليه بأحكام خفيفة، أما من حكم عليه بحكم عال فهو المجاهد لؤي أبو نجمة من مخيم شعفاط بـ 25 عامًا، والمجاهد محمد جميل الجولاني بالسجن ثلاثة عشر عامًا، وابن عمته محمد طلال أبو اسنينة بالسجن 12 عامًا.

وبعد قضاء فترة التحقيق اقتيد إلى السجن ليبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياته، فلم ينل السجن من معنوياته وكرس جهده لبناء ذاته، فهو لا يهدر وقته فيما لا طائل منه ولا يفارق كتاب الله من يديه فهو دليله وملهمه ومرشده في كل حياته، ولديه شغف بالكتابة والمطالعة وقد حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من جامعة الأقصى، ودبلوم قيادة مؤسسات المجتمع المدني، ودورة متقدمة في الإدارة، بالإضافة إلى ما تعلمه قبل الاعتقال حيث كان طالبا في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في جامعة القدس - أبو ديس، وأنهى ثلاثة فصول قبل أن يتم اعتقاله.

جمعية اقرأ الخيرية
مركز تحفيظ القرآن الكريم
فلسطين - قطاع غزة
Iqraa -Read Charity Association
Holy Koran Recitation
Palestine-Gaza Strip
شهادة إجازة سند " قراءة وإقراء "

وشارك في ملاحم البطولة ومعارك الأمعاء الخاوية أكثر من مرة لانتزاع حقوق الأسرى من بين أنياب السجان ورغمًا عن أنفه. ومنذ أن أنهى التحقيق ودخل السجن انضم إلى جانب إخوانه في حركة الجهاد الإسلامي، وهو يشعر بالفخر لحسن اختياره لهذا التنظيم الذي كان بعيدًا كل البعد عن السجالات السياسية، ومأخذه على حركة حماس دخولها المجلس التشريعي في ظل الاحتلال وأعطى لديه صورة غير واضحة عن توجهاتها. ثم إن الجهاد الإسلامي يتسم بالوضوح والواقعية، وثبتت أكثر من مرة صوابية رأيه وتوازنه في التعامل مع الأحداث السياسية ووعيه ونضجه السياسي ووضوح خطه الجهادي، كما أن تأمله في واقع المسلمين والحركات الإسلامية اليوم عزز من استقرار رأيه للانضمام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بنفس ثقافة الاحترام المتبادل والتعاون والمحبة والتنسيق وصولًا إلى الاتحاد بين الجماعات الإسلامية على اختلاف مشاربها واهتماماتها، فلم يتوان لحظة واحدة في خدمة إخوانه الأسرى من خلال العمل التنظيمي، ويتميز ببعض الآراء التي تنم عن نضجه ووعيه السياسي والديني، فهو يعتبر أن الأمة تمر بمرحلة الحكم الجبري الذي يسبق الخلافة على منهاج النبوة، كما بشر به رسولنا الكريم محمد _صلى الله عليه وسلم_ فقد ضاعت الأمانة عند كثير من الناس حكامًا ومحكومين، وولوا أمر أمتهم إلى الكافر ليكونوا تبعًا له وينفقوا أموالهم لنصرته ومساندته وتدمير بلدانهم ومحاربة كل من يسعى للنهوض وبناء قوة للمسلمين لتكون

رمزًا لعزتهم وكرامتهم. والأدهى من ذلك حرفهم المتعمد لأسس الصراع وعنوانه من صراع عربي "إسرائيلي" أو صهيوني إلى صراع صهيوني إيراني. أما رأيه في اتفاق "أوسلو" المشؤوم فهو لا يقل أثرًا عن نكبة فلسطين عام 1948م في تداعياته ونتائجه، فكان ثعلب السياسة الصهيوني شمعون بيرس الهالك يدرك ما يقوله حين قال عنه بأنه الانتصار الثاني للكيان الصهيوني بعد النكبة الفلسطينية.

تلك هي صورة مشرقة لإحدى أروع النماذج الجهادية الفردية في بيت المقدس فافتدى القدس والأقصى بماله وروحه وعمره. والشعب الفلسطيني ولّاد بأمثال المجاهد محمد أبو اسنينة الذين سيغيرون موازين القوى المختلة لصالح الشعب الفلسطيني، ويغيرون التاريخ لصالح أمة الإسلام بإذن الله عز وجل.

الأسير المجاهد

ماهر (حمدي زهير) رشدي الهشلمون

بطل جهادي أكبر من أن تمدحه الكلمات

تاريخ الميلاد: 1984/03/10م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ولد وبنت

مكان السكن: بلدة حلحول - محافظة الخليل

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2014/11/10م

الحكم: مؤبدان و3.275.000 شيكل غرامة

نقف اليوم للحديث عن أحد الأبطال ممن أضاءوا الحياة بلمساتهم وأشرقت بنظراتهم، فقد تحركوا ونور التقوى يضيء لهم الطريق، فأصبحت نفوسهم صافية، نفوس صاغها الإيمان، نفوس امتدت إليها يد الحبيب محمد _صلى الله عليه وسلم_ تذكيرًا بالآخرة ودفعًا حازمًا إلى ميادين الجد والجهاد، وإيقاظًا لعزائم الرجال المنوط بهم حمل تلك الرسالة المحمدية، فصاغتهم هذه الرسالة صياغة جعلت لهم المقدرة على مجاهدة النفوس أن تتقاعس عن المعالي وجهاد العدو، ولهذا سوف تبقى هذه النماذج من أمثال المجاهد البطل ماهر الهشلمون أنموذجًا وبرهان الأرض لأهل الأرض على امتداد الزمن لا لشيء سوى أن ماهر جعل من نفسه جنديًا قادرًا على حمل العبء الجهادي مهما غلا الثمن، على طريق أوله الاستجابة لدعوة الحياة، وآخره الشهادة في سبيل الله.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد ماهر في الأردن بتاريخ 10/ 03/ 1984م، لعائلة فلسطينية بامتياز، تواجدت في الأردن الشقيق كما هو حال مئات الآلاف من أبناء شعبنا الفلسطيني، من الذين إما تواجدوا في الأردن بسبب النكبة أو النكسة، أو

لحاجتهم الماسة إلى فرص للعمل، والتي في الغالب تجعل طالبها يقيم بشكل دائم في الأردن رغمًا عنه ليعيش كبقية أبناء الشعب الفلسطيني مرارة الغربة ووحشتها، ومع ذلك تبقى عيون هؤلاء صوب فلسطين مهما طال بهم الزمن أو قصر، وقلوبهم تبقى دافئة بحب فلسطين وترابها وهوائها.

عاشت عائلة المجاهد ماهر في منطقة تسمى القصور بالعاصمة الأردنية عمان، ثم انتقلوا بعدها للعيش في منطقة طبربور ليكتب الله أن يمضي المجاهد ماهر معظم سنوات طفولته هناك بين عائلته وأصحابه، وليشعر كل من رآه أو تعامل معه بتميزه الشديد سواء بين إخوته أو عن باقي أفراد العائلة أو عن أصدقائه، ولذلك كانت طفولته هادئة مرت كالنسيم، ومتواضعة كالعالم الملائكي الجميل، لا يطلب إلا لحاجة ولا يثور إلا في النادر القليل، فكان مؤدبًا خلوقًا منذ صغره غير مؤذٍ في اللعب، فهذه هي الصورة الأولى التي شكلتها وأبدعتها ملامح الطفولة لهذا الفتى الناشئ، فهي لوحة فنية متميزة لفتت الأنظار وأمالت لها القلوب، نبتة تشبه الكثير من النباتات باسمها وشكلها العام، بيد أنها تأسرك بمذاقها الخاص ورحيقها العذب.

رسم البطل ماهر بخطواته الأولى خطوطًا مستقيمة، وأخذ على نفسه عهدًا ألا يتجاوزها، فمن البيت إلى المسجد إلى المدرسة، فتلك هي البوصلة التي يهتدي بها إلى طريقه المستقيم، ولا سيما أنه عاش في ظل أسرة متدينة تمتاز بالحشمة والمحافظة، وتحرص كل الحرص على تعليم أبنائها تعاليم الإسلام الرسالي العظيم، فظهر ذلك على سلوك هذا المجاهد عبر تأثره بسماع الخطب الدعوية والأناشيد الإسلامية، بالإضافة إلى الأناشيد الثورية وخاصة تلك التي تتحدث عن فلسطين وأرضها ومقدساتها وقدسها وهوائها، مما جعله يدرك أن الهواء الذي يستنشقه في الأردن ليس كهواء فلسطين، وأن الماء ليس بطعم الماء في فلسطين، ولهذا بدأ يحلم بالعودة الدائمة إلى فلسطين، وإلى تلك المدينة الرائعة، مدينة إبراهيم نبي الله _عليه السلام_، ليعيش على أرضها ويأكل من خيرها، فلم يكن يصل إلى درجة الإشباع من فلسطين أثناء زيارة العائلة في خليل الرحمن عند الانتهاء من الدراسة والعطل الصيفية بالإضافة إلى بعض المناسبات الخاصة.

رغم أن المدة التي كانت تقضيها العائلة في الخليل تستمر أحيانًا لأكثر من شهر، إلا أن المجاهد ماهر كان يشعر بأنها يوم أو بعض يوم لشدة تعلقه بمدينة الخليل، تلك المدينة التي كانت في ذلك الوقت ازدادت حملة الضغوط الصهيونية الرامية إلى تهويدها، ومحاولة طرد أهلها من البلدة القديمة مما جعل حياة الفلسطينيين فيها شبه مستحيلة، ومع ذلك بقي أهالي الخليل صامدين متمسكين ببيوتهم ومحلاتهم التجارية وشوارعهم وأرضهم، رغم الصلف الصهيوني الداعم لقطعان المستوطنين وخاصة في كريات أربع ليكون المجاهد ماهر حينها على موعد جديد مع هذه الأحداث التي لم يكن قد اعتاد عليها ولاسيما أنه يعيش في الأردن، وبعيدًا عن بؤر الاحتكاك مع هذا العدو، وأدرك حينها مدى وحشية وغطرسة هذا المحتل الصهيوني.

بدأت تتسلل إلى المجاهد ماهر أفكار جديدة، أهمها الجنة والحور العين والشهادة والجهاد في سبيل الله، ولم يكن قد سمعها من قبل. وازداد حينها ألمًا ومرارة ولاسيما عندما شاهد إحدى الصور في إحدى الصحف الأردنية في العام 1994م، وسأل والدته عن تلك الصورة، فأخبرته بأن هذه صورة لمجزرة صهيونية ارتكبها مجرم يهودي صهيوني اسمه باروخ غولدشتاين في الحرم الإبراهيمي في الخليل حيث كان المصلون في شهر رمضان المبارك يؤدون صلاة الفجر، فإذا بهم يتفاجؤون بدخول هذا المستوطن المجرم عليهم، وبإطلاق النار لا لشيء سوى أنهم مؤمنون موحدون فلسطينيون، وما كادت والدته تنهي كلامها حتى تمنى المجاهد ماهر لو كان في خليل الرحمن وفي المسجد الإبراهيمي ليحمي المصلين هناك، وليشارك أطفال وفتيان الخليل في ضربهم للحجارة على الجيش الصهيوني، كما يجب أن يفعل دائمًا في أوقات زيارته لعائلته في الخليل.

بدأ الحلم بالشهادة يراود ذلك الفتى وعلى مدار الوقت، وبدأ يدعو الله أن يعيد عائلته إلى فلسطين ليحقق أمنيته بالشهادة على أرضها، وما أن جاء العام 1998م إذا بجدته قد أصابها المرض وأصر والد المجاهد ماهر على التوجه إلى مدينة الخليل للاطمئنان على والدته، وقرر العمل على إعادة عائلته من الأردن والإقامة الدائمة في مدينة الخليل، وكانت تلك اللحظات من أسعد اللحظات التي عاشها المجاهد ماهر، ولاسيما أن شوقه إلى فلسطين قد ازداد وبدأ يتضاعف عامًا بعد عام، خاصة بعد رؤيته ومشاهدته لصور مجزرة الحرم الإبراهيمي ليسجل هذه المجزرة في سجل المذابح والمجازر التي ارتكبها العدو الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني على مر الزمان،

٥١ شهيداً وحوالي مائتي جريح
مجزرة رهيبة في الحرم الابراهيمي في الخليل
استشهاد ١٢ مواطناً في أعقاب المجزرة

ولهذا كان يصر رغم صغر سنه أن هذه الجريمة التي اقترفها العدو يجب الرد عليها حتى يتم إنزال العقاب الذي يستحقه هؤلاء المجرمون النازيون الذين انطلقوا من أكثر الأماكن ظلامًا ودموية ورعبًا في جنبات التاريخ، وأنه يجب أن يبذل الفلسطينيون كل جهد ممكن لمواجهة العصابات الصهيونية المتمثلة في جيش الاحتلال وقطعان المستوطنين.

أدرك المجاهد ماهر أن هذا ما يجب أن يفعله العالم الحر والشريف ضد هذه العصابة الصهيونية حتى لا يأتي يوم يقول فيه أطفال العالم الذين سيأتون ويعرفون تاريخ تلك المذابح: لماذا كان على آبائنا أن يحملوا عار الصمت على القتلة الصهاينة؟ ولماذا تركوا لنا هذا الإرث من العار؟ فما أن تمت عودة عائلة المجاهد ماهر إلى مدينة الخليل حتى سارع إلى مساندة الأبطال من أبناء جيله في التصدي للجيش الصهيوني في منطقة باب الزاوية وسط مدينة الخليل، فكانت الجموع الحاشدة المؤمنة قد خرجت إلى الشوارع في مسيرات حاشدة وهي تردد الشعار الخالد: الله أكبر! الله أكبر! فتخشع له قلوب المؤمنين بينما اهتزت قلوب الصهاينة خوفًا وفزعًا، واقتربت الجموع من جنود الاحتلال الصهيوني

واختلط التكبير مع أصوات الرصاص وهجمات الجنود وسالت الدماء الحمراء لتختلط بتراب الخليل الطاهر، وأسرع حينها المجاهد ماهر للمواجهة، وهو الذي اعتاد على الإسراع في الخيرات والعمل المبارك، وأثناء تلك المواجهات أصيب برصاصة مطاطية، وتم علاجه محليًا ومع ذلك استمر في رجم جنود الاحتلال بالحجارة.

بداية علاقته بحركة الجهاد الإسلامي

كان العام 1998م عام المجاهد ماهر المشلمون، ولاسيما أنه تعرف في ذلك العام على أحد شباب الجهاد الإسلامي في مدينة الخليل، وكان هذا الشاب يدرس حينها في جامعة الخليل، ومن ثم أصبحت العلاقة مع ذلك الشاب وطيدة، وتطورت لتصبح علاقة عائلية فيما بعد، وبدأ هذا المجاهد يصحب المجاهد ماهر إلى كل مكان فيه نشاط لحركة الجهاد الإسلامي خاصة لرؤية ومشاهدة أنشطة الجماعة الإسلامية في جامعة الخليل، وهي الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في الجامعات والمدارس، وبذلك تمكن المجاهد ماهر من التعرف على معظم قادة وكوادر الجهاد الإسلامي في مدينة الخليل ليصبح من أهم أبناء الجماعة الإسلامية في مدرسة ابن رشد، وليفرض أفكاره الجهادية الجديدة داخل المدرسة عبر قيامه بإنشاء مجلة حائط تعبر عن فكر وأطروحات ومواقف حركة الجهاد الإسلامي، فلم يمر يومًا إلا ويكون مشاركًا في أنشطة الجماعة الإسلامية سواء في الجامعات أو المدارس.

بدأت دائرة المعارف لماهر تتسع شيئًا فشيئًا، فتعرف على أحد أبناء جيله، وهو المجاهد مؤيد ابريوش نجل القائد في الجهاد الإسلامي محمد ابريوش، وأصبحت علاقاته تتعمق مع قادة وكوادر وأبناء الجهاد في خليل الرحمن، وامتلأ قلبه إيمانًا من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه، وتسلح بسلاح العقيدة فكان يثق بصدق أفكار وأطروحات الجهاد الإسلامي، ويؤمن بأن الإسلام هو الفكرة الوحيدة التي تستحق التقدير، وأن غيرها من الأفكار الباطلة ليست سوى سراب ستعصف به ريح الإسلام القوية بإذنه تعالى.

ومن هنا فقد تسلح المجاهد ماهر بعزم راسخ كالجبال وصبر قوي، فهو يعلم أن دعوة الله وأن تطبيق أفكار حركة الجهاد الإسلامي ومنطلقاتها ومبادئها لن تشق طريقها عبر بساتين شقائق النعمان والرياحين، بل عبر عرق وجراح وابتلاءات المجاهدين، ولهذا توجه إلى أحد أبناء الجماعة الإسلامية في مدينة الخليل يريد منهم المساعدة للوصول إلى طريق يؤدي للشهادة في سبيل الله، فبدأ هذا الشاب يحاول مرارًا وتكرارًا أن يثني المجاهد ماهر عن عزمه على ذلك تارة عبر ترغيبه في إرساله لإكمال تعليمه خارج فلسطين، وتارة عبر تذكيره في أنه لا يزال شابًا صغيرًا في مقتبل العمر، وتارة أخرى عبر إعطائه مواعيد كثيرةً بلا توقف، ولهذا كان لابد من قيامه بأخذ زمام الأمور بنفسه فاتفق مع صديقه المجاهد مؤيد ابريوش على قيامه بتنفيذ عملية عسكرية عبر ضربهم للزجاجات الحارقة على دوريات الجيش الصهيوني وبالفعل تمكنا من شراء البنزين، وتحضير الزجاجات الحارقة واختارا موقع فرش الهوى في مدينة الخليل كون هذا الموقع عرضة لسير الدوريات

الصهيونية فيه، واستعدا للعملية في يوم من أيام الصيف القائظ وعند الأصيل حيث تداعب نسمات الهواء القليلة وريقات الشجر وتعبق بروائح الورود وشذا الياسمين في منطقة فرش الهوى، وهناك خرج المجاهدان ماهر الهشلمون ومؤيد ابريوش وفي أعينهما الحزم والعزم والإصرار على تنفيذ العملية تاركين الدنيا وراءهم بكل ملذاتها، فإذا ما تجرأ أحد بالسؤال ليقول لهم: ما الذي أخرجكما من بيتيكما في هذه الساعة؟ حيث إن أبناء جيلكم يجلسون في بيوتهم وعند أهلهم وأمام شاشات التلفاز ويشاهدون ويتمتعون، سيجيبون بلسان المؤمن المجاهد الواثق بأنهما قد خرجا بشعارهما الخالد الرباني: "وعجلت إليك ربي لترضى"، منشدين:

إنها الجنة تبغي ثمنًا   عز إلا من شرايين الشهيد

اعتقاله الأول

بدأ المجاهدان يرميان الدوريات الصهيونية بالزجاجات الحارقة، زجاجة تلو الأخرى، وإذا بهم يتعرضان لإطلاق كثيف من الرصاص، وتم محاصرتهما واعتقالهما بتاريخ 31/ 08/ 2000م، وتم اقتياد المجاهد ماهر إلى التحقيق معه في سجن عسقلان المركزي، ومكث في الزنازين الانفرادية وسط التعذيب الجسدي والنفسي 57 يومًا، ثم انتقل إلى داخل سجون الاحتلال، وبالتحديد إلى سجن مجدو، وكان حينها أصغر المجاهدين سنًا فيه ولاسيما أنه ابن ستة عشر عامًا فقط، فبدأ بالتعرف على المجاهدين من أبناء حركة الجهاد الإسلامي في قسم 4 في سجن مجدو، ومنهم أرسلان أبو خضير ومهند أبو رومي ومحمد حجة وأيمن الزعاقيق ومراد العصا وعزيز ردايدة. وعندما دخل إلى السجن اعتقد أنه قد دخل إلى العيش في ظل دولة إسلامية مصغرة، وما أن دخله حتى رأى المشهد الحقيقي للسجن ولواقع الأسرى والمعتقلين، وأنه لا يعيش ذلك الواقع المثالي الذي كان قد رسمه في مخيلته، وأدرك أن خياره بالانتماء لحركة الجهاد الإسلامي كان صحيحًا وموفقًا، فبدأ وبمساعدة من إخوانه من الجهاد الإسلامي بتعلم اللغة العبرية، وحفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ وكل ذلك في فترة بسيطة، فبدأ يتنقل ما بين الأقسام في سجن مجدو، وتعرف على خيرة قادة وكوادر الجهاد الإسلامي ومنهم المجاهدين مصطفى عوض والمرحوم يوسف العارف (أبو مالك) وأنور العصا والشهيدان محمد أبو خزنة وأخوه علي والشهيد نهاد أبو غانم الذي كان دائمًا ينشد للمجاهد ماهر: "يا أخي كفانا نعيش بالأوهام" والعديد من المجاهدين.

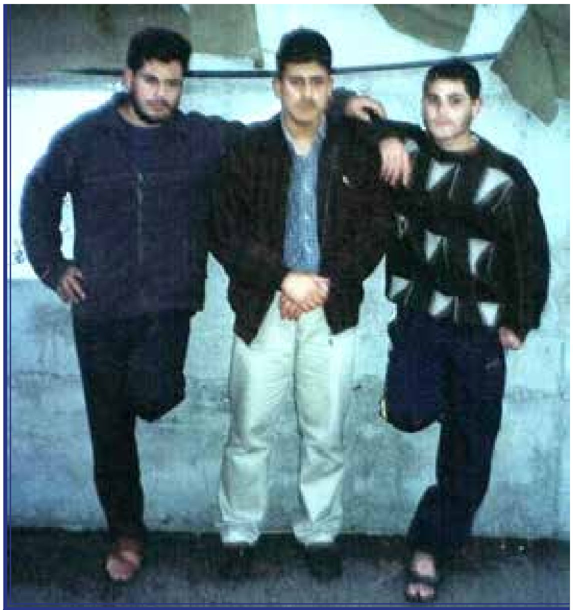

الأسير المجاهد/ ماهر الهشلمون (يمين)
برفقة مجموعة من الأسرى في سجون الاحتلال

انتقل المجاهد ماهر من سجن مجدو إلى سجن "عوفر"، ومن ثم إلى سجن النقب، ومن ثم إلى سجن نفحة ليكون في العام 2004م على موعد مع الإضراب المفتوح عن الطعام الذي بدأ بتاريخ 18/ 08/ 2004م، وشارك به جميع أبناء الحركة الأسيرة في كل سجون الاحتلال الصهيوني رفضًا لسياسة مصلحة السجون الصهيونية التعسفية بحق الحركة الأسيرة، فكانت جموع الأسرى قد علقت أحلامها وآمالها على نتائج هذا الإضراب الذي في حال نجاحه فإن الحركة الأسيرة سوف تنتقل في معيشتها اليومية في السجون نقلة نوعية، تعينها على قضاء أيامهم ولياليهم في سجون الظلم الصهيوني. وكان المجاهد ماهر مقتنعًا جدًا بفكرة الإضراب ويؤمن بأن قيادة الإضراب لن تهزم في هذه المعركة، واستمر الإضراب لمدة 19 يومًا، وبعض السجون تراجعت وعلقت إضرابها في اليوم العاشر، وبعضها بعد ذلك بقليل تحت وعود من مصلحة السجون كلها كانت واهمة وكاذبة.

بقي الأسرى في بضعة سجون مستمرين بإضرابهم المفتوح عن الطعام، والسجون التي استمرت هي أوهليكدار ونفحة وإيشل حتى اليوم التاسع عشر، فتفاجأ أبناء الحركة الأسيرة أن هذا الإضراب فشل فشلًا ذريعًا، فخاب أمل المجاهد ماهر من هذه النتيجة، فكيف يفشل قادة الإضراب وكيف تضيع عشرات آلاف من الكيلو جرامات من أجساد المجاهدين في سجون الاحتلال؟ وكيف يمكن للمجاهد ماهر أن تضيع أحلامه وآماله المعلقة على نجاح هذا الإضراب. وبدأ يطرح الأسئلة الكثيرة: أين الخلل؟ فتارة يعزو الأمر إلى قوة مصلحة السجون في إفشالها للإضراب، ومرة أخرى تراه يعزو الأمر إلى أن قيادة الإضراب السبب، وأخرى يعزو الأمر لعدم قرب المجاهدين من الله تعالى، وأُصيب حينها بحالة نفسية صعبة جدًا أثرت عليه في أيامه الأخيرة في سجون الاحتلال وامتدت إلى خارج السجون.

حرية الأسير ماهر عام 2005م

أنهى المجاهد ماهر حكمه البالغ أربع سنوات ونصفًا ليكون على موعد مع الحرية والانعتاق من سجون الاحتلال يوم 13/ 02/ 2005م واستقبله أبناء عائلته وجماهير غفيرة من مدينة الخليل وقادة وكوادر وأعضاء حركة الجهاد الإسلامي وسط هتافات وشعارات وطنية ووسط رايات وأعلام فلسطين ترفرف من فوق رأسه، ليؤكد بحصوله على حريته أن حرية الإنسان وحرية الأسرى أسمى شيء في الحياة، ولكن حرية المسرى هدف كل حر وكل شريف على مر الزمان، وهي قريبة بإذنه تعالى.

كان ماهر متشوقًا جدًا إلى الحرية ولاسيما أن انتفاضة الأقصى المباركة اندلعت وهو في سجون الاحتلال، فكان دومًا يتمنى لو أنه كان في الخارج ليقف إلى جانب أهله وشعبه في مواجهة الاحتلال الصهيوني، ولما خرج في العام 2005م إذا بالأحوال والأوضاع قد تغيرت وتحولت، وأصبح اهتمام العديد من الناس هو الوضع الاقتصادي فقط، وليس مقاومة ومواجهة الاحتلال الصهيوني، ولاسيما أن السلطة الفلسطينية في ذلك الوقت

أحكمت قبضتها على الضفة الغربية، وكانت تلاحق المجاهدين من أبناء حماس والجهاد الإسلامي، فلم يكن يستطيع المجاهد ماهر حينها أن يفهم كيف أن الضفة الغربية أرض محتلة، وهناك من يريد تحريرها عبر المقاومة، وفي نفس الوقت هناك من يقوم باعتقال المجاهدين من قبل السلطة الفلسطينية، فأخذ قرارًا بالاهتمام بنفسه وبعائلته.

بدأ ماهر مشواره الجديد عبر الانتساب إلى جامعة الخليل في تخصص الشريعة الإسلامية، وبنفس الوقت بدأ بالبحث عن عمل يعود عليه بالمال لبناء مستقبله والقدرة على الزواج، فعمل بالعديد من الشركات والمصانع، وتمكن من دراسة المحاسبة ليجد وظيفة في شركة للدواجن والأعلاف لعائلة النتشة في بيت لحم، وترقى فيها إلى أن أصبح مديرًا ماليًا وإداريًا،

الأسير المجاهد/ ماهر الهشلمون
برفقة أطفاله قبل اعتقاله

وبدأ ينسق بين العمل والدراسة، ونتيجة لتحسن أوضاعه المالية تمكن من الزواج في العام 2007م، فأكرمه الله بزوجة صالحة ملأت دنياه خيرًا وأملًا في المستقبل، وأغدقت عليه الدنيا من نعيمها نتيجة تعبه وسعيه وراء رزقه، وقرر أخذ زوجته وأبنائه للسفر معه إلى العمرة، وإلى سوريا والأردن ودبي وشرم الشيخ، وإلى أي مكان يمكن أن يفرح به زوجته وأبناءه.

حاولت الدنيا اجتذابه إلا أنه بقي صامدًا في وجهها مستعدًا للعبور منها إلى الجنة، وبدأ شوقه إلى الجنة يسري في جنبات روحه ولاسيما بعد العدوان الصهيوني على قطاع غزة عام 2014م، وما تلاها من هبة جهادية عظيمة للدفاع عن مسرى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وقوفًا في وجه المحتل الصهيوني الذي أراد تدنيس المسجد الأقصى المبارك والعبث بمقدسات الأمة الإسلامية، تلك المقدسات التي تعتبر خطًا أحمر لكل إنسان غيور على دينه ووطنه، فانتصر للأقصى الشهيد البطل معتز حجازي ابن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ومن بعده المجاهد إبراهيم عكاري ليلحق بهما العديد من الأبطال الشجعان، فدعا المجاهد ماهر الله _عز وجل_ أن يمكنه من القيام بعملية استشهادية يقتل فيها عددًا من الصهاينة ثأرًا ودفاعًا عن المسجد الأقصى المبارك، وأصبح في كل يوم يحلم بالشهادة، ويزداد شوقًا وحنينًا إلى جنة الرحمن وإلى الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

الاستعداد للعملية

بعد اشتداد اعتداءات الصهاينة وقطعان المستوطنين على المسجد الأقصى المبارك دون أن يحرك أحد من العرب ساكنًا؛ علم حينها المجاهد ماهر بأن القدس هي كاشفة العورات، لذلك أراد حينها أن ينفذ عملية استشهادية يعيد فيها قضية القدس إلى مكان اهتمام العرب والمسلمين؛ بأن يتذكروا القدس الجرح الدامي والنازف بلا توقف، وأن يجعلوها في صلب اهتمامهم، وأن يرسموا بوصلة من الوعي والفكر والممارسة الجادة الملتزمة باتجاهها، وعليهم أن يهبوا للدفاع عنها وهي تئن ليل نهار، وهي تحت الحصار الصهيوني تصرخ بأعلى صوتها: أن هبوا يا مسلمون وأنقذوني من اعتداءات المستوطنين! فسمع نداءها المجاهد ماهر، وقرر أن يهيء نفسه لتنفيذ العملية، فقام بكتابة وصيته للأمة وللشعب ولأحرار وشرفاء العالم، واشترى سيارة جبلية من نوع (مازدا أم 75) بالإضافة إلى سكين حاد، وكان مطمئنًا جدًا إلى أن الله سيوفقه في هذه العملية، وفوض أمره إلى الله -عز وجل- وبدأ بمراقبة تحركات الجنود الصهاينة وقطعان المستوطنين في مفرق عتصيون لاسيما أنه كان يعمل في بيت لحم،

وفي كل يوم في ذهابه وإيابه من بيت لحم يمر من تلك المنطقة التي وضعها هدفًا لعمليته القادمة، وقرر أن يكون يوم العملية اليوم الذي يوجد به عرس لإحدى قريبات زوجته، وارتدى أجمل وأبهى الثياب واصطحب زوجته وابنه عبادة وابنته مريم إلى الغداء، ومن ثم قرر اصطحابهم إلى أحد المجمعات التجارية في مدينة الخليل لشراء بعض الحاجات الضرورية، كانت زوجته وأبناؤه في سعادة لا تُوصف في ذلك الوقت، وهنا أدرك أنه قد طال الانتظار وأن الجنة تناديه، فقرر الخروج من المجمع التجاري، ومن دون أن تنتبه إليه زوجته، وقام بتوديع عبادة ومريم وعانقهما العناق الأخير، وأوصاهما أن يهتما بوالدتهما، وقال لهما إنه سيذهب إلى بيت لحم، ثم يعود وترك سيارته في الخارج، وكان كتبها باسم زوجته، وتركهم في حفظ ورعاية الله.

ثم استقل سيارته التي اشتراها من أجل العملية وتوجه بها إلى الشوارع الالتفافية، وبدأ يبحث عن جنود ومستوطنين، ومضت نحو نصف ساعة دون أن يعثر على أي أحد، فقرر الذهاب إلى مستوطنة "آلون شيفوت" عند عتصيون وهو يدعو الله أن يوفقه في هذه العملية، وأن يجد في تلك المستوطنة جنودًا أو مستوطنين لكي يقوم بدهسهم والإجهاز عليهم بالسكين، وبدأ يفكر هل ستنجح العملية ويلقى الله شهيدًا ولاسيما أن حبه للشهادة قد طغى على كل شيء في الدنيا، فصغرت بعينيه، فلا أسف عليها ولا حسرات؛ لأن الشهادة درجة عالية وقمة سامقة، فعشق الجنة وعشق الشهادة، وكيف لا يكون المجاهد ماهر عاشقًا للشهادة وهي

سلاح بيد المجاهد يقلق به العدو؟!

الشهادة إشعاع ونفوذ منقطع النظير تتغلغل في الأعماق، وتشعل النور والدفء والحرارة في العالم أجمع وفي القلوب الذابلة والحزينة، وتبعث الحياة والنشاط والأمل والحركة في الإرادة العاجزة والمشلولة والمواقف المهزوزة والأفكار الجامدة والظلمات المتراكمة، فالشهادة تمنح الإنسان البصيرة بدل البصر والرجاء، وتحيي الأمل والطموح وتبدل عبارة (لا يمكن أن نعمل أي شيء) إلى العبارة الأروع وهي (لابد أن نعمل شيئًا)؛ لأنها تقلب العجز واليأس والخنوع إلى أمل مشرق جميل، فأدرك المجاهد ماهر في لحظاته الأخيرة أن الشهيد لا يختار الموت ليهرب من الواقع ويفر من المشاكل والصعوبات، ولا يختار الموت لينكمش ويفر من الزحف، وإنما يختاره ليبدأ هجومه الكاسح، فالشهيد يضخ دماء الحياة والثورة والحركة في عقول وقلوب البشر وخاصة المجاهدين منهم، فدم الشهيد قبس ونور وشموع تضيء الطريق للعيون التي ابتليت بالعمى في ظلمات الاستبداد والاستعمار، فلم تعد ترى خط الحق وطريق الهدى ولا تقوى على تمييز الحق ومعرفة وجوه الحقيقة، وكل ما تراه فساد فوق فساد.

لذلك فإنه حدد معالم طريقه جيدًا، فبدأ بالسير إلى طريق مستوطنة "آلون شيفوت"، وقبل وصوله إليها بخمسين مترًا، كان هناك موقف للمشاة، وإحدى المستوطنات الصهيونية تقف في ذلك الموقف، فأشارت بيدها إلى المجاهد ماهر ليقلها معه في طريقه، ولاسيما أنه قد وضع لوحات صفراء لسيارته للإيحاء بأن السيارة سيارة لأحد المستوطنين الصهاينة، وكان أظهر نفسه على أنه ليس عربيًا وقام حينها بضرب الغماز على جهة اليمين حتى يوهم تلك المستوطنة بأنه يريد التوقف ويجعلها تركب معه السيارة، ولكن وفي اللحظة الأخيرة داس بكل قوته على دعسة البنزين فازدادت سرعته بشكل كبير جدًا، واتجه نحوها بأقصى اليمين، ثم دهسها بشكل مباشر، وبعد ذلك أوقف السيارة ونزل منها مسرعًا نحو المستوطنة الصهيونية، ووقف في ساحة الجهاد وهو مبتسم للموت ويتطلع إلى الشهادة ويعيش لحظات هي للآخرة أقرب منها إلى الدنيا، وقف المجاهد عند المستوطنة ووجدها لا تزال على قيد الحياة، وكانت تصرخ بأعلى صوتها "أنقذوني أنقذوني..." إلا أن طعنات المجاهد ماهر كانت هي الأقرب لها، بدأ بطعنها في كل أنحاء جسمها، وآخر طعنة كانت في رأسها لتلفظ أنفاسها الأخيرة وتفارق الحياة.

ونظر إلى الجانب الآخر من الطريق ورأى سيارتين لمستوطنين ينظرون إليه، وغير مصدقين ما يشاهدونه، فذهب مسرعًا إليهم متسلحًا بسلاحه وهو السكين، مصحوبًا بسلاحه الفتاك وهو الموت، ونزل به كالصاعقة على رؤوس الأعداء وهوى به كالسيف ليهشم به هامة المستوطنين الصهاينة، وما أن رآه المستوطنون، ومن شدة رعبهم وخوفهم وجبنهم فتحوا أبواب السيارة وهربوا منها، فقام باللحاق بهم وأمسك بأحد المستوطنين وطعنه في وجهه قائلًا له: هذه من أجل فلسطين، فقام المستوطن الآخر برش غاز الفلفل على وجه المجاهد ماهر، مما جعله يبتعد من الجانب الآخر،

وجـاءت سيارة ضابـط الأمـن لمسـتوطنة "آلـون شـيفوت"، ومعـه مسـدس فسـأل حينهـا المجاهـد ماهـر بالإشـارة: مـاذا يحـدث هنـا؟ وكان يعتقـد أنـه يهـودي؛ لأنـه كان مرتديًـا ملابـس جديـدة فاخـرة، ولم يكـن قـد ظهـر عليه علامـات الإجهاد والتعب، فتوجـه حينهـا الأسـد الهصـور المجاهـد ماهـر إلى بـاب سـيارة ذلـك الضابـط وكان يخفـي وراءه السـكين، وأراد أن يطعنـه وأخـذ المسـدس منـه، ولمـا اقتحـم السـيارة ليطعنـه بالسـكين أطلـق الرصـاص عليـه، فأصابـه برصاصـة في صـدره دفعتـه خـارج السـيارة، فنـزل الضابـط الصهيـوني مـن السـيارة، وتوجـه إلى المجاهـد ماهـر الملقـى على الأرض ليطلـق رصاصـه الحاقـد، فـإذا بالمسـدس قـد تعطـل عـن العمـل،

من المكان المستهدف بعملية الأسير المجاهد/ ماهر الهشلمون
(أرشيف 2014م)

وأفقده خاصيـة الإطـلاق، فـما كان حينهـا مـن المجاهـد ماهـر إلا الانقضـاض عـلى ذلـك الضابـط الصهيـوني ليقـوم بطعنـه الطعنـة الأولى في بطنـه وهـو يقـول: لـه هـذه مـن أجـل غـزة هاشـم، أتعلـم مـن هـي غـزة هاشـم؟ أيهـا المجـرم إنهـا العصيـة عـلى الانكسـار المحاصـرة منـذ سـنين طويلـة مـا تراجعـوا ولا انهزمـوا.

يا أهل غزة صبرًا إن موعدكم
جنان خلد لكم تهفو وتعتنق

فلن تهون ولن ترضى بذلتهم
مادام يشهق في أرواحنا رمق

ثـم عـاود المجاهـد البطـل ماهـر مـرة أخـرى وطعـن ذلـك الضابـط الطعنـة الثانيـة، وهو يـصرخ بأعلى صوتـه هـذه الطعنـة لأجلـك يـا أقصانـا، ومـن أجلـك ترخـص أرواحنـا، فأنـا أعلـم أنـك يـا أقصانـا تنادينـا، وتقـول لنـا: "أنـا الأقصى الأسـير فحـرروني.. ومـن ظلـم اليهـود فخلصـوني.. لقـد طالـت عذابـات السـنين وطـال ترقـب الفجـر المبيـن". فـرد المجاهـد ماهـر: ألا لبيـك يـا أقصى فإنـا نفضنـا الـذل والإذعـان عنـا، إليـك بـكل عـزم قـد سـعينا وجئنـا والمشـاعل في يدينـا.

ثـم عـاود المجاهـد ماهـر مـرة أخـرى بطعـن ذلـك الضابـط وهـو يقـول لـه: أيـن رئيـس وزرائـك نتنياهـو ينقـذك؟ أيـن جنـرالات جيشـك ليدافعـوا عنـك؟ فهـذه الأرض والقـدس لنـا والله بقوتـه معنـا، فمهـما جيوشـكم قـد احتشـدت فلـن تهزمنـا لـن تهزمنـا، وبـدأ يطعنـه طعنـات عديـدة ممـا أدى لإصابتـه إصابـة خطـيرة، ثـم جـاء ضابـط المسـتوطنة الآخـر، وشـاهد منظـر المجاهـد ماهـر يطعـن ذلـك المجـرم، فقـام

بإطلاق رصاصاته الحاقدة على جسد المجاهد ماهر، وعندها فرح فرحًا شديدًا بأنه قد أقدم على الشهادة ليبدي عشقه للحقيقة بأن القدس عربية إسلامية، فأحاط به العدو من كل جانب يصرخون في وجهه ويحاولون الإجهاز عليه، بينما مجاهدنا البطل ماهر يعيد للأشياء في فلسطين قيمتها ومكانتها ودورها، فالزمن هو زمن الرفض والمقاومة والجهاد في فلسطين، والانتصار للمسجد الأقصى الأسير، وبدأ حينها الضابط الصهيوني يمسك برأس المجاهد ماهر ويسأله من أنت؟ من أنت؟ من أنت؟ أجب! ومجاهدنا الكبير يجيبه بكلماته الخالدة "القدس لنا.. القدس لنا.. القدس لنا".

مرحلة المستشفى

شاء الله عز وجل أن يكتب لمجاهدنا البطل الشهيد الحي ماهر الهشلمون أن يبقى على قيد الحياة، رغم إصراره الشديد وإقدامه الذي لا يعرف التراجع على أن يكون شهيدًا، ورغم أن الضابط الصهيوني قد أطلق عليه رصاصاته القاتلة في كل أنحاء جسده وخاصة في صدره وترك فترة من الزمن وهو ينزف إلى أنه لم يستشهد، فقد قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: 140]. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]، وهذا يؤكد أن الإنسان مهما بذل من جهد إيماني عظيم وطاقة جهادية كبيرة في مواجهة العدو الصهيوني في ميادين القتال فإنه لن يحصل عليها أبدًا طالما أن مشيئة الله لم تشأ ذلك وإن صدق طالبها وكل ذلك لحكمة إلهية لا يعلمها الإنسان، ولكن لابد أن يعلم علم اليقين أن الله قد أخر عنه الشهادة لخير عظيم، سيحصل عليه إن لم يكن في الدنيا، فسيكون في الآخرة وهي دار الجزاء.

لذلك فإن المجاهد ماهر كان قد أصيب بعدة إصابات حرجة على إثرها دخل في غيبوبة لمدة ثمانية أيام وكان يعالج حينها في مستشفى هداسا عين كارم في القدس المحتلة،

الأسير المجاهد/ ماهر الهشلمون
في مرحلة تلقي العلاج بالمشفى الصهيوني

وفي هذه الأثناء كان قد تسرب خبر إلى وسائل الإعلام، ووصل إلى عائلة المجاهد ماهر بأنه قد استشهد فإذا به يستيقظ من الغيبوبة بعد ثمانية أيام

وكان يقف فوق رأسه طبيب صهيوني، وبدأ يتحدث معه والمجاهد ماهر غير مدرك لما يدور من حوله ولا يعلم سوى أنه ذهب لتنفيذ عملية استشهادية، وأنه تلقى عدة رصاصات وأنه قد استشهد.

ماهر لم يكن ليصدق أنه ما يزال على قيد الحياة، فبدلًا من أن يكون في الجنة، فإذا به ممدد على سرير وبين يدي الأطباء والممرضات والأجهزة الطبية تحيط به من كل جانب، والبرابيش تخرج من جسده فحزن حينها حزنًا شديدًا على عدم استشهاده، وحمد الله -عز وجل- على كل حال، وأيقن أن الله أراد له خيرًا عظيمًا لا يمكن أن يدركه بسهولة، وكان ينام ثم يستيقظ، وكان وضعه الصحي صعبًا جدًا ولاسيما أنه قد أصيب في صدره وبالقرب من منطقة القلب وكذلك أصيب بيده اليسرى، وتم وضع البلاتين في يده بالإضافة إلى جسم حديدي في يده، وذلك لوجود عدة كسور في العظم، وكان يخرج من جسده الطاهر أربعة برابيش من أجل إدخال الطعام والماء وإخراج الفضلات من الجسم، وهذا لكونه لا يقوى على الحركة، وكانت هناك توقعات من قبل الأطباء بأنه سيبقى مشلولًا لفترة من الزمن، لاسيما أنه يوجد رصاصة مستقرة بالقرب من إحدى فقرات العمود الفقري وفي حال إجراء عملية وإزالتها؛ فإنه سيؤدي إلى الشلل.

ولما بدأ جسد ماهر يستجيب إلى العلاج المكثف الذي خضع له إذا بمحققي الشرطة الصهيونية يقتحمون عليه الغرفة يريدون أخذ إفادته والاستفسار منه عن أسباب إقدامه على تنفيذ هذه العملية، وهنا أدرك أنهم عاجلًا أم آجلًا سيحصلون منه على اعتراف، ولذلك قرر أن يحصل على عدة طلبات من قبل المحققين قبل أن يبدأ معهم الحديث، وبدأ ضباط الشرطة الصهيونية بطرح الأسئلة العديدة على المجاهد ماهر لنزع الاعتراف منه، وحينها لم ينطق بحرف واحد فسألوه: وما هي طلباتك؟ فطرح عليهم طلباته، فقالوا له ألا يكفي أننا قد أبقيناك على قيد الحياة وعالجناك في مشفى هداسا؟ ومع ذلك بقي المجاهد ماهر مصممًا على أن يحصل على طلباته قبل الحديث، فما كان من المحققين إلا الخروج من الغرفة، وقالوا لماهر سنأتي يوم غد، لنأخذ منك الإفادة، ولما هموا بالخروج إذا بالمجاهد ماهر يقول لهم: اسمعوا أيها الضباط، غدًا عندما تأتون إلى هنا ستجدونني مستشهدًا، وأنا أعدكم بذلك وحينها جن جنون الضباط الصهاينة، وشعروا بخطورة الموقف، وبدأوا بالاتصال بضباط الشاباك، فأمرهم الشاباك بالاستجابة إلى كل مطالب المجاهد ماهر، وكل ذلك للوقوف على الأسباب الحقيقية التي دفعته لتنفيذ العملية، وقال الضابط لماهر: ما هي طلباتك؟ فقال لهم: أريد الاتصال بوالدتي وزوجتي، فقالوا له: إن هذا الأمر مستحيل، وبعد حوار ونقاش طويل وإدراك الصهاينة أنه لا مجال أمامهم سوى الخضوع لشروط المجاهد ماهر، وافقوا على الاتصال، وبالفعل اتصل المجاهد ماهر بالوالدة، وما أن سمعت والدته صوته وهو يقول لها: "يما يما أنا ماهر... يما" حتى أجهشت بالبكاء، فكان هذا البكاء بكاء الفرح الشديد، ولاسيما أنها كانت تعتقد أنه استشهد، وتحدث مع زوجته، وحدثوه عمن تم اعتقاله من العائلة وأصدقائه وخاصة أخاه الدكتور محمد.

انتهت المكالمة، وعندها طلب الضباط من المجاهد ماهر الحديث معهم، فرفض ذلك بذريعة أنهم أنهوا الاتصال مع والدته دون أن ينهي كلامه، فعاود الاتصال مرة أخرى بوالدته ليتأكد من بعض الأمور، وعندها أصر أن يقوم الشاباك بإطلاق سراح أخيه محمد قبل أن يتحدث معهم وتم الاستجابة لهذا المطلب بإطلاق سراح أخيه الدكتور محمد، وأمضى المجاهد ماهر ما يقارب الشهر والنصف في ذلك المستشفى، وما أن تحسنت صحته حتى تم نقله إلى مستشفى الرملة.

مرحلة مستشفى الرملة

هناك استطاع المجاهد ماهر التعرف على المجاهدين الأبطال معتصم رداد من قرية صيدا في طولكرم، والمصاب بمرض السرطان في الأمعاء، والمجاهد معتز عبيدو من خليل الرحمن والمصاب بالشلل النصفي، وكذلك المجاهد جعفر عوض من مدينة الخليل الذي استشهد لاحقًا في مستشفى الرملة وأمضى معه شهرين، تلقى فيها بعض العلاجات الضرورية، فما أن بدأ يعتمد على نفسه والوقوف على قدميه حتى قامت مصلحة السجون بنقله إلى سجن "عوفر" في رحلة الألم الممتدة من عيادة سجن الرملة حتى محكمة سجن "عوفر"، فكان كل تاريخ تمديد جديد لمحكمة ماهر بمثابة موعد آخر مع العذاب أو بالأحرى ما تسمى هذه زورًا وبهتانًا محكمة، غرفة متنقلة تسمى كرفان قد يحولها الاحتلال في أي لحظة لغرفة اعتقال، وعلى الحائط تظهر صورة كبيرة لميزان العدل، مجرد صورة تكذبها البزة العسكرية التي يرتديها مستوطن، يجلس

الأسير المجاهد المريض/ معتصم رداد
محكوم 20 عاماً، واعتقل بتاريخ 12/ 01/ 2006م

على كرسي القضاء في مثل قضية فارسنا ماهر يبدو مشهد المحكمة أكثر بشاعة حيث يعرض على ثلاثة قضاة من كبار ضباط جيش الاحتلال؛ الملطخة أيديهم بدماء أطفالنا ونسائنا وشيوخنا، وما كان لهؤلاء الإرهابيين أن يُجهزوا على إرادة ماهر أو إيمانه العميق بعدالة قضيته، فالحاكم هو الله، ولأن جمع العدو لن يغير قدرًا كتبه الله ـ عز وجل ـ فقرر ماهر الأخذ بالأسباب وطلب من المحكمة نقله إلى سجن "عوفر" المجاور للمحكمة وبرر طلبه بخطورة وضعه الصحي وتدهوره أثناء نقله ذهابًا وإيابًا من وإلى المحكمة.

على بوابة قسم 15 في سجن "عوفر" يقف شاب منهك القوى يبدو للوهلة الأولى أنه قادم جديد عيناه تستكشف لأول مرة المكان رغم ذلك تظهر عليه ملامح ثقة عالية بالنفس، ومن بعيد

يعلو صوت أحد أسرى الجهاد الإسلامي، إنه يشبه ماهر الهشلمون، تعلو البسمة شفاه الأسرى في ساحة القسم بينما وقف آخرون بلهفة خلف أبواب الغرف المؤصدة. وأسير آخر صاحب تجربة أكبر في السجن، يُطفأ أمل اللقاء فيقول: مستحيل؛ لأن إدارة سجون الاحتلال لا تدخل ذوي الأحكام العالية، لسجن "عوفر" بحكم وجوده وسط رام الله داخل الضفة الغربية، فمعظم الأسرى سلم بهذه الحقيقة وبادر عدد منهم بانتظار دخوله واستقباله، واقتربوا منه أكثر وسرعان ما ارتفعت أصوات الترحيب: ماهر! ماهر! ماهر! أهلا وسهلا أيها البطل! فسارع الأسرى من كافة الفصائل لمعانقته والترحيب به خاصة أولئك الذين أمضوا معه زهرات شبابهم أثناء اعتقاله الأول.

قسم 15 هو قسم الوحدة الوطنية، وهو القسم الوحيد الذي يختلط فيه مجاهدو ومناضلو الفصائل الفلسطينية داخل معتقل "عوفر"، ولم يتوانَ هؤلاء بالمسارعة في زيارة غرفة الجهاد الإسلامي التي يتواجد فيها بطلنا المجاهد ماهر في الأيام القليلة التي قضاها داخل هذا السجن، وكان أحد أهم الإخوة المشاركين في نشر الوعي والثقافة والتربية الجهادية من خلال المحاضرات والنشرات والمواعظ. وكان ماهر بكل حق شعلة ومنارة ونموذجًا حيًا في الجيل الباحث عن الجهاد والاستشهاد.

الحكم عليه

في صباح أحد الأيام، وكان يوم خميس ودّع الأسرى أخاهم ماهر الهشلمون (أبا عبادة) كما ودّعوه في أيام خروجه للمحكمة ظانين أنه لن يعود، فتزينت شاشات الفضائيات بابتسامته في مواجهة قرار الحاكم الظالم بحقه بمؤبدين، وترقب الأسرى بشوق عودة المجاهد ماهر، ولم يكونوا وحدهم من ينتظر، فعلى مدير السجن أن يوفق بين قانونين من ناحية، فلا يمكن لسجن "عوفر" أن يتقبل أسيرًا محكومًا بالمؤبد، ومن ناحية أخرى لا توجد نقليات من "عوفر" إلى سجون أخرى يوم الخميس، وفي مثل هذه الحالة يبقى الأسير في الزنازين حتى ينتقل يوم الأحد، لكن الوضع الصحي للمجاهد ماهر يمنع ذلك، فاتخذ المدير قراره بإعادته للقسم مشترطًا أن يلتزم الأسرى بالهدوء عند استقباله.

أعادت عودة ماهر الحياة للقسم والبسمة لساكنيه، فاستقبل كما يستقبل الأبطال، ومضت أيام نهاية الأسبوع سريعًا ليصطف الأسرى في صفين متقابلين عصر يوم الأحد، وتوزعت على وجوه المكلومين دموع الوداع، وارتفع الهتاف والدعاء الصادق باللقاء القريب خارج أسوار الأسر، ومضى أبو عبادة يعانق قسوة الأسر في مواقع أخرى، فرحل جسدًا وبقيت روحه تسكن القلوب المتقدة شوقًا للقائه، ومن ثم إلى سجن ايشل،

وحاليًا استقر به المقام في سجن ريمون، وتمت محاكمته في العام 2015م، وحكم عليه بمؤبدين، وكانت زوجته ووالدها ووالدة المجاهد ماهر وشقيقته متواجدين في المحكمة، فما أن سمعوا بالحكم

حتى بدأوا يرفعون من معنويات المجاهد ماهر وسط اعتزازهم وافتخارهم به، وقال حينها المجاهد ماهر للقاضي الصهيوني: "أنا عشت عشر سنوات لم أقم بأي عمل في مواجهتكم، ولكن عندما قمتم بالاعتداء على المسجد الأقصى رمز عقيدتنا وهويتنا وعزتنا وكرامتنا، فإن الأرواح ستكون رخيصة من أجله، وأن القدس في العيون نفنى ولا تهون.."، وكان أهالي القتلى الصهاينة موجودين في المحكمة، وحاولوا الوصول للمجاهد ماهر وإيذاءه رغم أنهم حاولوا في مرة سابقة اقتحام مشفى هداسا والوصول إلى غرفته للاعتداء عليه، وكانت يداه ورجلاه مقيدة في السرير، ولا يستطيع الحركة ومع ذلك وبمجرد أن صرخ بهم قائلًا لهم: الله أكبر! الله أكبر! إذا بهم يبتعدون ويندحرون مذعورين.

لم يتمكن الصهاينة من إيذائه، فقاموا بهدم منزله في الخليل عبر تفجير غرفه الداخلية وإغلاقه لاسيما أنه يقع في الطابق الثالث من إحدى العمارات السكنية في مدينة الخليل، ومع ذلك استطاع المجاهد ماهر أن يتغلب على إصاباته وعلى جراحه، وبدأ حياته من جديد في سجون العدو الصهيوني، ليقبل بشغف كبير على تثبيت ما حفظه من كتاب الله، فثبت المصحف الشريف، وأخذ سندًا في ذلك، وأقبل على العلم عبر دراسته في جامعة الأمة بتخصص إدارة الأعمال، وكذلك لا يزال يدرس في جامعة القدس المفتوحة في تخصص التربية الإسلامية، وحصل على العديد من الدورات العلمية المتقدمة ومنها نظم المعلومات والاقتصاد والتنمية البشرية ودبلوم في إدارة مؤسسات المجتمع المدني، وقد حصل مؤخرًا على شهادة الماجستير المهني في تخصص إدارة المؤسسات،

شهادة الماجستير المهني

0170828

تشهد كلية – التجارة – جامعة القاهرة بأن:

الطالب/ ماهر حمدي زهير رشدي الهشلمون

الجنسية: فلسطيني

أنه حصل على درجة: الماجستير المهني في إدارة الأعمال (MPA) تخصص: إدارة مؤسسات

وحصل على المشروع بتقدير: // ممتاز //

في دورة: يوليو بتقدير عام: // ممتاز //

النسبة المئوية: ٩٠,٩٪

وقد اعتمد مجلس الكلية نتيجة امتحانه في: ٢٠١٨/٩/٣م

ومجلس الجامعة في: ٢٠١٨/٩/١٩م

وقد أعطيت له هذه الشهادة لتقديمها إلى من يهمه الأمر

الموظف المسئول المراجع رئيس قسم الخريجين مدير عام التعليم

عميد الكلية

ورغم وضعه الصحي ورغم انشغاله الدائم في طلب العلم إلا أنه كان ولا يزال يحب أن يخدم إخوانه في أي مجال يُطلب منه سواء في العمل التنظيمي أو في مجال خطب الجمعة أو في مجال إعطاء الجلسات الثقافية.

ورغم مرور أربع سنوات على اعتقال المجاهد ماهر الهشلمون عاشها في سجون الاحتلال الصهيوني، في وسط أوضاع مأساوية جدًا وفي ظل أحمال ثقيلة على كاهليه فإنه يقول: "اللهم إني لا أسألك حملًا خفيفًا، ولكني أسألك ظهرًا قويًا".

الأسير المجاهد

محمد يونس علي أبو حنك

أحنقته جرائم العدو فانتقم منه

تاريخ الميلاد: 1995/05/09م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة العبيدية - محافظة بيت لحم

عدد أفراد العائلة: 12

تاريخ الاعتقال: 2016/07/19م

الحكم: 12 عاماً

لأنها العبيدية مصنع الرجال وملتقى الأبطال ونموذج التضحية والفداء؛ فلا عجب أن يبرق لمعان نجم آخر من نجوم الجهاد الإسلامي الذين يتنافسون في السباق إلى الشهادة. إنه الأسير البطل محمد يونس أبو حنك، ابن عائلة العيساوي نسبة لبلدة العيساوية في القدس الشريف، وزادت عائلة أمه (فرج) شرفًا بسكنها لمدينة القدس أيضًا، وتحديدًا فقد سكنت هذه العائلة الكريمة قرية المالحة في هذه المدينة المقدسة. ولم يكن عام 1995م الذي ولد فيه محمد عامًا عاديًا، بل كان عامًا تتزاحم فيه الأحداث الجسام، ملاحم سطَّر الاستشهاديون صفحاتها المشرقة بدمائهم الطاهرة الزكية، فقد كان للقوى الإسلامية المجاهدة (قسم) الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين نصيب طيب منها، فعملية بيت ليد البطولية بتاريخ 22 /01 /1995م نذير شؤم يلاحق جنرالات الجيش الصهيوني، كيف لا وقد قتل اثنان وعشرون من جنودهم وضباطهم، هذا فضلًا عن عشرات الجرحى الصهاينة، فكان عملًا مبدعًا فذًا نفذه الاستشهاديان البطلان أنور سكر وصلاح شاكر ببصمة وتخطيط قادة (قسم)، وعندما يذكر المجاهد محمد أبو حنك عام ولادته يتبادر إلى ذهنه سريعًا رحيل المؤسس الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، الذي ارتقى إلى العلا

شهيدًا بتاريخ 26/ 10/ 1995م على يد الموساد الصهيوني في جزيرة مالطا، وكان حينها طفلًا، لكنه يدرك اليوم عمق العلاقة بين الحدثين، استشهاد أبي إبراهيم الشقاقي وعملية الطعن التي نفذها، فهذه نتاج تاريخي لتلك.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد محمد أبو حنك في يوم من أيام الله بتاريخ 09/ 05/ 1995م، وهو يوم عرفة في ليلة عيد الأضحى المبارك، ليكون ابنًا مباركًا لاسيما أنه جاء بعد خمس بنات، ولهذا فإنه استحق عناية والديه، وكانت طفولته جميلة ورائعة، ومع هذا نغَّص الاحتلال فرحة هذه الطفولة يوم فُقِدَ خاله الشهيد يحيى فرج (أبو الهيثم) بتاريخ 29/ 09/ 2000م في ساحات المسجد الأقصى وهو يدافع عن كرامة أمته وشرف وطنه الفلسطيني الذبيح؛ عندما حاول المجرم الصهيوني أرئيل شارون دخول باحات المسجد الأقصى فواجه رصاص الغدر بصدره العاري ليحمي مسرى الرسول محمد _صلى الله عليه وسلم_ وكان لهذا الحدث أهميته الخاصة التي لا تنسى في حياة المجاهد محمد، فقد صدم براءة طفولته وهو يرى الأسى والدموع المنهمرة على وجه والدته وأقاربه، فلم يكن ذلك سببًا للانكسار، بل لشحن كل دواعي الانتقام من عدوه الذي أصبح الآن قادرًا على تحديده وتشخيص خطورة الصمت على جرائمه.

كَبِرَ المجاهد محمد على صوت الرصاص، ونَما أكثر وأكثر على هتاف المجاهدين، وصوت تكبيرهم؛ ليدخل حب الوطن في قلبه، فكان دومًا يجلس أمام شاشة التلفاز ويشاهد أحداث الانتفاضة، وحاول مرارًا وتكرارًا وهو ابن سبع سنوات أن يشارك في رجم جنود الاحتلال بالحجارة في قرية العبيدية، إلا أن الشباب والرجال الكبار كانوا يبعدونه عن مجرى الأحداث خوفًا عليه لصغر سنه. وكان دائم الاستماع إلى الأناشيد الوطنية لمحمد الدرة، ووين الملايين، وأطياف الاستشهاد، وسماع الأخبار عن حياة الشهداء خاصة محمود طوالبة ويحيى عياش، وتطور الأمر شيئًا فشيئًا ليرى قطعان الذئاب المتوحشة وهي تطرق أبواب القرية بحثًا عن المجاهدين والمطاردين، ويذكر يوم أن حاصرت قوات الاحتلال كنيسة المهد ببيت لحم، ومنعت الطعام والشراب عن المحاصرين،

مشهد من حصار كنيسة المهد بمدينة بيت لحم (2002م)

ثم أبعدت العديد منهم إلى خارج الضفة الغربية، فلم تكن طفولة أسيرنا البطل محمد إلا كمعظم الأسر والعائلات التي تسكن الريف حيث الظروف المادية الصعبة والحياة القاسية.

عمل والد المجاهد محمد في البناء، وتحديدًا في مجال البلاط، ورغم أنه يملك قطعة أرض في منطقة وادي النار إلا أنه رفض بيعها أو تأجيرها فهو متعلقًا بهذه الأرض، وعنه أخذ أبناؤه حب الأرض؛ لأنها رمز عزتهم ووجودهم، ومن ناحية أخرى فإن هذه الأسرة التي نشأ وترعرع فيها محمد أسرة محافظة وملتزمة دينيًا، وقد ساهم هذا في حُسن تربية الأبناء على طاعة الله، فأمهم داعية متعلمة أرشدتهم مع والدهم المحافظ على دينه إلى طريق الهداية والصلاح والفلاح، فتعمق حبهم للدين وآداب القرآن.

بداية علاقته بحركة الجهاد الإسلامي

انضم المجاهد محمد في العام 2004م؛ لدورات تعليم القرآن الكريم وتحفيظه في مسجد الأبرار، وقد انتمى مبكرًا لاتحاد الشباب الإسلامي الفلسطيني وهو أحد أهم المؤسسات الثقافية والرياضية والاجتماعية التابعة لحركة الجهاد الإسلامي، وانتشرت فروعه في كل مدن الضفة الغربية وقطاع غزة، وكان للانتفاضة الثانية، أي انتفاضة الأقصى المباركة وقعها الخاص على حياة البطل محمد وثقافته،

معرض للكتاب أقامته الجماعة الإسلامية
بجامعة القدس المفتوحة - بيت لحم (أرشيف 2004م)

فالاستشهاد والاعتقال مشهد يومي صاحب هذه الانتفاضة المشتعلة في كل مدن وقرى ومخيمات الوطن الجريح، وقصة الشهيد زياد ردايدة وإخوته من حركة الجهاد الإسلامي الذين كانوا يعتقلون كثيرًا شاهدة على ذلك. وفي العام 2006م انطلقت في منطقة العبيدية مسيرة غاضبة ضخمة لتشييع الشهيدين عقلة شنايطة وخالد شنايطة من سرايا القدس اللذين ارتقيا للعلا شهيدين في اشتباك مسلح مع قوات الاحتلال، ولم يكن المجاهد محمد في العبيدية أثناء تنفيذ هذه الجريمة البشعة، وعندما سمع الخبر الحزين أثناء وجوده في بيت جده في القدس تألم؛ لأنه لن يستطع المشاركة في وداع الأبطال.

القدس كانت ومازالت ضحية لمخططات التهويد والحصار حتى إن أسيرنا المجاهد محمد منع من دخولها في العام 2004م رغم صغر سنه، وفي نفس العام اقتحم جيش الاحتلال الصهيوني منزل عائلة المجاهد محمد ليعتقل أخاه الأكبر إياد، وحكم عليه بالسجن الفعلي سنة ونصفًا بتهمة الانتماء لحركة الجهاد الإسلامي ومقاومة الاحتلال، فتفتحت عينا محمد أكثر على وقائع وتفاصيل الجرائم المرتكبة بحق الأسرى وذويهم، وبكى لسماع صوت أخيه في أول مكالمة من داخل الأسر لاحقًا، فعرف طبيعة المعركة التي تخوضها الحركة الأسيرة لتهريب أجهزة الاتصال إلى السجون والحفاظ عليها أمام هجمات القمع والتنكيل التي تشنها وحدات إدارة مصلحة السجون الصهيونية خلال تفتيشها وبحثها عن هذه الأجهزة، وبالنسبة للأسرى فهذا الأمر

يعد بنفس أهمية الأكسجين، فهي المتنفس والنافذة التي يطلون من خلالها على أخبار ذويهم. ولرحلة العذاب الممتدة أثناء زيارات الأهالي لأبنائهم في السجون قصة أخرى مع المجاهد محمد فقد عانى هذا العذاب، وكان لمشقة السفر والتفتيش الذي قد يجري خلاله أساليب مهينة. وأُفرج عن أخيه، وأُعيد اعتقاله في العام 2006م لمدة عامين آخرين؛ لتعاني العائلة مجددًا مع الكثير من عائلات الأسرى في العبيدية، فكان من بين هؤلاء الأسرى الأبطال أبو مجاهد محمد العصا والمجاهدون سليمان العصا وزياد رداية وشفيق رداية ومنير شنايطة وإبراهيم شنايطة ومحمود رداية وعامر أبو سرحان وداود صبيح وإسماعيل رداية وأيوب العصا وسلام الشنايطة.

شعر أسيرنا المجاهد محمد بثقل المسؤولية الملقاة على كاهل والده، فقرر العمل الاعتماد على نفسه كما يفعل من الشباب البار لوالديه، هؤلاء الذين نذروا أنفسهم عونًا لذويهم ليردوا ولو قسطًا يسيرًا من الجميل. وأثناء دراسته الصف السابع بدأ يعمل في حقل الزراعة مع زوج أخته، ومن ثم عمل في مجال بيع الدجاج واللحوم، وفي سن السابعة عشرة عمل في داخل مدينة القدس المحتلة، وبقيت جرائم الاحتلال وصورها ماثلة أمام ناظري البطل محمد، وأخذ يبحث عن كل فرصة يعبر بها عن غضبه ورفضه لهذا الظلم الذي ينغص على أبناء شعبنا كل مناحي الحياة، فها هو يشارك في العديد من المظاهرات دون علم العائلة، وخاصة خلال العدوان على قطاع غزة في عامي 2008م و2012م، وأثناء عمله في القدس كان يرى غطرسة اليهود وعنصريتهم فيزداد كرهًا لهم، ويتمنى لو أنه يستطيع الانتقام منهم ورد الصاع لما يقومون به من ممارسات عدوانية.

انتمى المجاهد محمد أبو حنك منذ الصغر للجماعة الإسلامية والتي أصبحت فيما بعد الرابطة الإسلامية الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وشارك في مخيم الشهيد أحمد جمال شنايطة الذي أقامه اتحاد الشباب الإسلامي في العبيدية، واستمع لحديث المجاهدين عن الحركة وأفكارها وقادتها، وكان محبوبًا جدًا لدى جميع أهل بلدته لما عرف عنه من دماثة الأخلاق، وسمو الطباع التي تربى عليها منذ نعومة أظفاره، ولم يكتف المجاهد محمد بالصلاة في المسجد فحسب، بل أخذ يحث أصدقاءه على ذلك بينما كانت أول مشاركة له في نشاط تابع لحركة الجهاد الإسلامي هي حمل راياتها خلال مهرجان تأبين خاله الشهيد يحيى فرج عام 2002م، الذي صاحبه عرض عسكري قام به مجاهدو الحركة.

في العام 2012م اجتاز أسيرنا البطل مرحلة التوجيهي بنجاح، والتحق بدورة تكييف وتبريد بمعهد المنار في مدينة رام الله، وكانت رحلة الذهاب والإياب من وإلى رام الله فرصة لاكتشاف وقائع جديدة، وملاحظات إضافية على ظلم العدو وبطشه خاصة على الحواجز العسكرية المغروسة في خاصرة فلسطيننا الحبيبة، والاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى. ومن أبرز الأحداث في تلك المرحلة من حياة المجاهد محمد كان اغتيال القائد في سرايا القدس المجاهد محمد عاصي من قرية

بيت لقيا في رام الله في العام 2013م بعد مطاردة استمرت عامًا إثر تخطيطه لتفجير الباص الصهيوني بمدينة تل الربيع المحتلة في العام 2012م ردًا على الجرائم والمجازر التي ارتكبها الاحتلال في الحرب التي شنها ضد أهلنا في قطاع غزة في نفس العام،

وكذلك جريمة اغتيال شهداء مخيم جنين الشهيد إسلام طوباسي، وهو شقيق الشهيد أحمد طوباسي وشقيق الأسير المؤبد سعيد طوباسي، فكان كل ذلك حافزا جديدًا راكم لديه لهيبًا مُتقدًا سيفعل فعله في قادم الأيام.

منَّ الله على المجاهد محمد أبو حنك بقراءة كتاب وضعه على طريق حسم أمره واتخذ قراره، وهو كتاب تفاصيل مجزرة مخيم جنين، جولات القصف من البر والجو والهدم والتدمير الكامل لبيوت المخيم، فقرأ عن هواية القتل التي كان يمارسها جنود الاحتلال يوميًا في ذلك المخيم، ولكنه في المقابل أعجب من طبيعة المقاومة الباسلة لذلك العدوان الهمجي والصفحة البطولية الناصعة التي قدمتها سرايا القدس في مقدمة الفصائل التي شاركت في تلك المعركة، وكم تمنى لو أنه كان الشيخ القائد الشهيد محمود طوالبة الذي قاد معركة المخيم مع أخيه الشهيد القائد أبو جندل. ووقف أسيرنا المجاهد محمد أبو حنك ليعيد حساباته ويقلب أفكاره، وكان يخاطب نفسه: نعم لقد شاركت في الكثير من فعاليات الانتفاضة الشعبية مثل رفع رايات الجهاد أو المشاركة في المسيرات المنددة بالاحتلال أو تلك الخاصة بتشييع الشهداء، صحيح أنني قاومت بإلقاء الحجارة على جنود الاحتلال، فهذا مهم، لكنه لا يكفي، فيجب أن أرتقي إلى درجة أعلى وأعلى، فأنا أستطيع فعل ما هو أكبر من ذلك. ولم يكن بحيازة المجاهد محمد أي سلاح ناري، ولم يكن يملك المال الكافي لشرائه، لكنه يستطيع الحصول على السلاح الأبيض، السكين المتوفر في كل مكان.

أحب المجاهد محمد الشهادة منذ صغر سنه، وهو اليوم يقرر تنفيذ عملية استشهادية، من خلال أسلوب الطعن، خطط للعملية الاستشهادية منفردًا دون طلب المساعدة من أي أحد، واستقر رأيه على اقتحام الحاجز العسكري المقام على مفرق جبع في رام الله، وكان يمر يوميًا من ذلك المكان في طريقه إلى رام الله، وقد رصد جنديًا صهيونيًا برفقة آخر من جنود الاحتلال، واستمر الرصد لمدة ثلاثة أيام حتى جاءت ساعة الحقيقة في يوم تنفيذ العملية بتاريخ 23/ 12/ 2013م.

مجريات أحداث العملية

خرج مجاهدنا البطل محمد أبو حنك من بيته يوم الأربعاء 23/ 12/ 2013م في الساعة الثانية عشرة ظهرًا بعد أن عقد النية وصلى ركعتين،

واستمر في ترطيب لسانه وطمأنة قلبه بذكر الله استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، وفي طريق العزة والكرامة التقى محمد بوالدته وجهًا لوجه أثناء خروجها من المنزل، وكان لقاءً مؤثرًا بين الأم وفلذة كبدها، اعتقدت الأم أن ابنها ذاهب كعادته للدراسة وسيعود مساء، بينما كان المجاهد محمد متأكدًا أن لا عودة، وأنه اللقاء الأخير في الدنيا، فأسرع مبادرًا بالسلام على والدته الحنون، فقالت له: "الله يرضى عليك"، كانت تلك الكلمات القصيرة سبب ارتفاع معنوياته، وانطلق بعدها محلقًا كصقر حر في سماء وطنه، ورأى ابني أخويه (لؤي وليث) فقبلهما واحتضنهما وأوصاهما بصيغة الجمع التي فهمها كل من سمعها بأن كونوا رجالًا، ووصل لمدينة رام الله وحضر محاضرة دورة التدريب والتكييف، وكان الفصل شتاءً وقد ضربت فلسطين عاصفة ثلجية تم تسميتها بـ "أليكسا"، وخرج إلى سوق رام الله، واشترى سكينًا مناسبًا بمبلغ زهيد، بـ15 شيكلًا، ثم ركب سيارة أقلته إلى دوار جبع، وتقدم شيئًا فشيئًا إلى الموعد الذي انتظره طوال عمره، تقدم إلى هناك يسكنه الإيمان والإقدام من غير تردد، وتذكر الجنة ونعيمها بصحبة خير البشر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

وصل مجاهدنا البطل محمد إلى مبتغاه وترجل بثقة كضرغام يصول ويجول، وكانت الساعة حينها الرابعة عصرًا وأزمة السير خانقة، واكتظاظ الناس واضحًا بعد انتهاء يوم أعمالهم أو دراستهم، فحدد هدفه ووقف على مسافة مناسبة من الشرطي الصهيوني يراقبه، فتفاجأ بأن الشرطي الصهيوني يقف إلى جواره جندي صهيوني ممتشق سلاحه الآلي من نوع (M16)، وانتظر محمد على دوار جبع ساعة ونصفًا الفرصة السانحة لابتعاد الجندي ولو لمسافة قصيرة يتسلل من خلالها في زمن الانتظار الصعب، وراودته الكثير من الأفكار: هل يؤجل تنفيذ العملية؟ أم يرفع درجة المخاطرة وينقض على الشرطي مهما بلغت التكاليف؟ لكنه وعلى الأغلب سيستشهد في هذه الحالة إذا رآه الجندي قبل الوصول للشرطي، وكانت حيرة ما بعدها حيرة، فدقق في عيون القاتلين، وكان يتخيل الدم يقطر من أيديهم، ومن المؤكد أن ذلك الشرطي، وذلك الجندي قد شاركا في الكثير من المذابح لأبناء الشعب الفلسطيني.

من المكان المستهدف بعملية الأسير المجاهد/ محمد أبو حنك (أرشيف 2013م)

وفي لحظة فرج ابتعد الجندي الصهيوني بعض الشيء، فقد كان يمارس سياسة التضييق على المواطنين والتنكيل بهم. فاقتحم المجاهد البطل محمد أبو حنك الموقع وأمسك برقبة الشرطي، وطعنه في ظهره، ودوى في المكان صراخه وبكاؤه وعويله؛ ليلفت انتباه الجندي الآخر الذي بادر

بإطلاق النار الكثيف تجاه المجاهد أبو حنك الذي انسحب بسرعة من المكان، واستفاد المجاهد محمد من الازدحام ليختفي بين السيارات والمارة وصولًا إلى الكروم الممتدة المليئة بأشجار الزيتون الشاهد على حقنا الذي رواه الدم، ونجا المجاهد محمد برعاية من الله ـعز وجلـ وعنايته من إطلاق النار، وبعد ساعة من المطاردة وصل إلى مغارة اختبأ فيها وأغلق جواله، وأخذ يدعو إلى الله ـعز وجلـ بأن يحميه ويعمي أعين الأعداء عنه، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9].

شنَّت قوات الاحتلال الصهيونية حملة مطاردة وتفتيش واسعة بحثًا عن البطل محمد، وضاق الخناق رويدًا رويدًا عليه، وانتشرت حوله أصوات الجنود ونباح كلابهم، فيما أضاءت مصابيحهم المكان وبقي مجاهدنا على هذا الحال يكابد البرد القارس، لكنه قرر ألا يستسلم، وسمع أذان الفجر فازداد راحة واطمئنانًا فصلى بوضعيته دون إثارة أية جلبة قد تلفت انتباه جنود الاحتلال، وقريبًا من الساعة السابعة صباحًا لاحظ هدوءًا في المنطقة، فأخذ حيطته وحذره ظانًّا أنها خدعة أو كمين يستدرج إليه، فبنو يهود معروف عنهم المكر والغدر والخداع. وأخيرًا وبعد طول انتظار خرج من مكانه، وبادر بسؤال المواطنين: ماذا يحدث هنا؟ لماذا ينتشر جيش الاحتلال بكثافة؟ فأبلغوه الخبر. فدائي مجاهد بطل طعن شرطيًا على الدوار، وانسحب من المكان، أما ما تراه فهي حملة واسعة للبحث عنه، فتظاهر محمد بالدهشة وسار مستكملًا طريقه مُسرع الخطا، قبل أن يكتشف أحد أمر الدم المتناثر على يديه، وملابسه الممزقة نتيجة المطاردة، ثم استقل سيارة مسافرة تجاه رام الله، وأثناء مرورهم بالحاجز لم يتم إيقاف السيارة، وعند وصوله إلى مدينة رام الله اشترى بنطال بيجامة ليستبدله ببنطاله الممزق.

عاد أدراجه مسافرًا إلى بلدة العبيدية غير مصدق بأنه لا زال على قيد الحياة، ولقد حفَّه الله بحفظه ورحمته وعنايته ورعايته ليعود إلى أحضان أسرته التي لم تعرف أي شيء عن عمله البطولي، وهي التي افتقدته، وبحثت عنه طوال اليوم والليلة الماضية، فلم يعد كعادته إلى البيت، وقلقوا عليه كثيرًا، لكنه أجابهم عند اللقاء بأنه كان يدرس عند صديقه، واضطر للنوم عنده بسبب تأخر الوقت، وانقطاع المواصلات، ولم يكن المجاهد محمد أبو حنك قد تمّ تشخيص أحد له في مسرح العملية إلا أنه ظل متوجسًا من إمكانية التقاط صورته بواسطة كاميرات المراقبة المنتشرة، غير أنه واصل حياته بشكل طبيعي هادئ، وبعد أربعة أشهر أصابه المرض ووصلت نسبة الدم لديه 5، فأدرك أن هذا من آثار مبيته في المغارة محاطًا بأنواع الديدان والحشرات خاصة أنه حينها كان مصابًا بكثيرًا من الخدوش، وعانى كثيرًا من المرض لمدة تجاوزت عشرة أيام، خضع خلالها للعلاج في المستشفى بعد خمسة أشهر من ذلك الحدث في تلك العملية البطولية. وذهب المجاهد إلى الارتباط المدني بغية الحصول على تصريح عمل وبطاقة ممغنطة تمكنه من الدخول لأراضينا المحتلة عام 1948م، وخشي

أن يكشف أمره ويقبضوا عليه، لكنه بتوفيق الله ـ عز وجل ـ حصل على تصريح وتأكد أنه بأمان وأن لا معلومات لدى جهاز الشاباك الصهيوني حول ضلوعه في عملية الطعن، واستطاع الحصول على تصريح زيارة لوالدته في القدس، واستفاد منه حيث استطاع الدخول إلى المسجد الأقصى إلى جانب المرابطين فيه، واستمر مرابطًا لعشرة أيام.

نجح المجاهد محمد في الحفاظ على أمنه الشخصي بعدما كتم سره في قلبه، ولم يشارك في منتديات الإنترنت، ولم يفتح أي حساب خاص له على مواقع التواصل الاجتماعي كي لا تستدرجه الأحداث والأخبار السياسية بكتابة منشورات تفضح أمره، فكانت المجازر التي ارتكبها العدو الصهيوني بحق أهالينا في قطاع غزة مسعى للمشاركة في فعاليات ونشاطات، مع حرصه على أن يبقى عمله سريًا، كما أنه عاش متأثرًا بتلك الأيام الصعبة التي تعاقبت فيها الاقتحامات للمسجد الأقصى حتى اندلعت انتفاضة القدس في العام 2015م، والتي استهلها الشهيدان المجاهدان ضياء التلاحمة ومهند الحلبي وهما من نشطاء الرابطة الإسلامية الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي

في جامعة القدس أبو ديس، ثم توالت العمليات الفردية على غرار العملية البطولية التي نفذها المجاهد البطل محمد أبو حنك، وأصبحت أزقة وحواري وطرقات فلسطين مواقع للطعن والدعس يلاحق فيها قطعان المستوطنين، ويبث الرعب في نفوس جنود الاحتلال. وخلال العام 2015م سافر المجاهد محمد إلى الأردن وتجاوز كل مراحل الفحص والتفتيش وعاد إلى الأرض سالمًا، لاحقًا ألغى العدو الصهيوني تصريح العمل لوالده، فكان لزامًا عليه العمل بكل جهد ممكن من أجل أن يوفر للعائلة متطلبات الحياة الأساسية، ولذلك عمل في أكثر من مجال في نفس الوقت.

اعتقاله والحكم عليه

حضر شقيق المجاهد محمد (محمود) من باكستان ليمضي شهر رمضان مع عائلته، وبعدها يعود إلى جامعته التي يدرس فيها الهندسة، ووصل من جهاز الشاباك الصهيوني طلب حضور لكل من والد محمد وأخيه محمود، وسألهما ضابط الشاباك عن جميع أفراد الأسرة ما عدا محمد. بعد يومين من هذه المقابلة حاول محمود السفر للأردن بنية العودة للباكستان إلا أن الصهاينة أعادوه من الحدود الأردنية الفلسطينية، ولم يسمحوا له بالمرور، فأحس المجاهد محمد ضيقًا في صدره إن شيئًا ما غير معتاد قد طرأ هناك، ولربما لشبهة تدور في أروقة الشاباك ضد عائلته، فإشارات غريبة ومستجدات خطيرة، حاول مجاهدنا محمد ربط خيوطها بحثًا عن تفسير منطقي لها، وفي مقابلة الشاباك لأخيه محمود على الجسر سأله الضابط: ماذا يفعل أخوك محمد؟ فقال له: يعمل

داخل القدس المحتلة، فقال الضابط: إن الحائط الذي يشيده أخوك محمد بين بيته وبيت أخيه إياد ستكمله أنت نيابة عنه بعد تخرجك مهندسًا من الباكستان. وكان المجاهد محمد حينها يعمل في القدس المحتلة وخاف والده عليه بعد أن أدرك أن خطرًا محدقًا يحيط به، فطلب منه ترك العمل، فنفذ طلب والده يوم الاثنين، ونوى السفر مرة أخرى في اليوم التالي للعمل، لكن يد الغدر الصهيونية كانت له أسرع فقد اعتقلته قوات الاحتلال من بيته صباح الثلاثاء 19/ 07/ 2016م ليتم لاحقًا اقتياده إلى معسكر الفرديس ومنه إلى عتصيون، ثم إلى مركز تحقيق الجلمة، ووقف في وجه أساليب التحقيق النفسية والجسدية القاسية، وقد حرم من النوم لثلاثة أيام متواصلة على كرسي الشبح.

تسلح مجاهدنا محمد بالإيمان والإرادة إضافة إلى ما كان قد اكتسبه من معلومات حول التحقيق من بعض الأسرى المحررين، ولم يفلح المحققون في نزع أي اعتراف منه، فأنزلوه إلى غرف العصافير، ولكن دون جدوى، حتى لم ينطق بكلمة واحدة، وعندها أعادوه إلى غرف التحقيق، فتحايل عليه محقق ماكر بأسلوب خبيث، وسأل المجاهد محمد سؤالًا خبيثًا: هل سافر أخوك محمود للدراسة في الباكستان؟ فأجابه أحدهم: كيف نسمح له بالسفر وهو الذي ساعد بتنفيذ العملية، فقال لهم المجاهد محمد إن أخاه محمود لا دخل له في العملية، واعترف بكل شيء، ولاحقًا عرف أسيرنا البطل محمد أبو حنك أن اعتقاله تم بعد التعرف عليه عن طريق (DNA) المتشابه عند أفراد العائلة، وكان جهاز الشاباك قد حصل على (DNA) من والده خلال المقابلة الأولى معه، وبعد مرحلة التحقيق نقل أسيرنا البطل إلى سجن "عوفر" ليحتضنه قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي داخل السجون، وقد قدر الأسرى عاليًا هذه البطولة منقطعة النظير التي قدمها المجاهد محمد، والأهم من ذلك نجاحه في دفن سره في صدره مدة ثلاثة أعوام تقريبًا قبل اعتقاله.

أخذ أسيرنا المجاهد محمد العبرة ممن سبقوه داخل الأسر، وبدأ بقضاء وقته واستثماره في كل ما هو مفيد، والتحق بعدة دورات وأكملها بتفوق مثل علم التجويد والتفسير والسيرة وتزكية الأنفس والنحو، هذا إضافة لدورات سياسية وأمنية، وحكمت عليه محكمة الاحتلال العسكرية في "عوفر" بالسجن الفعلي اثنى عشر عامًا، وثلاثة أعوام مع وقف التنفيذ، هذا بالإضافة إلى غرامة مالية قدرها 30 ألف شيكل ستدفع تعويضًا للشرطي الصهيوني على إصابته، وهذا المبلغ قد خفضت به المحكمة حكم المجاهد محمد من ثلاثين عامًا إلى اثنى عشر عامًا، وبعد عامين من اعتقاله نقل إلى سجن رامون المركزي، واستقبله الأسرى بحفاوة بالغة، وتعرف على مزيد من قادة الحركة الأسيرة، والتحق بالدراسة في جامعة القدس المفتوحة، ومع كل هذا فإن أسيرنا البطل محمد أبو حنك أعطى من جهده ووقته لخدمة إخوانه داخل الأسر، وعمل في عدة مرافق داخل السجن. فرَّج الله عن الأسير محمد يونس العيساوي (أبو حنك) وعن جميع الأسرى والمعتقلين!

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	7
شكر وتقدير	9
تقديم: سلامٌ لكم جميعاً، يا من حملتكم السجون وهناً على وهن. أ. طارق حسين قعدان	11
تقديم: تجربة رائدة وتوثيق مُميز. د. عبد المجيد لطفي العيلة	13
مقدمة: درب الصادقين، صفحات مشرقة من بطولات المجاهدين. أ. محمد أبو طبيخ	15
أسماء الأسرى المجاهدين (مرتبة هجائياً حسب تاريخ الأسر لدى العدو الصهيوني)	
الأسير المجاهد إياد إبراهيم حسن جرادات سليل أسرة شهداء ومجاهدين	21
الأسير المجاهد محمد حسين فايز جرادات مجاهد من أسرة مجاهدين زادته الشدة صلابة وعزمًا	29
الأسير المجاهد أحمد ذيب عبد الرحمن دهيدي ابن الإسلام العظيم وابن فلسطين	43
الأسير المجاهد عرفات محمد عبد الحميد الزير سليل الجهاد والتضحية	57
الأسير المجاهد يوسف عطا ذياب حمدان اختار طريق المقاومة، طريق العزة والكرامة	67
الأسير المجاهد حسام عدنان توفيق عابد في كل جزء من اسمه له نصيب	77
الأسير المجاهد سامي سليمان إبراهيم جرادات ابن أسرة شهداء وأبطال مجاهدين	93
الأسير المجاهد سامح سمير محمد الشوبكي رمز الإرادة الصلبة وبراعة التخطيط والتنفيذ	109

الأسير المجاهد إسماعيل إبراهيم مصطفى أبو شادوف مجاهد من أسرة مجاهدين	131
الأسير المجاهد مهند محمود محمد أبو عيشة سيف من جبل النار	141
الأسير المجاهد أمين أحمد جميل شقيرات أسطورة الجهاد وصلابة الإرادة وعزة الإيمان	151
الأسير المجاهد مهنا شعبان شفيق زيود شعلة الجهاد والوطنية الملتهبة	173
الأسير المجاهد جمال نزيه جميل جعار ثالث ثلاثة إخوة مجاهدين، نال أحدهما الشهادة	181
الأسير المجاهد إياد محمد أحمد أبو الرب الراعي المجاهد	191
الأسير المجاهد أحمد محمد زهدي مرشود المجاهد الذي لم يطق على جرائم الاحتلال صبرًا	207
الأسير المجاهد محمد خالد حسن عامودي المجاهد المثابر على الهدف، الصابر على البلاء	215
الأسير المجاهد وجيه جلال وجيه أبو خليل رجل المهمات الصعبة، ونجم الجهاد الساطع	231
الأسير المجاهد أيهم فؤاد نايف كماجي قصة جهاد بطولي في حب الوطن	267
الأسير المجاهد عمر أحمد عبد الرحمن أبو الرب دفعته روحه المؤمنة إلى الجهاد لتحرير وطنه وشعبه	283
الأسير المجاهد أدهم محمد عبد العزيز يونس المجاهد الجريء القلب	289
الأسير المجاهد لؤي عبد الجبار عبد الحميد أبو نجمة أصلحه الإيمان، وجعل منه مجاهدًا	305
الأسير المجاهد (محمد خليل) عدنان داود أبو اسنينة بطل جهادي فريد صنعه إيمانه القوي	315

الأسير المجاهد ماهر (حمدي زهير) رشدي الهشلمون بطل جهادي أكبر من أن تمدحه الكلمات	327
الأسير المجاهد محمد يونس علي أبو حنك أحنقته جرائم العدو فانتقم منه	343

تم بحمد الله

سيرة وصورة

الأسير المجاهد

محمد صبحي أبو طبيخ

- من مواليد مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين بمحافظة جنين بتاريخ 23/ 02/ 1980م.
- تعود أصوله إلى بلدة "صبارين" التابعة لقضاء حيفا والتي هُجّر أهلها منها في نكبة العام 1948م.
- أعزب وتتكون أسرته من 7 أفراد.
- حاصل على دبلوم خدمة اجتماعية من الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة في العام 2014م، وبكالوريوس تاريخ من جامعة الأقصى في العام 2016م، وبكالوريوس علوم سياسية من جامعة القدس (أبو ديس) في العام 2018م، وهو حالياً طالب ماجستير في تخصص الشئون الصهيونية في جامعة القدس (أبو ديس).
- حصل على عشرات الدورات التعليمية في تخصصات مختلفة داخل سجون الاحتلال، وله خمسة أبحاث غير منشورة وهي:

1. يهودية الدولة ومسار المفاوضات الفلسطينية "الإسرائيلية".
2. الأكاديميا والبحث العلمي والتطوير في "إسرائيل" ومحيط التعاون الدولي.
3. أهداف وتداعيات حرب 2006م على "إسرائيل".
4. الولايات المتحدة الأمريكية وثورة 25 يناير.
5. "إسرائيل" وتمايز استيعاب وانصهار المهاجرين (دراسة مقارنة بين اليهود الشرقيين واليهود الروس 1948-2000).

- انتمى مبكراً إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي، وعمل في الإطار الطلابي لها (الجماعة الإسلامية) في جامعة بوليتكنيك الخليل، واعتقل على أثرها في العام 1999م في سجون الاحتلال لمدة 18 شهراً وتحرر في 05/ 04/ 2001م.
- أُعتقل في سجون السلطة الفلسطينية لمدة 4 شهور في الأعوام 2001/ 2002م بسبب نشاطه السياسي والعسكري في حركة الجهاد الإسلامي.
- من أبطال تجهيزات معركة مخيم جنين في العام 2002م، وتعرض منزل الأسرة للهدم من قبل قوات الاحتلال بعد اعتقاله مباشرة.
- تعرض لأكثر من محاولة اغتيال من قوات الاحتلال واعتقل بتاريخ 28/ 07/ 2002م في عملية عسكرية واسعة ببلدة برقين بمحافظة جنين.
- أصدرت قوات الاحتلال الصهيوني حكمًا جائرًا عليه مؤبدين و15 عامًا على خلفية نشاطه وقيادته في سرايا القدس (الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي) بمحافظة جنين ووقوفه خلف عمليات جهادية بطولية.

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع
Email: dar.nomaan@gmail.com
ISBN 978-9950-8523-0-3